تاريخ الشرق الادنى القديم
ايران والاناضول

تأليف

الدكتور
سامي سعيد الأحمد

الاستاذ المساعد
رضا جواد الهاشمي


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تبنت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سياسة تعريب الدراسة في الجامعات منذ بضعة سنوات ، واقتضاها ذلك توفير مستلزمات المادة العلمية المطلوبة باللغة العربية . لذلك اخذت على عاتقها تكليف اساتذة الجامعة كلا في حقل اختصاصه بوضع الكتب المنهجية بموجب المفردات المقررة في الاقسام العلمية لكليات الجامعات ـ العراقية .

والكتاب الذي نضعه اليوم بين ايدي طلبتنا الاعزاء هو واحد من ثمرات جهود وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . ويكتسب تأليف هذا الكتاب اهمية استثنائية نظرا لفقر المكتبة العربية من المؤلفات التي تعالج موضوع هذا الكتاب لذلك نرجو ان تعم فائدته طلبة التاريخ والآثار في الكليات العراقية والعربية .

لقد حرص المؤلفان على تقديم مادة علمية غزيرة معززة بمعلومات اوثق المصادر والمراجع الاثارية والكتابية القديمة وتم تقسيم العمل فيما بينهما على النحو التالي : فقد تولى الاستاذ رضا الهاشمي كتابة القسم الخاص بآثار وحضارة ايران فيما عدا الفصلين الاول والثاني من الباب الثاني فقد تولى كتابتهما الدكتور سامي سعيد الذي انيطت به ايضا مهمة كتابة الفصول الخاصة بآثار وحضارة بلاد الاناضول وهي القسم الثاني من هذا الكتاب والله ولي التوفيق .

المؤلفان

مدخل الى الموضوع

ان فهما سليما لمسار حركة التاريخ والحضارة لاي مركز من مراكز الحضارات القديمة لا يستقيم الا من خلال دراسة الاحداث التاريخية للمراكز المجاورة ، ومن هذه الزاوية تبرز اهمية دراسة تاريخ وحضارة ايران القديمة في مجمل دراسات الشرق الادنى القديم عامة ، وفي دراسة تاريخ وحضارة العراق القديم بوجه خاص . وقد شادت ايران خلال فترات تاريخها الطويل مؤسسات ونظم واشاعت افكار وديانات وطقوس ، وتبنت اصولا معمارية وفنية ، كانت عناصرها في الغالب مستمدة من تراث حضارة الشرق ، ومكيفة بموجب ضرورات المرحلة التاريخية وعوامل البيئة وخصوصية الشخصية الايرانية .

وهم بذلك واصلوا المسيرة الحضارية الشرقية القديمة ، وامدوها باسباب النماء والتطور . ومثلما تكشف دراسة تاريخ ايران عن اهميتها للدراسات التاريخية القديمة ، فانها تشترك مع بلاد الاناضول في الكشف عن اصول الاقوام الهندية الاوروبية ، فالآريون في ايران والحثيون في الاناضول يمثلون اقدم الهجرات الهندية الاوروبية . وان الدول التي شيدوها في ايران والاناضول تمثل اقدم المراكز السياسية والحضارية للهنود الاوروبيين . كانت بلاد ايران والاناضول من المنافذ التجارية الهامة في تاريخ العراق القديم وبموجب ذلك شهدت العلاقات بينهم مراحل متفاوتة من السلم والاستقرار او حدة المعارك العسكرية . وقد نشطت خلال هذه الظروف عمليات التفاعل الحضاري فيما بينهم فليس غريبا ان نتلمس اصول كثيرمن العناصر الحضارية الايرانية او الاناضولية بين تراث حضارة وادي الرافدين ، كما اصبحت كلا من بلادي ايران والاناضول جسرا لايصال ـ المؤثرات الحضارية الى العالمين الشرقي والغربي .

ونجحت الدولة الحثية في الاناضول بمد نفوذها الى شمالي سوريا وبلغت في بعض الاوقات حدود بابل ، كذلك نجح الفرس الاخمينيون لاحقا من ضم العراق

وسوريا ومصر الى نفوذهم السياسي ، فشهدت هذه الفترات اوثق الصلات واشد التفاعل بينهما وبين تراث الحضارة الشرقية عامة وتراث بلاد وادي الرافدين بشكل خاص .

لذلك يجد دارس التاريخ والحضارة القديمة ضرورة الالمام بالاحداث التاريخية والحضارية لكل من بلادي ايران والاناضول لاستكمال حلقات الاحداث التاريخية والحضارية لعالم الشرق الادنى القديم .

وبالاضافة الى الفائدة العامة التي يقدمها الكتاب لدارسي التاريخ فانه يتوجه بمعلوماته الى طلبة الجامعة الذين يتخصصون في دراسة تاريخ الحضارات القديمة ، حيث يستكملون من خلاله دراسة مركزين آخرين من مراكز الحضارات القديمة في الشرق الادنى .

وقد سعى المؤلفان لتقديم عرض تاريخي وحضاري يستند الى احدث الدراسات واوثق المراجع ، كما انهما عالجا الجوانب الآثارية بشكل واسع ، وتابعا الاحداث التاريخية لكل من المركزين منذ قدم النشاطات الانسانية فيهما وحتى المراحل التي تنتهي عندها حدود تاريخ الحضارات القديمة ، ويتمثل ذلك في نهاية الدولة الساسانية بالنسبة لايران ، وقيام الدولة البيزنطية المسيحية في بلاد الاناضول . وقد رتبت موضوعات هذا الكتاب في ابواب وفصول ومباحث بموجب المفردات المقررة في قسم الآثار بكلية الآداب لطلبة الصف الثالث . .

الفصل الاول

الجغرافية الطبيعية والمناخية

المبحث الاول :

جغرافية بلاد ايران واثرها في تاريخ المنطقة

تشتمل بلاد ايران على مساحات جغرافية واسعة ابرز ما يميزها نوعان من التضاريس ، الصحاري الكبرى المتمثلة في دشتي لوط ودشتي كافر وتحتلان معظم الاقسام الوسطية لهذه البلاد ، تحيط بهما من كل جانب تقريبا سلاسل جبلية تختلف في تكوينها وارتفاعها وتتوفر ما بين هذه السلاسل الجبلية وعند اطرافها وحافاتها واحات وسهول شهدت قدم الاستيطان البشري في ايران ، وكانت ولا تزال مراكز العمران والمدنية في ايران .

يحد ايران من الشمال بحر قزوين (بحر هركانيا) ومن الجنوب الخليج العربي (البحر الاجاج او المر او بحر شروق الشمس كما جاء ذكره في النصوص القديمة) اما من ناحية الشرق فان سلاسل جبال خراسان وامتدادها في افغانستان وبلوجستان تمثل خط الحدود الجغرافي للهضبة وتشكل سلسلة جبال زاكروس ، المتصلة بطوروس ، الفاصل الغربي بين ايران وبين بلاد وادي الرافدين .

وعلى الرغم من كون ايران محاطة من جميع جهاتها بسلاسل جبلية متفاوتة الارتفاع ، لكن هذه الحواجز الجغرافية للهضبة لم تشكل حواجز طبيعية امام انتقال

الشعوب والقبائل والافراد ، كما انها تتضمن مجموعة من الممرات وبعضها ذو شهرة تاريخية كبوابة آسيا ، تسمح بالاتصالات بين داخل الهضبة وبين المناطق المجاورة مما وراء السلاسل الجبلية .

وتمثل جبال زا كروس الحدود الجغرافية الفاصلة بين هضبة ايران وبين وادي الرافدين ، وتسمية زاكروس هي التسمية العامة للسلسلة الجبلية هذه التي تنفصل عن طوروس ، واتجاهاتها شمالية غربية جنوبية شرقية ، لكنها تعرف ايضا بجبال كردستان وبعض اقسامها باسم لورستان (ولورستان هي المنطقة التي قدمت لنا مقابرها اشهر الآثار البرونزية المعروفة ببرونزيات لورستان) واقسام اخرى منها تعرف باسم جبال البختياري .

وجبال زاكروس شاهقة الارتفاع وعرة ، تحتفظ في امتداداتها الشمالية والجنوبية بعدد كبير من الاودية الكبيرة التي تسقي من المياه المتدفقة اليها من الجبال او مياه العيون الوفيرة في المنطقة ، فاصبحت بذلك من السهول الشهيرة الكثيرة الخيرات ، كما شهدت تاريخيا كثافة سكانية ملحوظة . كما ويجري في بعض هذه الوديان روافد نهر دجلة كالزاب الكبير والصغير ونهر الخابور . وتعمل هذه الروافد من جانب آخر على خلق نقاط الاتصالات عبر سلاسل الجبال مع مراكز الحضارة العراقية القديمة .

وفي اقصى شمال سلسلة زاكروس تقوم بحيرة وان ، وهي منطقة اقوام الآورارتو قديما والتي تمتد اليوم في شرق تركيا ، حيث تفرغ بعض الانهر المنحدرة من زاكروس صوب الشمال مياهها في هذه البحيرة وفي شرق سلسلة زاكروس تقع بحيرة اورميا (رضائية) التي تتلقى بدورها المياه المنحدرة صوب الشرق من جبال زاكروس . وتقع رضائية اليوم في منطقة اذربيجان في الاقسام الشمالية الغربية لايران .

وتأخذ جبال زاكروس جنوب اورميا بالضيق وقلة الارتفاع حتى تتلاشى عند نقطة بدرة وجصان على الحدود العراقية الايرانية حيث تبدأ بعدها سهول سوسيانة

الشهيرة (وهي سهول بلاد عيلام ، سميت سوسيانة او سوسة نسبة الى عاصمة الاقليم القديمة سوسة او شوشة ، وهي مناطق تتصل طبيعيا وتاريخيا وبشريا ببلاد وادي الرافدين كما سيمر ذلك عند الحديث عن شوشة والعيلاميين) .

وعلى الرغم من وعورة بعض اقسام زاكروس ، لكنها كانت دائما حلقة الصلة بين ارمينيا والاناضول وسهول آشور وبابل وبين منطقة قزوين وسهول عيلام (الاحواز) .

وكانت هذه السلسلة الجبلية مستقر السلالة الميدية ، وعرفت بعض مناطقها اهم مدنهم وهي العاصمة اكبتانا (همدان الحالية) . ولا تزال همدان وتبريز الى الشمال منها ، من اشهر المدن الايرانية في منطقة جبال زاكروس .

وتعبر جبال زاكروس العديد من المنافذ الطبيعية منها عند حلبجة وبنجوين في محافظة السليمانية ، ولكن اشهرها هو المنفذ الذي يبدأ عند خانقين ويمر بكرمنشاه ثم همدان ومن بعدها يطل على هضبة بلاد ايران ، ليتفرع الى طريق شمالي يحاذي بحر قزوين ويمر بمدينة مرو القديمة او طهران الحالية ، وبعد عبوره لبوابات قزوين (وهي نافذة طبيعية في سلسلة جبال قزوين) يسير شرقا صوب اقليم بارثوا (خراسان) ومنها وعبر جبال خراسان يتوغل الطريق نحو بلاد ما وراء النهر واقصى الشرق .

ويتفرع طريق اخر من بعد همدان يسير جنوبا ليصل الى اقليم عيلام (الاحواز) ويواصل سيره نحو اقليم فارس وكرمان ويتوغل الطريق شرقا حتى منفذ خيبر في سلسلة جبال هندكوش حيث يطل من بعده على شبه القارة الهندية ووادي السند على وجه الخصوص .

وبسبب اهمية هذا الطريق الرئيسي وتفرعاته الكثيرة الذي يتيح حرية المواصلات البرية بين اواسط آسيا وغربيها ، فقد اطلق عليه عالم الآثار هرتسفيلد اسم « بوابة آسيا » ومنه عبرت الاقوام والقبائل والتجارة والجيوش سواء كانت متجهة صوب الشرق او الغرب . وقد سلك كورش هذا الطريق عند توجهه لاحتلال بابل ، كذلك عبر من خلاله الاسكندر المقدوني ولا يزال هو الطريق

الرئيسي للمواصلات البرية بين ايران وشرقي البحر المتوسط .

وفي هذا الممر الجبلي وبالقرب من كرمنشاه ، اختار داريوس الاول سفحا جبليا حادا يعرف باسم بيستون ، لينقش عليه نصبه التذكاري المشهور الذي يحمل بالاضافة الى صورته وصورة الآلة اهورا مزدا وصور الاعداء الذين سقطوا في المعارك امامه ، كتابة تذكارية دونت بثلاث لغات هي العيلامية والفارسية القديمة والبابلية وقد اصبحت هذه الكتابة فيما بعد اساسا لفك رموز الخط المسماري العراقي القديم ، بفضل جهود عالم الاثار المعروف هنري رولنسون .

وتشتهر منطقة جبال زاكروس بوديانها الكبيرة المتميزة بكثرة مياهها وصلاحية ارضها للزراعة . ويتراوح طول الوادي الواحد بين ٥٠ ـ ٩٠ كم وبعرض يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٨كم . وفي الوقت الذي تقدم فيه هذه الوديان فرصا واسعة للزراعة والاستقرار تهيء السفوح الجبلية الواسعة مراع جيدة لاعداد كبيرة من الماشية والخيول هذا بالاضافة الى شهرة هذه المنطقة بنباتها الطبيعي واشجارها المثمرة . كما يتوفر في بعض اقسامها انواع جيدة من الحجارة وبعض المعادن .

وفي الوسط الغربي لايران ، وفيما يلي جبال زاكروس ، تتميز الارض بانفتاحها وسهلها الفسيح الذي تسقيه مجموعة من الانهر وفروعها ومنها اكبر واشهر نهر في هذا الاقليم وهو نهر الكارون .

وتعرف هذه المنطقة تاريخيا باسم بلاد عيلام او سوسة وسوسيانا نسبة الى اسم العاصمة القديم شوشة او سوسة ، والمنطقة في كثير من خصائصها ومناخها ونباتها تشبه القسم الجنوبي للعراق . لذلك يرتبط به من خلال المسطحات المائية (اهوار الحويزة) التي تمتد غربا لتحاذي نهر دجلة في بعض اقسامه عند محافظة ميسان ، حيث تستطيع ابسط وسائط النقل المائية الشائعة في منطقة الاهوار وهي المشاحيف ، الانتقال من مكان لآخر بحرية كاملة . كما ان الشقة الارضية بين منطقة البصرة وبين سهول الاحواز (عيلام قديما) تمنح الحرية التامة للاتصالات بين الجانبين .

وتطل سهول الاحواز على الاقسام الشمالية الشرقية لرأس الخليج العربي ،

ويصل نهر كارون الذي يقدم من اواسط هذه السهول الى مسافة قليلة من رأس الخليج العربي حيث يصب اليوم في شط العرب جنوبي البصرة بمسافة قليلة . ولكن هذا النهر لم يشهد نشاطا ملاحيا لا في قديم ايامه ولا في الوقت الحاضر لعدم صلاحيته للملاحة النهرية ابعد من ٧٠ كم من مصبه .

وبالاضافة الى نهر كارون والفروع التي تؤلفه والتي تكون اساس التجمعات السكانية والمراكز الحضرية في المنطقة ، فمنطقة السهول هذه تعرف نهرا آخراً هو كرخة : وتأخذ بدايات هذا النهر مياهها من جبال زاكروس ويستمر في انحداره الجنوبي ، وبعد ان يسقي سهول الاحواز يصب في اهوار الحويزة .

اما الاقسام الجنوبية الغربية من ايران فتعرف باقليم فارس وهو يشرف على ساحل الخليج العربي . وتغلب على الاقليم طبيعة المناطق الجبلية ومنها سلسلة تحاذي ساحل الخليج العربي وتمنع حرية الانتقال بين طرق المواصلات البحرية وبين داخلية اقليم فارس الا من خلال ثغرات طبيعية قامت عندها مراكز موانىء رئيسية اهمها بندر عباس الذي يقع عند مضيق هرمز والاخر بوشهر ويقع عند الاقسام الشمالية للخليج العربي : وتعرف هذه السلسلة الجبلية باسم مكران . ولكن اقليم فارس لم يعرف في تاريخه القديم نشاطا ملاحيا في الخليج العربي بسبب هذه الحواجز الجغرافية ، وبسبب مياه الشاطىء الشرقي العميقة التي اعاقت ملاحة وسائط النقل القديمة . بينما ازدهرت طرق الملاحة البحرية في الخليج العربي على امتداد شواطئه الغربية المتاخمة لارض الجزيرة العربية ، وكانت صلاتها بالعراق القديم ومراكزه المدنية نشطة ومستمرة طيلة العهود الحضارية للعراق القديم .

واقليم فارس هو مستقر الفرس الآريين بعد هجرتهم الى ايران ، وقامت فيه اول دولة فارسية هي الدولة الاخمينية ، كذلك كانت مدن هذا الاقليم مسقط رأس العائلة الساسانية وشهد الاقليم اهم المدن والعواصم الفارسية القديمة منها بازركادة وبرسيبوليس واخيرا اصطخر . ومن مدن الاقليم الحديثة يزد وكرمان واصفهان وبوشهر وبندر عباس . والاقليم هذا قليل المطر شديد الحرارة نسبيا ، ولكن بعض

المدن المزدهرة فيه تستفيد من موقعها العالي في اكتساب البرودة ، ومنها اصفهان التي تقع على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر . لذلك كان الملوك الاخمينيون يقضون صيفهم في همدان (اكبتانا) هربا من حر برسيبوليس او بازركادة .

وبسبب نقص الامطار في هذا الاقليم ، فقد نشط سكانه منذ العهد الاخميني في الاستفادة من المياه الجوفية المنحدرة من سفوح الجبال التي تحيط بمدن هذا الاقليم وتتخللها ، فبرعوا في صناعة الكهاريز (القنوات) ، والتي تحول مجرى المياه الجوفية صوب مناطق الزراعة والاستيطان . والارجح ان نظام الري بالقنوات الذي ينتشر كثيرا في ايران بسبب نقص الانهر ، ترجع اصوله الاولى الى القنوات الحجرية التي شيدها سنحاريب الاشوري في باستورا بأربيل .

اما المناطق الشمالية من ايران ، فتميزها سلسلة جبال البرز والتي فيها اعلى قمم جبال ايران ـ دماوند ، حيث يبلغ ارتفاعه ١٩/٠٠٠ قدم (٥٦٥٤ متر) ويقع قريبا من طهران . وتسير القمم العالية لهذه السلسلة الجبلية مع امتداد الساحل الجنوبي لبحر قزوين (بحرهركانيا) وبالتالي تحصر بينها وبين البحر منطقة ساحلية تعد من اشهر المناطق الخصبة في ايران . وشمالي طهران ، تقع اطلال مدينة مرو القديمة ، حيث يخرج منها طريق يخترق سلسلة البرز عند فتحة طبيعية تعرف ببوابة قزوين توصل الى السهول الفسيحة بين الجبال والبحر .

وتقع اذربيجان الايرانية عند نهاية امتداد البرز الغربية ، حيث تشهد المنطقة كثافة سكانية عالية بسبب خيراتها الزراعية وخصوبة اراضيها . وتقع في هذا الاقليم بحيرة اورميا المالحة والاقليم هذا مركز الميديين وموطن زرادشت ، وقد شهدت وديانه الخصبة العديد من الاقوام التاريخية في ايران منهم الميديون والفرس والكرد والترك وغيرهم . ويتيح هذا الاقليم حرية الحركة في كافة الاتجاهات ، لذلك اصبحت حماية الممرات في هذا الاقليم من المهمات التي اولاها الحكام الفرس عناية كبيرة لمنع تدفق المهاجرين من سهول القفقاس وجنوبي روسيا . وتتصل اذربيجان عن طريق الشمال بأرمينية وعن طريق الغرب من خلال منطقة ارض روم ببلاد

الاناضول .

اما الامتداد الشرقي لجبال البرز فيعرف بجبال خراسان ، وهي جبال قليلة الارتفاع سهلة العبور ، وبخاصة عندما تتغير اتجاهات هذه الجبال عن جبال هند كوش ، حيث تتوفر عندها فتحة طبيعية تسمى بوابة خراسان تتيح حرية المواصلات عبر هذه الجبال وتشتهر جبال خراسان بوديانها الخصبة جدا والتي توفر انتاج كميات كبيرة من الحبوب والاعناب والقطن . وبقدر اهمية ثرواتها الزراعية ، فاهميتها تزداد لكونها موضع العبور الثاني في ايران امام المهاجرين من اواسط آسيا بعد اذربيجان . وقد شهد هذا الاقليم قيام العديد من الاسر الحاكمة في تاريخ ايران منها الاسرة الارشاقية (الفرثية) والصفوية والقاجارية .

والى الجنوب من بوابة خراسان يمتد نطاق هندكوش ويقع عندها اقليما افغانستان وبلوجستان ، ويتألفان من عدد من السلاسل الجبلية الوعرة والشديدة الارتفاع حتى يربوا بعضها على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم وتغطيها الثلوج الدائمة ، وتتخلل هذه السلاسل انكسارات احدثت بعض الممرات التي اصبحت مناطق عبور ذات شهرة تاريخية تربط بين داخلية بلاد ايران وبين وادي السند ، واهمها ممر بولان وممر خيبر والممر الاخير اكثر اهمية بسبب موقعه القريب من اقليم البنجاب وكابلستان وهما من المناطق الغنية والكثيفة بالسكان .

وتتوفر في منطقة جبال هندكوش سلسلة اخرى من الممرات شكلت نقاط الاتصالات بين التركستان الصينية واواسط آسيا وبين الهند وايران ، ومنها كان يمر طريق الحرير المشهور . كذلك تعد وديان الانهار التي تخترق المنطقة طرق مواصلات جيدة في نطاق هندكوش ما بين ايران وكابلستان ، وبخاصة الطريق الذي قامت عليه سابقا مدينتا قندهار وغزنة المشهورتان .

لذلك اصبحت ممرات بولان في بلوجستان وخيبر في كابلستان ومجموعة ممرات اخرى في نطاق هندكوش في حيز افغانستان . وسائط العبور الرئيسية صوب الهند واواسط آسيا والصين ، كما ربطت من ناحية اخرى المناطق المذكورة بغربي آسيا .

ان مجموعة السلاسل الجبلية المحيطة بايران تحصر بداخلها هضبة متوسط ارتفاعها ١٠٠٠ قدم ، يتخللها عدد من الاحواض يقل ارتفاعها عن هذا القدر ، كما تعترضها بعض الحافات العالية . وبسبب نطاق المرتفعات الذي يحيط بالهضبة الداخلية فقد غدت هذه الاحواض موضعا لتصريف المياه الزائدة المنحدرة عن هذه السلاسل الجبلية صوب الداخل مكونة اهوارا ومستنقعات سرعان ما تجف صيفا مكونة على سطحها طبقة ملحية هشة .

والاحواض هذه صحاري قاحلة شديدة التطرف في درجات حرارتها ، لذلك فهي بمثابة حواجز طبيعية بين جوانب هضبة ايران . ولهذه الاحواض تسميات بموجب مواقعها او بعض خصائصها ، ولكن ابرزها واوسعها دشتي كافر ويقع في الاقسام الشمالية للهضبة ودشتي لوط وموقعه جنوب دشتي كافر ، وفيما عدا بعض اقسام هذه الاحواض التي تغطيها التكوينات الملحية وتنعدم فيها كل مظاهر الحياة ، وبالتالي يتعذر على الانسان اجتيازها فان بعض الواحات معروفة في اقسام هذه الاحواض بخاصة في فصل الامطار ، وبالتالي تشكل مواضع يعتمدها الانسان في عبور هذه المفازات الصحراوية . ولكن طرق المواصلات تتجنب الامعان في عمق هذه الصحاري وتسير بمحاذاتها على امتداد سفوح السلاسل الجبلية المحيطة بمنطقة الصحاري .

وبموجب هذه الخصائص الجغرافية لبلاد ايران ، يكون من الطبيعي ان تنحصر السكنى الكثيفة في مناطق الوديان الخصيبة التي تنتشر ما بين السلاسل الجبلية التي تحيط بالهضبة الداخلية ، ويضاف الى ذلك السهلان الوحيدان في ايران وهما سهول عيلام او سوسيانا او الاحواز وكما اشرنا يشكل امتدادا طبيعيا لسهل جنوبي العراق والاخر سهل قزوين المحصور بين الساحل الجنوبي وبين سلسلة جبال قزوين . اما في الداخل فتنحصر الحياة عند بعض الامتدادات الجبلية وفي اطراف بعض الواحات ، ولكنها لم تترك اثرا ملحوظا في تطور هذه البلاد التاريخي . وبسبب النطاق الضيق لوديان الجبال ، وجد الايرانيون انفسهم ملزمين بتوفير المياه في مناطق

اطراف الهضبة الداخلية لتوسيع شقة الزراعة وتوفير مستلزمات الزيادات السكانية ، لذلك اشتهرت مناطق الحافات الجبلية والسهول المجاورة بنظام الارواء بالقنوات الذي ازدهر واتسع استخدامه منذ بدايات العهد الاخميني . ولا تزال بعض مناطق ايران تعتمد هذه الطريقة في سقيها وسقي اراضيها وزراعتها . وتسير بعض هذه القنوات في داخل الارض لمسافة تزيد على ٣٥كم ، لتنقل المياه عن خط سيرها الطبيعي نحو القنوات المشيدة داخل الارض الى مستوى اعلى لتصل المياه الى حيث الاغراض البشرية عند حافات السفوح الجبلية في الاراضي السهلة . وفي هذه المناطق تقع اشهر المدن التاريخية في ايران ، وتمر من خلالها اشهر الطرق التي تربط انحاء ايران وتوصلها الى الخارج ، ومنها اكبتانا (همدان) وقزوين وطهران والري ودامغان (هيكاتوميوليس) وهراة ، حيث تعتمد في حياتها على مياه الامطار المتساقطة الى زاكروس والبرز والتي تستنفذها من خلال القنوات لحياتها اليومية . ومثل ذلك مواقع اصفهان وبازركادة واصطخر وبرسيبول وشيراز . وان بعض المعلومات الاثرية تشير الى ان هذه المواقع شهدت استيطان الانسان منذ فترات العصور الحجرية في ايران ومنها في كاشان (تبة سيالك) والري ودامغان . تتوفر في ايران امكانات زراعية عالية اذا ما توفرت الجهود الانسانية اللازمة لتوفير المياه ، كما ان سفوح جبالها ووديانها تهيىء مناطق رعي واسعة لاعداد كبيرة من الماشية ، اشتهرت منها الخراف والماعز والخيول في مناطق زاكروس والبرز ، اما اقليم بكتريا جنوب شرق خراسان فهو موطن الجمال البكترية (بلاد البخت) ذات السنامين ، وتوفر الجبال الايرانية ثروة غذائية كبيرة من خلال اشجارها المثمرة كالجوز واللوز والفستق والبلوط وغيرها : وتوفر هذه الاشجار المثمرة وغيرها مادة الخشب اللازمة في عمليات البناء ، والتي استخدمت على نطاق واسع في الاقاليم الشمالية والشرقية لايران . بينما شيدت المباني في اقليم فارس من الحجارة الجيدة التي توفرها الجبال في هذا الاقليم . كما نقل العراقيون بعض انواع الحجارة الجيدة من خلال بلاد عيلام المجاورة لزاكروس وفارس . كما عرف الايرانيون استخراج بعض انواع الحجارة

الثمينة كالعقيق والفيروز واللازورد (الاخير من افغانستان) منذ فترات تاريخهم القديم .

اما الحديد والنحاس والقصدير والرصاص ، فقد كان موضع اهتمام الحكام الآشوريين اثناء حملاتهم على ايران .

والخلاصة ان ايران تحتل بموقعها مركز الوسط الموصل بين اواسط آسيا ومناطق القفقاس وشبه القارة الهندية وبين مناطق حوض البحر المتوسط ، وهي لخصوبة سهولها ووديانها وكثافة الغطاء النباتي لجبالها وتوفر الحيوانات المختلفة في انحائها ، وفرت فرصا جيدة لتطور حياة الانسان منذ فترات العصور الحجرية القديمة والحديثة ، ولنفس الاسباب ايضا ، فانها شهدت منذ منتصف الالف الثاني ق. م. هجرات بشرية واسعة توزعت في استيطان اقسام البلاد المختلفة عرفت بهجرة الاقوام الآرية ، وقد عبرت بعض اقسام هذه الهجرة ايران صوب الهند او الاناضول ، ومن خلال الاناضول والقفقاس صوب اواسط وجنوبي اوروبا .

وعلى الرغم من الاحوال الطبيعية الصعبة المحيطة بايران ، فقد نجحت من خلال حكومات مركزية قوية ، كما حدث في عهد الاخمينيين والساسانيين ، من اقامة دولة متطورة زراعيا وصناعيا وبنت انظمة سياسية وادارية متقدمة ، تمكنت من خلالها ان تفرض سيطرتها لاعلى ايران فحسب بل على مناطق واسعة من العالم القديم .

وكان اثر ايران ودولها القديمة على العالم والبشرية منذ الالف الاولى ق. م. واسعا وكبيرا ، فمثلما نجح الايرانيون في الاستفادة الجيدة من تراث الحضارات القديمة التي سبقتهم في مضمار النهوض الحضاري كبلاد وادي الرافدين وسوريا ومصر والاناضول واليونان ، وفقوا في خلق ابعاد خصوصية لحضارتهم في جوانبها المادية والفكرية كما نجحوا في ايصال تراثهم الى العديد من المراكز الحضارية المعاصرة لهم او اللاحقة لهم زمنا .

مصادر مختارة لهذا الفصل :

١ - ابراهيم شريف : الموقع الجغرافي للعراق - ج ١ مطبعة شفيق - بغداد

٢ - رضا جواد الهاشمي : نظام الافلاج من مشاريع الارواء العربية القديمة « مجلة كلية الاداب - بغداد العدد ٢٥/١٩٧٩

٣ - رضا جواد الهاشمي : المدخل لاثار الخليج العربي - بغداد - ١٩٨٠

٤ - R. Ghirishman : IRAN. Penguin books , 1961

الفصل الثاني

مصادر دراسة تاريخ ايران القديم

المبحث الاول : المصادر المدونة :

تختلف مصادر دراسة تاريخ ايران واثارها تبعا للفترات التاريخية المتعددة لهذه البلاد ، فان حقبا تاريخية طويلة عاشتها ايران دون ان يترك سكانها اي اثر مدون ، وهم بذلك يختلفون عن مركزي حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ، اللذان ساعدت الكتابات القديمة المكتشفة في بقايا المدن والمستوطنات القديمة فيهما على فهم مجريات تاريخهما وتطور عناصر حضارتيهما .

وقد شهدت بعض اقسام ايران مراكز حضارية متطورة منذ فترات مبكرة من التاريخ الانساني ، ففي سهول عيلام ومدينتها الرئيسية سوسة ، بلغ التطور الاقتصادي والاجتماعي الى حدود خلق أسس الحضارة الناضجة ، وذلك منذ مطلع الالف الثالثة ق . م . ، وهي بذلك تعاصر الاحداث التاريخية والحضارية للمراكز الجنوبية من بلاد وادي الرافدين . كما ان العيلاميين اقتبسوا الخط المسماري العراقي ودونوا به لغتهم الخاصة ، ولكن آلاف الالواح الطينية المدونة بالمسمارية العيلامية محدودة الفائدة جدا ، لان اسرار اللغة العيلامية لا تزال غامضة ومبهمة امام الباحثين . والمؤمل انها في حالة معرفة معاني مفرداتها وجملها وقواعدها ، ستساعد بشكل كبير في القاء الضوء على جانب مبكر من تاريخ وحضارة هذه البلاد .

ولم يترك الميديون كتابة خاصة بهم ، وانما النزر اليسير من المدونات المكتشفة

دونت بالخط المسماري . ومن ابرزها اللوح الذهبي المكتشف في همدان والمنسوب الى الملك أريارامنس ولكن لبعض الاسباب الفنية المتعلقة بكتابته وبعض الاخطاء النحوية التي تتضمنها الكتابة ، ولأنه لم يكتشف خلال اعمال تنقيبية منظمة علمية ، فان الشك يحوم حوله بقوة .

اما الاخمينيون ، حكام ايران منذ القرن السادس ق . م . ، فلم يعرفوا كتابة خاصة بهم ايضا ، بل اعتمدوا في مدوناتهم الرسمية والملكية التذكارية على الكتابات القديمة ، كالمسمارية البابلية والعيلامية ، ولكنهم اكثروا من المدونات ثنائية اللغة او ثلاثية اللغة ومن اشهرها كتابة بيستون التي اصبحت فيها بعد مفتاح حل رموز الخط المسماري العراقي القديم . ولكن الاخمينيين اقتبسوا منذ القرن الرابع ق . م . الابجدية الآرامية لتدوين لغتهم ، وفي الوقت الذي بقي استخدام المسمارية بلغتها البابلية او العيلامية يسود الكتابات التذكارية ، وذلك ما كشفته لنا مدونات برسيبوليس ، اصبحت الآرامية كتابة الشؤون الادارية في انحاء الامبراطورية الاخمينية .

وبسبب كون مادة الكتابة بالابجدية الآرامية من الرقوق واوراق البردى ، فقد تلف معظمها بمرور الزمن ، وبذلك خسرنا مادة علمية واسعة كانت ستترك اثرا كبيرا على مجرى الدراسات الايرانية القديمة .

اما البارثيون ، فلم يعنوا كثيرا بالتدوين ، ولم تصلنا عنهم كتابات تاريخية الا فيما ندر ، ومنها بعض الكتابات باليونانية ، وبخاصة على مسكوكاتهم .

يمثل العهد الساساني في ايران ذروة مجد الحضارة الايرانية القديمة . ومثلما كان تقدم هذه الدولة في مضمار الادارة السياسية والصناعة والزراعة ، فقد شهدت البلاد في عهد الساسانيين حركة واسعة في الجوانب العلمية والادبية والفكرية ، وكان في مقدمتها جمع نصوص الافستا وتضمينه شروحات تفصيلية . كذلك شهدت حركة النقل والترجمة عن العلوم والآداب والفلسفة اليونانية والهندية توسعا ملحوظا . وكان مبدأ هذه النشاطات على عهد اردشير مؤسس الدولة الساسانية .

وسار على نفس النهج الكثير من الملوك الساسانيين ، وبذلك حفظوا لنا الشيء الكثير من تراث فارس القديم .

وصحيح جدا ان غالبية الاعمال المدونة لايران الساسانية تلفت وتبعثرت وضاعت بمرور الزمن جراء وطأة الاحداث المريرة التي عاشتها ايران ، ولكن على الرغم من ذلك ، فأن ترجمات لبعض تلك الاعمال عرفتها شعوب مجاورة ، او ان بعض المؤلفين تطرقوا اليها في معرض ردهم على افكارها ، ومن ذلك ما ورد في كتب ومؤلفات السريان المسيحيين وعلينا الا ننسى قرب عهد الاسلام ودولته بدولة الساسانيين ، حيث نقل الكثير من المفكرين والمؤرخين العرب المسلمين تراث فارس وترجموه الى العربية ، وبخاصة منهم اولئك الفرس الذين اعتنقوا الاسلام وكانوا يمتلكون ناصيتي اللغتين العربية والفارسية ومنهم ابن المقفع الذي ينسب اليه ترجمة كتاب كليلة ودمنة ، وغيره كثيرون .

ومع هذا النقص الملحوظ في مصادرنا الايرانية القديمة المكتوبة ، فأننا نجد تعويضا لها في كتابات المراكز الحضارية المجاورة لايران ، او كتابات الامم التي كان لها شأن خاص وعلاقات معينة مع الدول الفارسية ، ومن ذلك الكتابات اليونانية عند حديثها عن بلاد ايران وخصائصها وخيراتها وديانتها وتقاليدها ودولتها وملوكها وجيوشها واسلحة هذه الجيوش وخططهم العسكرية ، وكان سبب تعرض اليونان واهتمامهم ببلاد ايران ، تلك الحروب الطويلة المعروفة باسم الحروب الميدية ، التي بدأت على عهد دارا الاول واستمرت لفترة طويلة بين الجانبين . وعلى عهد الاسكندر المقدوني .

نجح اليونان بقيادة المقدونيين من اجتياح العالم الشرقي باسره وعلى رأسه ايران ويتغلغل اليونانيون في انحاء ايران وارجائها الواسعة ، وتزرع المدن اليونانية في اقسام مختلفة من البلاد ، فكان ذلك سببا لمعرفة اوثق وتفاصيل ادق عن احوال المجتمع الايراني وعاداته وافكاره وديانته واساليب حياته ، بالاضافة الى معرفة دقيقة بالاحوال الطبيعية والجغرافية لاقسام هذه البلاد الواسعة .

ولكن صلة اليونانيين المباشرة بايران اخذت بالضعف مع بروز القوة السياسية الايرانية المتمثلة بالبارثيين ، ومن ثم انقطعت نهائيا بعد منتصف القرن الثاني ق . م . ، حيث اصبحت ايران ومعها القسم الوسطي والجنوبي من العراق اجزاءا في دولة البارثيين ولكن الصلات بين الشرق والغرب او بين ايران واليونان استمرت بشكل أو بآخر جراء الحروب والتجارة ، ومن خلال ذلك كانت الاخبار والمعلومات تتسرب لتجد ترجمتها في بعض المؤلفات اليونانية بما فيها بعض الاعمال المسرحية .

واصل الرومان وهم خلفاء وورثة العالم اليوناني سياسة اسلافهم تجاه الشرق عامة وايران بوجه خاص ، لكونها المركز السياسي القوي الذي وقف حاجزا امام تحقيق طموحاتهم في اخضاع كل العالم الشرقي وفي الاستحواذ على خيراته وثرواته ، لذلك استمرت العلاقات التي يغلب عليها طابع الحروب والمعارك بين الطرفين تتخللها بعض فترات الهدنة والسلام ، حيث تزدهر في وقتها التجارة لتنقل المعلومات عن ايران واحوالها الى الكتاب او المؤرخين الرومان .

شهدت ايران تبدلا سياسيا كبيرا بسقوط دولة البارثيين وقيام الدولة الساسانية والتي اعلنت منذ ايام تأسيسها تمسكها بالزراد شتية وبعث طقوسها وبناء معابدها ودورنارها وتهيئة الفرص الكبيرة امام كهنتها المجوس . وبالمقابل شهدت الامبراطورية الرومانية حدثا عظيم الاهمية في مطلع القرن الرابع عندما اعلنت مجموعة الاقاليم الشرقية من الدولة الرومانية تنصرها تحت لواء قسطنطين الكبير الذي بنى لحكمه ودينه الجديد عاصمة جديدة هي القسطنطينية (استنبول الحالية) .

لذلك شهد القرن الرابع الميلادي والقرون التي اعقبته صراعا مريرا بين الساسانيين والبيزنطيين ، كانت دوافعه الحقيقية نفس الدوافع التقليدية القديمة في الصراع بين الشرق والغرب ، لكنها تلبست هذه الفترة بلباس التعصب الديني للدولتين ، وراح ضحيتها آلاف الابرياء من المسيحيين في ايران والاقاليم التابعة لها وبخاصة ارمينيا والجزيرة وسوريا . والمهم ان الكتاب المسيحيين في تدوينهم لاحداث كنيستهم الشرقية السريانية (النسطورية) تركوا لنا اخبارا كثيرة ونافعة عن

اوضاع الدولة وشؤونها الداخلية وبخاصة وان هؤلاء الكتاب دونوا اعمالهم من داخل ايران .

وتساهم بعض المصادر الصينية ، وخصوصا تلك التي اولت شؤون التجارة مع ايران وشرقي البحر المتوسط اهتمامها الكبير ، في التطرق لأوضاع بلاد ايران وسكانها .

وهكذا توفر المصادر المدونة سواء منها الايرانية او غير الايرانية التي تعالج شؤون ايران وتاريخها وسكانها ، معلومات واسعة لمجرى الاحداث التاريخية والحضارية لهذا البلد .

ولكن الآثاريين يبدون تحفظهم دائما ازاء المصادر المدونة ، وبخصوص ايران يمكننا تسجيل الملاحظات التالية بشأن المصادر المدونة :

١ ـ ان المصادر المدونة لا تقدم معلومات كافية عن الفترات المبكرة من تاريخ ايران ، وانما تبدأ فائدتها مع عهد الدولة الاخمينية ، وهذا نقص كبير لا يمكن تغطيته الا من خلال المصادر المادية .

٢ ـ ان معظم المصادر المدونة وضعها كتاب ومؤرخون غير ايرانيين ومنها ما وضعه كتبة يونان ورومان وسريان مسيحيون او ارمن واخيرهم العرب المسلمون ، وقد كانت نظرة هؤلاء الى ايران عدائية بحكم العلاقات المتوترة فيما بينهم ، او ان معلوماتهم نقلت شفاها عن تجاراو مسافرين ، اي ان بعض معلوماتهم تعوزها الدقة والتمحيص وعمق الاطلاع ، لذلك فهي معلومات من الدرجة الثانية ، وعلى الباحث والمؤرخ ان يحيطها بحذره الشديد وتدقيقه الواسع .

٣ ـ ان المصادر المدونة غالبا ما تعنى بشؤون الحكام واخبارهم وحياتهم واعمالهم ، حتى اننا نصادف سردا طويلا لمجالس الملوك ومآكلهم وملبسهم ومركبهم ، اما حياة الناس ، الذي يمثلون القوة الحقيقية الدافعة للاحداث ، وتناقضات الوضع الاقتصادي والاجتماعي اللذان غالبا ما يفجران الحركات الاصلاحية والثورات فهي مسائل هامشية لدى الكتاب القدامى ويندر ان نجد اهتماما بها

او ان ترد اخبارها عرضا ، بينما تتوجه معاول المنقبين الى جميع المستوطنات القديمة ، ومنها ما يخفي تحت ترابه قصور الملوك والامراء او مقابر الفقراء والمعدمين . والمهم انها عندما تتعاصر زمنيا تكشف للآثاريين عن مديات التناقض في توزيع الثروات وحياة طبقات المجتمع وفئاته المختلفة . كما ان اعمال التنقيبات تكشف بالاضافة الى اسرار حياة الملوك والطبقات الحاكمة ، تفاصيل حياة الفقراء والمعدمين .

٤ ـ ونادرا ما تعير الكتابات اهتماما بالجوانب الفنية والمعمارية والتقنية فان الحكام الاوتوقراطيين الذين حكموا من خلال انظمة استبدادية فردية امتلكوا اقلام الكتاب والمؤرخين واستحوذوا على اهتماماتهم ومشاعرهم ، فليس للحديث عن النحت والريازة وعناصر المعمار وتقنية البناء ، ولا عن مراحل تطور هذه العناصر ، اي اهتمام يذكر في المدونات القديمة ، الا ان يرد وصفاً عرضيا لقاعة العرش الملكية ، كما وصفت قاعة العرش في طيسفون ، طاق كسرى ، مثلا .

لذلك يجد المنقبون فرصتهم الجيدة للحديث عن مستويات الحضارة من خلال ملاحظة النتاجات الفنية والمعمارية ، ويربطون بينها وبين مراحل تطورها التاريخية وتأثرها وتأثيرها بالعناصر المماثلة للمراكز الحضارية المجاورة . فالفن والعمارة والمهارات تعد اوجه حية لقياس درجات التطور الحضاري للمراكز القديمة واكتشاف علاقاتها الخارجية وتأثرها بالاوضاع الفكرية والاقتصادية الداخلية .

وهكذا يقف القارىء على الفروقات الاساسية بين المصادر المدونة والمصادر المادية في تعقب المعلومات التاريخية والحضارية لايران القديمة او غيرها من المراكز . كذلك تكشف لنا المراحل التاريخية التي عاشتها ايران في عهودها القديمة ، والنقص الملحوظ في مدوناتها الخاصة ، وبخاصة ما يتعلق منها بالفترات التي سبقت العهد الساساني ، هذا بالاضافة الى تنوع المصادر واختلافها وصعوبة الاحاطة بها .

ولكن السنوات المائة الاخيرة من الجهود العلمية الواسعة التي بذلها علماء الآثار والمنقبون في اطلال مدن الشرق القديمة ، ركزت الجهود لتقفي المعلومات

التاريخية المتفرقة التي تخص ايران ، وبخاصة بعد ان كشفت النصوص المسمارية العراقية القديمة عن جانب من هذه المعلومات . وهكذا تضافرت جهود الباحثين في تتبع المعلومات المدونة من خلال ادبيات العالم القديم ، والمادية من خلال آثار ايران القديمة ، لرسم صورة الاحداث التاريخية والحضارية لهذا الجزء الهام من العالم القديم ، وقد حققوا في هذا المضمار تقدما كبيرا .

وسنعرض فيما يلي المصادر المدونة التي تهم دراسة ايران حسب قدمها وهي :-

١ - الكتابات المسمارية : ونعني بها التراث المدون للحضارة العراقية القديمة ، فبسبب تجاور المركزين العراق وايران ، وبسبب المصالح المشتركة بين الطرفين ، وابرزها حاجة العراق القديم للمواد الاولية التي توفرها الارض الايرانية وبخاصة الاخشاب والحجارة الجيدة ، وكذلك اعتماد ايران الطريق الذي يمر بالعراق للوصول الى شواطىء البحر المتوسط ، كما لا يفوتنا في سياق العلاقات بين المركزين الاشارة الى الخطر المستمر الذي مثلته ايران على مراكز الحضارة المتقدمة في بلاد الرافدين . فقد زاد كل ذلك من اهتمام العراقيين بحدودهم الشرقية ومراكز القوى فيها . وشهدت الفترات التاريخية القديمة علاقات متفاوتة بين حالات الحرب الشديدة . وصولا الى السيطرة السياسية التامة على احد المركزين ، كما حدث على عهد آشور بانيبال عندما احكم سيطرته على بلاد عيلام والحقها بالعرش الآشوري ، او كما حدث على عهد كورش عندما قضى على حكم الدولة البابلية الحديثة ، والحق بلاد بابل لحكم الدولة الاخمينية .

لذلك نجد بين ثنايا الكتابات المسمارية ، وبخاصة التسجيلات الملكية والتاريخية ، حديثا واسعا عن بعض اقسام بلاد ايران ، ويصل حجم هذه المعلومات الى حد انها تغطي المعلومات المتوفرة عن بلاد عيلام ، وذلك لعجز الكتابات العيلامية عن تقديم مثل هذه المعلومات . كما نعرف بعض الشيء عن خاصية الاقليم الجبلي شرقي العراق (زاكروس) واقوامه من خلال كتابات الملوك الاكديين ومنحوتاتهم ، وبخاصة منهم الملك نرام سين . وتقدم لنا

الكتابات الآشورية معلومات ثمينة عن الاقوام الايرانية ومنهم الماذيون والفرس ، وتفصل في طبيعة بلادهم وخيراتهم وثرواتهم ، وترسم لنا شكل مدنهم وتلمح عن نظامهم السياسي وتواصل الكتابات المسمارية العراقية ، تبعا لطبيعة العلاقات بين العراق وايران في تزويدنا بالمعلومات حتى نهاية عهد الدولة البابلية الحديثة (الكلدانية).

وقد ترك الملوك الفرس الاخمينيون بعض الكتابات التذكارية بالخط المسماري واللغة البابلية ، وهي تندرج تحت سياق المدونات المسمارية التي تفيدنا في جمع المعلومات عن تاريخ حقبة معينة من تاريخ ايران القديم ، منها كتابات كورش وحولياته التي وضعها على غرار الحوليات البابلية ، والكتابات ثنائية اللغة التي وجدت في برسيبوليس وبازركادة ومواضع اخرى من ايران . واكثر هذه النصوص اهمية هو نص بيستون الذي امر داريوس بتدوينه بلغات ثلاث منها البابلية وبالخط المسماري وهو ما اشرنا اليه سابقا .

٢ ـ التوراة :

تعد التوراة كتابا تاريخيا بالاضافة الى صفته الدينية ، وبصرف النظر عن المنهج التاريخي في كتابة التوراة ، وهو المنهج الذي يلتقي مع كثير من الكتابات التاريخية القديمة في اعتماده الاساطير والخرافات وفعل القوى الخارقة في الاحداث وابتعاده عن الموضوعية وعن معايشته لحقيقة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية ، فالتوراة تفوق الكتابات التاريخية الاخرى في منهجها الديني المتعصب ، فهي تحدد موقفها من الاحداث التاريخية للشعوب القديمة بموجب مواقف الدول والملوك الذين يمثلون هذه الشعوب من اليهود وممالك اليهود القديمة . ففي الوقت الذي تصب حمم غضبها على الكلدانيين وملوكهم ، ترفع من شأن الفرس وملوكهم ، وبخاصة كوروش لتجعله مسيح اليهود (هكذا يقول الرب لمسيحه لكوروش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما . . اشعيا ٤٥ :١) .

لذلك يتوجب علينا ان نحيط معلومات التوراة التاريخية بحذر شديد ، وان نبعد الحدث التاريخي الذي تسرده التوراة عن غلوائها الدينية لنصل الى ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومع هذه الملاحظات عن معلومات التوراة ، فان مادتها تشكل رصيدا جيدا في المدونات القديمة لشعوب الشرق قاطبة ، ومنها ايران . ومن الاسفار التي تتطرق الى ذكر الدول الايرانية القديمة وبعض احداثها سفر اشعيا وعزرا وزكريا وأستير ونحميا وغيرها .

٣ ـ الكتاب الكلاسيكيون :

ويقصد بهم مجموع المؤرخين والجغرافيين والعلماء والفلاسفة والادباء من الاغريق والرومان .

يبدأ تاريخ اليونان مع مجموعة المستوطنات الايونية على السواحل الغربية لآسيا الصغرى قبل ان تزدهر ارض اليونان بحضارتهم . وقد تأثر اليونانيون سواء في مستوطناتهم الاسيوية او في الجزر وعلى البر اليوناني بتراث الحضارة الشرقية تأثرا كبيراً حتى اننا نجد صدى ذلك في اقدم المدونات اليونانية في الالياذة والأوديسة .

وبسبب نشاط اليونانيين البحري ، فقد جلبهم ذلك لاحتكاك اوسع مع سكان سوريا القدماء من كنعانيين فينيقيين ومع المصريين ومنذ منتصف القرن السادس ق . م . ومع حملات كوروش الاخميني على آسيا الصغرى وسيطرته على مملكة ليديا ، يبدأ الاحتكاك الواسع بين الفرس واليونان . ثم يشهد هذا الاحتكاك حجما جديدا بعد سيطرة قمبيز على سوريا ومصر . وهكذا اصبحت جميع النوافذ التي تطل على بلاد اليونان فارسية بحكمها . وتشهد العلاقات اليونانية الفارسية تبدلا جوهرياً مع مطلع القرن الخامس على عهد دارا الاول من خلال الحروب الطويلة في البحر والبر التي نشبت بين الطرفين . ويمكننا القول ان هذه الحروب بين العالم الغربي المتمثل باليونان والشرقي المتمثل بالفرس

الاخمينيين كانت فاتحة سلسلة من العلاقات السياسية والعسكرية المتوترة والتي استمرت الى مطلع القرون الوسطى في صورة الحروب الصليبية .

والمهم في هذه العلاقات ، ومهما تعددت اشكالها واختلفت اسبابها ، انها قربت كثيرا بين شعوب العالم واقطاره ، وشجعت على السفر والانتقال من مكان لآخر ولاغراض متعددة يأتي في مقدمتها النشاطات التجارية . ولذلك اصبح اهتمام الكتاب الكلاسيكيين بشؤون ايران واحوالها الاجتماعية والاقتصادية كبيرا وملحوظا ، لأنها كانت القوة السياسية الرئيسية في نصف العالم القديم الشرقي .

ويأتي هيرودتس في رأس قائمة الكتاب الكلاسيكيين الذي عنوا في كتاباتهم بشؤون ـ الشرق وممالكه وشعوبه ودياناته وعاداته وما الى ذلك ، ومهما يقال بشأن التوثق من زيارة هيرودتس لايران او عدمها ، وما يعتقد عن كاتب سبقه في الحديث عن ايران ، نقل هيرودتس عنه معلوماته ، فان اخبار هيرودتس عن تاريخ حضارة ايران القديمة تعد من اوسع المعلومات المدونة على الاطلاق ، واصبح الاعتماد عليها كبيرا بعد التحقق من صحة الكثير من اخباره وتطابقها او قربها من المعلومات المدونة القديمة الاخرى ، او من نتائج اعمال التنقيبات في بقايا المدن الايرانية . وبالاضافة الى احداث التاريخ الأيراني والممالك القديمة وحكامها ، فهو يتحدث تفصيلا عن الديانة والمعتقدات والطقوس وعادات الناس وملبسهم ومأكلهم وجانبا من قصصهم الشعبية وتراثهم الاسطوري . كما يضيف هيرودتس الى معلوماتنا الشيء الكثير عن مجريات الحروب الفارسية اليونانية والتي يسميها بالحروب الميدية .

وتلي مدونات هيرودتس من حيث الاهمية بالنسبة لتاريخ ايران كتابات زينوفون ، الذي اقترنت باسمه حملة العشرة آلاف اغريقي الذين استقدمهم كورش الثاني لمحاربة اخيه ارتحشنتا الثاني . واهم ما في كتابات زينوفون وصف المناطق الجغرافية واسماء المدن وسكانها وعاداتهم وبعض اعمالهم في طريق

عودته بعد فشل الحملة العسكرية ، وفي هذا الخصوص نشير الى اشارات زينوفون الواسعة بخصوص بلاد وادي الرافدين ومناطقها الوسطى والشمالية خاصة .

اما الكتاب الرومان فيستطيع القارىء متابعة جهودهم في مؤلف ارثر كريستنسن المشهور « ايران في عهد الساسانيين » (راجع قائمة المصادر في نهاية الفصل) ، ولكن ابرزهم هو المؤرخ أميانوس مرسيلينوس الذي شاهد وربما شارك في الحرب الرومانية ضد شابور الثاني الساساني ، واسهب في وصفه للمعارك والجند ولباسهم وسلاحهم وخططهم الى حد التفاصيل الدقيقة ؛ كذلك اولى الحديث عن الملك الساساني في المعركة الشيء الكثير .

٤ ـ الكتابات الايرانية :

وهي مجموعة المدونات الايرانية الاصل سواء جاءتنا بالخط المسماري واللغة البابلية ، وهي ما تنحصر تحت اطار المصادر المسمارية ، او التي ترجمت ونقلت الى العربية ، وهي التي نتعرض لها في الحديث عن المصادر العربية او التي وصلتنا بالفارسية والخط الارامي ، او تسربت الى بعض اللهجات الايرانية المنتشرة في الاقسام الشرقية من ايران ، كلهجة البخت والصغد وغيرها ، والمهم ان مجموع هذه الكتابات تفيدنا في تتبع الافكار الدينية الايرانية القديمة وتعاليم الافستا ، وبخاصة وان كثيرا من الكتابات الايرانية المتبقية هي ترجمات للافستا يعثر عليها في بعض مناطق التركستان الصينية ، حيث لا تزال بعض الفئات هناك تعتنق الزرادشتية ، او ان تعاليمها البوذية تختلط مع بعض الافكار الزرادشتية .

ويشار في هذا الخصوص الى مجموعة الملفات التي عثر عليها في جزيرة الفنتين في مصر والتي دونت بالخط الآرامي لنصوص ورسائل واوامر ملكية فارسية اخمينية .

ولكن الملاحظة التي تسجل بخصوص الكتابات الايرانية ، انها قليلة

جدا ، والامل في الحصول على مجموعات جديدة منها ضعيف للغاية ، وذلك بسبب مادة الكتابة التي كانت من الرقوق والبردي ومواد اخرى قابلة للتلف السريع .

٥ ـ المدونات العربية :

وهي مجموع الكتابات البلدانية والتاريخية والدينية التي دونت في العهد العربي الاسلامي ، والتي تناولت التاريخ والحضارة الايرانية من زواياه المختلفة ، ولكنها اطلاقا ، تعد من اوسع واشمل المراجع في دراسة تاريخ ايران وبخاصة في عهودها الاخيرة الساسانية .

ان الروايات العربية عند تناولها للفترات القديمة من تاريخ ايران ، تخلط كثيراً بين الحدث التاريخي وبين التراث الاسطوري للاحداث ، وهي بذلك تتبع خطوات المؤرخين الفرس انفسهم الذين دونوا تاريخهم باسلوب تراثي اسطوري ، فخلطوا بين الحقيقة والخيال .

ولكن الكتابات التاريخية العربية تصل عند عرضها لاحداث التاريخ الساساني الى حد تفصيلات الحياة اليومية للحكام ، كذكر مجالسهم وقصورهم وملبسهم ومركبهم واهتماماتهم الخاصة ، كما تتوفر معلومات جيدة عن الديانات الايرانية ومعتقداتها وطقوسها واسماء كهنتها .

اما كتب البلدانيين ، فانها ترسم صورة دقيقة لمواضع المدن والقرى والقصبات ، وتتحدث عن خصائصها وزراعتها ونشاطات سكانها وغير ذلك من الامور التي تهم الباحث في تاريخ ايران .

ونستطيع ان نقدم قائمة طويلة باسماء المؤرخين والجغرافيين والمصنفين العرب المسلمين الذين تطرقوا في كتاباتهم الى ايران وبموجب المنهج التاريخي الذي درج عليه غالبية المؤرخين العرب والذين بدأوا مؤلفاتهم بخلق الكون والانسان وبدء الخليقة وتحرك الاحداث وصولا الى ايام الدعوة الاسلامية وانتشارها وتعزز مكانتها ، فانهم بموجب ذلك يمرون على احداث التاريخ الايراني عامة ، والساساني منه بشكل

خاص ، ويسلسلون حديثهم بموجب السنوات التقويمية المتتالية ، منذ بدء الخليقة والى السنة التي يكتبون فيها .

ومن اشهر المؤلفات التاريخية العامة كتاب الطبري والمسعودي والدينوري وابن الاثير وغيرها ، اما الكتابات المتخصصة في موضوع ايران فيبرز منها كتاب حمزة الاصفهاني عن تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، ومن الكتب الدينية نشير الى كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

اما كتب البلدانيين فاوسعها كتاب البلدان لياقوت الحموي . ولم يكتف العرب المسلمون بتدوين تاريخ فارس وشعوبها وديانتها ونظم حكمها وادارتها ، بل شهد العهد العربي الاسلامي ترجمة بعض المؤلفات الفارسية الهامة ، ومن ابرزها الشاهنامة حيث تنسب ترجمتها لابن المقفع . وهي عبارة عن تسجيلات تقويمية اي سنوية للشؤون الرسمية والملكية . وقد كان هذا الكتاب اساسا اعتمده الكثيرون من المؤرخين العرب المسلمين ويمكننا الاطلاع على مجموعة الكتب والمؤلفات الفارسية التي نقلت الى العربية في فهرست ابن النديم ، ولا تزال بعض المؤلفات الفارسية المكتشفة حديثا تجد طريقها الى الترجمة وتزودنا بمعلومات هامة عن التاريخ الساساني ، ومنها كتاب تنسر الى ملك طبرستان ، وتنسر هذا هو الموبذان موبذ على ايام اردشير ، والذي كان له الفضل الكبير في تجديد الديانة الزرادشتية على العهد الساساني وتثبيت اركانها ، والكتاب عبارة عن رسالة دينية اخلاقية وسياسية ، يرد فيها بعض الاقوال المنسوبة الى اردشير نفسه وكانت ترجمة الكتاب الى العربية في عام ١٩٥٦ .

ويستطيع القارىء تلمس اهمية المصادر العربية الاسلامية في دراسة تاريخ وحضارة ايران من العرض المفصل لهذه المصادر واثارها في كتاب ارثركريستنسن (راجع المراجع في نهاية هذا الفصل).

وفي ختام الحديث عن المصادر المدونة ، نضيف الى هذه القائمة الطويلة من المصادر ، مجاميع واسعة من الكتابات السريانية المسيحية وكتابات ارمينية وصينية .

المبحث الثاني

المصادر المادية :-

ويقصد بها جميع المخلفات الاثرية التي بقيت عن العهود المختلفة لايران القديمة . سواء منها الذي كان ظاهرا فوق الارض او الذي تسعى لاستظهاره معاول المنقبين . وفي هذا السياق تندرج اعمال التنقيبات ونتائجها كجانب مهم في الحديث عن المصادر المادية لتاريخ ايران .

نقلت معلومات التوراة وبعض الكتابات الكلاسيكية صورة مشوشة لكنها مشوقة عن عالم الحضارات القديمة شرقي البحر المتوسط ، ومنها ايران . وقد أضيفت الى هذه الصورة منذ القرن السادس عشر الميلادي معلومات بعض الرحالة الذين جابوا مناطق الشرق ومراكزه الحضارية القديمة ، ووصفوا معالم الآثار فيها ، ونقلوا بعض ما استطاعوا حمله من كنوز الشرق ، ومن أقدم هذه الكتابات مذكرات رحلة سفير البندقية في بلاد فارس التي نشرت في عام ١٥٤٣م ، وأشارت من بين موضوعاتها الى آثار الأبنية القديمة في برسيبوليس .

وكان وقع هذه المعلومات أن ازداد اهتمام الغربيين بمراكز الحضارات الشرقية القديمة ، فكانت بعثة نيبور في عام ١٧٦١م ، أشهر تلك الرحلات الاستكشافية الأولى ذات الطابع العلمي ، ووضعت أساس الدراسات الشرقية والدراسات الأثرية لمراكز الحضارات القديمة . وبذل نيبور جهودا في استنساخ نصوص برسيبوليس التي قادت بعدئذ الى فك رموز الخط المسماري العراقي القديم . وقد وردت اشارة سابقة لهذه الكتابات في كتاب سفير أسبانيا والبرتغال لدى فارس الذي نشر في لشبونة عام ١٧١١م وقد ذكر بخصوصها أنها كتابة تختلف عن كتابة الفرس والعرب واليهود . وكانت خرائب قصر رائع مع عدد كبير من الأعمدة الطويلة لا

تزال قائمة في برسيبوليس ، وتتوزع هنا وهناك في أنحاء هذه الخرائب نصب منحوتة . كما كانت واجهات المقابر الأخمينية في نقش رستم ونقشي رجب على أطراف المدينة تلفت الانتباه وتشد المغامرين والعلماء . وكان عدد من هذه الآثار في برسيبوليس يحمل أنواعا من الكتابات القديمة التي شخص نوع منها بتشابهه مع الكتابات التي أخذ العاملون يكشفون عنها في بقايا المدن الآشورية في نينوى وخرصباد وآشور . وتم تشخيص هذه المخلفات بشكل صائب في عام ١٦٢٠م بأنها قصر الملك الاخميني داريوس وذلك بالاستناد الى وصف ديودورس .

وكانت للرحالة بتروديلافالي جولته أيضا في برسيبوليس ، واستنسخ بعض الكتابات فيها . ثم توالت جهود الرحالة والباحثين في استنساخ العلامات في كتابات برسيبوليس . وقد شارك في هذه الجهود القناصل ووكلاء الشركات الأجنبية . ولكن كثيرا من هذه الجهود لم تكن دقيقة أو كاملة ، كما أن ملاحظات هؤلاء عن كتابات برسيبوليس خلقت مزيدا من الارباك فقد ذهب بعضهم لاعتبارها زخارف وزينات لا أكثر . ونصل في عرض الجهود الى زمن نيبور الذي أشرنا الى جهوده الكبيرة وصحة استنساخه لبعض النصوص ، كما كانت آراؤه في تشخيص علاقات النصوص ونسبتها الى ثلاثة أنواع من الكتابات القديمة ، وان بعضها هجائية ، مصيبة تماما ، ومهدت الطريق السوي لدراسة هذه الكتابات واللغات القديمة التي تمثلها .

ومع مسيرة الجهود المبذولة لحل أسرار الكتابات على آثار برسيبوليس ، كان عالمان آخران يبذلان جهدا منفصلا لم يكن له علاقة بحل أسرار كتابات برسيبوليس ، ولكن نتائج جهودهما العملية تركت أكبر الأثر على مجرى الدراسات لكتابات برسيبوليس . فقد كان هذان العالمان يجمعان نصوص الآفستا القديمة في الهند ، ويبذلان الجهود لتعلم قراءة وتفسير الفارسية القديمة لغة الآفستا . ولما تهيأت دراسة هذين العالمين للنشر أفاد منها علماء نصوص برسيبوليس كثيرا في التعرف على أسرار الصنف الأول من الكتابات الثلاثية في برسيبوليس . وتوالت بعدها

المحاولات في قراءة النصوص الفارسية من النصوص الثلاثية بنجاح ، وكانت أولى الخطوات الهامة في هذا الجانب تعيين النص الفارسي بالزمن الاخميني .

ومنذ عام ١٧٧٨م ، وهي السنة التي نشر فيها نيبور نصوصه المستنسخة من برسيبوليس وحتى عام ١٨٣٥م ، وهي السنة التي بدأ فيها هنري رولنسون باستنساخ كتابة بيستون بذل أكثر من عالم جهودا مضنية ومعقدة في تتبع النص الفارسي ومعرفة أسراره ، ومنهم كروتنفدودي ساسي وغيرهما . ولكن بسبب قصر النصوص من برسيبوليس فانها لم تقدم مفردات كثيرة تسمح بتدقيق بقية المفردات وتوسيع دائرتها ومن ثم الاعتماد عليها في محاولة فك رموز بقية العلامات للغات الأخرى .

كان رولنسون يبدي اهتماما متزايدا بالكتابات القديمة التي يجدها في أنحاء ايران منذ أيام خدمته في الجيش البريطاني هناك ، وخاطر بحياته عندما أقدم على استنساخ كتابة بيستون التي يقدر عدد أسطرها بالمئات وتقع على واجهة صخرية ترتفع عن سطح الأرض مسافة ١٠٠م ، لذلك كان يتدلى صوب الكتابة من قمة الصخرة التي تحمل هذا الأثر النفيس .

وواصل رولنسون عمله بشكل متقطع ما بين ١٨٣٥ ـ ١٨٣٧ ، ثم عاد لاستكماله عام ١٨٤٤ . ولم يكن استنساخ رولنسون دقيقا فحسب ، بل كانت كذلك قراءاته وترجمته لمحتوى النصوص الثلاثة . وفي عام ١٨٥٧م ، أجرت الجمعية الملكية الآسيوية امتحانا في نص واحد من النصوص الآشورية ، وزعته بين ثلاثة من العلماء من بينهم رولنسون ، وكانت ترجمتهم للنص متقاربة كثيرا ومتطابقة في بعض الفقرات ، مما جعل أمر التأكد من صحة القراءة والترجمة قائما . .

ومثلما أثار حل الرموز المسمارية اهتماما واسعا بين الغربيين لدراسة تاريخ وحضارة وادي الرافدين ، فان الاهتمام الواسع هذا يشمل تاريخ ايران أيضا ، بخاصة وان كثيرا من آثارها الظاهرة كانت تحمل بقايا كتابية بالمسمارية ، كذلك ألقت النصوص المسمارية المترجمة مزيدا من الضوء على أحداث وتاريخ بلاد ايران . فأصبح ذلك محفزا لمزيد من المنقبين ورجال الآثار ومن ورائهم مؤسسات وجامعات

ومعاهد علمية في أوروبا وأمريكا بالاهتمام المتزايد بالحفريات الأثرية في ايران .

ان أوسع وأقدم أعمال تنقيبات علمية شهدتها أبرز المواقع الاثرية الايرانية هي أعمال البعثة الفرنسية التي ركزت جهودها في أطلال سوسة عاصمة العيلاميين كما كان لأحد رؤساء هذه البعثة دورا قياديا في حفريات تبة سيالك القريب من طهران ، والذي كانت لآثاره أهمية كبيرة في تتبع الأدوار الحضارية للعصور الحجرية الحديثة في ايران أما البعثة الثانية فهي بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ، والتي بدأت أعمالها الواسعة سنة **١٩٣١**م في برسيبوليس . وكان لها الفضل في الكشف عن آثار هذه المدينة الواسعة وتقديم صورة علمية واضحة عن أبعادها المعمارية والتخطيطية ، والعثور على كثير من الآثار الأخمينية الهامة .

ولم تقتصر أعمال هذه البعثة على الأبنية الملكية ، أي القصور المشيدة فوق الأبادانا (المصطبة) وانما شملت أعمالهم المقابر الاخمينية وتل أثري يقع في حدود المدينة (تل باكون) تبين من أعمال الحفريات فيه أنه من مواقع العصور الحجرية في ايران . وترتبط باسم المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو أوسع أعمال المسوحات الأثرية في ايران ، وهي الأعمال التي نفذت من خلال التصوير الجوي للمواقع الأثرية في أنحاء ايران المختلفة ، واستغرقت هذه الأعمال السنوات الواقعة ما بين **١٩٣٥ - ١٩٣٧** ويعد مثل هذا العمل الهام مقدمة ضرورية لتعيين مواقع التنقيب في بقايا المدن والمستوطنات القديمة ، بخاصة وان بعض الصور الجوية تزودنا بتفاصيل الأبنية القديمة بشكل يتعذر على المستكشفين وهم بقربها من تعيين ذلك (الكتاب مؤشر في هوامش الفصل) ولم تقتصر أعمال المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو على أعمال التنقيب في خرائب العاصمة الاخمينية برسيبوليس وغيرها من المواقع ، بل بذل المعهد جهودا كبيرة في دراسة اللغة الايرانية القديمة ، ووضع قاموسا بمفرداتها على غرار القاموس الاشوري الذي يتناول المفردات اللغوية العراقية القديمة (الأكدية) .

ومن بين الأعمال التنقيبية والاستكشافية الأثرية جهود البحاثة وعالم الآثار

المشهور E.Her z Feld ، بعد تركه العمل في تنقيبات المعهد الشرقي في برسيبوليس عام ١٩٣٤م . حيث أثمرت جهوده في وضع كتاب هام عن التاريخ الآثاري لايران (راجع الهوامش) .

وتوسعت أعمال التنقيبات في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وشاركت بعثات بريطانية وسوفيتية ويابانية بالاضافة الى الفرنسية والأمريكية في مواصلة الأعمال التنقيبية والكشف عن مزيد من مخلفات وآثار ايران القديمة . وللبريطانيين مدرسة آثارية في ايران على غرار المدرسة البريطانية للآثار في العراق ، وتصدر دورية خاصة بأعمالها وبحوثها في مجال الدراسات الايرانية اسمها — IRAN —

لقد أصبحت نتائج هذه الأعمال معلومات ثرّة أفاد منها الباحثون كثيرا . وعند التقاء نتائج التنقيبات مع معلومات المصادر المدونة ، أصبح بالامكان وضع المؤلفات الواسعة عن تاريخ وآثار وحضارة ايران عامة وعن تفصيلات الأدوار والعهود المختلفة بشكل خاص .

ومن أشهر وأهم هذه الدراسات :

1. A.T. Olmstead: History of the Persian Empire,
   Chicago, 1948.

ويعد هذا المؤلف من أوسع الدراسات التي تتناول تاريخ الاخمينيين وتراثهم الحضاري ومراحل أدوارهم السياسية .

2. E.Herzfeld: The Archaeological History of IRAN.
   London, 1935.

3. R. Ghirshman: IRAN: From the Earliest times to the
   Islamic Conquest.
   Penguin Books, 1954, 1961.

وهو كتاب واسع الفائدة مركز العرض ، يقدم صورة متكاملة عن تاريخ ايران منذ أقدم أدوارها وحتى نهاية عهد الدولة الساسانية ، ويستفيد المؤلف كثيرا من نتائج أعمال التنقيبات ، وبخاصة تلك الأعمال التي أدارها بنفسه في سوسة وتبه سيالك .

وللمؤلف نفسه أيضا كتابان عن الفن الايراني خلال العصور المختلفة :

A. R. Ghirshman: The Art of Ancient Iran from
its origins to the time of
Alexander the Great, New York,
1964.

B. R. Ghirshman: The Persian Art. 249 B.C.-A.D.651.
The Parthian and Sassanian
Dynasties, New York, 1962.

ويحتل مؤلف كريستنسن مكانة مهمة من بين الدراسات التي تعالج ايران في العهد الساساني .

٤ ـ آرثر كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحيى الخشاب . القاهرة ١٩٥٧ ومن أحدث الدراسات الايرانية القديمة المقالة التالية :

5. Geo Widengren: 'The Persian' in Peoples of old
Testament Times, Oxford, 1973.

الباب الثاني

آثار وتاريخ بلاد ايران

الفصل الأول

آثار العصور الحجرية

في الوقت الذي طغى به الجليد على القارة الأوروبية كانت الهضبة الايرانية تتمتع بمناخ مطير دافيء تبعه بالتدريج فصل جاف أدى الى بطء سير الأنهار التي كونت (نظرا لانتظام مجراها) السهول الطموية . وعاش الانسان خلال هذه الفترة في الكهوف والملاجيء الصخرية المنتشرة في البلاد .

ان ما اكتشف من آثار العصر الحجري القديم (الباليوليثي) لقليل جدا حتى الآن في ايران . فقد عثر في كهف بيهستون على أدوات مصنوعة من الصوان بطريقة التشظيف لجماعة عاشت على الصيد واتخذت من هذا الكهف مسكنا لها . وتماثل هذه الأدوات ما اكتشفته دوروثي جارود سنة ١٩٢٨ في كهف هزارمرد بمنطقة السليمانية في العراق . وربما يكون سكنة هذا الكهف من جنس النياندرتال حسنوا الأدوات التي استعملوها بمرور الزمن[١] . كما وجدت في كهف تامتاما (قرب بحيرة أورمية) قطعا صوانية تم صنعها بطريقة مماثلة لصناعة سكنة كهف بيهستون مما يدل على أن الكهفين قد سكنا بنفس النوع من البشر . وفي مخبأ خونيك قرب مشهد في شمال شرق ايران عثر على أدوات مصنوعة هي الأخرى من الصوان تماثل ما اكتشف

في كهوف بيهستون وتامتاما[٢] . وسكنت الطبقات الأولى من موقع غاري كاماربند (كهف بيلت) المشرف على بحر الخزر من قبل صيادين أيضا عاشوا في نهاية العصور الجليدية تبعتهم في العصر الحجري الحديث جماعة أخرى .

وهناك موقعي كانجي دارة تبة وتبة اسياب شرق كرمنشاه اللذين سبقا مرحلة صنع الفخار (حوالي ٨٧٠٠ق .م).فبينما قد يكون تبة اسياب موقعا فصليا نرى الثاني مستقرا دائميا دونما ثمة دليل لانتاج القوت[٣] .

واكتشفت بقايا انسان العصر الحجري الحديث في كهف تانكي بدا بجبال البختيارية شمال شرق تستر (شوشتر) الذي عرف مع سكنة باكون الى جانب الفأس اليدوي ذو القبضة والمعول الحجري نوعا بدائيا من الفخار تم حرقه بشدة ، ويمكن ارجاعهما الى الفترة التي سبقت عصر العبيد . وربما زرع انسان بداية العصر الحجري الحديث في كهف بيلت (حوالي ٦٠٠٠ق .م) الحبوب في وقت دجن به الماعز والماشية . وفي فترة لاحقة من نفس العصر سكنت نفس الكهف جماعة مارست الزراعة واحتفظت بالماشية بما فيها البقر والخنازير . وسكن كهف هوتو المجاور في نفس الفترة وظل مسكونا حتى بعد ترك كهف بيلت[٤] .

وفي أقدم طبقات موقع سيالك (سيالك واحد) قرب كاشان جنوب طهران وجدت آثار جماعة بدائية عاشت في أكواخ بنتها من أغصان الأشجار ثم من الطين تبعهم بالسكنى جماعة استوطنت بيوتا شيدتها من الطوف ومارست الرعي والزراعة وصنعت الفخار الأسود فالأحمر ذو القطع الحمراء الناتجة عن حرقه في كورة بدائية ثم الملون المنقوش بعمل السلال الى جانب المغازل الحجرية والسكاكين الصوانية والمناجل والفؤوس والقاشطات . وأحب الرجال والنساء الزينة فعملوا القلائد من الأصداف الصغيرة والأساور والاختام من الأصداف الكبيرة وربما استعملوا المساحيق خاصة للوجه بدليل العثور على مدقات . كما صنعوا المنحوتات من العظام التي زين أيادي أدواته بها . ودفنوا موتاهم في حالة معقوفة تحت أرضيات محلات سكناهم ووضعوا معهم ما اعتقدوا بحاجتهم له من لوازم مما يدل على اعتقاد لهم

بحياة بعد الموت لا نعرف عنها الآن شيئا[٥] .

وعاشت في موقع علي كوش (بوس موردة) حوالي ٧٠٠٠ق .م جماعة كانت ترعى الماعز وتمارس الصيد (الغزال ، الانغر ، الخنزير ، السمك والسلاحف) وجمع بذور النباتات الوحشية وزرعت الحنطة ونوعين من الشعير[٦] . وشيدوا بيوتهم من كتل الطين الكبيرة وصنعوا التماثيل الطينية والقاشطات والمناجل والأدوات من الصوان دون ثمة معرفة بالفخار . وشهدت فترة تالية بهذا الموقع (حوالي ٦٥٠٠ق .م .) تقدما ملموسا في حقول تدجين الحيوانات وصيدها وذبحها بأدوات متطورة وزراعة وشيدت البيوت باللبن وملطت جدرانها من الداخل واستعملت أرضياتها للدفن ، وزادت الرحى بزيادة أهمية الحبوب وبقي الصوان المادة الرئيسية في صنع الأدوات والأسلحة واستورد الحجر البركاني الأسود وتماثل الصناعة الحجرية تلك من الفترة التي سبقت الفخار من جرمو . ولم يعرف الفخار (سواء الوحيد اللون أو الملون) حتى فترة محمد جعفر (حوالي ٦٠٠٠ق .م .) وهو الوجه التالي والأخير الممثل في موقع علي كوش . وفي الفترة الأخيرة زادت أعداد الحيوانات المدجنة وعم الرعي وانحطت الزراعة خاصة للشعير بنوعيه وشيدت البيوت الآن بأسس صخرية وزينت جدرانها باللون الأحمر وتنوعت أدوات الطحن والرحي واستمر الدفن تحت أرضيات الغرف وأودعوا مع الميت خرزا وأدوات زينة من الشذر . وفي نهاية هذه الفترة هجر الموقع[٧] .

عاشت في موقع تبة سراب بمنطقة كرمنشاه (حوالي سنة ٦٢٠٠ق .م .) جماعة مارست الزراعة البدائية خاصة الحنطة وصنعوا أدواتهم من حجر الصوان واستعملوا أواني حمراء اللون وأخرى منقوشة وتماثيل للربة الأم جالسة ولحيوانات وحشية من التي اصطادوها وعلى الأخص الخنزير . وعثر في مستقرهم على بقايا فستق وقواقع استعملوها في طعامهم[٨] . وعاصرت سكنة موقع تبة سراب جماعة عاشت في موقع تبه كوران (عند النهاية الشمالية لسهل حليلان) . وأظهرت الطبقات الأولى من هذا الموقع والتي سبقت الجماعة المعاصرة لسكنة تبة سراب آثارا

لفئة رحالة استطونت الموقع شتاء ورعوا الماعز وصادوا الغزال وأنواعا من الطيور ولم يتوصلوا الى عمل الفخار . ومنذ الطبقة الرابعة ظهر الفخار البدائي الصنع العديم النقوش الذي أخذ بالتحسن على توالي الزمن . وزرعت الجماعة التي عاصرت سكان تبة سراب نوعين من الشعير وصنعوا الرحي والمطاحن والمناجل وشيدوا بيوتهم من اللبن على أسس صخرية واستوردوا الحجر البركاني الأسود من الشمال. وان الصحون ذات الجوانب المقوسة والقواعد المستوية التي تميز طبقات ح (H) و س (K) يشابه الفخار الملون المستورد للطبقات العليا من موقع جرمو في شمال العراق[٩] . وملىء فخار الطبقات العليا كفخار تبة سراب بالأحزمة المعينية والمثلثات والشارات . وان ما وصل اليه هذا الفخار في تطوره اللاحق يذكرنا بأواني موقع قلعة حاج محمد في جنوب العراق وذو علاقة بأوعية منطقة عربستان (خوزستان) وربما يكون السلف الذي نشأ منه هذين النوعين من الأوعية[١٠] . وتشير الأدلة ان في موقعي تبة سراب وتبة كوران بدأت صناعة الفخار في ايران ، وفي منطقة شوشيانه بعربستان وصلتنا المعلومات من مواقع عدة أمثال جعفر آباد ، جاوى ، بانديبال و بوهللان . ففخار جعفر آباد يظهر نماذج عمل السلال والحزوز . . . الخ . وفي الطبقات الأولى من موقع جاوى يشابه الفخار الملون جزئيا فخار جعفر آباد مع تباين في الأشكال والأحجام . وفي جعفر آباد ، وجاوى وبانديبال نجد الصحون البنية غير الملونة والكؤوس الملونة بالأصفر البرتقالي والقواعد المحدبة الملونة والأصص ذات القواعد الشبيهة بالأختام . وحلت الأوعية الحمراء ذات القواعد المستوية في طبقات بانديبال وبوهللان محل الأوعية البنية ذات القواعد الشبيهة بالأختام على نقوش بسيطة ، وتقترح الطبقات السفلى من موقع جاوى علاقات غير مباشرة مع حلف وقلعة حاج محمد . كما تقترح اوعية شوشيانة أربعة مراحل في تطورها (أ ـ د) . وان المرحلتين الأوليتين أ (تبة جعفر آباد) و ب (تبة جاوى) قد سبقتا عصر العبيد . وفي سهل دية لوران الطموي نجد موقع تبة سبز الذي شيدت بيوت طبقاته السفلى من كتل الطين الكبيرة وعلى اسس صخرية بخطة مستطيلة ونلحظ في فخاره الملون بطراز

محمد جعفر الى جانب الأوعية الصفراء البرتقالية لمنطقة شوشيانه . والزراعة الآن متقدمة بوسائل ري فعالة تشمل محصولاتها أنواعا من الحنطة ونوعين من الشعير والعدس والكتان . ونشطت التجارة مع الجبال المجاورة التي جلبوا منها اللوز والفستق . واحتفظوا بقطعان الماشية والأغنام والماعز وربما الكلاب . وقد يشير وجود المغازل وطرز المنسوجات على معرفتهم الحياكة . وزادت مواقع القرى كما في منطقة شوشيانة . ومن الصعب معرفة الوقت الذي بدأت به سكنى المناطق السهلية بعربستان ولكن الأوعية البدائية من نوع حسونة الأولية وتأثير نماذج حضارة سامراء يقترح حوالي ٥٥٠٠ق . م . ان لم يكن قبل ذلك . وربما يكون المهاجرون قد وصلوا من جنوب منطقة زجروس الايرانية .

ان فخار شوشيانة أ و ب الأصفر البرتقالي الملون بالبني والى حد ما بالأحمر نجد ما يوازي بعض أنواعه بين فخار حسونة وسامراء وحتى من غرب ايران . ومواضيع الطبيعة نادرة ونجد موضوع النساء الراقصات كما في أوعية سامراء . وتغطي الزينة قسما كبيرا من الوعاء بأشكال تخطيطية ونسيجية . ويماثل فخار شوشيانة أ كل من فخار موقع كيان ٥أ الأولي وأريدو . والزينة بصور من الطبيعة نادرة فيما عدا مواقع كوزارجان وتبة خزينة وتبة موسيان حيث نجد بفخارها رؤوس ثيران وأشكالا بشرية . ومن مواضيع الزينة الجديدة الأوراد المؤسلبة المفتحة الأكمام والفؤوس المزدوجةوالتي نراها أيضا في فخار حلف . والعلاقات قوية مع فخار الطبقة الخامسة ب من موقع كيان وقلعة حاج محمد وهي الصلات التي أدت الى ظهور طراز العبيد[١١] . وفي مواقع حاج فيروز (غرب تبريز) وسبالك (الطبقات ١و٢) وشرقا حتى تبة حصار . . . الخ . نمت حضارات استخدمت الفخار الملون التي ربما كانت معاصرة لسكنة حسونة وسامراء . ففي حاج فيروز عثر على بقايا بيوت شيدت من الطوف ذات غرف مستطيلة بنيت حول ساحة مكشوفة ذات مواقد وجرار كبيرة لخزن الحبوب ويظهر دليل القبور في طبقة حاج فيروز الثانية مقتل الكثيرين في آن واحد دفنوا بعدها في مقابر مشتركة حوت على ٢٨ هيكلا رشت عظامها بالمغرة

الحمراء وزودت بالفخار الملون وغير الملون . وفخار هذه الحضارة بسيطا وبأشكال قليلة وحرق رديء .

لم نلمس في عمارة حضارة دالمة (حوالي ٤٢٠٠ ق. م.) باذربيجان (والتي لا نعرف اصلها بعد) اي تقدم في وقت تقدمت به صناعة الفخار وكثرت النماذج الهندسية على الاوعية والتي قد تمثل تطورا من فخار حضارة حاج فيروز(١٢) كما تقدمت صناعة الفخار في طبقة سيالك الثانية (ربما معاصرة لسامراء) ولون بالاسود على خلفية حمراء وصبغ داخل الوعاء باللون الاحمر. واستمرت النماذج الهندسية والصور الطبيعية امثال الحيوانات (الماعز والحمير) . ونمت القرية وشيدت البيوت من اللبن وصارت اكثر سعة ذات ابواب وملطت الجدران باللون الاحمر الذي استحصلوه من اوكسيد الحديد مع عصير فاكهة. ودفنوا موتاهم بوضعية معقوفة وزودوهم بجرار وصحون وكثر استعمال ادوات الزينة التي زينت بالعقيق الاحمر والفيروز(١٣) .

وعثر في مواقع موسيان وخزينة على فخار عصر العبيد . ففي الاول وجدت كسرة فخار بطراز قلعة حاج محمد او بداية اريدو ـ العبيد(١٤). وان اوعية شوشيانه حـ مشابهة الى بداية العبيد بالعراق . اما شوشيانه هـ (وتوازي شوشة أ او شوشة واحد لدى دي موركان) فتماثل نهاية عصر العبيد وبداية فترة اوروك . وتمتاز فخار شوشة بالجمال كما عثر في شوشة أ على الاختام المسطحة والتي يماثل بعضها اختام فترة جمدة نصر . وقد دخل استعمال المعدن في فترة شوشة أ حيث صنعت الكثير من الادوات من النحاس أمثال الدبابيس والفؤوس والمثاقب والمرايا . وتماثل الانماط التي عثر عليها في شوشة تلك من سيالك ٣ . اما شوشة ب (شوشة ٢ عند دي موركان) فقد تغيرت اشكال أوعيته وغدت مشابهة للانماط البابلية بما يعكس علاقة مع جنوب العراق في العصر الشبيه بالكتابي . كما تدل الاختام المسطحة المتقدمة العمل على وجود تقليد محلي خاص لهذه الصناعة . وقد صورت عليها الاشكال البشرية والعفاريت ذات رؤوس الحيوانات واجسام البشر . وزادت الاختام سواء

المسطحة منها او الاسطوانية في شوشة ج المعاصرة للعصر الشبه الكتابي وهو الوقت الذي كانت فيه الكتابة على وشك الظهور وترجع الى المراحل المعروفة بـ جـ أ و جـ ب . .

وجدت اثار عصر العبيد ايضا في طبقة تبة كيان الرابعة . واتانا من موقع يانيك تبة قرب تبريز فخار يرجع لاواسط الالف الرابع ق. م. بحاشية حمراء مزين بالمواضيع الهندسية. كما هناك فخار بسيط مزين من موقع تبة كوى قرب رضائية يوازي نهاية عصر العبيد[١٥] وفي الطبقة م(M) من هذا الموقع وجدت اثار جدران من الطوف على اسس صخرية وشظايا نحاسية . وهناك الفخار الملون من موقع بيسديلي قرب حسن لو والتي لها صلة بمرحلة من مراحل عصر العبيد .

وفي تللي باكون جنوب برسوبوليس بتلية أ و ب وجدت الكثير من الاثار التي تعود الى العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني . ففي الطبقة الاولى من موقع تللي باكون أ عثر على سلسلة من البيوت لفلاحين بسطاء ذات جدران من الطوف بغرف مستطيلة شيدت بصورة غير دقيقة . كما عثر على مواقد وكور وافران واختام مسطحة وادوات زراعية مصنوعة من الحجر واصص صخرية وتماثيل من الطين للربة الام . وفخار باكون بصورة عامة مزيّن بصورة مستمدة من الطبيعة وحيوانات متنوعة وتزيينات هندسية ونسيجية وبعض الاوعية توازي تلك من عصر اوروك في العراق[١٦] .

وازدهرت في موقع تللي كاب القريب حضارة مقاربة لها بالزمن واستمرت لمدة اطول بعد زوال الاولى . ووصلنا منه فخارا تطور من الفخار الملون الذي له شيء من العلاقة مع اسلوب عصر العبيد الفخارى . واشتملت المنازل على غرف شيدت بجدران من الطوف حول مواقد وارضية مرصوفة احيانا بكسر الفخار التي استعملت ايضا في اسس الجدران . وعثر في البيوت على مناجل ومدقات ورحى . ومارس سكنتة الزراعة والصيد لان ٧٠٪ من عظام الحيوانات التي عثر عليها كانت لحيوانات وحشية منها الغزال والخنزير . ان تطور اسلوب الفخار الملون يشابه ما في

شوشيانة . وقد لاحظ الآثاريون اليابانيون الذين نقبوا الموقع وجود فخار مماثل في مواقع منطقة فارس الاخرى امثال تللي كديمة وتللي جرة وتللي شوكة . . . الخ[١٧] .

وفي تللي ناخودي عثر على سلسلة من البيوت ذات مواقد وافران شيدت من الطوف او اللبن واحيانا باسس صخرية وملطت جدرانها باللون الاحمر وحوت الطبقات الثلاث العليا (أ و ب) و٢ على فخار احمر وادوات نحاسيّة لا تسبق بزمنها نهاية الالف الثالث ق. م. كما توازي الطبقتان السفليتان من هذا الموقع تلك من باكون أ[١٨] .

ويتمثل التطور الحضاري في موقع سيالك ٣ الذي يوازي القسم الاكبر من الالف الرابع ق. م. فحلّ الطابوق المستوي المستطيل المعمول في قالب وصارت القرية ذات احياء عدة بازقة ملتوية وجدران خارجية ذات طلعات ودخلات وابواب البيوت منخفضة وملطت الجدران من الداخل باللون الاحمر والابيض واستمر دفن الميت مع لوازمه الضرورية تحت ارضيات البيوت وسحبت ارجله الى بطنه وطليت عظامه بالمغرة ودخل الان الدولاب الفخاري والكورة . وتحسنت ادوات عامل الفخار مما مكنه على تقديم شتى الاشكال والاحجام وتنوعت زينة الاواني حيث صار يرسم الحيوانات بواقعية لا متناهية وظهرت الاسلبة في الرسم . واتتنا تماثيل شتى انواع الحيوانات والربة الام ولعب الاطفال والادوات النذرية . وتقدمت صناعة التعدين حيث عثر على الكثير من الادوات المعدنية كالسكاكين والخناجر النحاسية . وبرزت ادوات الزينة كالمرايا والدبابيس الكبيرة وكثرت الحلي المتنوعة وجلب اللازورد والبلور من البامبر واليشب من امكنة ابعد . واخذنا نلحظ طبعات الاختام المسطحة المطبوعة على كتل الطين التي كانت توضع على افواه الجرار للحفاظ على سلامة محتوياتها . وزينت الاختام بالزينة الهندسية التي حلت محل صور الحيوانات والرموز والنباتات والبشر[١٩] .

فايران حتى منتصف الالف الرابع ق.م. كانت لها حضارة موحدة تقريبا متمثلة في الفخار الملون . وبدأت طلائع الانفصام منذ بداية النصف الثاني للالف

الرابع ق. م. . بظهور الاوعية ذات اللون الواحد (الاحمر) والعروة والصنبور الانبوبي في شوشة وغيرها .وتميز هذا العصر الشبه الكتابي في العراق . وما ان اوشك الالف الرابع ق.م. على النهاية حتى ظهرت في شوشة حضارة متأثرة بالحضارة العراقية كثيرا لها كتابتها الخاصة التي يطلق عليها اسم (الشبه العيلامية) والتي عاصرت فترة جمدة نصر . واستمرت الحضارة العراقية في تأثيرها المستمر والمتزايد على منطقة واسعة من عربستان وشمال شرقي الخليج العربي ووصل التأثير العراقي موقع سيالك . فقد انتهت سيالك ٣ حرقا وسكنت الموقع جماعة جديدة استعملت الفخار الوحيد اللون (الاحمر او الرمادي) وحلت الاختام الاسطوانية محل المسطحة كما عثر على عدة الواح مدونة بالكتابة شبه العيلامية . وتشير الدلائل على دخول جماعة الى هضبة ايران من الجهة الشمالية الشرقية بصورة سلمية واستعملت الفخار الاسود . وقد تلت هذه الفئة اخرى استخدمت العنف بدخولها واستعملت الفخار الاحمر والاختام الاسطوانية المماثلة بالاسلوب الى طراز جمدة نصر وكتابة ربما كانت تعبيرا عن لغة محلية (علامات عدد ، مربع مالطة وحيوانات وحشية) وبحضارة متقدمة هي مزيج من الحضارات المحلية والعراقية (سيالك ٤) . وقد سبق لهذه الجماعة ان سكنت شوشة حيث ان للفخار علاقة بفخار شوشة جـ ومعاصرا لنهاية عصر جمدة نصر[٢٠] . اما موقع تبة حصار (حوالي بحر الخزر) فتعاصر الاولى منه وبداية الثانية سيالك ٣ وتشابهها حضاريا ففخار تبة حصار I ملونا بينما عم الفخار الملون بالرمادي في تبة حصار ٢ . والعمارة في هاتين الطبقتين فقيرة بيوت مشيدة من اللبن او الطوف ودفنوا موتاهم تحت ارضيات بيوتهم . ويظهر ان الدولاب الفخاري قد دخل منذ الوجه الثاني من تبه حصار وتشمل الالوان الاحمر والبني واحيانا الرمادي كما زين الوعاء بالنماذج الهندسية البسيطة ومواضيع الحيوان والنبات . فتبة حصار ١ (أ - حـ) و٢ (أ) يمثل وحدة حضارية تعاصر نهاية عصر العبيد وبداية اوروك . وكثرة الخرز الطينية والاصداف والعقيق الاحمر في هذه الحضارة تذكرنا بكثرتها في العصر الشبه الكتابي بالعراق. كما كثرت وتنوعت الاختام الشبيهة بالازرار والزينة

المماثلة الى شوشة أ وسيالك ٣ وتبة كاورة ٢ أ .
وان الكثير من طرز اختام تبة حصار واحد نراها موجودة في مواضع فخار شوشة ا [١٢] وزادت الادوات المصنوعة من المعدن واستعملت الشفرات الصوانية ودفنوا موتاهم على جانبهم الأيمن في وضع معقوف مع لوازمهم . والغريب ان عدد هياكل النساء اقل من عدد ثلث هياكل الرجال ويصعب الاستنتاج بممارستهم تعدد الازواج[٢٢] .

1. Carleton S. Coon, The Seven Caves, (New York, 1957), pp. 102ff.
2. Ibid, pp. 126-127
3. R. Braidwood, Bruce Howe and C.A. Reed, "The Iranian Prehistoric Project", Science, 133, (1961) pp. 2008 ff.
4. Jacquetta Hawkes and Sir Leonard Woolley, History of Mankind, Vol. 1, Prehistory and the Beginnings of Civilization, (New York, 1963), p. 230
5. R. Ghirshman, Iran, (Baltimore, 1954), pp. 27-32
6. F. Hole, K.V. Flannery and J. Neely, "Early Agriculture and Animal Husbandry in Deh Luran, Iran", Current Anthropology, Vol. 6 (1965), p. 103
7. J. Mallaart, The Earliest Settlements in Western Asia from the Ninth to the end of the Fifth Millenium B.C., Cambridge Ancient History (CAH), Vol. 1, Part 1, (Cambridge, 1970), pp. 260-261
8. Ibid, p. 262
9. F. Hole and others, Op. Cit., p. 114 ff.

10. Mallaart, Op. Cit. PP. 263-264.
11. Ibid, pp. 285-286.
12. T.C. Young Jr. "Sixth and Fifth Millenium Settlements in Solduz Valley Iran, Illustrated London News (ILN), (3 Nov. 1962), pp. 707 ff.
13. R. Ghirshman, Op. Cit. pp. 32-35.
14. J.E. Gautier and G. Lampre, "Fouilles de Moussian", Mission Delegation en Perse, 8, (1905), Fig. 140, p. 96
15. T. Burton-Brown, Excavations in Azerbaijan, 1948, (London, 1951).
16. A Langsdorff and D.E. McCown, "Tall-i-Bakun — A Season of 1932, Oriental Institute Publication OIP, Vol. 59 (1942; N. Egami and S. Masuda, Marv-Dasht 1, Excavations at Tall-i-Bakun 1956" (Tokyo, 1962).

17. N. Egami and T. Sono, Marv-Dasht 11, The Excavations at Tall-i-Gap 1959" (Tokyo, 1962).
18. C. Goff, Excavations at Tall-i-Nikhodi, Iran, Vol, Excavations at Tall-i-Bxxx

18. C. Goff, Excavations at Tall-i-Nikhodi, Iran, Vol 1, (1963), pp. 43.; Vol. 2, (1964) pp. 41 ff.; Sir Max Mallowan, The Development of Cities from Al-Ubaid to the end of Uruk 5, CAH, Vol. 1, Part 1, (Cambridge, 1970), pp. 421-447.
19. R. Ghirshman, Op. Cit., pp. 35.44.
20. Ibid. pp. 45-46; Mallowan, Op. Cit., pp. 452-455.
21. M.L. and H. Erlenmeyer, "Fruhiranishce Stempelsiegel, 1", Iranica Antiqua, Vol. 4, (1964), pp. 85 ff.
22. Mallowan, Op. Cit. pp. 456 ff.

الفصل الثاني :

دراسة في آثار وتاريخ شوشة والعيلاميين

تشمل بلاد عيلام (نيم بالسومرية ومعناها الارض المرتفعة ، شوشيانا ، بلاد الشوش) السهول الجنوبية والجنوبية الشرقية من ايران (منطقة عربستان او خوزستان) وهي امتداد لسهول العراق الطموية الجنوبية وتماثله في التضاريس والمناخ وحتى في الحضارة وتعتبر معه وحدة طبيعية وحضارية . واشتملت بلاد عيلام دائما على سهل شوشيانا الطموي مع الجبال والهضبة الى شمال وشرق شوشيانا . وهذا الارتباط بين السهول والجبال كان من العوامل الهامة في تاريخ عيلام . ويعتمد تاريخ عيلام (خالتا متى او خاتمتي ومعناها ارض الرب والتي اسماها الفرس المتأخرون او فاجا) وخاصة في عصوره الاولى على الوثائق العراقية القديمة التي وردنا منها الكثير . ويصعب معرفة اصل العيلاميين والمنطقة التي قدموا منها وربطهم البعض مع اللولوبيين والكوتيين والكاشيين على اساس العلاقة بين لغات هؤلاء واللغة العيلامية[1] . ولكن يصعب اخذ هذا الاستنتاج بنظر الاعتبار لعدم وجود اي نص بهذه اللغات سوى كلمات منفردة بالكاشيّة . وليس هناك اي دليل يثبت نزوحهم من منطقة جبلية وعرض البعض (على اساس اللغة ايضا) احتمال هجرتهم من الهند[2] . بينما يؤكد الغالبية فردية اللغة العيلامية وعدم صلتها باية لغة معروفة[3] . ويمكن تعقب اثر اللغة العيلامية الى بداية الالف الثالث ق . م . عندما كانت تدون بالرموز الصورية المعروفة بالشبه العيلامية proto-ELAMITE وتلت هذه علامات مقطعية تخطيطية (بعلامات مقطعية عددها ١٣١ صارت بعد ذلك ١١٣ و ٢٥ علامة رمزية و ٧ علامات دالة) حل رموزها ولثر هينز سنة

١٩٦١[٤] . واخذت منذ العصر الاكدي تكتب بالرموز المسمارية وبعدها بلورت الشكل الخاص بها .

ان مصادرنا عن عيلام مستمدة من المصادر المدونة بالاكدية والعيلامية (التي كشفت غالبيتها الساحقة في شوشة العاصمة) . وان اتحاد الشوشانيين مع اهل الجبال العيلاميين ربما جاء بعد منازعات وحروب متواصلة تمخضت عنها ظهور البنية الفيدرالية للدولة العيلامية . وكانت روابط هذا الاتحاد معقودة بين الرئيس الاعلى والزعماء الرئيسيين المعزز بروابط الزواج .

واول ذكر نعرفه الى عيلام جاء في نص غزو أنمينبرا كيسي ملك من سلالة كيش الاولى لعيلام وجلبه الغنائم منها . وعثر في كيش على مقبرة للعربات تماثل مدفن العربات الذي عثر عليه في موقع شوشة في نفس الوقت . وتذكر ملحمة ارسال انمر كار ملك اوروك وفدا الى مدينة اراتتا (التي تضعها على بعد سبعة جبال من بلاد سومر وربما تكون جنوب ايران او في لورستان) . ثم تتعرض لحملة انمركار على اراتتا واحتلالها[٥] ويمكن الاستنتاج بان علاقة تجارية لا بد وان كانت موجودة بين اوروك وهذه المنطقة من ايران ترسل الاولى القمح مقابل منتجات اراتتا من الفضة والذهب واللازورد التي تذكرها الملحمة . وتعرض قصة اخرى استسلام انسيكوشيراننا حاكم اراتتا الى انمر كار ونقرأ فيها على علاقة بين اوروك واراتتا منذ زمن الملك نامينا دوما الذي سبق انسيكوشيراننا[٦] وفي ملحمة اخرى نقرأ عن رحلة قام بها الملك لوكال باندا نجل انمركار الى اراتتا ومرضه في الطريق وتوقفه عند جبل خوررروم[٧] .

ونقرأ في اثبات الملوك السومري عن انتقال الملكية بعد اور (سلالة اور الاولى) الي اوان العيلامية (الواقعة الى الشمال الشرقي من شوشة قرب دزفول) . ولا نعرف الحدث الذي ادى الى انتقال الزعامة السياسية الى خارج البلاد وربما نتيجة غزو عيلامي على اور لم تصل لنا اي معلومات عنه الى حد الآن . ويعطي الاثبات ثلاثة ملوك حكموا ٣٥٦ سنة الى سلالة اوان وهو رقم غير معقول . وبعدها انتقلت

الملكية الى كيش ولا نعرف الظروف التي ادت الى هذا التحول في الزعامة . وبعد فترة شكلت في اوان سلالة بزعامة فيلي الذي لا نعرف عنه ولا عن خلفائه الستة اي معلومات ، وتذكر وثيقة متأخرة بسط لوكال انيموندو نفوذه من البحر المتوسط حتى جبال زاجروس وارغامه البلاد الاجنبية على دفع الجزية . وان ذكره لعيلام ومرخشي (في شمال او شمال غربي عيلام) بين المناطق التي جلبت الاضاحي الى معبده في أداب ربما تدل على تبعيتها له ودفعها الجزية اليه . وذكر اورنانشة أنسي لكش ارسال (اهل) الجبال الجزية اليه والتي ربما قصد بها مرتفعات عيلام . ونعرف عن انتصار لأيا ناتوم احد خلفائه على عيلام وعن هجوم قام به العيلاميون بعد ذلك على لكش وصدايأناتوم لهم دون قدرة على متابعتهم كما نعرف عن مهاجمة ستمائة رجل عيلامي الى لكش في اواخر حكم ايناناتوم الثاني مخربين وسدمرين وصد ليوننا كاهن نانار لهم .

وفي زمن سرجون الاكدي (٢٣٢٥ - ٢٢٦٩ ق . م .) كان على عرش اوان في عيلام الملك لوخ ايششان (الحاكم الثامن لسلالة فيلي) الذي يرتبط به سانام سيموت حاكم عيلام وكلاهما خضعا لسرجون . وذكر لنا سرجون في كتابة ثانية سيدكو الذي لا بد وان لعب دورا هاما . ويظهر ان المنطقة بين جبال انشان والخليج العربي لم تقع في يد سرجون الا في نهاية حكمه . كما يبدو ان سرجون كان قد ترك الحكام في بلاد عيلام كتابعين له ، ووضع في شوشة ممثله الشخصي وصار لهذه المدينة زمنه مركزا سياسيا جديدا . وتبين لنا مسلة لسرجون الاكدي عثر عليها في شوشة بانه قد دخل هذه المدينة منتصرا ان لم تكن المسلة جزء من غنائم جلبت الى عيلام من قبل ملوك لاحقين . وذكرت لنا كتابة من الايكور (معبد انليل في نفر) انتصارين لسرجون على عيلام وبرخشي .

وبوفاة سرجون وصعود ولده ريموش (٢٢٦٨ - ٢٢٥٩ ق . م .) على العرش ثار خيشيب راتيب ملك عيلام وابالكاماشي ملك وارخاشي اللذين تحالفا مع بعضهما . ويظهر من كتابات ريموش انه دحر وارخاشي وذبح (على حد قوله) اكثر من ٤٠٠٠ كان منهم نواب الملك سيدكاو وانكابي ونهبت عيلام . وقد دحرهم

ريموش مع حليفتهم زاخارا عند نهر كابنيتوم (بين اوان وشوشة) وحمل غنائم كثيرة من الذهب والنحاس والاسرى وخلد هذا الانتصار على الكثير من الاصص المرمرية التي وجدت قطع منها في مواقع كثيرة . ووضع ما يمجد انتصاراته هذه من غنائم عيلام في معبد الايكور بنفر (٣٠ باوند) من الذهب و ٣٦٠٠ باوند من النحاس وستة عبيد من الجنسين) وحارب مانيشتوسو (٢٢٥٨ ـ ٢٢٤٥ ق . م .) اخ ريموش وخليفته انشان (بين حسين آباد وكرمنشاه) وشيريخوم وحمل ملكها وغنائم قدمها الى معبد شماش في سبار . وعبر الخليج العربي ليهاجم ٣٢ من حكام الساحل العيلامي وليضمن استغلال مناجم الفضة ومحاجر الصخور . واعترفت شوشة بسلطته وكرس محافظها ايشبوم تمثالا على شرفه وعثر في شوشة على نصب من حجر الديورايت الاسود عليها صورة مانيشتوسو وولده . كما نعرف عن تكريسه تمثالا الى الربة العيلامية ناروتي .

واخمد خليفته نرام سن (٢٢٤٤ ـ ٢٢٠٧ ق . م .) في بداية عهده ثورات اربع مدن في عيلام . ووجد اثارا تعود الى نرام سن في عيلام وعقد مع ملك اوان معاهدة وصلتنا مهشمة في ستة اعمدة مدونة على وجهي اللوح عثر عليها في شوشة مدونة باللغة الاكدية . وربما كانت لها ترجمة بالعيلامية لم تصلنا بعد . ومن الصعب معرفة اسم الملك الاواني الذي عقد معه نرام سن المعاهدة ولو ان هناك من اقترح كونه خيتا[٩] . واعتبر الملك الاواني نفسه في هذه المعاهدة عدوا لمن يعادي نرام سن وصديقا لكل صديق له . وارسل نرام سن وفدا الى شوشة مع هدايا ثمينة وربما طلب بها مساعدة من خيتا قد تكون ضد الكوتيين . ومن المحتمل ان نرام سن قد تزوج من ابنة خيتا حيث هناك فقرة بالمعاهدة تمنى بها الملك العيلامي ان يرى ولدا من زوجة نرام سن ليخلفه على العرش . كما وافق خيتا على وضع تماثيل نرام سن في مزارات شوشة منها التمثال الذي وضعه في معبد انشوشيناك بشوشة[١٠] . وهناك اشارة الى حضور احد موظفي نرام سن الكبار وهو الكاهن شارريش تاكال الى شوشة لتكريس تمثال سيده فيها . وكان كوتيك انشوشيناك اخ خيتا وحاكم شوشة

تابعا هو الاخر الى نرام سن .

وفي عهد شاركاللي شارري (٢٢٠٦ ـ ٢١٨١ ق . م .) خليفة نرام سن زاد كوتيك انشوشيناك من قوته الى الحد الذي صار يشن الحملات مما يدل على انتهازه فرصة ضعف سيده ملك اكد ولو ان الحملات التي قام بها كانت لمساعدة العاهل الاكدي . فقد اخمد ثورة في كيماش (اسكي كفرى) وخورتي (في منطقة ديالى العليا) على سيده الاكدي كما اخضع للاخير مدينة خوفسانا في عيلام الى جانب مهاجمته للكوتيين في عقر دارهم . وترك نصوصا في اللغة الاكدية والعيلامية التخطيطية اطلق على نفسه بها الالقاب ملك البلاد ، المختار ، المنتصر وملك اوان القوي كما ادعى رعاية الاله انشوشيناك له وتقديمه الجهات الاربع اليه . وقد شيدكوتيك انشوشيناك الكثير من البنايات في منطقة قلعة شوشة ونسب اليه فتح قناة سيد آري . وقد انتهت مملكة اوان بحكم هذا الملك واختفى معه الخط العيلامي التخطيطي .

ونقرأ في كتابات جوديه حاكم لكش (٢٠٩٣ ـ ٢٠٧٣ ق . م .) بانه قام بحملات ضد انشان وعيلام وتكريسه الغنائم التي حصلها من انتصاراته لمعبد نينكرزو . كما ذكر جلبه لصناع عيلاميين اشتغلوا في المعبد الذي شيده للرب نينكرزو . واستنتج البعض بان بلاد عيلام كانت تحت سلطة امراء لكش[١١] . ولكن ليس هناك ما يثبت هذا الاستنتاج غير الاشارات التي ذكرناها . وبسط ملوك سلالة اور الثالثة في العراق سيطرتهم على بلاد عيلام في وقت ظلت به المرتفعات الشرقية منها (انشان) نصف مستقلة وتمتعت سيماش لوحدها بالاستقلال ولو لم تصلنا منها اية اخبار بعد . فقد بسط شولكي (٢٠٤١ ـ ١٩٩٣ ق . م .) سيطرته على عيلام وانشان . ووجدت اثار لشولكي في شوشة حيث دخلت شوشيانا بالحكم السومري في سنة شولكي الثانية والعشرين بصورة تلقائية حسب ما يظهر وعين زار يقوم الذي لم يكن عيلاميا حاكما على شوشة . والى جانب المعبد الذي بناه للرب انشوشيناك في شوشة شيد شولكي مزارا الى ربة في شوشة نعرف عن تكريس اثنين

من موظفيه صولجانا لها على شرف ملكهم . كما وجدت في شوشة خرزة من حجر كريم كرسها شولكي الى الربة نينكال التي اطلق عليها امه وربما تكون قد حملت من اور عند تهديم العيلاميين لها في نهاية سلالة اور الثالثة . ونعرف ان شولكي قد استخدم جنودا من شوشة لدعم الحاميات التي تهدد الحدود المجاورة الى لكش كانوا تحت امرة قائد عراقي برتبة عالية . وفي السنة ٣٩ من حكم شولكي تزوج حاكم انشان اميرة من البيت المالك العراقي ولكن هذا الزواج لم يمنع تخريب بلاده عند ثورته على سيده بعد اربع سنوات من هذا القران .

وفي زمن امارسن (١٩٩٣ - ١٩٨٤ ق . م .) عين ليبانو شاباش كحاكم جديد على وارخاشي . وكان احد حكامه في مدينة اواك العيلامية (لا نعرف موقعها بالضبط) عراقيا في الغالب اسمه شارروم باني بقى في منصبه ١٨ سنة مما يدل على نجاحه . ونصب الملك شوسن (١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق . م .) حكاما له في عيلام . كما حكم في سنته السادسة الملك كير نامي على سيماش لاول مرة منذ سقوط مملكة اوان . وهناك نص يذكر وصول مندوب لكير نامي الى اور عرف عن تسلمه الكثير من الخراف كارزاق له . وفي سنة شوسن الثانية وصل ديسال خوبا الى اور كمندوب عن حاكم انشان كما زوج نفس الملك احدى بناته الى حاكم انشان نقرأ في نص عن سفرها عبر جبال (البختيارية) مزودة بالكثير من جرار الزيت والزبد واللبن والبيرة . وقد عمر شوسن منطقة المعبد في شوشة وجهز الملك ابي سن (١٩٧٥ . ١٩٥٠ ق . م .) حملة ضد انشان وزوج ابنته توكين - خططا - ميكر يشا الى حاكم زابشالي . ويخبرنا عن انتصاراته في شوشة وادامدون واوان وقبضه على حاكمهم الذي نصب نفسه على سيماشكي . ولم يتقيد العيلاميون بالاتفاقية التي عقدها معهم الملك السومري بل اخذوا يستغلون فرصة الضعف لشن الهجمات . وفعلا هجموا اخيرا على اور واخذوا ابي سن اسيرا الى بلادهم مع تمثال الرب واننار وخربوا العاصمة اور . ولا نعرف اسم ملك سيماش الذي قاد هذه الحملة الى العراق وربما يكون خوتران تامتي(١٢) وفي حوالي سنة ١٩٣٧ ق . م . هاجم ايشبي ايراملك

ايسن بلاد عيلام . ويظهر ان ايشبي ايرا قد زوج ابنته ليبور - نيروم في نفس السنة الى خوبا سميتي (خوبان شيمتي) حاكم شوشة الذي هو في الغالب ابن الملك خوتران تامتي .

ومن ملوك عيلام الذين ربما كانوا حكاما على ملوك ايسن في هذه الفترة كيندانتو الذي لا نعرف عنه الا الشيء اليسير جدا وايد اتتو الاول (انداتتو - انشوشيناك) ملك سيماش . ونعرف من كتابات للاخير بالاكدية انه شيد اسوار شوشة وبنى معبدا هناك . ونعرف انه اتخذ اللقب ملك سيماش وعيلام لاول مرة وعين ابنه حاكما على شوشة جريا على عادة ملوك سيماش وزوجه من مي كوبي ابنة بلالاما حاكم اشنونة التي جلبت صداقا ضخما معها يظهر انها بنت منه معبدا للربة عشتار . وشيد الاب والابن الكثير من البنايات داخل الحي المقدس في شوشة وفي حوالي سنة ١٨٨٩ ق . م . خلف تان روخواتير هذا اباه واعقبه بعد حكم دام حوالي عشرين سنة ولده ايندانتون الثاني (ابن مي كوبي) الذي كان ، حسب ما يظهر اخر ملك قوي من ملوك سيماش ، في زمن احد خلفاء هذا الملك كسر انوم - موتتابيل حاكم دير (بدرة) جيوش انشان وعيلام وسيماش واحتل وارخاشي . وفي حوالي سنة ١٨٧٤ ق . م . غزى كونكونوم ملك اسن مدينة باشيمي (ربما باشت الحالية) ووجد له رقيم في شوشة يعود لسنته السادسة عشر قد يدل على نفوذ له بهذه المدينة . وفي حوالي سنة ١٨٥٠ ق . م . اسس ايبارتي سلالة حاكمة جديدة في عيلام . ولندرة المصادر يصعب معرفة اصل ايبارتي الذي قد يكون قائدا لدى آخر حكام سيماش تمكن بعد ذلك من انتزاع الملك منهم وحصره في اسرته متخذا اللقب (ملك انشان وشوشة) . وبذلك يكون قد حكم كل عيلام واتخذ لقب ملك وليس وكيل . وان وجود اشارة الالوهية امام اسمه في احدى الوثائق قد تشير الى تأليهه . وسار على التقليد القديم بتعيين خليفته اميرا على شوشة . وخلفه على العرش ابنه شيلخاخا الذي كان خلال حياة والده حاكما على شوشة وعرف بفعالياته العمرانية فيها . واتى بعده ابن اخته شيرودوخ الاول الذي عين امه اميرة على شوشة استبدلها عند وفاتها

بابن اختٍ له .

وقد عاصر شيرودوخ الاول الملك حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٧ ق. م.) وتبين رسائل ماري ورقيم من شوشاررا (قرب رانية) سياسته الهجومية واستقلاله . فنعرف من الاولى عن المساعدات التي كان يقدمها الى اشنونة في حربها لزمري لم ملك ماري الامر الذي اغضب حمورابي وحمله على مساعدة عاهل ماري وكذلك عن وفد ارسله قبل ذلك الى قطنة في سوريا عن طريق مدينة ماري . ويذكر الثاني استعداد جيوشه لضرب رئيس الكوتيين .

وخلف شيرو دوخ الاول اخاه الاصغر شيموت وارتاش الذي ربما قتل سنة ١٧١٢ ق.م. في مناوشة حل بدله بعدها ابن اخته سيوي بالار - خوبباك . ويظهر ان الاخير قد لعب دورا في تكوين حلف ضد حمورابي مكون من ملوك اشنونة وما لكيوم (على دجلة قرب العزيزية الحالية) والسوباريين في الشمال الغربي وملكة ناوار (في منطقة الكوتيين الجبلية) . وقد دحر حمورابي هذا الحلف وتركت عيلام نتيجته المسرح السياسي العراقي لفترة من الزمن . وبعد وفاته سنة ١٦٨٩ ق.م. خلفه اخيه كودوزولوش الاول الذي اتى بعده ابن اخته كوتير ناخونتي الاول . وقد غزى الاخير بلاد بابل مخربا زمن الملك شمشو ايلونا خليفة حمورابي حاملا الى شوشة من اوروك تمثال ربة الخصب البابلية ناناي . واتى بعده ملوك امثال ليلا ايرتاش ، تيمتي اكون الاول ، تان اولي ، تامتي خالكي وكوك ناشور الثاني . ونقرأ في وثيقة بابلية ترجع لعهد الملك عمي صادوقا ما يشير الى عودة عيلام تحت السيطرة البابلية . وفي حوالي سنة ١٥٧٠ ق. م. حل محله على عرش عيلام اخوه وربما ابن عمه كوتير شيلخاحا الاول الذي جاء بعده بالا ايششان (١٥٠٥ - ١٤٨٠ ق. م.) وكوك كورواش المعروف بفعالياته العمرانية . وان التأثير العراقي على عيلام خلال حكم سلالة ايبارتي التي لا تزال نهايتها غامضة يمكن تلمسه في شوشيانا وباستعمال اللغة الاكدية في الكتابات الرسمية . والمعروف ان الملك الكاشي كوريكالزو الثاني قد غزى شوشة(١٣) .

ودور التعاظم التالي في تاريخ عيلام والمعروف بالعصر الكلاسيكي يبدأ بسلالة جديدة وحدت تحت سلطتها بلاد عيلام ربما كان مؤسسها ايكي خالكي الذي قد تكون منطقته الاصلية بلاد ملامير . وخلفه في الحكم ولده باخير ايششان ثم ولده الثاني اتتار كيتتاخ الذي حمل حركاته الحربية الى شوشة حيث عثر له فيها على صولجانين حوى احدهما على القابه (ملك شوشة وانشان) . واتى بعده ابنه خومبان نومينا (حوالي ١٢٢٠ - ١٢٠١ ق.م.) الذي ترك الكثير من الكتابات بالعيلامية تحمل القابه . كما عثر في ليان (على جزيرة بوشير) الكثير من احجار الاسس الذي تذكر تشييده للكثير من المزارات . ولا يزال مكان عاصمة هذا الملك غير معروف وقد يكون في مقاطعة انشان . وكان خليفته ولده اونتاش خوبان الذي نعرف عن بنائه الكثير من المعابد وتركه للعديد من النصب والتماثيل وهو الذي شيدو مدينة دور اونتاش (جوخة زنبيل الحالية على بعد ٤٠ كم من شوشة) لتكون مركزا دينيا ومقرا رئيسيا للملك وان لم يصل شوشة . وكثرة النباتات التي شيدها بمختلف المدن العيلامية قد يشير الى ثروة حصلها نتيجة غزوات خارجية ناجحة . فقد كان حكام العراق الكاشيين المعاصرين له (ابتداء من كاشتلياش الرابع) ضعاف الامر الذي مكنه من غزو العراق والعودة منه بغنائم كثيرة منها تمثال الرب ايميريا (اداد) عثر عليه في شوشة . وكان لزوجته تافيراسومكانة مرموقة. وفي هذه الفترة بالذات اشتمل مجمع الارباب العيلامي على الهة بابلية ودونت الكثير من الكتابات باللغة الاكدية .

وخلف اونتاش خوبان على العرش ربما ابن اخيه اونفاتار خوبان (حوالي ١٢٤٥ ق.م.) الذي شهد بدء التعاظم الاشوري وتنازل الى توكولتي ننوريا الاول عن اولاياش (قرب مندلي) وتورنا سوما في اعالي ديالى . ولم يعترض التقدم الاشوري الا اخيه وخليفته كيدين - خوتران (١٢٤٢ - ١٢٢٢ ق.م.) الذي نعرف عن توسيعه لحدود عيلام الجنوبية منذ عبر دجلة غازيا العراق واحتل نفر وذبح سكانها ثم عبر دجلة ثانية وهدم دير وخرب معبدها اي - دمكال - كالاما واسر الكثير من

السكان . ثم غزى العراق ثانية زمن الملك الكاشي اداد - شوم - اوصور (١٢١٨ - ١١٨٩ ق.م.) واحتل ايسن ووصل ماراد . ونعرف عن تعميره لمعابد الالهة انشو شيناك في شوشة وكيرريشا في ليان . وربما كانت نهايته نتيجة ثورة قامت ضده في عيلام حيث لم نعد نسمع عنه وكان اخر ملك في سلالة ايكي خالكي[١٤] .

ثم ظهرت على مسرح عيلام السياسي سلالة جديدة لا نعرف صلتها بسلالة ايكي خالكي السابقة وكان مؤسسها خاللوتوش انشوشيناك الذي ربما انتهز فرصة الاضطرابات في نهاية حكم كدين خوتران فاعلن نفسه ملكا على البلاد . ويقترن بهذه السلالة خاصة بالملوك الثلاث الذين تلو مؤسسها فترة قوة عيلام العسكرية ونهضتها منتهزين فرصة ضعف الاشوريين . وخلف خاللوش انشوشيناك على العرش والده شوتروك ناخونته (١٢٠٧ - ١١٧١ ق. م.) الذي اتخذ شوشة عاصمة لدولته وجلب لها نصب الملوك السابقين المحفوظة في المدن الاخرى ووحد جميع اجزاء المملكة بنظام مركزي مرتبط بشخصه وقد وسع دولته على طول ساحل الخليج العربي الشمالي . وعمر في شوشة معابد الرب انشوشيناك والربة مانزات واعلمتنا كتابة من موقع ليان باصلاحه مزارا للربة كريرشا . كما نعرف عن غزوه سنة ١١٦٠ ق.م. العراق منتهزا فرصة ضعف البابليين والاشوريين على السواء مجتاحاً مدن عدة منها اشنونة ، دور كوركالزو وسبار الخ ونزل الى كيش ونصب ابنه كوتير ناخونتة حاكما على المنطقة التي احتلها من العراق وحمل الى عيلام تماثيلن لمانيشتوسو من اشنونة ونصب النصر لنرام سن ومسلة حمورابي من سبار وكرسها مع ما غنم من حملته الى الاله انشوشيناك ونعرف من اخماد كوتير ناخونتة لحركة قامت ضده في بابل حمل على اثرها تماثيل الارباب مردوخ وعشتار الى شوشة حيث ظلت هناك الى ان ارجعها الملك نبوخذ نصر الاول

وخلف هذا الملك ابنه كوتير ناخونتة على عرش عيلام الذي نعرف عن تعميره معابد الكثير من الارباب كمزار الربة لاكامار في شوشة واخر الى كريرشا في ليان . وفي مدينة ايسن بالعراق تزعم رئيس بابلي حركة المقاومة للاحتلال العيلامي . وبعد

وفاة كوتير ناخونتة اتى اخاه شيلهاك انشوشيناك (١١٦٥ ـ ١١٥١ ق.م) الذي غزى المناطق الشمالية الغربية وجلب الكثير من الغنائم منها وبدأ حركة تعمير شاملة في شوشة والمدن المهمة الاخرى . وتذكر نصوصه ثمان حملات له يظهر ان اربعة منها كانت في مناطق غربية امثال شاباربارى (محل الذئاب) وبيت نابباخي (بيت الحدادين) والاخرى في منطقة جبل ابيخ (حمرين) ونوزى ومناطق يالمان (حلوان) وغرب دجلة . ويظهر ان سيطرته على هذه الجهات افقدته جنوب بلاد بابل حيث ظهرت دولة جديدة في ايسن سرعان ما اخذت تتدخل في شؤ ون آشور الامر الذي اثار الملك العيلامي وسبب حربه لها تلك الحرب التي عين فشلها انتهاء النفوذ العيلامي على بلاد بابل . وربما سبب فشله هذا ثورات قبائل منطقة زجروس ضده ، فقد هاجمت قبيلة بالاخو الاراضي العيلامية مخربة وحاملة منها اسرى وغنائم والتحقت بها قبيلة لاللاريبي . وترك شيلهاك الكثير من الاثار في جزيرة بوشير بالخليج العربي وبمنطقة شيراز مما قد يدل على توسيعه لدولته باتجاه تلك الاصقاع . ويظهر ان عهده يشكل فترة انتعاش في الشعور العيلامي حيث ان غالبية نصوصه العظمى قد دونت بالعيلامية وفي الرموز الشبه عيلامية وصار الاله انشوشيناك هو الرب الوطني . ويظهر ان الملك وعائلته اعتبروا اربابا في حياتهم . والملك الذي خلف شيلهاك كان خوتيلور توش انشوشيناك الذي لم يحمل لقب ملك بل حاكم انشان وشوشة . ونعرف عن تعميراته في معابد مانزات وشيموتتا واشنة كاراب وتشييده معبدا جديدا بمدينة شالوليككو في منطقة ارض البحر .

والان قد ظهر في كل من اشور وبابل ملكان قويان هما تجلات بلاصر الاول ونبوخذ نصر الاول على التوالي . وقد اندفع نبوخذ نصر (١١٢٤ ـ ١١٠٣ ق.م) وغزى عيلام عن طريق منطقة جبال زاجروس . ويظهر ان هجوم الملك البابلي الاول قد فشل وبدأ هجومه الثاني من دير اندحرت امامه جيوش عيلام وهرب ملكها من المعركة ومات بعد ذلك بقليل واحتل نبوخذ نصر بقية عيلام ودخل شوشة واخذ تمثالي ريا ومردوخ . وان انتصار البابليين وفشل عيلام ادى الى نهاية هذا الدور من

ادوار التعاظم العيلامي تلته فترة مظلمة استمرت ثلاثة قرون(١٥) .

والدور الاخير من ادوار تعاظم عيلام اتى متفقا مع اخر دور من ادوار قوة آشور (اواسط القرن الثامن ق . م). فقد صعد سنة ٧٤٢ ق . م . الملك خومبانيكاش الاول المعاصر لتجلات بلاصر الثالث الذي اجتاح بلاد بابل ووحدها في شخصه مع اشور سنة ٧٢٩ ق . م . فاخذت عيلام تساعد الثوار البابليين ضد الاشوريين وتقدم العون الى زعيمهم مردوخ بلادان . فارسل خومبانيكاش جيشا لمساعدة البابليين في جنوب العراق اصطدم به سرجون عند دير تلاها استقلال مردوخ بلادان في بلاد بابل لمدة ١٢ سنة . واتبع خليفته شوتروك ناخونتة الثاني (٧١٧ - ٦٩٩ ق.م.) نفس السياسة واعاد سنحاريب بلاد بابل للحظيرة الاشورية ودحر جيش الثائر مردوخ بلادان الذي كان يساعده قواد عيلاميون وهاجم خليفته خاللوتوش انشوشيناك الثاني سنة ٦٩٤ العراق ودخل سبار وقتل الكثير من سكانها وارسل حاكمها اشور نادين شوم ابن الملك الاشوري سنحاريب الى عيلام حيث قتل هناك واحتل بابل . وقد قتل خاللوتوش في مآمرة دبرها خليفته كوتير ناخونتة الثاني (٦٩٣ - ٦٩٢ ق.م.) واصطدم سنحاريب بجيش عيلامي يسند الثوار البابليين وتمكن حسب ما يظهر من دحر الاثنين . ذلك الاندحار الذي ادى الى استحواذ خوبان امينا على العرش . وفي زمن اسر حدون هاجم الملك العيلامي اومان الداس بلاد بابل وأعمل باهل سبار السيف الى الحد الذي توقف به موكب الاله شماش من الخروج تلك السنة . وفي سنة ٦٦٤ق . م . هاجم اورتاكوملك عيلام بلاد بابل ثانية بقوة تمكن اشور بانيبال من ردها على اعقابها . ومات اورتاكو بعد هذا الحدث بقليل واعقبه صهره تيبتي - خوبان - انشوشيناك (تيومان) (٦٦٤ - ٦٥٣ - ق.م.) ويخبرنا اشور بانيبال بان اولاد اورتاكو الملك السابق قد لجئوا الى بلاد اشور ولم تفلح محاولات ملك عيلام في اقناع اشور بانيبال بارجاعهم . وفي نهاية حكمه هاجم تيومان بلاد بابل بجيش كبير تمكن الاشوريون من دحره عند تل توبا وقتل الملك الذي كان يقود الحملة وحمل رأسه الى اشور . وبعد مقتل تيومان نصب اشور بانيبال الملك خوبان نوكاش

(٦٥٣ ـ ٦٥١ ق.م.) احد اولاد اورتاكو الذين لجئوا الى بلاطه كعاهل على عيلام . ويظهر انه قد ارسل قوة بقيادة اونداشي لمساعدة شمس شموكين ملك بابل في ثورته ضد اخيه اشور بانيبال . ولم يبق خوبان نوكاش على عرش عيلام سوى سنتين حيث اخذ العرش منه تاما ريتو (٦٥١ ـ ٦٤٩ ق.م.) الذي استمر في سياسة اثارة الفتن ضد الاشوريين في بلاد بابل ومساعدة الثوار . ولما اغتصب ايندا بيكاش العرش سنة ٦٤٩ ق.م. لجأ الى حاكم ارض البحر تاماريتو ملك عيلام السابق وافراد اسرته واستمرأيندابيكاش في مساعدة شمس شموكين وساعد نابوبيل شوماتي على مهاجمة الاراضي الاشورية . وبعد سقوط بابل سنة ٦٤٨ ق. م. ساربيل ابني حاكم ارض البحر لحرب عيلام فاحتل ماداكتو وارسل كنوزها الى اشور ونصب تاماريتو ملك عيلام اللاجىء في بلاد اشور على عرش عيلام في شوشة ولكن تاماريتو سرعان ما لجأ الى اشور هربا من خوبان خالتاش الذي جمع حواليه في عيلام البابليين الذين فروا بعد فشل ثورة شمش شموكين وساعد نابوبيل شيماته في هجماته على الحدود الاشورية . وهنا هاجم اشور بانيبال عيلام ودخل ماداكتو وخالتيماش ومن ثم شوشة سنة ٦٤٦ ق.م. التي خربوها وهدموا معبد انشوشيناك فيها وارسلوا تمثال الرب مع تماثيل الارباب الاخرى الى بلاد اشور . ويظهر ان التخريب الاشوري شمل منطقة واسعة من عيلام وهدمت الزقورة في دور اونتاش (جوخة زنبيل) تخريبا شاملا ولم تقم قائمة بعد ككيان مستقل .

الدين العيلامي :

لقد لعب الدين دورا كبيرا في حياة العيلاميين . وتميز دينهم بتقديس العنصر الانثوي والحيات (الذي ربما له علاقة باعتقادهم بمختلف المخلوقات الغريبة والعفاريت) والتأكيد على السحر والشعوذة . وقدمت لنا معاهدة نرام سن ـ خيتا

اسماء الكثير من الارباب العيلامية التي ظلت معروفة حتى نهاية عيلام السياسية في القرن السابع ق. م. وبدأت المعاهدة بذكر الربة بينكير وهي حقيقة تدل على تأكيدهم على العنصر الانثوي وتفريدهم لهذه الربة بالذات . ودخل اسم هذه الربة في الكثير من اسماء العيلاميين الشخصية وربما طوبقت مع الربة كريرشا الهة منطقة الجنوب البحرية والالهة بارتي في انشان رغم احتفاظ كل واحدة منهن بشخصيتها المتميزة . وقد وصلتنا الكثير من تماثيلها عارية من شتى انحاء عيلام . والرب الهام الذي تذكره المعاهدة كان خومبان الذي احتفظ باهميته خلال العصور التالية وهو في الغالب حاكم السماء وزوج الالهة الام ووالد الاله خوتران . واطلق على خوتران الاله القوي ، السيد العظيم . ومن الارباب المهمة الاخرى انشوشيناك (نين شوشيناك في السومرية او سيد شوشة) وهذا يوضح التأثير السومري على اله شوشة الاكثر اهمية . وهو الرب الذي كان يقسم به الكل في جميع انحاء عيلام . وقد تعاظم مركزه بمرور الزمن وعمت عبادته بصورة ملحوظة زمن الملك شيلهاك انشوشيناك . وقد قويت عبادته خلال العصر البابلي القديم . وشكل انشوشيناك مع خومبان وكريريشا في العصر العيلامي الوسيط الثالوث الهام في المجمع الالهي العيلامي ، وفي منطقة انشان كان الاله روخوراتير مهما . وظهرت في كتابات العصر البابلي القديم من عيلام اسم الربة ايشمة كاراب ذات الاسم الاكدي (معناه التي تسمع الدعاء) التي ربما ظهرت نتيجة تأثير عراقي . والإلة الثالث في معاهدة خيتا كان الرب ابا الذي فضّله ملوك اوان . ومن الارباب الاخرى التي ذكرت في المعاهدة نينورتا ، ناخيتي ، باخاكيكيب ، سيت والربات نين كارراك وشياشوم ، ناروندي ، نيارزينا واسخارا البابلية وزيت (ربما رب شفاء) وناخونتة رب (ربمارية) الشمس والقانون والتجارة . وبنى اونتاش خوبان معبدا لها في شوشة ودور اونتاشي . واهتم به ملوك سلالة شلهاك انشوشيناك بدليل ظهور اسمه في تراكيب اسماؤ هم[١٦] وكذلك الرب سيموت (رسول الارباب) والذي قد يكون رب نجوم وزوجته مانزات .

وشاعت في شوشة خلال العصر البابلي القديم الأسماء الشخصية التي تدخل في تراكيبها أسماء أرباب عراقية مثل أداد ، أيا ، انليل ، ايشوم وساتران . . . الخ التي ربما تدل على تأثر العيلاميين بدين العراقيين القدماء وتقديسهم لهذه الأرباب . وفي الوقت الذي شاعت به أسماء الأرباب نركال وأيا ونينكال وأنونيتوم في العصور الأولى عمت في العصر العيلامي الوسيط أسماء الأرباب أداد ، نابو وشالا في الأسماء الشخصية كما وضعت تماثيل هذه الأرباب مع تماثيل الآلهة العيلامية في المعابد . وفي زمن الملك اونتاش خوبان كان لبعض الأرباب العيلامية مزاراتها الخاصة في المدينة التي شيدها (دور اونتاشي) . ونعرف عن ارسال الملك تا ماريتو المعاصر لآشور بانيبال لثلاث جياد مزينة للربة عشتار في أوروك لجر عربتها في الاستعراضات الدينية . وفي زمن الملك أونتاش خوبان تعاظم مركز الربة أوبور كوباك واشمة كاراب . وبنى للأولى معبدا في شوشة ومزارا في مدينة شالو ليككي وكرس معبدا لها في دور اونتاشي ومن الأرباب العيلامية الأخرى نابير (القمر) المعروف بأب اليتامى وخيشميتيك ، روخوراتير ، بيلالا ، نازيت ، شيا شوم ، سونكير- ريشاررا ، ريلا خسوبير وشوشموشي .

لم تبق آثارا لأي معبد عيلامي حتى يمكن التعرف على خطته ومعالمه ولكن صور الاختام الأسطوانية توضح كون المعبد العيلامي كان عالياً مستطيل الخطة شيد على أساس مدرج بواجهة مزينة بأشكال المحاريب . وأهم المعالم المميزة للمعبد ثلاثة قرون كبيرة تبرز من جدرانه على الجانبين وهو جزء هام للمعبد العيلامي وحوى المعبد في الداخل على تماثيل الأرباب والعائلة المالكة . وكانت في شوشة زمن مملكة أوان والعصر الأكدي قلعة ذات منطقة مقدسة . وان ما يعرف بالمعبد العالي ربما كان مزارا كثير التزيينات تعتليه أزواج من القرون المقدسة . وكانت الأضاحي تقدم الى تماثيل الأرباب والملوك بصورة دائمية ومن مناسبات الأضاحي الطقوسية في عيلام عيد الربة المعروفة بسيدة القلعة عند ظهور الهلال في بداية الخريف . . وخصص يوم ٢٥ آذار للرب سيموت حيث يذبح ثورا في هذا اليوم على شرف الإله . ومن وقت

مبكر كان للمعابد العيلامية كهنة لا نعرف الآن أي شيء عن تنظيماتهم . وقد كانوا حسب ما يظهر يؤدون المراسيم الدينية وهم عراة يحملون حملا متوجا بزوج من الأفاعي . وكان لهم كهنة مختصون بالوحي كما امتلك الكهنة الأراضي الواسعة . وكل طقس كان يسبقه وضوء بالماء وقد اكتشفت في شوشة الكثير من الأحواض المزينة(١٧) . ودفنوا موتاهم خلال الألف الثالث ق . م . بتوابيت طينية . وكانت الجمجمة مغطاة بقطعة من القماش طرزت بأوراق الذهب والفضة أو البرونز واشتملت محتويات القبور على الأوعية المختلفة المزينة والأساور والأقراط والأختام الاسطوانية والأوزان والتماثيل الطينية . كلها تدل على اعتقادهم بحياة أخرى بعد الموت لا نعرف عنها شيئا وفي الغالب أنها تماثل الاعتقاد العراقي القديم بهذا الخصوص . وقد أخبرنا الملك آشور بانيبال بأنه قد نبش قبور ملوكهم حتى تخرج أشباحها لملاحقة الأحياء وانزال الأذى بهم وهو اعتقاد مماثل لما كان يعتقده العراقيون القدماء .

الفــن

لنا أن نعرف بأن الفن العيلامي مثله مثل أي وجه من أوجه الحضارة العيلامية لم يكن بالأصيل بل معتمد على الحضارة العراقية الأصيلة القريبة منه . ومن القطع الفنية الأولى منحوتة حفرت على واجهة جبل في جنوب انشان غرب قصبة فهليان تعرف باسم منحوتة كورنجان التي تعود الى نهاية الألف الرابع ق . م . ونرى بالقسم الرئيسي من المنحوتة زوجا من الأرباب (ربما الاله خومبان والربة العظمى بينكير) بالقبعات ذات القرون مع خمسة متعبدين بثياب طويلة وأيد مرفوعة . ويجلس الاله الملتحي على حية ملتفة يمسكها بيده اليسرى في وقت يصب فيه ماء الحياة من وعاء يمسكه بيده اليمنى . وأمام الأرباب هناك مذبح وهناك صور استعراض للمتعبدين (حوالي الأربعين) على جانبي سلم وهم حالقي الوجوه عدا واحدا منهم قد يكون رئيسهم . وتقدم لنا هذه المنحوتة نوعا من العبادة العيلامية كما يظهر التأثير السومري في تصوير الأرباب بقبعاتهم ذات القرون والاناء الفوار بماء الحياة .ومن القرن الرابع

عشر ق .م .وصلنا تمثال برونزي مهشم الرأس وبذراع واحدة للملكة نابيراسو .
وقد صنع التمثال بالطريقة العراقية بأيد موضوعة على بعضها عند الخصر وتظهر به براعة الصانع حقا .ولولا وجود اسم الملكة عليها لكان من الصعب اعتباره قطعة عيلامية . ومن القطع التي وصلتنا نصب الملك اونتاش خوبان عثر عليه في شوشة والآن في متحف اللوفر ويتألف النصب من بضع صفوف منفصلة عن بعضها يصعب معرفة تفاصيلها لتهشم النصب نرى في طبقة ثلاثة رجال في وضع مواجه وفي طبقة أخرى رجل بالقبعة ذات القرون يمسك بحيتين كبيرتين وفي الثالثة رجل ملتح بالقبعة ذات القرون يقف أمام شجرة . وفي منحوتة برونزية ترجع للربع الأخير من الألف الثاني ق .م. نرى رجالا محاربين بثياب تصل الى الرضفة يحملون في اليد اليمنى ما يمكن أن يكون سلاحا في وقت تركت به اليد الثانية مسترسلة . والتأ ثير العراقي واضح في هذه المنحوتة أيضا . وهناك القطعة النذرية البرونزية التي عثر عليها في شوشة لشيلهاك انشوشيناك (٦٠ × ٤٠سم) والتي في الغالب تصور طقسا دينيا . ففي الوسط نرى شخصين يواجهان بعضهما خلف أحدهما جرة كبيرة وقربها ما يمكن أن يكون حوض ماء . وفي النهاية القصوى منها نصبين صغيرين يمثلان المعابد أحدهما ذا طبقة واحدة والثاني بطبقتين . وأمام النصب الكبير هناك أربع قطع ربما هي مذابح صغيرة للأضاحي .

وقد وردتنا تماثيل أسس منها تمثال من البرونز لرجل يحمل حمامة بيديه الموضوعتان على بعضهما ويلبس ثوبا طويلا وشعره عار محلوق وأعين واسعة . ومن منحوتات القرن الثالث عشر ق .م. البرونزية تمثال رجل يرتدي ثوبا طويلا واحدى يديه مرفوعة وأخرى على الخصر . ثم التمثال الذهبي الصغير (ارتفاعه ٦٣سم) الذي عثر عليه في شوشة بالثوب الطويل الكثير الزركشة وبلحية وشعر ورأس مؤسلبان وأعين واسعة يحمل بيده غزالا بقرون طويلة . ومن القطع المعدنية الأخرى الحمامة الذهبية المطعمة بالذهب الموجودة في متحف اللوفر وأخرى لقنفذ .

ولنا أن نذكر المنحوتة الصخرية التي أمر بصنعها الملك كوتيرانشوشيناك في

شوشة بالربع الأخير من الألف الثالث ق . م . والتي تصور الآلهة انشوشيناك جالسا على ركبتيه وعلى رأسه القبعة ذات القرون ماسكا بيده شيئا يستقر على الأرض . وصورت خلف الاله امرأة بثوب طويل وأيديها مرفوعة بالدعاء قد تكون الربة ناروندي وفوق الاثنين هناك حية ملتفة ضخمة . وعثر في جوخة زنبيل على منحوتة للملك اونتاش خوبان الآن في متحف اللوفر . والمنحوتة مؤطرة بحيتين طويلتين ملتفتين . وفي القسم الأعلى الملك وأيديه مرفوعة الى ربة جالسة تلبس القبعة ذات الثلاث أزواج من القرون . وفي القسم الثاني صور الملك مع الملكة نابير اسو . وفي القسم الأسفل صورت بعض الأشكال الحافظة الشبه المقدسة أحدهما برأس تزينه زوج من القرون وتمسك بيديها الاناء الفوار يخرج منه مجريان للماء . وفي القسم الأسفل مخلوق شبه مقدس بلحية طويلة مستطيلة الشكل وشعر مسترسل على الكتفين وينتهي جسمه بذيل .

وقد اكتشف في موقع جوخة زنبيل زقورة يرجع بناؤ ها الى القرن الثالث عشر ق . م . شيدت بالطراز التقليدي المتأثر بالعراق . هذا وان زقورة شوشة التي شيدت في المنطقة المقدسة من قلعة المدينة لا بد وان كانت تماثل زقورة جوخة زنبيل . وتؤكد الكتابات هذه الحقيقة . وتختلف زقورة جوخة زنبيل عن الزقورات العراقية في جملة أمور منها وجود سلم واحد على كل واجهة من واجهاتها الثلاث مع بوابات ضخمة تقع خلفها السلالم التي تسير خلال ممرات معقودة في الداخل . وتوضح هذه الظاهرة مع أخرى سنذكرها استقلال المعمار العيلامي في خطته . وقد كرست زقورة جوخة زنبيل الى الالهين خومبان وانشوشيناك وكان لكل منهما مصلى خاص به . وأخبرنا الملك أونتاش خوبان بأنه شيد زقورة دور اونتاشي بالطابوق المطعم بالذهب والفضة وبالمرمر والزجاج البركاني الأسود . وهناك الكثير من الطابوق المكتوب الذي نقرأ فيه عن مزارات مكرسة الى عدة أرباب منها أشمة كاراب ، كريرشا ، بينكير ، خومبان وشيموت . . . الخ ، وان زقورة دور اونتاشي مربعة (١٠٥ مترا عند كل جانب) ويحيط بها من القعر نوعا من الأساس ارتفاعه مترا واحدا وعرضه ثلاثة أمتار ربما

لحماية الزقورة من الرطوبة وفوقها شيدت الطبقات الأربع وتدعم الأخيرة منها منصة ثم المعبد العالي فوق الزقورة . وارتفاع الطبقة الأولى ٨٠ مترا والثانية ١١/٥٥ مترا وربما كانت الطبقتين الأخيرتين بنفس هذا الارتفاع وبذلك يكون ارتفاع الزقورة حوالي ٤٣ مترا وقد يكون مجمل الارتفاع ٥٢/٦٠ مترا. وشيدت الطبقة الأولى بخطة مختلفة عن الطبقات الأخرى . وهناك سلسلة من السلالم داخل الزقورة تصل ما بين مختلف أجزائها . وكان للزقورة ميازيب لتصريف مياه الأمطار . وأحيطت الزقورة من الخارج بممرات عريضة . ونجد في الزقورة ١٤ مربعا صغيرا ناتئا مكونة من خمس طابوقات تشكل الأولى القمة وتواجه السلم الجنوبي الشرقي لا نعرف الغاية منها ومن الصعب أن تكون مناضد أو مذابح للأضاحي نظرا لصغرها وضعفها ، وعلى الجانب الشمالي الغربي هناك ثلاث معابد الأول للرب خوبان يربطه ممر ببوابة كبيرة تطل على الطريق الخارجي . والمعبدان الآخران للربات اشمة كاراب وكريرشا . وعثر في الزاوية الشرقية على بقايا أربع معابد كرس الأول الى الربة بينكير والثاني الى أداد - شالا والثالث الى شيموت ونين أورو والرابع الى جماعة نابراتيب المقدسة وكان لمدينة دور أونتاشي سورا خارجيا مربعا (١٢٠٠ × ٨٠٠ مترا) ثم سور آخر داخله آخر يحوي الزقورة . وبين السور الثاني للمدينة وسور المعبد الخارجي تقع المدينة . وقد عثر فيها على آثار ثلاث قصور وبعض البيوت الخاصة وبضع مقابر خاصة . والقصر الأول ضخم وجدت به بعض الحاجيات الجميلة وتطل غرفه على ساحة . وتهبط بعض السلالم الى غرف تحت الأرض أخفيت أبوابها بكل اتقان . ويظهر ان القصرين الآخرين أكثر سعة من الأول فكل منهما يحوي على ساحتين واسعتين تطل عليها شقق بكل منها غرف عدة أحدها كان حماما . والى الجنوب الغربي من القصر الأول عثر على بناية دينية مكرسة الى الاله نوسكوبنيت على شكل الحرف ت بالانكليزي وفي القسم الشمالي من موقع شوشة عثر على بضع بنايات تضم طقس سيدة الجبل وقد شيد المعبد على منصة مربعة الشكل تقريبا (٢٥ مترا لكل ضلع) . والمزار الرئيسي فيه (١٦× ٨مترا) تؤدي اليه غرف عدة ذات أبعاد متباينة . وعلى

النهاية الغربية من ممر عريض يقع قدس الأقداس . وفي المعبد ساحة وأحواض مستطيلة والى الغرب من التل يقع معبد انشوشيناك الكبير (٤٠ × ٢٠متراً) يحيطه خندق عمقه ثلاثة أمتار وساحة المعبد نفسه (٧٠/ ٢٠ × ٥٠/٨متراً) ثم المعبد الداخلي (٨ ×٥ متراً) ويظهر أن هناك ساحة واسعة أو ممر على الجانب الشرقي حيث يقع المدخل في الغالب وباتجاه الشرق نرى بناية أخرى مربعة مزينة بالطابوق المزجج . ويظهر أن هناك معبد آخر باتجاه الجنوب الغربي وجدت به أسس الكثير من الأعمدة المختلفة . وفي الأختام ولع العيلاميون في تصوير المخلوقات الوحشية والضخمة المختلفة الأنواع والأشكال وأحياناً رسموا حيوانات اعتيادية في وضعيات شاذة . وترجع هذه المواضيع الى عصر جمدة نصر بدليل الألواح المدونة بالكتابة الشبه عيلامية . وتظهر طبقات لاختام من شوشة والوركاء الكثير من التشابه في التفاصيل . ومن الصور التي نراها في أختام الألف الرابع ق .م . تلك لصيد أسد نرى فيها الصياد عاري الجسم يحمل رمحاً بيده اليمنى ويمسك باليد اليسرى فروة الأسد وأمام الأسد معزاة واقفة . وفي ختم آخر نرى صورتين متماثلتين لحيوان في قارب وتحته سمكة وأخرى تصور منظراً نهرياً وأخرى ثورين مختلفي الحجم مع صليبين وختم آخر مزين بعقربين وما يمكن أن تكون فاكهة الرمان أربعة في العدد . وهناك ختمين يصور أحدهما عمالاً يصنعون أوعية فخارية من ذوات الأيدي والأخرى لأوعية فخارية مختلفة واحدة بثلاث أفواه واناثين فوارين وزمزميتين . ويصور ختم آخر مخزنين للحبوب اسطواني الشكل بقمة مخروطية وشخص عاري الجسم يصعد على احداها بسلم وآخر جالس . وفي ختم نرى ماعز وذئب مسرع وماشية هاربة (ربما من الذئب) . وحوت أختام الألف الرابع ق .م . أيضاً أشكالاً معينة وصلبان ودومينا وخطوط منكسرة ودوائر ومثلثات ومربعات . . الخ . ويظهر أن الفنان العيلامي كان يميل الى الرمزية وتصوير الحيوانات بشتى الأوضاع والحالات وحتى إظهارها وهي تؤدي أعمالاً يقوم بها البشر .

وفي ختم من الالف الثالث ق. م. من موقع شوشة نرى اربابا على ظهور

حيوانات وهو موضوع نراه ايضا في صور الاختام العراقية . وتظهر الفروق في عمل الهلال والنجمة والغرفين والانسان الثور والعقرب ذو الرأس البشري التي هي اقرب في العمل الى الصور الشائعة في اختام سالفة من عيلام . ومن العصر البابلي القديم اتتنا سلسلة من الاختام التي رسمت صورها في الاسلوب البابلي للمناطق المتاخمة للعراق . وتظهر بينها حتى مواضيع عراقية صرفة امثال شماش وأي والعفريت برأس الاسد والقزم ذو الساقين المقوسين وغيرها .

الاقتصاد

اتبع العيلاميون تقويما متأثرا كل التأثر بالتقويم العراقي خلال السيطرة الاكدية على شوشيانا وحتى اسماء شهرين على الاقل مماثلة لاسماء الاشهر العراقية القديمة . وفي الحقل الاقتصادي مارس العيلاميون الصيد حيث نراهم مصورين في الاختام الاسطوانية يصطادون مختلف انواع الحيوانات اقواسهم وسهامهم ورماحهم سواء اكانوا عراة او ساترين الجزء السفلي من اجسامهم . ومن الحيوانات التي اصطادوها كانت الوعول والخنازير الوحشية والغزلان الحمر الخ . كما اصطادوا الاسماك والسلاحف ومارسوا الرعي فساقوا الماشية والماعز الى المراعي وحفظوها في زرائب واستفادوا من منتوجاتها . كما زرعوا مختلف المحاصيل الزراعية والفواكه واستعملوا المناجل والمعازق ذات الثلاث شعب وحفظوا حبوبهم في مخازن شيدوها من الطين على شكل قبب . وقدمت لنا الاختام الاسطوانية خير دليل عن الفعاليات والمهن التي زاولوها العيلاميون . فقد عرفوا الكثير من الصناعات كالتجارة وعمل الفخار . . الخ ومارسوا المهن المختلفة . وقد اخبرنا جودية حاكم لكش بانه احضر صناعا من عيلام للعمل في المعبد الذي شيده للاله نينكرزو مما يدل على براعة العمال العيلاميين وشهرتهم ، وتدل صور الاختام على مشاركة المرأة للرجل في الكثير من الصناعات امثال الحياكة وصنع الفخار والخبز .

وكانت عيلام تشكل الطريق الذي يربط تجارة العراق بالشرق الى جانب كون عيلام نفسها مصدرا للكثير من المواد التي يفتقر لها جنوب العراق كالصخور والاخشاب والمعادن .

الادارة والقانون

كان النظام الاداري في ايران اتحادا فيدراليا منذ اقدم الازمنة المعروفة ويظهر ان هذا النظام كان عمليا لتماسك مختلف اجزاء عيلام وهي سهل شوشيانا ومنطقة السلاسل الجبلية والوديان في منطقة انشان . وكان على رأس الاتحاد العيلامي هذا حاكم يحكم على عدد من الامراء التابعين له . والى جانب الملك كان يقف وكيله وهو عادة اخوه الذي سيخلفه على العرش لان نظام ولاية العهد العيلامي يستند على خلافة الاخ لاخيه الملك الحاكم ولم يتغير هذا النظام لمصلحة ابن الملك الاكبر الا في العصر العيلامي الوسيط .

وكان رأس الاتحاد العيلامي يحكم من العاصمة شوشة بينما كان وكيله يحكم في مدينة سيماش (ربما خورم آباد) . اما منطقة شوشة (عدا المدينة) فقد كانت عادة بيد ابن الملك او ابن اخيه او اخته ان لم يكن له وريث ذكر . وكان الثلاثة (رأس الاتحاد العيلامي في شوشة واخ الملك في شماش وابن الملك امير شوشة) يكونون الحكام الثلاثة الاعلون في بلاد عيلام . ويسكن رأس الاتحاد وامير شوشة في مدينة شوشة ، وكانوا حسب ما تظهر الكتابات يقومون بالاعمال العمرانية بهذه المدينة سوية ويتعاونون ويخلف الوكيل رأس الاتحاد العيلامي على العرش .

وفي المجال القانوني لم يرد لنا اي قانون من عيلام شبيه بالقوانين العراقية القديمة امثال تلك لاورنمو ولبت عشتار واشنونة وحمورابي الخ . ولكن هناك اشارات تدل على ان العيلاميين كانت لهم قوانينهم التي لم تردلنا بعد . ولقد وردتنا الكثير من الوثائق الشرعية وعلى الاخص من شوشة وملامير . ويظهر ان النظام الشرعي

لعيلام كان في الاصل مدونا متأثرا بالقوانين المرعية في العراق . ونقرأ اشارات كثيرة الى ما يسمى (الطرق الشرعية للارباب انشوشيناك واشمة كاراب) واحيانا نقرأ عن كون انشوشيناك هو الاله الوحيد المسؤ ول عن هذه المسالك القانونية . والواضح ان هذه الطرق الشرعية للاله ذات علاقة بكهنة معبد ذلك الرب او تلك الارباب .
والى جانب القانون المقدس للمعبد كان هناك في عيلام القديمة قانونا مدنيا مرتبط بالملك الحاكم (رأس الاتحاد الفيدرالي العيلامي) وامير شوشة . وقد عثر على لوح مهشم في شبوشة قد يشير الى وجود قانون مدون خاص بالاراضي . وهناك ما قد يشير الى تطبيق القانون البابلي في شوشة خلال العصر البابلي القديم . وكانت الاتفاقات محترمة في عيلام واي مخالفة لها قد تعرض المخالف الى حرمانه من حماية الاله انشوشيناك او اشمة كاراب (كيتين) وحتى الارباب الاخرين . ونقرأ في نص (الذي يخالف الاتفاق سوف يطرد خارج منطقة شيلخاخا وسيوي خالار خوبباك وكودوزولوش بان انشوشيناك ملك شوشة سوف يهلكه) ومنذ العصور الاولى نقرأ عن محاكم كل القضايا وفض المنازعات بين الافراد . وعلى المتنازعين جلب الشهود ثم قسم اليمين بالارباب . وفي وثيقة نقرأ كيف ان أقيشونو قد اقسم امام ٣٤ شاهدا داخل معبد الربة عشتار (ربما قصد الربة نارونديي) ومن ارباب الحق والعدالة في عيلام الى جانب اشمة كاراب وانشوشيناك كان الاله ناخونتي . وحقل الاله الاخير كانت التجارة ووضع الاسعار ومراقبة الاوزان . وربما كانت تعقد المحاكم في ساحة معبد هذا الاله التي قد تمت الاشارة اليها ببستان رب الشمس ناخونتي .
وفي العادة يحكم مستشارا حاكم البلدة في القضايا التي تجلب امام المحاكم . وقد وردتنا اسماء بعض الحكام الذين منهم خابيل ـ كونو . وفي الحالات التي يبت بها الحكام فان مستشاري الملك يشكلون ما يمكن ان تكون محاكم استئناف . واحيانا يمكن ان تقدم الشكاوى راسا الى الحكام والتي نجدها تافهة في بعض الحالات . وعهدت الحالات المدنية في عيلام الى حكام مدنيين ويظهر الكهنة هنا كشهود . وفي شوشة كان القسم يؤ دي بالملك الحاكم او بالاله . وان القسم بالملك كان المفضل في

قضايا الاقراض واتفاقات التقسيم والبيع والمبادلة . وربما كان هناك تلاقي معبد الرب ناخونتي يتم القسم به ونقرأ عن عقوبات تفرض على من يخالف الاتفاقية المعقودة امثال قطع اليد واللسان او دفع غرامات فادحة وفي حالات التبني والارث والهبات فان العقوبة المعروفة هي الاغراق في النهر .

ونعرف ان العيلاميين كانوا يفضلون الاخ على الابن في الارث . ويمكن ان يقدم العيلامي اموالا غير منقولة (اثاث وحاجيات) او اراضي وممتلكات كرهن للحصول على كمية من المال وفي بعض الحالات يمكن للمقرض ان يستثمر الملك او الشيء المرهون لديه ، ويظهر ان حالة المرأة العيلامية كانت احسن من جارتها العراقية . ففي العصور الاولى لم تكن تتمتع بحقوق متساوية نظرا للتأكيد على الاخوان الذكور في الارث . ولكن في العصور التالية اخذت حالتها في التحسن والحصول على حقوق مساوية حتى صرنا نراهن يحصلن على حصص متساوية لما يأخذه اخوانهن في الارث . ونعرف عن ظهورهن في المحاكم كشهود .

1. Ghirshman, Iran, Op. Cit., p. 50.

2. W. F. Albright, and T.O. Lambdin, "The Evidence of Language, CAH, Vol. 1, Part 1, (Cambridge, 1970), pp. 154-155.

3. W. Hinz, Persian, C. 2400-1800 B.C., CAH, Vol. 1, Part 2, (Cambridge, 1971), p. 644.

4. W. Hinz, "Zur Entzifferung der elamischen Strichschrift, Iranica Antique, Vol. 2, (1962), pp. ff.

5. S. N. Kramer, From the Tablets of Sumer, (Indian Hills, 1956), pp. 14-25.

6. Ibid, pp. 232-234.

7. Ibid, pp. 237-238.

8. George Barton, the Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, (RISA), (New Haven, 1929)-, p. 124.

9. George G. Cameron, History of Early Iran, (Chicago, 1936), p. 24.

10. F. W. Koenig, Corpus Inscriptionus Elamicarum, 1, Die Altelamischen Texte. Tafeln No. 3 (Hanover, 1923); W. Hinz, Elam Vertrag mit Naram Sin, ZA, Vol. 58 (1967), pp. 66 ff.

11. Hinz, Persia C. 2400 ... Op. Cit., p. 654.

12. Ibid, pp. 644-662.

13. Walther Hinz, Persia C. 1800-1550 B.C., CAH, (Cambridge, 1964), pp. 3-18.

14. Rene Labat, Elam C. 1600-1200 B.C., CAH, (Cambridge, 1963), pp. 3-13.

15. Rene Labat, Elam and Western Persia C. 1200-1000 B.C., CAH (Cambridge, 1964), pp. 3-14, 21-24.

16. Labat, Elam C. 1600, Op. Cit., pp. 23-40.

17. Hinz, Persia C. 2400 ... Op. Cit., pp. 662-673.

18. Hinz, Persia C. 1800 ... Op. Cit., pp, 18-35.

George Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad (New Haven, 1929), p. 124.

9. George G. Cameron, History of Early Iran (Chicago, 1936), p. 35.

10. F. W. König, Corpus Inscriptionum Elamicarum, I: Die Altelamischen Texte, Tafeln (Hannover, 1926); W. Hinz, [illegible] ZA, Vol. 58 (1967), pp. [illegible]

11. Hinz, Persia c. 1800 [illegible], Op. cit., p. [illegible]

12. Ibid., pp. 644-[illegible]

13. Walther Hinz, Persia c. 1800-1550 B.C. (CAH, Cambridge, 1964), pp. 5-18

14. René Labat, Elam c. 1600-1200 B.C. (CAH, Cambridge, 1963), pp. [illegible]

15. [illegible], Elam and Western Persia c. 1200-1000 B.C., CAH (Cambridge, 1964), pp. 3-14, 21-24.

16. Labat, Elam c. 1600 [illegible], Op. cit., pp. [illegible]

17. Hinz, Persia c. 1800 [illegible], Op. cit., pp. [illegible]-673.

18. Hinz, Persia c. 1800 [illegible], Op. cit., pp. 18-28.

1. Ghirshman, Iran [illegible]

الفصل الثالث

الهجرات الهندو اوربية ومناطق استقرارها

كانت الاقسام الجنوبية الغربية من قارة آسيا مسرح النشاط البشري المتحضر منذ الألف الرابعة ق . م . ، وكان العراق ، وبخاصة اقسامه الجنوبية من بين الاماكن البارزة في هذه الاقسام .

وفي منتصف الألف الثالثة ق . م . شهدت الاقسام الغربية لقارة آسيا قدوم موجات بشرية انحدرت من سهل اواسط آسيا ، وعلى الارجح من منطقة ايرانويج الواقعة ما بين نهري سيحون وجيحون ، في المنطقة التي تقع فيها مدن خوارزم وسمرقند وغيرها .

ونعرف هذه الاقوام باسماء متعددة معظمها اصطلاحية وهي الاقوام الهندو اوربية او الهندية الآرية ، والآرية والايرانية .

بينما ترى وجهات نظر اخرى بان منطقة القبائل الهندية الاوربية هي القفقاس ، وانهم استقروا بادىء الامر حول بحيرة اورميا ، ومنها انتشروا جنوب المناطق المجاورة ، وان من ابرز مجاميع هذه القبائل هم الميديون والفرس .

وبدأ اثر هذه الاقوام واضحا في الاحداث التاريخية والحضارية لعالم الشرق الادنى القديم مع منتصف الالف الثانية ق . م . من خلال الدولة الميتانية ، وبحدود منتصف الألف الاول ق . م . تنجح هذه الاقوام في قيادة عالم الشرق الادنى القديم سياسيا وحضاريا .

ونعرف في الوقت الحاضر ثلاث هجرات رئيسية لهذه الاقوام ، تتوزع زمنيا ومكانيا بشكل متفاوت . فاقدم الهجرات زمنيا هي موجة الميتانيين الذين نجحوا في

اقامة دولة قوية شملت المناطق الوسطى والشمالية لزاكروس وامتدت غربا الى الفرات . كما استقرت جماعات منهم في هضبة الاناضول ، وسيطرت على سكان المنطقة الاصليين الذين عرفت بلادهم باسم « بلاد خاتي او حاتي » ونجحوا في حدود القرن الثالث عشر ق . م . في تأسيس واحدة من الدول المعظمة التي عرفها الشرق القديم ، وهي امبراطورية الحثيين (وسيتناول هذا الكتاب موضوع الحثيين بالتفصيل في القسم الثاني منه) وتسبب نمو الحثيين السياسي والعسكري في انهاء حكم الدولة الميتانية بحدود القرن الرابع عشر ق . م . وربما خرجت مع هاتين الموجتين مجموعات اخرى ، لكنها تبعثرت في مناطق نائية متباعدة عن بعضها . ولم يكن لها نصيب في الاحداث السياسية المعظمة التي قامت في مناطقها في فترات تاريخية لاحقة . وللموجة الاولى من الاقوام الهندية الاوربية ينتسب الكاشيون ، الذين نجحوا في استلام مقاليد السلطة السياسية في العراق بحدود القرن السادس عشر ق . م . ، وبقوا يحكمونه حتى القرن الثالث عشر عندما نجح الاشوريون في انهاء حكم الدولة الكاشية وإقامة الدولة الموحدة القوية في تاريخ العراق القديم بزعامة الاشوريين .

ان ابرز نقاط الاشتراك بين الكاشيين والميتانيين والحثيين والتي تكشف عن اصولهم المشتركة هي عبادتهم لالهة مشتركة تعرف باسم ميثرا وفارونا واندرا .

كذلك يرتبط تاريخ الخيل والفروسية في الشرق الادنى القديم بظهور هذه الاقوام وانتشارها وبناء ممالكهم ، مما يرجح انهم كانوا وراء جلب الخيول وشيوع استخدامها فيما بعد في المنطقة . ويعود لهم الفضل ايضا في نشر استخدام الحديد والاسلحة الحديدية ، حيث كان بفضل الخيل والاسلحة الحديدية ان حقق الهنود الاوربيون تفوقا في سوح المعارك .

ولكن القاسم المشترك الاعظم الذي تلتقي عنده مجموعة الشعوب الآرية (بموجب اسم موطنها الاصلي في اقليم ايرانوفيج) او الشعوب الهندية الايرانية (بموجب اسم الاقليمين الرئيسيين لنزوح هذه الاقوام وهما ايران والهند) او

الشعوب الهندية الاوربية (بموجب ابعد الاقاليم التي بلغتها هجرات هذه الشعوب وهما الهند واوربا)، هي الاصول المشتركة للغاتها التي تتوحد في عائلة لغوية كبيرة تعرف باسم عائلة اللغات الهندية الاوربية او الهندية الايرانية .

كما ان بعض فروع هذه الهجرات تأثرت بلغات المراكز الحضارية التي انتقلت اليها ، فنست لغتها وتكلمت وكتبت بلغة وكتابة المركز الحضاري المسيطر في المنطقة ، ومن هؤلاء الميتانيون الذين تكلموا بالحورية ، وهي اللغة التي تأثرت كثيرا بالبابلية ودونت بالخط المسماري العراقي القديم . وكذلك الكاشيون الذين ذابوا لغة وحضارة في تراث الحضارة العراقية القديمة ، حتى انهم نسوا تدريجيا اسماء ابائهم واجدادهم ، واخذوا يتسمون باسماء بابلية كما هو حال اسماء اواخر حكام الكاشيين . ولكن بعض هذه الاقوام تركت بعض الاثار اللغوية على جيرانهم ، مثال ذلك بعض المفردات الميتانية عند الاشوريين .

ومن فروع عائلة اللغات الهندية الاوربية والهندية الايرانية التي تفرعت عنها معظم لغات هذين الاقليمين القديمة منها والحديثة ، ومن فروعها ايضا الحثية والأرمنية والهلينية (لغة الاغريق) والسلافية والايطالية والجرمانية . وقد عاشت كل من هذه اللغات سلسلة طويلة من التغيرات بسبب ظروفها الجديدة وواقع الاقاليم التي هاجرت اليها والواقع الحياتي لهذه الاقاليم التي اصبحت الموطن الجديد لهؤلاء الوافدين .

اما عن سبب هجرة هذه الاقوام ، فلا نعرف جوابا محددا ودقيقا ، لان منطقة استيطانهم الاصلية تعد الآن واحدة من المناطق الخصيبة الكثيرة الخيرات ، سواء كانت في اقليم ما وراء النهر او القفقاس ، كما ان تحركات هذه الاقوام صادفت في طريقها مواطن خيرات وخصوبة ونماء مشهورة تاريخيا ، ومن ابرزها سواحل بحر قزوين ، وهذا يضعف حجة نقص الموارد الغذائية التي يتذرع بها بعض الباحثين لتفسير هجراتهم لذلك فالارجح ان مجموعة من العوامل حركت ودفعت بهذه الاقوام للهجرة ، وقد يكون احدها ظروفا جغرافية طارئة ، كان تأثيرها على الاقوام الرعوية

شديدا ، فدفعها للبحث عن مراع ومواطن خصب جديدة .

وتبرز ايضا من بين العوامل تعرض هذه الاقوام لضغط اقوام زحفت صوب مواطنها من ناحية الشرق ، وهي مجاميع القبائل البدوية التي استمر ضغطها على بلاد ما وراء النهر الى زمن كوروش الاخميني ، الذي نعرف انه بنى مجموعة من القلاع المحصنة على شواطيء نهر سيحون الجنوبية لحماية المنطقة من هجمات القبائل الطورانية (التركية).

ومن الاسباب الاخرى الجديرة بالانتباه ، والتي دفعت بهجرات القبائل الهندية الاوربية غربا وجنوبا ، مناطق الجذب الحضارية في الهند والشرق الادنى ، حيث تواصل الموروثات التاريخية تأكيدها على استمرار الصراع بين البداوة والحضارة . فقد كانت مراكز الحضارة القديمة تشكل على الدوام نقاط جذب قوية للاقوام البدوية بسبب خيراتها الوفيرة ومظاهر الاستقرار والحياة المزدهرة . لذلك ليس غريبا ان تتوجه الاقوام الآرية صوب هذه المراكز ، وهي الاقوام التي بقيت على حالتها المتنقلة الى مطلع الالف الاول ق . م . كما تخبرنا بذلك الكتابات الاشورية عند تعرضها لقبائل الفرس والماديين. ومن دفعات الموجة الاولى ايضا ، المجموعات التي انحدرت غربا ثم جنوبا وعبرت ممر بولان في جبال هندكوش لتستقر في مناطق الهند عامة وفي حوض السند بشكل خاص . وهم يمثلون الفرع الهندي من موجات الاقوام الهندية الاوروبية .

شهد حوض السند حضارة متقدمة منذ الألف الثالثة ق . م . تميزت بمعمارها وفنها ونظم اروائها ونشاطاتها التجارية التي بلغت في مدياتها البعيدة حد العراق القديم ولكن المراكز الحضارية القديمة في وادي السند في موهنجدارو وخرابا وغيرها تعرضت الى الغزاة الهنود في حدود القرن السابع عشر ق . م . الذين انهوا حكم ممالك المدن السندية القديمة .

اعقبت هذه الموجات التي غطت زمنيا الالف الثانية ق . م . ظهور موجات القبائل الايرانية التي بدأ ظهورها واضحا مع مطلع الالف الاول ، كما أثبتتها

مخلفاتها الاثرية في المقبرة (ب) في تبة سيالك قرب طهران ، كذلك اشارات النصوص الاشورية التي سنعرض لها عند الحديث عن الفرس والماديين .

اما آخر الموجات للاقوام الارية فهي قبائل الساكا التي تحركت صوب الغرب من موطنها الاصلي في حدود القرن الثاني ق . م . ، في الفترة التي نجح فيها مثريداتس الاول من تأسيس الامبراطورية الارشاقية (الفرثية) فانصهرت هذه القبائل في بوتقة الدولة الآرية الجديدة .

كانت بلاد ايران مسرحا رئيسيا لهجرات القبائل الارية ، حيث نجح بعضها من اقامة ممالك معظمة بل امبراطوريات شملت بحكمها معظم مناطق الشرق الادنى القديم وكانت الدولة المادية اقدم هذه الممالك ؛ اعقبتها الدولة الاخمينية ثم الفرثية (الارشاقية) واخيرا الساسانية .

المبحث الاول :

قيام الدولة المادية وبناء اكبتانا

اشرنا فيما سبق من حديث الى ان بداية الألف الاول ق . م . ، يؤشر ظهور موجة آرية (هندية اوربية) جديدة ، تمركزت هذه المرة في الاقسام الغربية من ايران وبمجيء هذه الاقوام الى ايران وبسبب تأثيرها تبدأ العصور التاريخية لايران القديمة بالقياس الى الفترات الطويلة التي سبقت الالف الاول ق . م . والتي تنحصر ضمن فترات ما قبل التاريخ في ايران .

ان اسم ايران مشتق من المصطلح الجغرافي والسياسي : ارينام خشاثرام امبراطور الآريين الذي اشتق منه اسم المجموعة السكانية ايراني . ان الكتابات الفارسية القديمة لا تذكر هذا الاسم ، ولكن اللقب الاداري ايران شهر الذي شاع استخدامه لاحقا يذكرنا بالشكل القديم للفظة كما ان كتابات الافستا تشير بدورها

الى لفظة Khshathram والتي تعني امبراطور .

اما عن اول استخدام مصطلح Ariana بمدلوله السياسي فقد جاءنا عن الجغرافي ايـراتوسثينس خازن مكتبة الاسكندرية ، بحدود منتصف القرن الثالث ق . م . ان اقدم الاشارات الى الاقوام الايرانية تلك التي زودتنا بها الكتابات الاشورية فمنذ عهد الملك شليمنصر الثالث (منتصف القرن التاسع ق . م .) يرد من بين القبائل الايرانية التي حاربها شليمنصر الثالث في المنطقة المحصورة ما بين بحيرة اورميا (رضائية) وبين السهول العالية لهمدان ، ذكر Amadai-Mada وتحدد النصوص الاشورية مناطقهم شرق مياه البحيرة ، وهم الميديون ويرد ايضا ذكر Parsuash-parsa وكانوا يتمركزون غرب بحيرة اورميا ، وهم الفرس .

واصطدم شمشي أدد الخامس في عام ٨٢٠ ق . م . باعدائه عند parsuash الى الجنوب من كرمنشاه .

وفي عام ٧٣٧ ق . م . يهاجم الملك تجلات بلاسر الثالث منطقة parsua ويستلم الجزية من الزعماء الميديين ، ويواصل زحفه عليهم الى شرق جبل Bikni جبل اللازورد ، الذي يعين بجبل دماوند حاليا شمالي طهران . ولكن هذه الاحداث تشير الى ان الميدين والفرس كانوا مستقلين عن حكم الدولة الاشورية . كما تبين هذه الاشارات مناطق انتشار القبائل الايرانية في الاقسام الغربية لايران وان بعض النصوص الاشورية لم تميز بين الفرس والميديين ، ولا بينهما وبين البارثيين الذين عرفهم الاشوريون على عهد سنحاريب واسرحدون . ومثل ذلك فعل الاغريق عندما استعاروا لفظة Madai لتشير الى جميع القبائل والاقوام الايرانية (يسمى هيرودتس الحروب اليونانية مع الفرس الاخمينيين بالحروب الميدية) .

ولكن اشارة الملك الاشوري سرجون الى لفظة parsuash بمعية اسماء مناطق اخرى ، تؤكد كونها اسم منطقة ، ويعني ذلك انها اكسبت بعض القبائل الايرانية التي استقرت فيها اسمها اللاحق (الفرس) .

ولم تكن القبائل الايرانية عندما عرفها الاشوريون لاول مرة اقواما مستقرة تماما

بل كانت لا تزال تعيش حياة الرعي دون ان تهمل شؤون الزراعة ، تتوزع في شعب الوديان الخصيبة لزاكروس ، وتقاتل عند الضرورة وراء زعيم لها من داخل قلعة حصينة وعندما تكرر النصوص الاشورية ذكرهم في نهاية القرن الثامن ق . م . على عهد سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق . م .) نلحظ من اشارات النصوص لهم تطورا كبيرا باديا على حياتهم ، حتى اننا نشخص معالم الدولة المتحضرة من بين ثنايا وصف الكتابات الاشورية لهذه الاقوام . لذلك نستطيع ان نعد الفترة من تاريخ كتابات الملك شليمنصر الثالث والى زمن كتابات الملك سرجون ، المرحلة الاولى لتاريخ الايرانيين بينما نؤرخ لبداية ظهور الدولة المادية مع تاريخ الكتابات السرجونية . ويمكننا ايضا تشخيص مناطق نفوذ هذه الدولة من خط سير حملة سرجون التي تركزت حول بحيرة اورميا وبعيدا عنها الى اذربيجان . وفي كل مكان من هذه المنطقة تشير نصوص سرجون الى مدن زاهرة وابنية ذات اعمدة وسقوف خشبية ، ويرد ايضا ذكر بعض الزعماء بمعية هذه المدن التي يتعذر علينا تشخيصها ، ومن بينها مدينة Ushqaya التي كانت تتميز باسوارها المنيعة وكان لبعض المدن سوران وخندق ، وكان سور احدى المدن عاليا بارتفاع ١٢٠ صف من الطابوق (حوالي ١٥ م) مع بوابات كبيرة مدعمة بابراج وقد صورت بعض هذه المدن في منحوتات قصر سرجون في خرصباد ، وهي معروضة اليوم في اللوفر .

ويبدو ان موقع سيالك القريب من واحة كاشان ، كان مستقرا لبعض هذه القبائل فقد كشفت لنا اعمال التنقيب في هذا الموقع الاثري الهام ، عن بناء شاخص فوق قمة تل اصطناعي يمثل مركز مدينة تضم مجاميع من دور السكنى عند حافة المصطبة وكان يحيطها سور مدعم بابراج .

وربما كان اسم هذه المدينة هو Shirkaki أو Shilka ki سيالك الذي اشار اليها تجلات بلاسر الثالث .

ولم يدفن سكان هذه المدينة موتاهم اسفل ارضيات الدور ، كما كانت العادة المتبعة من قبل ، بل شيدوا مقبرة واسعة خارج حدود المدينة المسورة .

والحقت ببناية القصر اقسام اخرى منها بناية قد تكون معبدا واقسام للسكنى .

ان تحصينات القصر والمدينة تشير الى الخطر الذي كان يتهددها والذي يفوق خطر المدن المجاورة ، وهو يشير الى تعرض هذه المدن لهجمات الاشوريين المتلاحقة لذلك شيدت بعض هذه المدن سوران او ثلاثة مع خنادق للحماية والدفاع . وقد تركت اوضاع الصراع بين دويلات المدن الايرانية وبين الاشوريين اثرها على تطور الاوضاع السياسية لايران ، واصبحت الوحدة السياسية لمجموعة هذه الدويلات او اي شكل من التحالف السياسي والعسكري امرا ضروريا لمواجهة قوة الاشوريين .

ونشطت مدينة سيالك وغيرها في اعمال الرعي والزراعة والتجارة وتكشف لنا مخلّفات القبور عن مستوى متقدم في النشاطات التجارية التي تركزت في تجارة المواد الثمينة كالذهب والفضة والاحجار الكريمة .

وعلى الرغم من اهمية التجارة في نمو اقتصاد هذه المدن ، وتطورها ، فقد بقيت الزراعة والرعي اساس الاقتصاد الايراني القديم حتى اواخر عهد الدول الايرانية المعظمة وقد لعب استخدام الحديد دوره في تطور الاعمال الزراعية منذ الألف الاول ق . م . ، او ربما يكشف لنا ذلك سبب تطور دويلات المدن الايرانية بالشكل السريع صوب الدول المركزية والامبراطوريات المعظمة .

ان مقبرة سيالك ـ ب ـ تشير الى نهاية وجود المدينة ، وتتضح في الطبقات الاثرية اللاحقة ، التأثيرات الاشورية القوية في اشكال الابنية والصناعات ، وهذا يشير الى ان القرن الثامن يمثل عهد السيطرة الاشورية الكاملة على هذه المدن . ولكن الاشوريين لم ينجحوا في تحويل هذه المناطق الى ولايات تابعة الى حكمهم المباشر وكان بسبب الحروب المستمرة بين الاشوريين وبين المدن الايرانية ، ان انتقل الاشوريون من استخدام العربات في الحرب الى استخدام الخيل ، وطوروا فرق الخيالة التي كانت اشد فاعلية في قتال المناطق الجبلية وممراتها ومنعطفاتها الضيقة ، كما ان هذا الاسلوب سمح للاشوريين بالتوغل بعيدا في ايران حتى انهم بلغوا جبل

دماونـد (جبل بكيني الذي اشرنا اليه قبل قليل) .

يعد تاريخ الميديين من اكثر الفترات المجهولة في التاريخ الايراني ، فقد عرفنا بدايات هجرتهم وبعض ملامح حياتهم وتطورهم السياسي وجوانب من حضارتهم المادية من خلال وصف واشارات الكتابات والمنحوتات الاشورية .

فالماذيون لم يطوروا طريقة للتدوين التاريخي ، بل نظروا الى احداث تاريخهم كجزء من تراثهم الاسطوري ، مما ادى الى ضياع التسلسل الزمني للاحداث .

ومن جانب اخر فان اعمال التنقيبات في المدن وبقايا الميديين قليلة بل نادرة مما تزيد من غموض المعلومات عن تاريخهم السياسي . لذلك نضطر للاعتماد على روايات المؤرخ اليوناني هيرودتس الذي تعد معلوماته عن ايران من اوسع المصادر القديمة .

تنقل الينا المرويات الاسطورية للميديين اسم سلالة يرتبط ذكرها باسم بيت نار اكبتانا Kavatakau وهي سلالة Kavi التي هي في الغالب السلالة التي سماها الاغريق بسلالة الميديين .

ويبدو ان هيرودتس نقل عن التاريخ الاسطوري للميديين ، ولكنه زود احداث ذلك التاريخ باشخاص حقيقيين عرف اسمائهم واخبارهم عن مؤرخين سبقوه .

يذكر هيرودتس ان مؤسس الدولة المادية شخص يدعى Deioces وعاصمته Agbatana ومن جانب اخر نعرف شخصا باسم دياكو تلقبه النصوص الاشورية بملك ، وقع اسيرا بيد سرجون الثاني الاشوري في عام ٧١٥ ق. م . وبعد عامين من هذا الحدث يطلق الاشوريون تسمية bit — Daiaakku على اكبتانا لذلك فان الاسم دياكو يشير الى لقب العائلة الحاكمة ، مثلما اصبح اسم اخمينيس لقبا فيما بعد للاسرة الاخمينية الحاكمة . وتشير بعض الدراسات الحديثة الى ان دياكو هذا كان واحدا من زعماء الميديين الذين انتصر عليهم الزعيم الاورارتي روساس الاول وهو ليس اكثر من زعيم احدى القبائل الميدية ولكنه كان يطمح لتحقيق وحدتها . ودياكو

هذا او ديوس يقابل Kavi في الافستاوهو Kayanids عند الفردوسي ، لذلك لا يرجح كونه مؤسس الدولة الميدية ، بل من المرجح انه الجد الاعلى للاسرة الحاكمة الميدية ، فسميت الدولة باسمه مثلما اصبحت العاصمة في الكتابات الاشورية تتبع اسمه ايضا .

وفي عام ٧١٤ ق.م. يستلم سرجون الثاني الجزية من شخص باسم Uaksatar(Cyaxares) واصبح الميديون يشكلون قوة لها حسابها في المخططات العسكرية للاشوريين . فسرجون يدعوهم الميديون الاقوياء .

وعلى عهد سنحاريب يهاجم كي اخسار الاول المقاطعات الاشورية (٧٠٢ ق.م.) ويلتقي الجيشان في معركة Khalule حيث يصطف فيها الى جانب الميديين قوات من بارسواش وانشان . ومن المرجح انهم كانوا بأمرة اخمين (هاخامانيش) مؤسس الاسرة الفارسية . وكان ابنه تسبس (Khishpish) ملكا على أنشان ولكنه كان يحمل لقب الملك العظيم ايضا .

ويبدو واضحا ان الفرس في هذه الآونة انحدروا جنوبا واستقروا في المنطقة الغربية من عيلام ، وربما كان ضغط الميديين سبب هجرة الفرس الى هذه المناطق وترد الاشارة من عهد اسرحدون الى لقب ملكي جديد هو Wamitiarsi وبالميدية Vahmyatarshah ـ فهم يتارشاه ، ومن مناطق متعددة وتلقبهم باللقب البابلي Bel — alani زعماء المدن اصبح لقب فهم يتارشاه ـ زعيم اوسيد مدينة الميديين . ويبدو ان هذا اللقب يشير الى مرتبة اعلى من لقب زعيم المدن وهو اشارة الى توحد القبائل بزعمائهم العديدين في دولة واحدة وبزعامة واحدة .

ونعرف من نصوص اسر حدون اسم زعيم عسكري هو Frvartish او Kashtariti وقد ورد اسمه ايضا في كتابات داريوس في بيستون ويوصف بانه قائد جميع الميديين وحلفائهم من السيميريين . ويبدأ بالسيطرة على المدن الواحدة تلو الاخرى ، ومن بينها المدينة التي تعرف صورتها على المنحوتات الاشورية . وكانت

خطواته العسكرية هذه تنال الدعم من قبل الفرس .

وبظهور هذا الزعيم الميدي والذي لعب دورا عسكريا متميزا ، يختفي اسم او لقب فهم يتارشاه ، الذي يبدو ان كبر سنه اعاقه عن مواصلة الزعامة العسكرية للميديين .

وعليه فان كي اخسار الاول ، الذي يلقب بفهم يتارشاه ، يعد المؤسس الحقيقي للدولة الميدية ، وهو الذي تسميه المصادر الاسطورية الميدية Kavi نسبة الى بيت نار العاصمة ، ويسميه هيرودتس نسبة الى اسم العائلة المشتق من اسم الجد الاعلى لها .

اعقبه في حكم الدولة الماذية Fravatish (فراورتيس عند هيرودتس) وان تاريخ تأسيس الدولة يجب ان يكون في حدود بداية عهد اسرحدون الذي ارسل وفدا لزيارة الملك ، وذلك بالاستناد الى رواية هيرودتس ، والتي يرجح انه اقتبسها عن مؤرخ سبقه هو Hecataeusوتشيررواية هيرودتس الى ان تأسيس الدولة المادية كان قبل انتصار كوروش على استياجز في عام ٥٥٠ ق. م. بـ ١٢٨ سنة ، ويعني ذلك اعتماد سنة ٦٧٨ ق.م. لبداية قيام الدولة المادية . ويشير علينا اللوح الذهبي المنسوب لأريارا منس بن تسبس بانه نجح بمعونة اهورامز دافي السيطرة على اقليم فارس وانشان وفي الوقت الذي منح فيه لقب « الملك العظيم ملك مدينة انشان « لاخيه كوروش ، تلقب اريارامنس بلقب « الملك العظيم ملك الملوك » ملك فارس ، ولكنه لم يتمتع بسيطرته هذه طويلا بل اخضعه الميديون الى حكمهم .

لم تكن القبائل الميدية الوحيدة على مسرح الاحداث في غرب ايران في مطلع الالف الاول ق. م. فان النصوص الاشورية واخبار هيرودتس تخبرنا باعداد القبائل الاخرى الكثيرة من اصول آرية ، التي كان لها نصيب كبير في احداث المنطقة ، ومنهم السيتيون ـ والكميريون والاشكوزيون بالاضافة الى مملكة اورارتو القوية . ولكن هذه القبائل والقوى تركزت وتجولت في الاقسام الشمالية الغربية من ايران وامتد تأثيرها وتحركها الى بلاد الاناضول وحتى الحدود القليقية ، فآشور بانيبال

يصطدم بالسيميريين عند قليقية ويبعثر صفوفهم .

ويزداد ضغط القبائل السيثية على مملكة اورارتو ، ويوثقون تحالفهم مع الميديين ضد الاشوريين .

والمهم ان الاوضاع السياسية والعسكرية بين الاشوريين وبين هذه القبائل وكذلك مع مملكة اورارتو ، قد تركت اثارها على مجرى التطور السياسي للميديين الذين كانت منطقة همدان وبحيرة اورميا مركز نفوذهم القوي في غربي ايران . وعليه فقد شهد التاريخ المادي علاقات تحالف سياسية وعسكرية بين الميديين وبين القبائل الايرانية الاخرى المنتشرة الى الشمال منهم ، وكذلك بينهم وبين الفرس الذين كانوا يشغلون المنطقة جنوب منطقة الميديين .

اما مملكة اورارتو فان اقدم معلوماتنا عنها ترجع الى القرن الثاني عشر عندما اصطدم الاشوريون بالعديد من امراء بلاد « نياري Nairi » ولكنهم نجحوا فيما بعد من توحيد بلادهم التي كانت تمتد صوب الشرق الى نقطة التقاء فرعي الفرات في تركيا ، وتضم منطقة بحيرة وان .

وينتمي الأورارتو الى نفس المجموعة البشرية التي ينتسب اليها الحوريون ، الذين كان لهم ايضا دورا ملحوظا في تاريخ الشرق الادنى القديم بحدود منتصف الالف الثانية ق . م . وذلك من خلال دولتهم ميتاني ، كما كانت الاقسام الشمالية لارض ما بين النهرين (منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات) مراكز استيطانهم الرئيسية .

وتقطع بلاد اورارتو سلاسل جبلية عالية ولكنها تضم سهولا واسعة خصيبة وفيرة المياه ، فهي بذلك منطقة زراعية وصالحة للرعي على نطاق واسع ، وكانت تربية الخيل تدر على ساكنيها واردا كبيراً . وان غاباتها الكثيفة وتوفر المعادن المختلفة في ارضها هيأ فرص التطور الجيد لسكانها .

وبسبب غنى المنطقة بالاخشاب والمعادن ، وقربها من العراق ، فقد نشطت التجارة العراقية معها منذ فترات مبكرة . ترجع الى زمن المستوطنة التجارية الاكدية

في « كول تبة » بحدود القرن الثالث والعشرين لذلك فان التأثيرات الحضارية العراقية واضحة تماما من بقايا مخلفات منطقة اورارتو .

وقد استقر الايرانيون عند نزوحهم الى ايران على اطراف هذه المملكة الفتية واقتبسوا منها الشيء الكثير . وبلغت مملكة اورارتو اعظم اتساع ونفوذ لها في اواخر القرن التاسع ومطلع الثامن ق. م. واخضعت لنفوذها مجموعة القبائل الايرانية ، كما امتد نفوذها ليشمل حوض دجلة الشمالي واعالي الزاب ومناطق جنوب بحيرة اورميا . وتعد مدينة مصيصير الواقعة عند الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة اورميا « واحدة من المراكز المحصنة والدينية التي بقيت تابعة الى مملكة اورارتو حتى عهد الملك الاشوري سرجون الثاني .

ويأخذ نفوذ مملكة اورارتو بالتقلص امام ازدياد نشاط الملك الاشوري تجلات بلاسر الثالث ، الذي نجح في توجيه ضربات قوية الى اورارتو ، وكاد في احدى حملاته ان يحتل عاصمتهم على بحيرة وان .

ومن الطبيعي ان يسيطر الاشوريون على المناطق المجاورة والقريبة منهم في زاكروس قبل ان يتوغلوا نحو الانحاء الشمالية الشرقية في قلب مملكة اورارتو ، لذلك تبدأ الاشارات الى الزعماء الايرانيين واسماء ماديا وفارس تتكرر في نصوص الاشوريين ، ومنها عرفنا مناطق تركزونفوذ الماذبيين والفرس وغيرهم من القبائل الايرانية .

وقف الميديون بجانب مملكة اورارتو في صراعها مع الاشوريين ، لذلك نالهم الشيء الكثير من الحملات العسكرية الاشورية ، وكانت اوضاع الحرب هذه احد الاسباب القوية لمحاولات القبائل المادية للتوحد السياسي والعسكري ، بخاصة وان مملكة اورارتو لم تعد قادرة على درء الاخطار عنهم . فاخذت تتضح تدريجيا ملامح الوحدة السياسية والعسكرية لمجموعة القبائل المادية ، وتعاونت معها عن قناعة او بالقوة ، القبائل الايرانية الاخرى ، وكانت النتيجة ظهور الدولة المادية .

لقد سبقت الاشارة الى ان زعامة خاشاثريتا ـ فراورتيس ، للقبائل المادية

وحلفائها وتعد اشارة صحيحة الى الدولة السياسية الموحدة للميديين . ومما يؤكد قيام الدولة المادية ، ازدياد قوتهم ونفوذهم في غربي ايران ، بحيث استهدفتهم حملات الملك سرجون الاشوري . و الذي نجح في احتياح مدنهم والقى القبض على احد زعمائهم وهو دياكو ونقله مع عائلته الى مدينة حماة في سوريا .

وعموما ، يبدو ان الفضل الكبير الذي يدين به الماديون لديوسيس (دياكو) الاول كونه يمثل زعامة الجيل الاقدم ، وذلك ما يشير اليه هيرودتس ولكن المؤسس الحقيقي للدولة المادية هو من ورثته اللاحقين الذين نعرف عن حروبهم من اجل وحدة الدولة المادية .

وكانت المحاولة الفاشلة للميديين لاحتلال نينوى بقيادة فراورتيس على عهد اسرحدون سبباً في ارباك اوضاعهم الداخلية مما ادى الى تمكن الاقوام السيتية من السيطرة على بلادهم وحكمها حوالي ٢٨ سنة كذلك نجح الفرس الاخمينيون في انتزاع استقلالهم لذلك يرسل كوروش الاول ، وهو من نسل عائلة الاخمينيين ، مساعدة عسكرية الى شمش شوم اوكن في ثورته ضد أخيه آشور بانيبال ، ومثل ذلك فعلته عيلام ايضا في الصراع بين الاخوين ولكن انتصارات اشور بانيبال الباهرة وسحقه لدولة عيلام وعاصمتها سوسة ، اثارت الفزع في نفس كوروش الاول ، فسارع بارسال ابنه Arukku الى نينوى ليعلن ولاءه ويقدم هداياه .

وتنسب الى الاقوام السيتية مجموعات القطع الاثرية البرونزية الجميلة التي عثر عليها في عدد من المدافن في منطقة كرمنشاه وتعرف بالبرونزيات اللورستانية وهي باعداد كبيرة وصلت الى المتاحف العالمية عن غير طريق التنقيبات العلمية وغالبيتها اسلحة ، ولكن من بينها اوان ومرايا ودبابيس تحمل اشكالا آدمية وحيوانية . ويرجع زمنها بحدود القرنين الثامن والسابع ق. م. وربما بعد ذلك . وتكشف الاعمال الفنية اللورستانية عن تأثيرات حضارية متعددة من بلاد وادي الرافدين وبلاد الاناضول دون ان تفقد صلتها بالاعمال الفنية الايرانية المبكرة وقد ترك السيتيون كثيرا من اسمائهم في قرى كردستان ومنها مدينة Sakiz التي يعتقد انها

تحمل اسم السيتيين او ساكا ، كما كانوا يسمون ـ انفسهم ، او اشكوازي كما تسميهم التوراة والنصوص الاشورية .

تستعيد الدولة المادية قوتها ومكانتها ثانية على عهد كي اخسار الثاني ابن ووريث فراورتيس ، وقد اعار الجيش واسلحته اهتمامه الكبير . فاصبح في وضع يتيح له فرصة السيطرة على بعض المناطق المحيطة ببحيرة اروميا ، وينجح اخيرا في دحر السيتيين . ويذكر هيرودتس ان الملك الميدي دعا زعماء القبائل السيتية الى وليمة في قصره . فلما اجتمعوا عنده امر بقتلهم جميعا ، فتفرقت صفوفهم وتشتت قواهم وتخلص بذلك من خطرهم . وهكذا اصبح الماديون على عهد كي اخسار سادة الاقوام الغربية لايران دون منافس ، واصبح السيتيون والفرس تابعين لهم . وكانوا يحكمون من عاصمتهم اكبتانا (همدان الحالية) التي معناها « ملتقى الطرق » واصبح كي اخسار بعد ذلك في وضع يتيح له فرصة تحدي الاشوريين ، ولكنه لم يذهب اليهم لوحده ، بل وجد في نبولاسر ، الزعيم الكلداني ، وعدائه الشديد للاشوريين ، ما يحقق احلامه . فكان تحالف الطرفين احد العوامل الرئيسية في انهيار الدولة الاشورية وتعزيزا لهذا التحالف ، تزوج نبوخذ نصر وريث وابن نبـوبولاسر ابنة كي اخسار . ونجح الحليفان في عام ٦١٢ من الاطاحة بعاصمة الاشوريين نينوى ، وانسحب منها اخر الملوك الاشوريين مع قطعات عسكرية قليلة نحو حران ينتظر عندها مساعدة المصريين ، ولكن الحليفين نجحا تماما بعد سنتين من القضاء على اخر محاولات الاشوريين وأنهيا حكم الدولة الاشورية .

ومن المرجح ان مملكة اورارتو قد سقطت في وقت مقارب لنهاية الدولة الاشورية لذلك ، فان تحركات كي اخسار غرباً توجهت صوب مملكة ليديا ، التي كانت في هذه الفترات من اهم المراكز التجارية العالمية القديمة واستمرت الحرب بين الماديين والليديين لخمس سنوات دون نتيجة حاسمة لاي من الطرفين . اعقبها فترة من السلم ، عززه زواج استياجز ابن كي اخسار من ابنة ملك الليديين . وكان استياجز قد تولى زمام الدولة في عام ٥٥٨ ق . م . في اعقاب وفاة والده وبموجب حالة

السلم بينه وبين الليديين ، اصبح نهر الهاليس في الاناضول الحد الفاصل بين الدولتين .

واصلت العلاقات بين المادين والبابليين شكلها الطبيعي ، حيث تقاسموا فيما بينهما غرب اسيا باستثناء مملكة ليديا ، فاصبحت معظم المناطق الشمالية للماديين ، بينما كانت بابل وسوريا وفلسطين وعيلام للكلدانيين ولكن الدولة الكلدانية تحذرت كثيرا من الميديين وينسب الى نبوخذ نصر بناء التحصينات الدفاعية بوجه الحدود الميدية ويبدو ان توقع نبوخذ نصر كان صحيحا ، حيث هاجم الميديون مدينة حران على عهد نبونائيد وخربوا معبد الاله سن فيها وسرقوا كنوزها . وكان وقع ذلك على نبونائيد كبيرا لان والد نبونائيد كان كبير كهنة معبد الاله سن في حران وكذلك امه ، هذا بالاضافة الى توجهات نبونائيد المعروفة في اهتمامه بعبادة الاله سن القمر ، دون ان نهمل ذكر اهمية حران على طرق التجارة التي تربط العراق بسواحل البحر المتوسط .

تهيأ نبونائيد للانتقام من فعلة الميديين في حران ، وحتى يقلق استياجز في عقر داره ، تحالف مع كوروش الثاني ملك الفرس ، الذين مثلوا القوة الجديدة المناوئة للميديين وهي القوة التي ستنجح في السيطرة على الميديين وعلى الشرق القديم برمته تقريبا .

وفي معركتين حاسمتين قاد الثانية منها استياجز بنفسه ، نجح كورش الثاني من دحر الميديين واسر استياجز نفسه ، ودخل كوروش اكبتانا منتصرا ، فاختارها عاصمة لايران الموحدة وبهذا الحدث الذي يؤرخ بعام ٥٥٠ ق. م . تنتهي الدولة الميدية وتبدأ حقبة جديدة في تاريخ ايران ابرز ما يميزها ظهور السلالة الاخمينية الحاكمة في ايران ومعظم مناطق الشرق القديم .

اكبتانا ـ همدان ـ اقدم العواصم الايرانية

تقع اكبتانا عند النهايات الشرقية لسلسلة زاكروس وتحتل اطراف قمة كرانتية

ترتفع اكثر من (١٢/٠٠٠) قدم فوق سطح البحر . والقمة هذه جزء من سلسلة جبلية منيعة العبور تمتد من الشمال الى الجنوب . وتنكسر فقط من خلال الممر العالي الذي تقع عنده همدان ليوصل عبر سلسلة جبال زاكروس الى سهل بابل .

وتنحدر من الجبال المحيطة بها جداول وفيرة المياه تسقي المزارع والاراضي في اطراف المدينة ، وحقول القمح الخصيبة في السهول الواسعة وراء المدينة كما تهيىء المنطقة فرصا جيدة لرعي الماشية الكثيرة ، كما تتميز بنوع من الخيول الجيدة .

صيف اكبتانا رائع المناخ ، وشتائها شديد البرودة يشهد سقوط الثلج في كل اجزاء المنطقة حتى انه يعيق الاتصالات ما عدا نقطة العبور عند همدان التي تبقى يسيرة العبور في شتاءزاكروس الوعر لتوصل من الغرب الى انحاء مختلفة من هضبة ايران وتبين اهمية المنطقة من استمرار مراكز المدن الرئيسية فيها منذ عهد مدينة Hangmatana ثم اكبتانا عاصمة الميديين ، ، كذلك اتخذها الاخمينيون عاصمة لدولتهم على عهد كورش الثاني وقبل بناء العاصمة برسيبوليس ولا تزال المدينة حتى وقتها الحاضر وباسمها الحديث همدان تشكل نقطة رئيسية على طريق المواصلات بين الشرق والغرب بالاضافة الى كونها من المدن المهمة في غربي ايران .

وتتفرع من همدان سلسلة من الطرق الرئيسية التي تنتشر في مناطق ايران المختلفة ومن ابرزها الطريق الرئيسي الذي يتوجه نحو الشمال الشرقي الى قزوين ثم ينعطف شرقا الى Raga (الري) التي تقوم مدينة طهران مكانها في الوقت الحاضر . ومن (الري) كان خط رئيسي يتوجه غربا من خلال قزوين التي تغفو على حدود بحر الهركانيين (بحر قزوين) ومنها الى تبريز ثم الى السهول المحيطة ببحيرة اورميا (رضائية) او من تبريز نحو الجنوب مخترقة سلسلة راوندوز صوب بلاد اشور وهذه ـ المنطقة التي فيها اليوم تبريز وبحيرة رضائية ، كانت مناطق التقاء الاشوريين بالفرس والميديين لاول مرة وتعرف اليوم باذربيجان ، ويرجح ان تكون موطن زرادشت .

ومن الري ايضا يتفرع طريق يسير شمالا مخترقا بوابات قزوين ويسير عند

اقدام جبل دماوند ثم يسير شرقا ويمر بمناطق استيطان قبائل ايرانية عديدة حتى يصل الى اقليم بكتريا ثم يتوجه الطريق من بكتريا شرقا صوب اواسط آسيا او نحو الجنوب الشرقي صوب الهند .

وعلى امتداد هذه الطرق وفي مراكزها الرئيسية كانت مستوطنات القبائل الميدية التي انضمت اليها قبيلة المجوس غير الايرانية حسب ادعاء هيرودتس .

لم تشهد اكبتانا القديمة اعمال تنقيبات لحد الان والسبب الرئيسي في ذلك ان بقايا الابنية القديمة تعلوها اليوم ابنية همدان الحديثة . ولكن بين الحين والاخر تكتشف وثائق هامة جدا في همدان . لانها كانت قديما احدى مراكز السجلات الرسمية للملك داريوس .

وبسبب غياب اعمال التنقيب في مدينة اكبتانا ، فاننا نضطر للاعتماد على وصف بعض المؤرخين ومنهم هيرودتس ، الذي يعد حديثه عن اكبتانا شبيها بحديثه عن بدايات تاريخ الميديين ، فانه يضمن معلوماته عن المدينة مشاهدا اسطورية لا تتفق مع حقيقة المدينة ، منها قوله عن اسوار المدينة السبعة العالية جدا ، ولها شرفات ملونة بسبعة الوان اخرها طلاء مضيء وذهبي والى غير ذلك من وصف يتفق مع وصف بعض المدن الاسطورية .

وربما يكون وصف بوليبوس الذي عاش على عهد انطيوخس الثالث في حدود ٢٠٩ ق.م. اكثر دقة وانطباقا على واقع المدينة .

وبموجب وصفه فلم تكن اكبتانا مسورة ما عدا القلعة التي كانت متميزة بسورها المنيع جدا ، واسفل القلعة كانت منطقة القصر . محيط المدينة يزيد قليلا عن ٣/٤ ميل فهي اصغر كثيرا من برسيبوليس .

كانت اعمدة وسقوف القصور من الخشب ، وهذا يذكرنا بوصف سرجون الاشوري للمدن الايرانية التي فتحها في مناطق شمال غربي ايران وكانت الاخشاب مغطاة بالمعدن وتغلف السطوح بآجر من الذهب والفضة ، وقد تأكدنا من صحة قول بوليبوس بعد اكتشاف بناء مائل في برسيبوليس سقفه مغطى بالذهب . وعلى

الاغلب ان هذه المعادن النفيسة سرقت مع غيرها من الكنوز من قبل جنود الاسكندر عند احتلاله للمدينة .

ومن بين المكتشفات النادرة في همدان اللوح الذهبي المدون بالخط المسماري الذي ينسب للملك اريارامنس ، ولكن هذا اللوح وصل ايدي الباحثين دون اية معلومات او ملاحظات علمية او فنية عن معثره ، وهذا بالاضافة الى ملاحظات اخرى لغوية على طبيعة النص وبعض المعلومات الواردة فيه ، تشكل اساس الشك الذي يحوم حول صحة واصالة هذا الاثر النفيس .

المبحث الثاني

ـ الاخمينيون ـ

بعد تاريخ الاخمينيين في الفترة التي سبقت عهد كوروش الثاني غامضا نسبيا لعدم توفر المعلومات الكافية عنه ، ويعزى سبب ذلك الى السجلات الرسمية للآشوريين والبابليين التي لم يرد فيها شيء مفصل عن القوى السياسية الصغيرة في ايران ، بخاصة وان اقليم فارس كان آنذاك تابعا للدولة الميدية ، بينما اصبح فيما بعد مركز الدولة الاخمينية .

عرفنا فيما سبق عند حديثنا عن بدايات الآريين ، من اشارات النصوص الآشورية للقبائل الايرانية ومنها « مادي » و« بارس » وتشير بعض النصوص الآشورية الى ان لفظة « فارس » كانت اسما لاقليم يقع جنوب بلاد ميديا ، وربما جنوب كرمنشاه .

ان اقدم اشارة الى قوة سياسية وعسكرية في اقليم فارس وصلتنا من عهد الملك سنحاريب ، عندما صادف فرقا عسكرية من بارسواش وانشان في عام ٦٨١ ق. م. والراجح ان هذه الفرق كانت بقيادة اخمينس الذي تنتسب اليه الاسرة الاخمينية الحاكمة وتلقيب ابنه تسبس بلقب « الملك العظيم ملك مدينة انشان » وتقع انشان شمال غرب سوسة على نهر كرخة ، وهي المدينة التي يتردد اسمها كثيرا في اخبار حملات الملوك العراقيين منذ عهد الدولة الاكدية .

ومن عهد الملك آشور بانيبال ، يرد في نصين ، ذكر الملك كوروش ويلقب « بملك » بارسواش » وذلك في اخبار حملة آشور بانيبال على عيلام ويعني ذلك تاريخا يتراوح ما بين ٦٤٢ - ٦٣٩ ق.م. . وهذه الاشارة تخص الملك كورش الاول ، الذي اشرنا من قبل الى ارساله الهدايا مع ابنه اروكو الى آشور بانيبال .

وتواصل الكتابات المسمارية على عهد الدولة الكلدانية في تسمية الملك كورش الثاني بلقب « الملك العظيم لانشان » وهو اللقب الذي حافظ عليه كورش الثاني وخلفائه في نصوصهم التذكارية . بينما يرد في نصوص السنة التاسعة لحكم نبونائيد آخر ملوك بابل لقب « ملك فارس بمعية اسم كورش » .

كل ذلك يؤكد ان تسمية فارس اصبحت مرادفة لأسم انشان القديم . وبعد سيطرة كورش الثاني على استياجز في عام ٥٥٠ ق. م. واحتلاله لاكبتانا وحصوله على الغنائم والكنوز الكبيرة في عاصمة الميديين توفرت له الامكانيات لبناء قصره على المصطبة في بازركادة ، ومن يومها تبدأ بازركادة باللمعان في افق الدولة الاخمينية على حساب انشان الاسم القديم .

ومن المرجح ان تسبس تزعم الفرس بعد ابيه اخمينس ، وكان له ولدان كورش الاول واريارامنيس . والمهم ان خط العائلة الذي انحدر عن كورش الاول هو الذي وفق في قيادة القبائل الفارسية ونجح في إقامة الدولة الاخمينية .

وسلم كورش الاول الحكم لابنه قمبيز الاول الملقب « بالملك العظيم ملك انشان » وهو الذي تزوج من ماندانا ابنة استياجز ، فانجبت له كورش الثاني . وربما

اتاحت عملية الزواج من العائلة الحاكمة الميدية فرصة امام زعماء فارس ليصبحوا قادة ايران والعالم القديم مع بداية عهد كورش الثاني .

كورش الثاني وبناء الامبراطورية الاخمينية (٥٥٩ ـ ٥٣٠ ق.م.)

يتميز كورش الثاني من بين ملوك الاخمينيين الاوائل بطموحه العالي وقدراته السياسية والعسكرية الفذة ، وقد ساعدت الظروف التي كانت تحيط بمراكز القوى السياسية الكبيرة المجاورة لفارس ، وهي ميديا وبابل على تحقيق طموحات كورش السياسية والعسكرية .

فان حكم استياجز الطويل اورث الدولة الميدية واجهزتها الهرم والضعف ، كما كانت احوال بابل الاقتصادية تزيد من حدة الخلافات والمشاكل داخل الدولة واجهزتها الادارية والعسكرية ، ونتذكر جيدا هجرة نبونائيد اخر الملوك البابليين الى تيماء ومكوثه فيها لعشر سنوات بعيدا عن عاصمته بابل ـ مما هيأ الفرص اللازمة امام كورش لتعميق الخلافات وزيادة الانشقاقات داخل الدولة البابلية ، واستغلها بشكل ذكي في تحقيق سيطرته عليها . لذلك تشير علينا الكتابات المسمارية التي خلفها كورش بعد احتلاله لبابل ، ان هذا الملك ادعى اثناء فتحه لبابل انه ينتقم للاله مردوخ من سوء تصرفات نبونائيد الذي تعطلت على عهده الاحتفالات السنوية الخاصة بمردوخ وفي ذلك دلالة قوية على استخدام الاسلحة النفسية الممهدة لاستخدام القوة العسكرية في فتح بابل والسيطرة على الدولة البابلية .

وكانت اول خطوات كورش العسكرية التوجه صوب عاصمة الميديين اكبتانا همدان وحتى لا يثير تحركه العسكري هذا قلق البابليين ، اتفق مسبقا على خطواته مع نبونائيد تلك الخطوات التي صادفت تشجيعا وتأييدا قويا من نبونائيد الذي كان يضمر الحقد على الميديين لفعلتهم النكرة بمعبد الاله سن في حران وخرقهم للمواثيق القديمة المبرمة مع البابليين .

وفي معركتين حاسمتين ، قاد الثانية منها الملك استياجز نفسه نجح كورش من دحر الميديين واسر استياجز ودخل اكبتانا سنة ٥٥٠ ق.م. فنهبت كنوزها وثرواتها ونقلت الى انشان ولكن الفرس لم يتناسوا صلات القربى التي تربطهم بالميديين لذلك جعلوا بلاد ميديا الولاية الاولى في الدولة الجديدة وساووا بينهم وبين الميديين في المنزلة الاجتماعية وفي الوظائف الادارية والعسكرية ، كذلك اتخذ كورش من اكبتانا مقرا ملكيا .

وبنجاح كورش في احتلال الدولة الميدية اصبح الوارث الشرعي لممتلكاتها في آشور وما بين النهرين وارمينيا وكبدوكيا وهكذا اصبح تصادمه مع مملكة ليديا التي تمتد في الاقسام الغربية للاناضول محتملا .

وكانت محاولة كروزوس (قارون) ملك ليديا لاستغلال وضع الدولة الميدية المنهار لمد سيطرته على بعض اجزائها ، عملا اعتبره كورش تحديا لسلطته الشرعية ، لانه اعتبر نفسه وارثا شرعيا للميديين ، فاشتعلت الحرب فيما بينهما ، وكان الظفر نصيب كورش ايضا . ولم تنفع محاولات بابل ومصر لنجدة الليديين على تأجيل فتح عاصمتهم ساردس وأسر ملكها في عام ٥٤٧ ق.م. وباحتلال ليديا وقع اول احتكاك مباشر بين العالم الشرقي المتمثل بالدولة الاخمينية وبين اليونان من خلال مستوطناتهم على الساحل الأسيوي ، المستوطنات الايونية التي اذعن معظمها لكورش وبعد هذين الانتصارين الكبيرين . قفل كورش عائدا الى ايران ليحكم سيطرته على مناطقها المختلفة وبخاصة الشرقية البعيدة عن مقر حكمه في اكبتانا او بازركادة غربي ايران . وسار مظفرا بمحاذاة قزوين (مقاطعة هركانيا) ثم الى بارثوافا أو بارثيا (خراسان) وعبر الى بلاد ما وراء النهر (المنطقة المحصورة بين سيحون وجيحون) .

وسيطر على مركز المنطقة مدينة سمرقند وجعل من نهر سيحون الحدود الشمالية لامبراطوريته ، وبنى عددا من التحصينات العسكرية على الضفة الجنوبية للنهر لحماية هذه الحدود من هجمات الطورانيين الذين كانوا يتمركزون في اواسط

آسيا .

وبعد ان احكم كورش قبضته على النصف الشرقي لعالم الشرق الادنى القديم ، توجه صوب بابل ـ القوة الرئيسية التي تقف عائقا امام احلامه في غربي العالم القديم والوصول الى مياه البحر المتوسط .

ولم تكن اوضاع بابل الداخلية تتيح لها قدرة الوقوف بوجه كورش ، بخاصة وان المعلومات المتوفرة تؤكد بان نبونائيد قفل راجعا الى بابل من تيماء بعد سماعه لانباء زحف كورش عليها فقد كانت مشاكل الدولة الاقتصادية وخلافات الملك مع كهنة مردوخ بسبب ميله لمساواة الاله القمر مع الاله مردوخ تزيد من الصعوبات امام نبونائيد ، وتهيىء الفرصة الجيدة لكورش . كذلك لعب الاسرى اليهود في بابل دورا في اضعاف سلطة نبونائيد من خلال تعاونهم سريا مع كورش ، وقد ترك هذا التعاون صداه في سفر اشعيا من التوراة (٤٠ ـ ٤٥) .

وسار كورش يتقدم جموع المحاربين الفرسان صوب بابل متوغلا اليها من خلال بوابـــــة آسيا وهي طريق همدان ـ كرمنشاه ـ خانقين ، وبعد معركة صغيرة عند مدينة اوبس سنة ٥٣٩ ق.م. قتل فيها « بيل شار اوصر » ابن نبونائيد ، وتفرق الجيش البابلي على اثرها .

تقدم كورش بعدها صوب بابل ونجح في دخولها في نفس السنة دونما معركة كبيرة تذكر .

وبهذا التاريخ تنتهي آخر السلالات الحاكمة الوطنية في تاريخ العراق القديم . وهكذا ، وبعد عشر سنوات من حكم هذا العاهل الفارسي ، اصبحت الولاية الصغيرة التابعة للميديين على عهد والده واجداده ، امبراطورية معظمة تسيطر على اقسام كبيرة من مناطق الشرق الادنى القديم .

تعامل كورش مع البابليين باعتباره محررا ووريثا شرعيا للعرش لا فاتحا وادعى ان خطواته كانت تنفيذا لاوامر الاله مردوخ الذي اساء اليه والى طقوسه نبونائيد . لذلك امر باعادة بناء المعابد واعادة تماثيل الالهة اليها ، وسار في احتفالات عيد رأس

السنة البابلية وهو يمسك بيد الاله مردوخ ليؤكد شرعية حكمه ووراثته لبابل .
وبسقوط بابل في يد كورش ، اصبحت جميع المقاطعات التابعة سابقا للدولة البابلية ملكا للاخمينيين ، ومنها بشكل خاص سوريا .
وفي بابل ، اصدر كورش قراره بعودة الاسرى اليهود الى ديارهم ، وباعادة بناء معبدهم ـ هيكل النبي سليمان في اورشليم ـ القدس (عزرا ، ١ : ١ ـ١١) ويبدو انه كان مقدرا لاهمية فلسطين على طريق مصر ، التي كانت المركز الاخير في خطط كورش العسكرية .
وفي الوقت الذي ترك كورش ابنه قمبيز يهيىء مستلزمات الحملة على مصر ، سار بنفسه على رأس جيش كبير لتهدئة الاوضاع على تخوم امبراطوريته الشرقية ، ولكنه قتل في هذه المعارك ، فنقل رفاته الى عاصمته بازركادة ليدفن في القبر الهرمي الشكل المشيد من الحجر والمميز بين انقاض مدينة بازركادة ، وكانت وفاته عام ٥٣٠ ق.م .

بازركادة اولى العواصم الايرانية

كانت سنوات حكم كورش سنوات حملات عسكرية متعاقبة اوصلت الاخمينيين لادارة امبراطورية واسعة الارجاء ، لذلك لم يتفرغ كورش للاعمال المدنية وللانشاء واتخذ كورش من مدينة سوسة عاصمة له عندما كان حاكما على انشان ، كما اعتمد اكبتانا وبابل عاصمتين لحكمه ، واستقر في كل منهما لبعض الوقت ، ومع ذلك فقد عمد الى بناء مقر ملكي خاص به في بازركاده تخليدا لذكرى انتصاره على استياجز عند موقعها . وتعرف خرائبها اليوم باسم مشهدي مرغاب وتقع مسافة ٥٠ ميل شمال برسيبوليس ، على ارتفاع يقارب ارتفاع همدان عن سطح البحر . وتنتشر مبانيها في سهل فسيح تحيطه الجبال وهناك مصطبة يزيدها جمالا

واجهتها الحجرية (تعرف بعرش سليمان) تعلو قمة تل طبيعي وتزيد من مساحته ، تقوم فوقها القلعة التي كانت تشرف على القصر اسفلها . والقصر وحدائقه محاط بسياج ، وابرز ما فيه بوابة الحديقة . ان تقسيمات القصر الى birun القسم الخارجي وAndarun القسم الداخلي وSarai و Haram واضحة في بقايا مخطط البناء .

ان اسم بازركادة Pasargadae محرف عن Parsagad ومعناه المخيم او المعسكر الفارسي ، واذا كان هذا الارتباط بين الاسمين صحيحا فهو يقدم لنا صورة صادقة للمدينة . فهي في الواقع معسكر كبير محاط بجدار حاجز تنتشر بداخله وبين الحدائق والمنتزهات ، القصور والمعابد . ويقوم في طرفي مدخل الحديقة تمثال ثورين مجنحين ، وعند بوابة الغرفة الشمالية ، يوجد تمثا لان لملاك حارس مجنح ، ولوح مكتوب بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية تلاحظ فيه عبارة « انا كورش الملك الاخميني » وهي في الغالب تؤرخ بفترة عهد الملك كورش ، عندما كان لا يزال تابعا للميديين .

اما قاعة الاستقبال الرئيسية ، فتزينها تماثيل الكهنة ، وهم يجلبون قرابين من الحيوانات ـ والاعمدة في القاعة متوجة باشكال رؤوس الخيول والثيران او الاسود . ويحمل طلاء قصر آخر في بازركادة كتابة ثلاثية اخرى . يلقب كورش فيها نفسه بـ « الملك العظيم » والارجح انه بنى هذا القصر بعد سيطرته على الميديين .

كانت الاعمدة في بازركادة من الخشب ، لونت بالوان زاهية كالازرق والاخضر والاحمر والاصفر . كما ان عيون وبعض اقسام ملابس صورة الملك مطعمة بالذهب . ومن بين الابنية الحجرية الجميلة في بازركادة ، ذلك البناء المشيد على شكل برج مربع الشكل يقوم فوق مصطبة مدرجة ، وقد شيد من الحجر المهندم ، ويعتقد هيرتزفلد انه قبر كورش الثاني ، بينما يرى غرشمن انه واحد من معابد النار على غرار معبد النار القائم امام مقبرة داريوس في نقشي رستم ، ويعرف بناء بازركادة الحجري محليا باسم سجن سليمان .

واخيرا فان في اطراف بازركادة بيوت نار كانت تمارس حولها الطقوس الدينية

في الهواء الطلق .

والمهم ان مخلفات بازركادة تقدم لنا صورة واضحة عن الفن الايراني الذي لا نزال نجهل اصوله البعيدة . فالنماذج المكتشفة تشير الى فن مركب يقتبس من الآشوريين والحثيين والمصريين كثيرا من ملامحه ، ولكن هذه العناصر الفنية المقتبسة وضعت في اطار متناسق ، كانت نتيجته بروز ملامح فنية جديدة ، تمثل العمارة اوضح معالمها .

وقد تعرضت بازركادة ، مثلما تعرضت سوسة وبرسيبوليس الى نقمة جنود الاسكندر عندما اجتاحوا ايران ، فخربوا ونهبوا كثيرا من ابنيتها وقصورها ومعابدها . كما ان بعض اقسام المدينة مغطاة بآلاف القبور من الفترات الاسلامية اللاحقة ، وبخاصة في المنطقة المجاورة لمعبد النار او قبر كورش ، وهذه القبور تسبب مزيدا من العرقلة لاعمال التنقيب في المنطقة . .

المبحث الثالث

قيام الامبراطورية الاخمينية
٥٣٠ ـ ٥٢٢ ق . م

قمبيز

شارك قمبيز الابن الاكبر لكورش ابيه في خططه وحملاته العسكرية ، وحمل لقب ملك بابل بينما اوكلت الولايات الشرقية من ايران لادارة ابن كورش الثاني بارديا .

افتتح قمبيز عهده باغتيال اخيه بارديا لينفرد بالسلطة التي تتيح له فرصة تحقيق مشاريعه العسكرية . وكانت الحملة على مصر قد تم الاستعداد لها منذ عهد كورش واوكل تنفيذها الى قمبيز .

سار قمبيز صوب مصر ، ونجح في استمالة بعض العسكريين اليونان المحالفين لاماسيس فرعون مصر ، الذين اخبروه عن الاسرار الدفاعية لمصر ، كذلك استعان قمبيز بالزعماء العرب في عبور ، صحراء سيناء ، ونجح في دحر الجيش المصري ودخوله ممفيس العاصمة المصرية عام ٥٢٥ ق م .

وحاول قمبيز ان يشعر المصريين بانه الوريث الشرعي للفراعنة فقدم الكثير من الهدايا للالهة المصرية ، واوكل ادارة مصر لموظف مصري كبير وانجز بعض الاصلاحات لصالح المصريين .

ولاستكمال السيطرة على العالم ، خطط قمبيز لحملات مقبلة كانت واحدة منها ضد القرطاجيين الذين كانت لهم السيطرة على غربي البحر الابيض المتوسط ، وحملة اخرى ضد واحة آمون والثالثة ضد اثيوبيا ، ولكن خطوات قمبيز العسكرية المنطلقة من مصر باءت بالفشل الذريع .

فقد فشلت الحملة ضد القرطاجيين بسبب رفض الفينيقيين مساعدة الفرس على محاربة اشقائهم على الساحل المقابل للبحر المتوسط . كما فشلت الحملة على واحة آمون بسبب عاصفة شديدة مزقت الجيش وبعثرت صفوفه ، ولم تنجز مهمتها بالشكل المطلوب واخيرا كانت حملة اثيوبيا ، عندما بلغت قمبيز انباء مقلقة عن الوضع في ايران وهو في طريقه الى اثيوبيا ، فقرر العودة الى منفيس والغاء الحملة العسكرية على اثيوبيا .

واذا كانت المصادر اليونانية صادقة ، فهي تخبرنا عن سلوك قمبيز الغريب بعد رجوعه من حملة اثيوبيا الفاشلة الى ممفيس ، فبدأ باحتقار الالهة المصرية وتهديم المعابد وتسريح الكهنة . ولكن البحوث الحديثة المستندة الى دراسة مسلة Serapeum (السيرابيوم مقبرة العجول المقدسة في مصر) تنفي مثل هذه الاعمال

عن قمبيز .

اصبحت انباء ايران مثيرة للقلق ، فقرر قمبيز العودة بسرعة لتدارك الامر ، في ضوء المعلومات التي تقول بنشوب ثورة شملت معظم انحاء ايران يتزعمها مجوسي اسمه جوماتا الذي ادعى انه بارديا اخو الملك وفي طريق عودته مات قمبيز اما انتحارا او قتلا (ان نصوص بيستون تشير الى انه لم يمت قتلا). ولكن الجيش بقي مواليا للقادة السبعة الذين يمثلون العوائل السبع النبيلة في ايران وسار قيادة داريوس بن هستابس حاكم ولاية بارثيا ، وهو الذي اختاره القادة العسكريون ملكا عليهم . فكان اول واسرع عمل انجزه داريوس القاوه القبض على جوماتا وقتله .

داريوس ٥٢٢ - ٤٨٦

كانت الفترة التي شهدت حملات قمبيز الفاشلة ، والتي اعقبتها ثورة جوماتا فرصة جيدة لثورة معظم اقاليم الامبراطورية الاخمينية فكانت المهمة الاولى التي واجهت داريوس اعادة النظام وسيطرة الدولة على اقاليم الامبراطورية . تلك المهمة الصعبة التي انجزها داريوس بقدرة عالية وخلد ذكراه في نصب عظيم على سفح جبل شاهق يعرف باسم بيستون على الطريق بين كرمنشاه وهمدان وبالاضافة الى صورة داريوس وصور الملوك والزعماء الذين سيطر عليهم وفي مقدمتهم جوماتا (اوبارديا) دون اعماله في سبعة حقول بالكتابات الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية ، تشير الى ان داريوس الملك الاخميني التاسع . فهو بذلك يحسب الفرعين من سلالة الاخمينيين وهم اخمينس وتسبس وكورش الاول وقمبيز الاول وكورش الثاني وقمبيز الثاني من جانب ومن جانب اخر يعد اريامنسيس وارسامس وبذلك يكون عدد الملوك الاخمينيين الذين سبقوه ثمانية ملوك وينتمي دارا الى الاسرة الحاكمة لا البيت الملكي الحاكم ومن بين ثورات الاقاليم التي كلفت دارا جهدا كبيرا لاخضاعها ثورة بابل بقيادة زعيم وطني هو ندنتو - بيل الذي ادعى انه سليل نبونائيد واعلن نفسه

ملكا باسم نبوخذ نصر الثالث كذلك ثارت سوسة وارمينية ومصر وفي ميديا ظهر زعيم باسم فراورتيس ادعى انه الوريث الشرعي لكي اخسار في حكم الميديين وهكذا نشم رائحة التحركات الوطنية ذات الطابع القومي في ثورات الاقاليم .

ولذلك قضى داريوس معظم السنتين الاولى والثانية من حكمه في القضاء على ثورات الاقاليم وقمعها بالقوة وقتل زعمائها ، وكانت تحركات داريوس في الواقع اعادة فتح الامبراطورية باقاليمها المتباعدة .

وهكذا نجح داريوس اخيرا وبمساعدة فرقة الخالدين المكونة من عشرة آلاف محارب كانوا بامرته عندما زحف الجيش الفارسي بقيادة قمبيز صوب مصر ، في اعادة بناء الامبراطورية ومثلما بقي الخالدون اوفياء لداريوس ، بقي هو وفيا لهم وخلد ذكراهم في كل نصب شيده في سوسة او برسيبوليس .

لم يفرغ كورش وقمبيز لبناء الدولة الداخلي ، بل انشغلا في المعارك والفتوحات ، وكان ذلك ايضا شأن داريوس في سنوات حكمه الاوائل ولكنه وجد ضرورة ملحة في وضع النظم الادارية والقوانين وخلق الادارات الجديدة التي تتيح له السيطرة الناجزة على الامبراطورية المترامية الاطراف .

فاعتمد في ادارة الولايات على افراد البيت الحاكم والنبلاء من الفرس الذين كانوا يرتبطون به ، لا فقط من خلال التنظيمات الادارية ، وانما بسبب القرابة والنسب والمصالح المشتركة .

والستراب لفظة فارسية تعني ولاية او مقاطعة ادارية كما يعرف حاكمها باسم شترابفان « الوالي » او « حاكم المقاطعة » ايضا .

ان بعض المقاطعات انشئت منذ عهد كورش وقمبيز مثل ولاية ميديا ولكن داريوس عمم ذلك خلال الامبراطورية كلها وعدد الولايات كان يتبع اتساع وتقلص حدود الامبراطورية ، ولكنها كانت لا تقل عن عشرين ولاية . ولم تكن المقاطعات هذه او الولايات (ستراب) مرتبطة بحدود الاقطار ، ولكن بعض الاقطار شكلت ولايات مهمة في جسم الدولة الاخمينية .

وكانت الولاية تقسم الى مناطق اصغر وكل منطقة الى مجموعة من المقاطعات . وكان مركز الستراب حاكم الولاية يلي منصب الملك في ولايته فهو ممثل الملك وله بلاطه وحرسه الخاصين وقضاته ونقوده والواقع ان هذا النظام الاداري كان متداخلا مع النظام الاقطاعي فهو الحاكم الفعلي في ولايته ، ولكنه موظف من جانب اخر تابع للملك ولكن منصب حاكم الولاية كان منصبا وراثيا في معظم الاحيان وجعل في منطقة كل ولاية وحدة عسكرية بامرة قائد عسكري كبير لمنع احتمالات خروج الولاية عن طاعة الحاكم . وفي نفس الوقت للدفاع عن الولاية عند تعرضها لخطر خارجي وكان القائد العسكري للولاية يتبع الملك مباشرة ولا سلطات لحاكم الولاية عليه . ويشارك حاكم الولاية والقائد العسكري موظف كبير ثالث هو جامع الضرائب ، الذي يتولى صلاحياته بامر الملك ايضا . ومن المعروف ان الولاية التابعة للامبراطورية الاخمينية كانت ملزمة بدفع قدر معين من الاموال سنويا الى الخزينة الملكية ، ويقدر مجموع ما كان يصل منها لخزينة الدولة سنويا ١٤/٥٠٠ تالنت (وزنة) من الفضة وكانت ضريبة ولاية الهند تغطي ٣/١ مجموع الضرائب في الدولة ، كما كانت بابل ملزمة بتوفير غذاء الجيش الاخميني لثلث السنة اي لاربعة شهور . ولم يكتف داريوس بجملة المراكز القوية والمنفصلة عن بعضها في ادارة الولاية بل عين مفتشين كانوا يعرفون « آذان الملك » وكانوا مستقلين عن اية سلطة في الولاية ، واحيانا كانت لهم قواتهم العسكرية الخاصة وهكذا استبدل داريوس شكل الدولة العسكرية لعهد كورش الى دولة ادارية تنفذ من خلال ادارتها المهمات العسكرية كذلك اصبحت مركزية الحكم قوية مع منح الاقاليم بعض حقوقها القومية كحرية الديانة والتكلم بلغتها .

وحتى يتيح امام الحاكم المركزي الحضور في كل المقاطعات القريبة منها والبعيدة عمد الى فتح مجموعة من الطرق الرئيسية التي اصبح لها اهميتها الكبيرة في ربط اقسام العالم ببعضها حتى بعد سقوط الدولة الاخمينية وقد ساعدت هذه الطرق الجيدة والامنة النشاط على الازدهار . ولا يزال ممكنا اقتفاء اثر الطريق الذي يخرج

من سوسة ويعبر دجلة جنوبي اربيل ويمر بحران وينتهي بجزيرة ساردس . وعلى امتداده محطات الحماية وفرق الخيالة النشطة الحكومية . ويخرج طريق من بابل الى كرمنشاه ثم همدان ، ويواصل سيره الى الوادي الاعلى لكابول ، وبعد عبوره للنهر هناك يصل الى وادي السند وبالاضافة الى هذه الطرق الكبيرة التي كانت في خدمة الادارة والتجارة ، فقد اشتهرت طرق صغيرة لتحركات الملك من اشهرها الطريق بين سوسة وبرسيبوليس ، الذي لا يزال قسم من تبليطه الحجري القديم واضح للعيان بالقرب من بهبهان . وطريق اخر مهم كان يربط سوسة باكبتانا حيث كان الملوك يقضون اشهر الصيف الحارة فيها ، ورغبة من داريوس في تطوير طرق المواصلات التي تربط انحاء امبراطوريته عمد الى شق قناة تربط بين السويس والنيل معتمدا المخطط القديم الذي بدأه الفرعون تيخو . وبواسطة هذه القناة اتاح حرية الانتقال بين البحر الاحمر والمتوسط امام الملاحة البحرية كذلك كانت رغبته شديدة باكتشاف طريق بحرية تربط مصر بالهند وخرجت بعض السفن بقيادة الملاح الاغريقي سكيلاس لتنفيذ هذه المهمة ولكن دون جدوى ان امبراطورية الاخمينيين المترامية الاطراف والتي تضم شعوبا وامما مختلفة ، كانت بحاجة الى اطار قانوني يجمع شملها ، ويزيد من متانة التنظيمات الادارية . وان الباحثين الذين درسوا الكتابات العديدة التي تركها داريوس في بيستون وسوسة ونقشي رستم يشيرون الى وجود صيغ يمكن مقارنتها بين كتابات دارا وبين قانون حمورابي ، والتي يرجح انها استنسخت وترجمت ليعتمدها مشرعو داريوس . وان اكتشاف نسخ من كتابات داريوس في بعض انحاء الامبراطورية الاخمينية سابقا يؤكد ان هذه الكتابات كانت توزع في الاقاليم المختلفة لتعتمد مبادئها في حقوق المقاطعات والناس . ومن بين النسخ المكتشفة كتابة على البردي مستنسخة من نص بيستون عثر عليها في جزيرة ألفنتين في مصر .

أن هذه الكتابات تؤكد أولا على سلطات داريوس وعظمته وأسبقيته على جميع الرجال ورعاية اهورامزدا له ، كما تؤكد على أصله الفارسي الآري . ثم تعدد

المقاطعات التي حكمها داريوس خارج فارس والتي كانت تدفع الجزية السنوية له كما . يؤكد داريوس في كتاباته هذه التي تعد بمثابة قانون متبع في كل الولايات انه يمنع القوى من سحق الضعيف ولا يجوز لأحد الاعتداء على آخر . وانه أعاد كثيرا من الأموال المسروقة الى مكانها الصحيح ، وأعاد بناء الجدران المتهدمة التي بقيت مهملة كما أنه يدعي حماية ورعاية اهورا مزدا له ولأسرته الحاكمة ولكل اصلاحاته واجراءاته .

وعلى الرغم من أن هذه الاجراءات والتنظيمات التي أشعرت الأقاليم والشعوب بحقوقها ومكانتها من الامبراطورية ، لكن حكم داريوس كان مجدا للفرس وتعظيما لهم ومنحهم أعظم الصلاحيات فمنهم القادة وحكام الأقاليم والقضاة والموظفون الكبار والصغار ولم يكن الفرس أو اقليمهم مشمولا بالضريبة السنوية التي كانت كل الأقاليم الأخرى ملزمة بدفعها ، ويبدو أن هذه المواقف غذت الروح القومية لدى الفرس وبقيت تؤججها لفترة طويلة لاحقة .

ان الوحدة السياسية والادارية للدولة المركزية التي أوجدها داريوس كانت بحاجة الى ديانة رسمية يحتمي بظلها الحاكمون وينالون منها التأييد الالهي لأعمالهم . تؤكد كتابات داريوس وبعض خلفائه ان اهورامزدا لم يكن الاله الوحيد ولكن هذه الكتابات تورد اسم الاله اهورامزدا فقط مع التلميح الى الآلهة الأخرى دون ذكر أسمائها . وعلى الرغم من معرفتنا عن طريق هيرودتس لعبادة الايرانيين للاله مترا (الشمس) وماه (القمر) وزام (الأرض) واثار (النار) وڤاهيو (الهواء) ولكن يبدو أن فصلا واضحا تم على عهد داريوس بين العبادة الرسمية المتجسدة في شخص الاله اهورامزدا وبين ديانة العامة ومنذ أيام (ارتاكسيركس) ارتحششتا الثاني ، زيد في عدد أعضاء مجمع الآلهة باضافة أسماء آلهة أخرى مع اسم اهورامزدا في النصوص الملكية وأبرزهم الاله مترا اله الشمس اله العدل . وهو من الآلهة الايرانية القديمة ، ومعه أناهيتا ، الهة المياه والاخصاب والخلق ، والتي تعكس مواصفاتها عبادة غير ايرانية ، كان الفرس يتعبدون لآلهتهم بتقديم تضحيات دموية

يقدم الينا هيرودتس وصفا كاملا لهذه الطقوس البدائية التي ترجع الى الماضي السحيق للأقوام الهندوايرانية ، وكانت ادارة الطقوس الدينية حكرا على المجوس وهم مجموعـــة مميزة . يرجع أصلهم في الغالب الى الميديين ارتبطوا بالأعمال الدينية وبسبب ذلك اكتسبوا مكانة هامة في المجتمع الايراني في العهد الاخميني وفي الفترات التالية .

ومثلما هو أصل المجوس غير معروف ، فاننا نجهل أصول ديانتهم ، ولكن من المعروف انهم كانوا يؤكدون على أن الكون يستند الى قوتين (الخير والشر) . وكانوا بعكس الفرس يعرضون جثث موتاهم لتمزقها الحيوانات الوحشية أو الطيور الجارحة .

من المعلومات التي نقلت عن الاسكندر انه شاهد القبر المهيب لكورش وجثة كورش المحنطة الموضوعة في تابوت ذهبي . ومنذ عهد داريوس فان جميع قبور الملوك الاخمينيين حفرت في الواجهات الصخرية عند نقشي رستم .

تخبرنا الكتابات اليونانية بأنه لم يكن للفرس معابد ولا مذابح ولا تماثيل لآلهة يتعبدون اليها ولكن نعرف بالتأكيد وجود ثلاثة معابد من الفترة الاخمينية ، أحدها في بازركادة والآخر مقابل قبر داريوس في نقشي رستم ، ومن الأرجح أنه من بناء الملك نفسه ، والثالث في سوسة ، يؤرخ الى عهد الملك ارتحششتا الثاني . والمعبد عبارة عن برج مربع يضم بداخله غرفة واحدة ، يتم الوصول اليها على سلم ، وكان المجوس يضرمون النار المقدسة فيها . لذلك فان الطقوس الدينية كانت تنفذ في الهواء الطلق في المنطقة المحيطة بالمعبد حيث كانت المذابح تقام في المناطق المكشوفة الى مسافة قليلة من المعبد .

وصنع الفرس تماثيل لآلهتهم ، فان ارتحششتا الثاني أقام تماثيل للآلهة أناهيتا في سوسة وبابل واكبتانا وغيرها من مراكز الامبراطورية وان جميع المنحوتات فوق قبور الملوك الاخمينيين تصورهم وهم يتعبدون أمام معبد النار المقدسة ، وفوقه القرص المجنح الذي يبرز فوقه الاله اهورامزدا . ان تمثال الاله اهورا مزدا يصور

على شكل نسر ينشر جناحيه ، ويتوسط الجناحين قرص دائري الشكل ربما يرمز للآلهة الشمس ، وبدلا من رأس وصدر النسر ، رسمت صورة القسم العلوي لشخص في وقفة تعبدية يمسك بيسراه قرصا دائريا والشكل صورة رمزية للآله اهورامزدا . ان هذه الصورة نجدها في أعلى نصب بيستون وعلى العديد من النصب في برسيبوليس .

وعلى الرغم من أن ديانة الاخمينيين لم تكن توحيدية ، حيث ترد الاشارة لآلهة آخرين بالاضافة الى اهورامزدا ، ولكن التركيز المشدد على أهورامزدا يشير الى أن الديانة الايرانية تعد خطوة هامة على طريق التوحيد .

كانت بداية انتشار الديانة الزرادشتية التي دعى اليها زرادشت على عهد الاخمينيين . والراجح أن زرادشت ولد في ميديا وأخذ يبشر بديانته بحدود منتصف القرن السادس ق .م . في الأقسام الشمالية الغربية . ثم هاجر الى شرق ايران حيث زاد عدد أنصاره ومريديه . وكان من بينهم أمير اسمه هستاسبس الذي يعتقد أنه والد داريوس ، وكان حاكما على بارثيا وهركانيا (قزوين) وأصبحت الزرادشتية الدين الرسمي للدولة الاخمينية على عهد داريوس وخلفائه . وسيكون لنا حديث قادم عن هذه الديانة وأصولها وتعاليمها وطقوسها ومراحل تطورها . ومن الأحداث البارزة الأخرى الكثيرة لعهد الملك دارا تحوله من اللغة الفارسية والخط المسماري في شؤ ون الدولة الرسمية الى الخط واللغة الآراميتين . وكان أحد الأسباب الرئيسية لهذا التحول ، شيوع الآرامية لغة وكتابة في الكثير من مقاطعات الامبراطورية الاخمينية وسرعة تعلمها وسهولة الكتابة بها .

ان لغة الفرس هي الفارسية القديمة ويرمز اليها (O P) Old Persian وهي اللغة الوطنية لاقليم فارس واللغة التي تكلمت بها القبائل الفارسية التي سكنت هذا الاقليم . وقد وصلتنا منها عن طريق الكتابات المسمارية لحكام الأسرة الاخمينية وبعض أسماء الاعلام والألقاب في اللغات الأخرى منها البابلية والعبرية والآرامية والاغريقية وبصفة مفردات استعارتها نفس اللغات من الفارسية .

وعلى أيام الامبراطورية الاخمينية ، كان الميديون في غرب ايران يتكلمون لغة قريبة الصلة بالفارسية القديمة . ونعرفها فقط من بعض مفرداتها المعارة الى الفارسية القديمة . منها أسماء أماكن وأسماء أعلام كما تسربت بعض المفردات الميدية الى اللغات القديمة الأخرى .

أما في شرق ايران فنعرف لغة الافستا ، التي لم تبق بصيغ مدونة ولكنها تمثل المراحل القديمة للغات الصغديين والساكا وفيما عدا اللهجة الافستية ، فان هذه اللهجات الشرقية غير معروفة من الفترات قيد البحث .

كانت الفارسية القديمة لغة الادارة والجيش وليست اللهجات الأخرى أو الميدية . ولكن الآرامية استخدمت في الشؤون الادارية لأقاليم الامبراطورية الاخمينية من مصر والى السند وبذلك فان الفارسية القديمة كلغة مدونة ، كانت موظفة فقط في الكتابات التذكارية . واخترع الفرس أسلوب الكتابة المسمارية المستخدم للفارسية في عهد داريوس الأول في الغالب ، الذي يعد أول ملك استخدم الفارسية القديمة في التسجيلات التذكارية وان كتاباته في بهستون دونت بأسلوب مبسط جدا ، فلم تكن حالات الاعراب للجملة متطورة بعد ، كما أنها لم ترتق الى مستوى الكتابات المؤثرة حيث كانت تفتقر الى ألفاظ التعظيم والكبرياء ، وكانت التقوى دون تواضع أمام الاله الأعظم اهورامزدا . كذلك كانت هذه الكتابات في تفصيلاتها تلتقي مع الكتابات البابلية والآشورية ، ولكن في جوانب أخرى من التفصيلات تكشف عن أصول هندية أوروبية من ذلك جملة البدء .

« يقول داريوس الملك » أما وصف داريوس كمحارب ، كما جاء على لسانه ، تعد من الخصائص المميزة جدا في الكتابات الفارسية أيضا .

« مدرب جيد أنا بيدي وبقدمي . وكفارس أنا فارس جيد ، وكرامي قوس أنا قواس جيد وأقف على قدمي أو أمتطي صهوة جواد وكحامل رمح أنا رماح جيد وأقف على قدمي أو أمتطي صهوة جواد » .

وان كتابات بيستون المدونة بالعيلامية والبابلية والفارسية القديمة ، ترجمت

الى الآرامية ووزعت في الأقسام المختلفة للامبراطورية ليقرأها التابعون . وقد عثر على نسخة واحدة منها في برديات الفنتين في مصر .

ان معظم الأدبيات الدينية والخاصة انتقلت الى الموروثات الشفوية في الشؤون الهندأوروبية . لذلك نعرف هذه الأدبيات فقط من خلال ما حفظ من هذا التراث بواسطة الكتاب الاغريق مثل هيرودتس . وكان لها بوضوح تداخل مع التراث الشعبي الشفهي حول كورش الكبير وغيره من أبطال القصص الشعبية .

وكان يطلق على الآرامية المستخدمة في المراسلات الملكية ـ الآرامية الملكية ، وان القسم الآرامي من العهد القديم والبرديات اليهودية في الالفنتين دونت بهذا النوع من الآرامية . وكانت الطريقة المتبعة من قبل الملك وموظفيه الفرس الذين لم تكن لهم دراية بالآرامية هي أن يملي الفارسي رسالته بالفارسية على كاتب ، حيث يكتبها بالآرامية وترسل الرسالة الى المعنون اليه ، وهو فارسي أيضا ، حيث يقرأ عليه الرسالة أحد كتابه بالفارسية أيضا أي أنه يترجمها أو يفسرها اليه . « وكتابة الرسالة مكتوبة بالآرامية ومترجمة بالآرامية » (عزرا ٤ : ٧) ، « الرسالة التي أرسلتموها الينا قد قرئت بوضوح أمامي » (عزرا ٤ : ١٨) .

لقد أصبحت الآرامية لغة الدبلوماسية والتجارة منذ القرن الرابع . وان ما يقال عن بدء استخدامها في الشؤون الادارية للامبراطورية من قبل دارا يجب أن يعاد فيه النظر لأننا نعرف عن بدء استخدامها من قبل الآشوريين في بعض الكتابات التذكارية وفي الرسائل ثم أصبحت الآرامية تستند الى أرضية قوية على عهد الدولة الكلدانية . وعندما أصبح الميديون حكام منطقة آشور تأثروا بالآرامية وأصبحت لغة مراسلاتهم أما الفرس في منطقتهم فانهم تأثروا بالعيلاميين واعتادوا استخدام العيلامية والبابلية . ويتأكد ذلك لا فقط من خلال كتاباتهم التذكارية بل من آلاف الألواح الطينية المكتشفة في برسيبوليس المدونة باللغة العيلامية والخط المسماري .

وعندما احتل كورش ميديا ، فانه صادف الآرامية مستخدمة في تلك المنطقة من ايران في المراسلات الملكية ، وعندما احتل بابل واجهته الآرامية ثانية ، وهي

مستخدمة في الوثائق الدبلوماسية كما يتوضح ذلك من بردية صقاره المدونة في عام ٦٠٥ق .م. وبناء على ذلك نستطيع القول أنه منذ عهد كورش وقمبيز استخدمت الآرامية كلغة رسمية لشؤون المقاطعات بينما بقيت البابلية والعيلامية مستخدمة للكتابات والتسجيلات الرسمية منها مثلا حوليات الملك كورش . وسار داريوس الأول على هذا التقليد . ولكنه أدخل الفارسية القديمة كواحدة من اللغات الثلاث للكتابة التذكارية . وبذلك بلغت الآرامية في طريق انتشارها أقصى شرق ايران . وشمال غرب الهند .

وبمرور الوقت أخذ الكتبة الايرانيون يدخلون ألفاظا واضافات صوتية الى الآرامية التي يدونون بها ، وهم بذلك يقلدون الاكديين عندما كانوا يستعيرون ألفاظا سومرية في كتابة بعض العقود الخاصة وكانت النتيجة أن ظهرت عدة أساليب كتابية أو خطوط مختلفة حيث دون بها نوع من الايرانية الوسطى .

وعلى الرغم من الاستخدام الرسمي للآرامية فان الفارسية تركت آثارها على اللغات الأخرى وبالتالي يمكننا اقتفاء أثر العديد من المفردات الايرانية في العيلامية والبابلية والآرامية والعبرية والاغريقية . وان عدد الألفاظ المعارة الى الآرامية كبير جدا لأنها اللغة التي استخدمها الفرس . فان كتابات ووثائق عزرا ـ نحميا ، وكذلك البرديات المصرية تحوي عى نسبة عالية من المفردات المستعارة عن الايرانية (راجع قائمة المفردات الايرانية المعارة الى الآرامية في العهد القديم «ص **٣٥٢ ـ ٣٥٣** . من المصدر رقم ـ١ـ) وعلى الرغم من بقاء العيلامية في عيلام والبابلية في بابل ، لكن الولاة الفرس استخدموا الآرامية .

وبقى استخدام الفرس للمسمارية مقتصرا على النصب والكتابات التذكارية ، فقد غدا العارفون بها قليلون . ويشخص الباحثون في الكتابات الفارسية القديمة التي تخص الاخمينيين الكثير من الأخطاء التي تشير الى دراية ضعيفة بأسرار الكتابة المسمارية . وهكذا تحول الفرس لكتابة لغتهم بالأبجدية الآرامية . وان أحد النصوص على قبر داريوس وحالته تالفة جدا ، يكشف لنا تدوين الفرس

لغتهم بالآرامية وتطورت عن الأبجدية الآرامية بمرور الوقت الكتابة الفهلوية معتمدة العلامات الآرامية .

ان آلاف الألواح المكتشفة في سوسة كتبت معظمها بالعيلامية ، وقليل منها بالآرامية ولكن ليس هناك نص واحد بالفارسية . فكانت الأوامر التي تصدر عن البلاط تترجم الى العيلامية وتدون على ألواح الطين ، وبسبب مادة الكتابة للآرامية فاننا نفتقد الى مدوناتها الاخمينية بينما بقيت العيلامية لأنها دونت على ألواح الطين .

برسيبوليس

اتخذ داريوس في سنوات حكمه الاولى كلًا من بابل واكبتانا وسوسة مقرات لحكمه او عواصم لأمبراطوريته . ونشير ايضا الى القصر الكبير الذي شيده غرب قصر نبوخذ نصر في بابل وسكنه لفترة قصيرة . وكان للتخطيط والعمارة والعناصر الزخرفية الاشورية والبابلية اثرها الكبير على توجهات داريوس المعمارية ، وبخاصة منها الابادانا قاعة الاعمدة التي تشتهر من بين مخلفات قصر داريوس في برسيبوليس . وكذلك صور الاشخاص والحيوانات من الآجر المزجج وغير ذلك من العناصر الفنية والمعمارية .

ثم انتقل داريوس الى سوسة واتخذها مقرا ملكيا لحكم امبراطوريته وبنى فيها قصره المهيب الذي وصلنا الشيء الكثير من معالمه وآثاره وهي تكشف عن مدى الاثر الكبير للعمارة والزخرفة البابلية في هذا البناء فقد شيدت الجدران من اللبن وكسيت الواجهة بالواح حجرية من الطابوق المزجج وكذلك صور الاسود والثيران المجنحة كما تكشف صور حاملي الجزية في برسيبوليس عن صلتها القوية بمشاهدة مماثلة في خرصباد وان قرص الشمس المجنح لا هورا مزدا فوق رأس تماثيل دارا هو نسخة

مكورة لقرص الشمس المجنح لآشور في المنحوتات الاشورية . وغرفة العرش في القصر والتي تعرف بالابادانا عبارة عن قاعة كبيرة يستند سقفها الى ستة صفوف كل صف منها بستة اعمدة طول الواحد منها حوالي ٢٠ متراً تنتهي بتيجان مكونة من تمثالي ثورين ، والقاعة محاطة من نواحيها الشمالية والشرقية والغربية باروقة مستطيلة الشكل يستند سقف كل منها الى ١٢ عمود .

ويكشف لنا لوح تذكاري دونه دارا عند بنائه للقصر في سوسة عن الجهود الكبيرة والاموال الطائلة ومواد البناء المختلفة والفاخرة التي اشتركت شعوب واقاليم الامبراطورية جميعا بتقديمها كل بموجب مواد اقليمية او مهارة اهله في نوع من الصناعة ، في تنفيذ وانجاز البناء وهكذا فبالاضافة الى اثر العمارة والفنون العراقية الواضح في كل مخلفات الاخمينيين فاننا نجد ايضا مؤثرات الشعوب الاخرى التي خضعت لحكمهم ومنهم اغريق ايونيا والمصريون والسوريون وسكان اسيا الصغرى ويوضح ذلك النص المشار اليه اعلاه عندما نقرأ فيه الى ان الذين اشتغلوا في الحجارة هم الايونيون والذين اشتغلوا بالذهب هم المصريون والميديون وصانعو الآجر من البابليين ومزخرفو الجدران من الميديين والمصريين كما يكشف النص لنا من جانب آخر عن ثروات الاقاليم والمهارات الفنية والصناعية المختلفة فيها وكانت آخر الاعمال العمرانية الكبيرة التي نفذها دارا بناؤه لعاصمته الجديدة برسيبوليس وقصره المهيب فيها .

تعد برسيبوليس ثاني العواصم الفارسية القديمة ، فبعد بازركادة التي بناها كورش بمدة اربعين سنة ، يشيد دارا مقرا ملكيا وعاصمة لامبراطوريته في قلب اقليم فارس . وعلى الرغم من بقاء بازركادة محافظة على مكانتها في نفوس الفرس وملوكهم ، وذلك من خلال احتفالات التتويج التي كانت تجري في معبدها ، لكن دارا اراد لنفسه ولاسرته الحاكمة الخلود ببناء برسيبوليس. الى الجنوب من بازركادة مسافة ٢٥ ميل وشرق مدينة شيراز مسافة ٥٠ ميل تقع اطلال العاصمة الاخمينية برسيبوليس تلك الاطلال التي تستند نهايات جبل الرحمة شهدت أوسع اعمال

تنقيبات نفذها المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو منذ عام ١٩٣١ . وتوصلت اعمال المنقبين في الكشف عن بقايا القصور والمنحوتات والعديد من الكتابات واثار متفرقة اخرى كثيرة والمهم ان نتائج اعمال التنقيب في برسيبوليس القت مزيدا من الاضواء على تاريخ الدولة الاخمينية .

استغرق بناء برسيبوليس المدة الواقعة ما بين ٥١٨ او ٥٢٠ وحتى عام ٤٦٠ ق.م. وبدأ الاعمال البنائية فيها داريوس وواصلها ابنه أحشويرش وأرتحشستا الاول والثالث واشعلت فيها النيران عام ٣٣١ ق.م. عندما غزاها الاسكندر والمقدونيين .

وعلى عكس بازركادة ، فهي قلعة حصينة تضم بداخلها القصور فقط وترتفع ابنيتها لعلو يقرب من ٦٠ قدم ، نحت بعضها في الحافات الصخرية ، وشيد الاخر من كتل الحجارة المهندمة ، فاصبحت ابنية المدينة بعلوّها ومتانة مواد بنائها بعيدة عن متناول الاسلحة القديمة .

يحيط بالمدينة سور يرتفع لعلو ٥٠ قدم . وان بعض البقايا تؤيد وصف المؤرخ ديودرس للمدينة من انها كانت مغلقة بجدارين او جدار مضاعف وخندق .

شيدت في برسيبوليس مصطبة يستند خلفها الى سفح جبل ـ جبل الرحمة ـ اما واجهتها فبنيت من كتل الحجارة الكبيرة المهندمة ، يربط فيما بينها قضبان حديدية ورصفت فوق بعضها بالرصاص المذاب . ويرقى الى سطح المصطبة بواسطة سلمين جانبيين ومن ثم يقود سلمان جانبيان آخران الى سطح الابادانا ـ قاعة الاستقبال ويستند سقف قاعة الاستقبال على ٧٢ عمودا ارتفاع الواحد منها ٦٥ قدماً وتيجانها نحتت على اشكال اسود وثيران وتعد الاعمدة واحدة من ابرز الخصائص المميزة في العمارة الاخمينية ، فهي على الرغم من تأثرها بطرز الاعمدة الاغريقية لكنها مع ذلك تحتفظ بمميزات وخصائص محلية تبين ابداع الفن الاخميني في هذا المضمار .

ومثلما احتلت صور الجنود لفرقة الخالدين مكانتها البارزة في قصر دارا في سوسة كذلك تحتل صورهم المنحوتة جوانب السلم المؤدية الى القاعة . وعلى غرار

المنحوتات الاشورية امر دارا بنحت صور ممثلي الامم وهم يحملون الهدايا ليقدموها الى الملك داريوس . تلي قاعة الاستقبال من ناحية الجنوب ابنية عديدة ، تستند سقوف جميعها على الاعمدة منها قصر داريوس وقصر ارتحششتا الثالث وقصر احشويرش وجناح الحريم الواسع الذي يلي قصر احشويرش من ناحية الشرق .

وفي اطراف المسطبة الخلفية المجاورة لسفح الجبل بناية الخزائن ، حيث كشف فيها عن صورتين متشابهتين تصوران داريوس يستقبل رئيس موظفي القصر .

من ابنية احشويرش الهامة في برسيبوليس فوق المصطبة القاعة الكبيرة التي يستند سقفها على مائة عمود وتسمى بقاعة « المائة عمود » والى الشمال من مصطبة برسيبوليس بمسافة ٥ كم يشاهد تل اصطخر وهو تل اصطناعي من مدن متعاقبة . فقد شخصت في انقاض الموقع البقايا الاسلامية والساسانية ومنها خاصة مسكوكات من عهد اردشير الاول مؤسس الدولة الساسانية . وان بعض الاجزاء المعمارية المكتشفة تؤرخ للفترة الاخمينية واخيرا فان بعض الالات الصوانية المختلطة مع الانقاض المتأخرة تشير الى أن قرية قديمة لعصور ما قبل التاريخ تختفي في مكان ما من الموقع اسفل المباني الضخمة للفترات اللاحقة .

والى الغرب من اصطخر بمسافة ٣ كم يبرز نتوء صخري من الجبل الذي يسمى اليوم « حسين كوه » اختاره داريوس مقرا لداره الابدية وتبعه في ذلك ثلاثة من خلفائه ويسمى اليوم محليا باسم نقشي رستم ومعناه رسم رستم وهي حفر في الواجهات الصخرية العمودية لواجهة المقبرة على شكل صليب عليها الصورة الرمزية للاله اهورا مزدا فوق صورة الملك الذي يبدو في وقفة تعبدية . ويحمل تابعون له من الامم المختلفة عرشه . وقد نحت الملوك الساسانيون صورا تذكارية لمناسبات معينة اسفل حفر المقابر هذه .

وامام هذه المقابر بناية مستقلة من الحجر تسمى محليا بكعبة زرادشت وربما كانت قبرا لواحد من الملوك الاخمينيين الاوائل ، كما يشك بكونها معبد نار اناهيتا .

وبالاضافة الى هذه الاثار الهامة في برسيبوليس ، فقد صور الساسانيون بعض

لوحاتهم التذكارية مقابل نقشي رستم عند الاطراف الشمالية لجبل الرحمة يعرف بنقش رجب ، ومما يجدر ذكره ان الاخمينيين زودوا العاصمة برسيبوليس وكذلك سوسة بالمياه من خلال نظام القنوات الاروائي الذي ازدهر على عهدهم كثيرا وشاع استخدامه على نطاق واسع في انحاء ايران . فلم تقتصر اعمال دارا على تنظيم الدولة ووضع القوانين والاهتمام بالاعمال العمرانية التي توجها في بناء برسيبوليس ، بل تشهد له ايران الاخمينية بالاستفادة القصوى من تراث الحضارات القديمة السابقة للعهد الاخميني ، وبخاصة تراث الحضارة العراقية القديمة في كثير من اعماله .

اشرنا فيما سبق الى اهتمام دارا بفتح الطرق وحمايتها . . والتي شجعت حركة التجارة بين الاقاليم المختلفة على الازدهار ، ولكن ازدهار التجارة يتوقف على بعض الاجراءات الاقتصادية التي يجب ان تخضع لاشراف الدولة المركزي ومنها شؤ ون الموازين والمقاييس والمكاييل ، ان بعض كتل الوزن البرونزية المعمولة على هيئة اسد ، وبعض الكتابات عليها التي تشير الى الملك داريوس او حكام مقاطعاته تؤ كد هذا الاهتمام بالجانب التجاري الذي ترك اثره الايجابي على ازدهار الاعمال التجارية . وان الاوزان والمقاييس الدقيقة للمعادن النفيسة كانت سبيلا للمبادلات المالية منذ اقدم العهود الحضارية لبلاد وادي الرافدين ، بالاضافة الى الشعير الذي مثل الشكل الاقدم للوحدة التبادلية كسلعة قياسية للمواد المختلفة في عمليات البيع والشراء .

وان بعض القطع الفضية الدائرية التي تحمل رموز الالهة المكتشفة في بعض المواقع الاثرية من العهد الاشوري ، وهي قطع باوزان ثابتة ، يظن بانها تمثل اقدم نماذج المسكوكات في تاريخ البشرية . وتعتمد اشارة سنحاريب الملك الاشوري التالية ، اشارة صريحة لصناعة المسكوكات « صنعت شكلا من الطين وصببت فيه البرونز لأصنع قطعا بوزن نصف شيقل » .

والمرجح ان فكرة سنحاريب في صناعة الكرات البرونزية ذات الاوزان الثابتة

والقيمة المحدودة طورت من قبل الملوك الليديين بضرب اقدم المسكوكات الذهبية التي كانت تحمل شعار الليديين على وجه وهي رأس لاسد يزأر .

وتعلم الاغريق صناعة المسكوكات عن الليديين ، لذلك بقيت كثير من المفردات البابلية اساسا لاوزان وقطع مسكوكاتهم ، تلك المفردات التي استعارها الليديون اولا .

ان كميات كبيرة من المسكوكات الذهبية والفضية الليدية عثر عليها في برسيبوليس وفي ضوئها ضرب الاخمينيون مسكوكاتهم ، حيث كانت تحمل على احد وجهيها صورة الملك بملابسه الرسمية وعلى رأسه تاج الحرب . وبقيت لفظة التي تعد القطعة النقدية الاساس في الدولة الاخمينية ، تخلد ذكر دارا فبعد ان كانت تدفع اجور العاملين عينا من مواد مختلفة كاللحوم والحبوب فان قائمة اجور العمال من عهد احشويرش دفع ثلثيها عينا والثلث الاخير نقدا .

تطرقنا فيما سبق الى بداية حكم داريوس التي احاطتها المشاكل العديدة ومن ابرزها ثورات الاقاليم وانفصالها عن حكم الامبراطورية . وقد اقتضت الاوضاع ان يولي داريوس شؤون الحرب عنايته الكبيرة . وقد اثبت في ذلك جدارة لا تقل عن قدرات كورش وقمبيز ، حتى اننا وصفنا اعماله العسكرية تلك وكانها فتح جديد للاقاليم السابقة واضاف الى خارطة الامبراطورية اقاليم ومناطق جغرافية واسعة جديدة منها الاقسام الغربية للهند ووادي السند كما انه اوعز لبعض رجالاته بالاعداد لرحلة نهرية بحرية تقطع السند وحاول الابحار من مصبه في المحيط الهندي نحو مصر وكانت رغبته شديدة في ربط اجزاء الامبراطورية بطرق بحرية وتعد هذه الخطوة من اقدم المحاولات في اكتشاف طرق بحرية تربط بين الشرق والغرب .
وعلى الرغم من اشارات المؤرخين الى نجاح هذه التجربة حتى انهم يقدرون مدة ٣٠ شهرا لقضائها ، ولكن الحملات البحرية المنتظمة بين مصر وشواطىء الهند الغربية تأخرت حتى اواخر القرن الاول ق. م. ويبدو ان داريوس كان جادا في امر الاتصالات البحرية بين مصر والهند لما لها من اهمية سياسية وعسكرية وتجارية فقد

امر بحفر قناة تربط النيل بالبحر الاحمر ، وهو المشروع الذي بدأه الفرعون نيخو بربط الفرع الغربي للنيل بالبحيرات المرة ، ويقصد من وراء ذلك نقل الاتصالات البحرية من البحر الاحمر الى الابيض .

ولكن من ابرز الاحداث العسكرية التي تميز اواخر عهد دارا تتمثل في الاحتكاكات العسكرية مع الدويلات اليونانية ، تلك الاحداث التي تطور ت بشكل سريع بعد وفاة داريوس لتطبع العلاقات الدولية بطابعها المتوتر والذي تخللته حملات عسكرية كبيرة برية وبحرية شنها الفرس الاخمينيون ضد بلاد اليونان . وقد جلبت هذه الحروب الويلات للطرفين وبخاصة على شعوب شرقي البحر المتوسط من اقاليم الامبراطورية الاخمينية لان وزر الحرب الكبير وقع على عاتقهم ولكن هذه الحرب تسببت من ناحية اخرى في احتكاك كبير وواسع بين الشرق والغرب ، وهو الاحتكاك الذي تعمقت ابعاده وتعددت صوره في اعقاب غـزو الاسكندر للامبراطورية الاخمينية والشرق باسره .

اصبح العالم القديم باسره تقريبا مقسماً الى مقاطعات في الامبراطورية الاخمينية من وادي السند جنوبا وكابل وبلاد ما وراء النهر شرقا والى اسيا الصغرى ومصر وليبيا غربا ولم تبق قوة تنافس نشاطات الاخمينيين عدا قوة الدويلات اليونانية وخطر الاقوام السكيثية البدوية جنوبي روسيا ومنطقة البلقان . ولم يتناس داريوس خطر هذه الاقوام التي تسببت في موت زعيم الدولة الاخمينية كورش ، كما انه قصد من التحرك للسيطرة عليها اولا وليحكم حركة الالتفاف حول بلاد اليونان .

كانت بلاد اليونان تعتمد في غذائها على حبوب منطقة البحر الاسود التي تصلها بحرا مع سواحل البحر الجنوبية وتعبر البسفور مواصلة رحلتها صوب المدن والجزر اليونانية وكانت مصر ايضا من مناطق تزويد اليونان بالحبوب . وبعد احكام السيطرة الاخمينية على كل من آسيا الصغرى ومصر ، اصبحت منافذ الحبوب مغلقة بوجه اليونان . ولكن حرب اليونان تأجلت بسبب ضعف قدرات الاخمينيين في ركوب البحر ، لذلك نجد ان الاخمينين اعتمدوا بشكل رئيسي في قطعاتهم البحرية

على الفينيقيين وانهم جهدوا انفسهم لسحب الجيش اليوناني الى معارك ارضية .
وعليه فان عبور داريوس للبسفور ومواصلته الزحف ضد الاسكيثيين كان القصد من ورائه تضييق الخناق على اليونان بقطعهم عن بقية العالم وقطع سبل امدادات الغذاء .

وبلغ جيش داريوس في اوروبا نهر الدانوب متعقبا السكيثيين ، ولكنه لم يواصل ابعد من ذلك للصعوبات الكثيرة التي واجهها وبذلك اصبحت تراقيا التي تشكل نقطة الاتصال بين اوروبا واسيا ومقدونيا خاضعتين لحكم الملك الفارسي وبدأ النفوذ الفارسي يمتد تدريجيا ليشمل المناطق اليونانية الساحلية الواحدة بعد الاخرى . وهكذا بعد ان عبر داريوس البسفور وسيطر على المناطق شمال بلاد اليونان واقسام من مناطقها الساحلية ، وقطع امدادات حبوب البحر الاسود عنها توقع ان سقوط المدن اليونانية غدا قاب قوسين او ادنى .

دفع الخطر الفارسي بالمدن اليونانية وعلى رأسها اثينا واسبارطا لتناسي خلافاتها ودفعت الاحداث بالخط المعتدل في اثينا والذي كان يريد مفاوضة الفرس وحتى الاعتراف بسلطانهم ، الى الوراء ووقفت المدينتان على رأس المدن اليونانية من فارس . كذلك ثارت المقاطعات اليونانية في اسيا الصغرى ضد الحكم الفارسي . ولكن عقوبة الفرس لهم كانت شديدة وصارمة خضعوا بعدها الى النفوذ الفارسي المباشر من خلال حكم « ستراب » وكان الفرس يقصدون من وراء ذلك تلقين اليونانيين درسا يمنعهم من تكرار محاولات تحريض الدويلات الايونية .

وكان داريوس على معرفة تامة بالخلافات الكبيرة بين المدن اليونانية ومكامن الصراع داخل كل مدينة ، لذلك اعتقد ان الفرصة سانحة لضرب هذه المدن والسيطرة على بلاد اليونان . ولكن اليونانيين تناسوا خلافاتهم بسرعة ووحدوا قواهم ونجحوا في صد اول محاولة قام بها الفرس وكان غضب داريوس كبيرا بفشل حملته التي توقع لها النجاح بسبب تبعثر وحدة الصف الداخلي لليونانيين فارسل جيشا ثانيا بقيادة داتس الميدي ، الذي نجح اول الامر في السيطرة على بعض المقاطعات

اليونانية . ولكنه ارتكب خطأ فادحا . فبدل ان ينسق مع انصار الفرس من اليونانيين ويعمد الى تقوية مركزهم ، عمد الى شن العدوان على المعابد والمدن وارسال المواطنين كعبيد الى سوسة .

شعر اليونان ان الخطر محدق بهم جميعا ولا فرق بين فئة واخرى عندما تتعرض البلاد الى الطوفان ، فتناسوا خلافاتهم ووحدوا قواهم تحت لواء اثينا التي سارت بجيش اليونان لملاقاة الفرس الذين عسكروا في سهل مراثون ، فانزلوا فيه ضربة كبيرة واضطروه للتراجع والانسحاب في سفنه . ومما يجدر التنويه به ان ركضة الماراثون المشهورة اليوم في عالم الرياضة ترجع بداياتها الى ايام هذه الحرب ، فتنقل الروايات التاريخية الى ان احد المواطنين الاثينيين كان شاهدا للحرب وانتصار قومه على الفرس فقرر الركض من موقع المعركة الى اثينا ليبشر اهلها بالنصر المبين وتقدر المسافة بين موقع المعركة واثينا التي قطعها الراكض الاثيني بحوالي ٣٠ كم . وهكذا كانت معركة ماراثون عام ٤٩٠ ق . م . درسا قاسيا للفرس ، وعبرة كبيرة لليونان ، فمتى وحدوا صفوفهم نجحوا في ايقاف ودحر اكبر الاعداء وحتى في اجتياح بلاده . ولكن الحرب الميدية كما يسميها هيرودتس ، تأجلت بسبب ثورة مصر ومن ثم وفاة دارا عام ٤٨٦ ق . م . ولا تفوتنا الاشارة عند نهاية حديثنا عن معركة ماراثون ، ان الاعداد الكبيرة من الاسرى الذين ارسلوا الى سوسة ، مهدوا الطريق امام الاحتكاك الواسع بين الثقافات الشرقية والغربية .

كانت وفاة داريوس حدثا كبيرا في حياة الدولة الاخمينية ، فبوفاته ينتهي عهد الملوك الذين يتزعمون قطعاتهم العسكرية ، وفيما عدا بعض ظلال دارا التي شملت عهد احشويرش ، حيث قاد الحملة الثانية ضد اليونان بنفسه ، فاننا نفتقر الى ملك آخر يقود الجيش بنفسه ويصنع النصر . بل اكثر من ذلك غرق الملوك في مشاكلهم الداخلية وصراعهم من اجل العرش الذي احاطته برك الدماء التي اريقت من اجله وبعد مائة سنة تقريبا لم يجد الاخمينيون من افراد البيت المالك سوى دارا الثالث الذي اثبت جدارة عالية في ادارة البلاد ولكن بعد فوات الاوان. بدأ احشويرش استعداداته

للثأر من اليونانيين واحتلال بلادهم ، كذلك واصلت اثينا استعداداتها وتقوية اسطولها بدعم من معظم الدويلات اليونانية الاخرى وعلى رأسها اسبرطة ولكنه صفى حساباته مع ثورتي بابل ومصر اولا وكان شديداً في قمع الثائرين فهدم اسوار المدينة ومعابدها وذوب تمثال الاله مردوخ الذهبي . وكان يقصد من وراء اعماله هذه توجيه ضربة معنوية بعمق الضربة العسكرية للبابليين تمنعهم من التفكير بالثورة ضد الفرس . كان لقاء الجيشين عند ممرات جبلية ضيقة تعرف باسم ترموبولي رغبة من احشويرش ان تقع المعركة في البر لعدم ثقته بالاساطيل البحرية التي كانت بامرة الفينيقيين . وقد تعرض الاسطول الفارسي الى عاصفة هوجاء بعثرته واضرت بالعديد من قطعه ، ولكن الفرس نجحوا في اجتياح القوى اليونانية بكل بساطة وسيطروا على اتيكا وهاجموا اثينا واشعلوا فيها النار . ولكن الاسطول الفارسي لم يستطع تحقيق تقدم يذكر بالقياس الى تقدم القطعات الارضية ، بل اكثر من ذلك فقد نجح اليونان في انزال ضربة كبيرة بالاسطول الفارسي عند سلاميس ٤٨٠ ق . م . ثم كانت معركة بلاطية « ٤٧٩ » التي انزلت هي الاخرى خسارة فادحة بالقطعات البرية الفارسية وهكذا انتهت الحرب دون نتيجة حاسمة للفرس لكنها لقنتهم درسا بصعوبة منازلة اليونان . ولم يعاود الفرس بعد هاتين المحاولتين حلمهم باحتلال بلاد اليونان ، بل اكثر من ذلك فان نتائج هذه الحملات الفاشلة على اليونان ، شجعت المستوطنات الايونية في آسيا الصغرى بالثورة ضد الفرس والتعاون مع اليونانيين ، وهكذا تسببت هذه الاحداث في ابعاد السيطرة الفارسية عن آسيا الصغرى جميعها .

كانت صدمة الخسارة في معركة اليونان كبيرة على احشويرش ، الذي استقر نهائيا في برسيبوليس وشغل نفسه باكمال الاعمال البنائية التي بدأها ابوه في سوسة وبرسيبوليس كذلك خطط لابنية اخرى جديدة .

ومات مقتولا في مخدعه اواخر سنة ٤٦٥ ق . م .

اعقب احشويرش ابنه ارتحششتا الاول (٤٦٥ - ٤٥٤ ق . م .) الذي

استهل حكمه باغتيال جميع اخوته متذرعا بثورة احدهم الحاكم في مقاطعة بكتريا . كذلك ثارت في عهده مصر بتحريض من اليونان ، ولكن الملك لاجل اضعاف التحالف بين المدن اليونانية اغرق اسبارطة بالذهب الفارسي ، ونجح في اضعاف موقف اثينا وبالتالي طردها من مصر واخمد ثورة المصريين .

واضطرت اثينا بعد خسارتها في مصر وفقدانها لحليفتها اسبارطة ان تقبل بالصلح مع فارس عام (٤٤٩) وهكذا استقرت الاوضاع في مصر لصالح الاخمينيين . اما بابل فقد اغرقت بالجاليات الفارسية في الوقت الذي اثقل الفرس كاهل البابليين بالضرائب ولكنهم منحوا بعض الحرية الدينية في ممارسة شعائر الاله مردوخ .

وابرز ما يميز عهد أرتحششتا الاول ، ازدهار العلاقات السلمية بين فارس واليونان والتي تسببت في كثير من الاستعارات الفنية التي نلمسها في البقايا المعمارية الفارسية وبسبب حالة السلم هذه تهيأت الفرصة امام الكثير من الكتاب والمؤرخين اليونان للسفر الى مصر وبابل وايران وتعرفوا على الكثير من تاريخ وديانة هذه البلدان وشعوبها . وعلى عهد هذا الملك كتب هيرودتس تاريخه الشهير وعلى الاغلب ان نظرية الجزئيات لديموقريطس لم تظهر الا من خلال الاتصالات مع العلماء البابليين وكانت من نتيجة هذا التعرف الدقيق على الشرق من قبل اليونان ، ان بقيت نظرة اليونان الطموحة للوصول الى الشرق .

وقد واصل دارا الثاني (٤٢٣ ـ ٤٠٤ ق . م .) سياسة سلفه في عدم التدخل المباشر في بلاد اليونان ، لكنه غذى الخلافات بين اثينا واسبارطة بمزيد من المسكوكات الذهبية الفارسية . تلك الخلافات التي اشعلت نار الحرب البيلوبونيزية والتي انتهت بسيادة اثينا على معظم بلاد اليونان (الحروب البيلوبونيزية حروب اهلية اشتعلت نارها بين اثينا واسبارطة بالدرجة الاساس وغيرها من المدن اليونانية وقد نجح الفرس في تأجيج الخلافات وتعميق حدة الحرب بدعم مادي كبير لاسبارطة) ولم يخل البلاط الاخميني من الدسائس والمؤامرات والتي لعبت الملكات والاميرات

والمحظيات دورا بارزا في اشعالها .

فقد نجحت احدى زوجات الملك دارا بالحصول على موافقة الملك لتعيين ابنها كورش حاكما على ليديا وفيرجيا وقائدا عاما للقوات الملكية ، وكانت تقصد من وراء ذلك وضعه في موقع يتيح له منافسة الوريث الشرعي للعرش بعد وفاة الملك .

انتقل العرش من بعد دارا الثاني الذي يعد آخر الملوك الاربعة الذين دفنوا في نقشي رستم الى ابنه الاكبر ارتحششتا الثاني وتلقبه المصادر اليونانية « ميمون » ويعني اليقظ الذي نجا من محاولة اغتيال دبرها اخوه كورش حاكم ليديا في حفلة التتويج بمعبد بازركادة ولكنه غفر لاخيه فعلته بسبب توسلات امه ، حتى انه ابقاه في منصبه حاكما على ولاية ليديا ولكن الامير الشاب عاد ثانية على رأس جيش كبير في محاولة لانتزاع العرش لنفسه وجند كورش لحملته هذه عشرة آلاف اغريقي من المرتزقة (في رواية اخرى ١٣ آلف) دون ان يعرفوا وجهة الحملة وقصدها ويقترن ذكر هذه الحملة باسم زينفون الذي قاد جموع اليونانيين بعد فشل المحاولة ومقتل كورش عام (٤٠١ ق . م .) في طريق عودتهم الى ديارهم وقد دون زينفون احداث هذه الحملة وظروفها وطريق عودتها والمناطق التي مرت بها مع وصف واسع لسكانها وميزاتها وبعض عاداتهم وغير ذلك . فوفر بذلك مادة جغرافية تاريخية مهمة جدا في دراسة احوال الشرق القديم وتميزت الفترات الاخيرة من عهد هذا الملك بثورات الاقاليم الغربية وكان بعضها يثور بقيادة حاكمها الفارسي الذي اصبحت سلطاته وراثية في هذه الاقاليم . وهكذا اصبحت معظم المقاطعات الى الغرب من الفرات مستقلة عن حكم الدولة المركزية ، لذلك احدقت الاخطار بالدولة والملك في آن واحد .

وابرز ما سببته ثورات الاقاليم الغربية وعلى رأسها مصر ، وانفصالها عن الدولة النقص الكبير في واردات الخزينة ، وهي الواردات الضرورية لدفع العجلة العسكرية ولقد بلغ من ضعف الدولة الاخمينية ان تجرأ بعض الحكام للزحف صوب مقاطعات الدولة الفارسية ، وهذا ما فعلته مصر عندما زحفت الى سوريا وقد ترك ارتحششتا الثاني لخليفته دولة مفككة ضعيفة الادارة والواردات كثيرة المشاكل صغيرة

المساحة بالقياس الى حجمها فيما سبق من عهود .

ويبدو ان ارتحششتا الثالث (٣٥٩ ـ ٣٣٨ ق . م .) كان رجل الساعة بالنسبة للدولة الاخمينية ولكنه اغرق حفلة تتويجه بدماء اخوته واخواته الذين قتلهم ليتخلص من احتمالات المنافسة والدسائس ومشاكل البلاط . وبدأ الملك بسلسلة من الحملات العسكرية ضد حكام المقاطعات التي اعلنت انفصالها ومنها مصر ، ونجح في اعادة الشكل القديم لخارطة الدولة السياسي بعد ان لقن الثائرين درسا قاسيا . ونالت مصر الشيء الكثير من لدن هذا الملك بعد فتحها فقد هدم المعابد وخرب الابنية وقتل الكثيرين وهكذا استعادت الدولة هيبتها ومكانتها بشكل يبدو للوهلة الاولى وكأنها اشد تماسكا وقوة مما كانت عليه على عهد داريوس الاول .

ولكن مؤامرات البلاط التي اراد ارتحششتا الثالث ان يتخلص منها بقتل اخوته واخواته ، الحقته بهم في نهاية المطاف ومات مسموما ، فافتقدت الدولة بموته ملكا كفوءاً اعاد للدولة هيبتها وسابق مجدها .

دارا الثالث ونهاية الدولة الاخمينية ٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق.م

وبسبب المذابح التي اعتاد على اجرائها الملوك الاخمينيون باخوانهم واخواتهم عند احتلالهم العرش خوفا من المشاكل والمؤامرات ، فلم يبق وريثا شرعيا من سلالة الملوك الاخمينيين .

لذلك عين داريوس الثالث وهو الوحيد من افراد البيت الحاكم بقي على قيد الحياة ملكا على الدولة الاخمينية ، ولكن السنوات الاخيرة من حكم ارتحششتا شهدت تغييرا نوعيا كبيرا في الاوضاع الداخلية لبلاد اليونان . وقد نجح فيليب المقدوني وهو ليس من الهيلينيين ولكنه يشاركهم في اصول الثقافة الاغريقية المشتركة ، في محاولاته لتوحيد بلاد اليونان تحت امرته . وقد تحققت هذه الوحدة السياسية لليونانيين على عهد ابنه الاسكندر الكبير المقدوني لذلك كان من المحتمل

جدا ان يستطيع ان يعيد للدولة سابق مجدها لو لم يصادف عهده وحدة بلاد اليونان وتحت زعامة لا تقل طموحا ومقدرة عن امكانياته .

ولو صرفنا النظر عن الظروف التي احاطت بالاسكندر حتى نجح في اقناع اليونانيين عامة والاثينيين بشكل خاص في محاربة بلاد فارس ، وهو موضوع نتركه لفصول تخص تاريخ اليونان ، فانه تولى الحكم في نفس السنة التي اعتلى دارا الثالث عرش فارس ، وعبر الدردنيل على رأس قطعات عسكرية قليلة معظمهم من المقدونيين وبرفقة الجيش عدد من المؤرخين والعلماء والفلاسفة ، وكان عبوره الدردنيل صوب اسيا اشارة لبدء الحرب ضد الاخمينيين ولم يعر دارا تحركات الاسكندر اهتماما يذكر ، بل اصدر اوامره بالقاء القبض عليه ونقله اسيرا الى بابل . وكان اللقاء الاول بين الجيشين عند شواطىء نهر غرانيقوس حيث حقق الاسكندر اول انتصاراته على الفرس وحدث ذلك في حوالي عام ٣٣٤ وكان عمر الاسكندر واحدا وعشرين عاما . وفتحت هذه الحرب ابواب اسيا الصغرى امام جيش الاسكندر واستقبلت العديد من المدن اليونانية على الشاطىء الاسيوي الاسكندر بالترحاب الكبير فادمجت بدولة الاسكندر ومنحت حريتها ، وكانت عقوبة بعض المدن اليونانية الاسيوية التي رفضت التعاون مع الاسكندر فوقفت بوجهه ، كانت عقوبتها شديدة فقد عوملت معاملة خونة الوطن الذين يفضلون الاجانب على ابناء وطنهم .

وواصل الاسكندر زحفه صوب قيليقية محاذيا الطريق الساحلي . وعند الابواب ـ القيليقية (وهي المنافذ الجبلية الضيقة في جبال طوروس والتي تعد الطريق الوحيد التي توصل بين شمالي سوريا وهضبة الاناضول) التقى الاسكندر بالجيش الفارسي ثانية . وارتكب الفرس خطأ عسكريا فادحا عندما زجوا بجيشهم الكبير في المجازات الجبلية الضيقة التي لم تمنح الجيش الاخميني الكبير فرص الانتشار الكافية اللازمة في ساعات الالتحام . فبقيت طوابير الجيش الاخميني متراصة الى بعضها سهلة المنال من قبل رماة الجيش المقدوني . وبذلك تشتت الجيش الفارسي وخسر

اعدادا كبيرة من قواته . وهرب دارا من قلب المعركة لينجو بنفسه . وبذلك فتحت ابواب دمشق التي كان دارا قد اتخذها مقرا لقيادته امام قواد الاسكندر ، حيث وجدوا فيها عائلة الملك واولاده وكثير من امواله .

وهكذا نجح الاسكندر في فصل معظم الاقسام الغربية من ولايات الدولة الاخمينية وأخضعها لنفوذه ولكن الاسكندر لم يواصل تتبعه لجيش دارا بل عمل على نشر سلطانه على الساحل السوري فاخضع المدن الفينيقية الواحدة تلو الاخرى ، وكان قاسيا وعنيفا مع بعض المدن التي قاومت غزوه ومنها مدينة صور وغزة . (٣٣٢ ق . م .) بعدها تقدم الاسكندر صوب مصر (٣٣١ ق . م .) حيث لم يصادف مقاومة كبيرة تذكر بخاصة وان سنوات الحكم الفارسي الاخيرة في مصر تميزت بالقسوة والاضطهاد واهانة المصريين في ديانتهم ومعتقداتهم . وبعد زيارة الاسكندر الذكية لمعبد امون في سيوة وادعائه بانه ابن امون والملك الشرعي الذي يعده امون لحكم العالم فتح عهدا جديدا في العلاقة بين اليونانيين وبين مصر وربما من تأثيرها ان استقرت الاوضاع في مصر لصالح اليونانيين حتى عام ٣٠ ق.م. عندما دحرت كليوباترة اخر حاكمة من البيت البطليمي اليوناني في مصر من قبل الرومان . وتحولت السيادة على مصر من ايدي اليونان الى الرومان .

لم يستسلم دارا للأمر الواقع . وبعد فشل محاولاته للصلح مع الاسكندر حشد جيشا عملاقا لملاقاة الاسكندر الذي سار على رأس حوالي (٤٠) الف مقاتل لملاقاة دارا الثالث فعبر الفرات عند مدينة تباسكوس ووصل الى نينوى ثم سار شرقا في بلاد آشور . كان الاسكندر يعتمد الخطط والتكتيك العسكري في حروبه ، بينما القى دارا ثقل المعركة على العدد الكبير لجنوده ، وفي الوقت الذي كان الاسكندر يختار ساعات المعركة نهارا ويعمد لاراحة جنوده ليلاكان دارا يثقل على جنوده العمل ليل نهار . وبذلك رجحت كفة الاسكندر في حرب الفرس الاخمينيين . وكان اللقاء الحاسم بين الطرفين في تشرين الاول من عام (٣٣١) في سهل كواكاميلا . (مرعى الابل) في منطقة اربيل وكان الجيش الاخميني مثقلا بقطعات واسلحة المقاطعات

المختلفة . ووقعت المعركة الحاسمة التي اشرت بداية نهاية الدولة الاخمينية ، ولم يبق دارا في موقع المعركة بل نجح بحماية فرقة الخالدين من الفرار واللجوء الى اكبتانا ومنها صوب المقاطعات الشرقية حيث اغتيل هناك وبذلك فتح الطريق امام الاسكندر الى اربيل ثم عبر نهر ديالى متوجها صوب بابل فاستقبله كهنتها ونبلاؤها ورحبوا بمقدمه وقدموا اليه الهدايا فمنحه كهنة بابل لقب ملك الجهات الاربع وهو من الالقاب الرسمية لملوك العراق القديم وخطى الاسكندر خطوته الذكية الثانية في بابل عندما امر بتجديد المعابد وبناء ما تهدم منها وبخاصة معبد مردوخ الذي سبق ان هدمه أحشويرش وهكذا نجح في اقامة علاقة طيبة بين اليونان والبابليين وابقى البابليين ، مثلما فعل مع المصريين ، في مراكزهم الوظيفية والادارية والدينية ، ولكن شؤون الجيش والمالية انيطت بالمقدونيين . بدخول الاسكندر لبابل عام ٣٣١ ق.م. فتح امامه طريق سهل يؤدي الى سوسة واقليم فارس مركز العائلة الحاكمة الاخمينية فاستسلمت سوسة امام الفاتح المقدوني وسلمت كنوزها الثمينة اليه . وبعدها بلغ الاسكندر العاصمة برسيبوليس في عام ٣٣٠ . ق.م. وبعد ان نهبت قصور المدينة ومساكنها وافرغت خزائنها اضرمت النار في القصور الملكية المشيدة على المصطبة ، وكان المقدونيون في عملهم هذا يثأرون لحريق معابد اثينا (الاكروبوليس) الذي تسبب في اشعاله احشويرش .

وهكذا كان حريق برسيبوليس خاتمة المطاف لتاريخ الامبراطورية الاخمينية . ولكن انتصارات الاسكندر العسكرية السريعة على معظم ارجاء الشرق لم تقابلها انتصارات حضارية بنفس الدرجة . بل سمحت وعلى نطاق واسع باحتكاك شديد بين الحضارتين اليونانية (الهيلينية) والشرقية ، ذلك الامتزاج الذي استمر في عهد الاسكندر وخلفائه السلوقيين والبطالمة . وكان من نتيجته بروز عناصر حضارية طبعت اقاليم الشرق وسكانه . وهي تستمد مقوماتها من تراث حضارتها القديمة المتأثرة بالهيلينية ويصطلح على تسمية السمات الحضارية الجديدة او هذه المرحلة الحضارية ، وبكل خصائصها السياسية والاقتصادية بمرحلة الحضارة الهلينستيه .

واصل الاسكندر فتوحاته في المقاطعات الشرقية لايران حيث لم يصادف مقاومة كبيرة من زعماء المقاطعات ، بل منهم من رحب به واستقبله بالهدايا (ومفاتيح المدينة) وكان الاسكندر يكثر في هذه الانحاء من بناء المدن (الاسكندرية) وليجعلها مستقرا آمنا للأغريق (تشير بعض المصادر الى ان المدن التي بناها الاسكندر بلغت (٧٠) مدينة ولكن المدن المؤكدة والتي حفظت لنا التسجيلات التاريخية اسماءها هي(١٣ او ١٨)) ونقطة احتكاك بينهم وبين الشرقيين ، كذلك اصبحت هذه المدن مستقرا للعجزة والمتقاعدين من جنوده . ويعتقد ان زواجه من روكسانا بنت حاكم مقاطعة بكتريا عام ٣٢٧ ق.م. كان قصد التحالف مع هذا الحاكم الذي كان اقوى المناوئين لحكم الاسكندر وبعبور الاسكندر لنهر سيحون ، فانه سيطر على معظم اقاليم الامبراطورية الاخمينية في ناحية الشرق .

وبعدها وفي عام ٣٢٧ ق.م. عبر الاسكندر جبال هندوكوش وتوغل في شبه القارة الهندية وبلغ في مسيرته حتى ضفاف نهر السند . حيث اصبحت الحدود القصوى لامبراطوريته وامر الاسكندر ان تبنى سفنا جعلها بقيادة امير بحريته نيارخوس وامرها بالسير في نهر السند ثم التوغل في شواطىء الهند الغربية متوجهة صوب الخليج العربي ، بينما سار هو براً بمحاذات هذه الرحلة النهرية البحرية في طريق العودة وبعد اشهر من الرحلة الصعبة بلغ الجيشان موقع بندر عباس حاليا ، حيث انتقل الجميع في طريقهم للبازركادة وفي ربيع عام ٣٢٤ ق.م. وصل الاسكندر بقطعاته الى سوسة . ثم غادرها الى اكبتانا متبعا الطريق الملكي الذي يوصل الى بابل . وفيها توفي الاسكندر متأثرا بمرض عضال الم به ولم يمهله طويلا وكانت وفاته عام ٣٢٣ ق.م. في مدينة بابل .

مراجع مختارة للفصل الثالث

١ - Geo Widengren: "The Persians" in Peoples of Old Testament Times, Oxford, 1973, p. 312 ff.

٢ - E. Herzfeld: Archaeological History of Iran. London, 1935.

٣ - A. T. Olmstead: History of the Persian Empire, Chicago, 1948.

٤ - R. Ghirshman: The Art of Ancient Iran, New York, 1964.

٥ - F. R. B. Godolphin (editor: The Greek Historians. Two Volumes, New York, 1942. Herodotus, Translated by G. Rawlinson.

٦ - E. G. Schmidt: Flights over Ancient cities of Iran. Chincago, 1940.

٧ - S. Lloyd: The Art of the Ancient Near East. Thames and Hudson, 1965.

٨ - J. B. Pritchard: Ancient Near Eastern Texts. Relating to the Old Testament. Third Edition with Supplement. Princeton - New Jersey, 1969.

الفصل الرابع

المبحث الاول

ايران في العهد السلوقي

بوفاة الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. توقفت الامبراطورية المقدونية التي بناها الاسكندر في ظروف سنوات قليلة ، عن النمو وبدأ العد الرجعي في تاريخ الامبراطوريات القديمة حتى كانت سنة ٣١٢ ق.م. عندما اعلن سلوقس نيقاتور انسلاخ اجزاء واسعة من امبراطورية الاسكندر في تشكيله سياسية جديدة باسم الدولة السلوقية ، وكانت ايران وبلاد الرافدين وسوريا هي مناطق نفوذ الدولة الجديدة ، واعقب ذلك استقلال بطليموس بولاية مصر وتأسيسه دولة يونانية جديدة هناك باسم الدولة البطلمية او دولة البطالسة ، وحذا حذوهما قادة اخرون استقلوا في الاناضول واليونان وهكذا انقسمت امبراطورية الاسكندر الى اربع دول متناحرة يرمي كل منها لافتراس الاخريات .

ولكن اكبر هذه الدول واكثرها اهمية في تاريخ ايران هي الدولة السلوقية ، كما تميز سلوقس هذا باتباعه افكار وخطط زعيمه وقائده الاسكندر لذلك ، كانت الدولة السلوقية مثالا للهيلينية التي ازدهرت على ارضها الواسعة . وكان نصيب ايران من ذلك الشيء الكثير .

ترجع بدايات الاحتكاك بين الشرق والغرب الى عهد كورش الكبير مؤسس الدولة الاخمينية ، عندما اجتاح مملكة ليديا في اسيا الصغرى واجتاح بعض

المستوطنات اليونانية في غربي اسيا الصغرى .
وازداد هذا الاحتكاك تعمقا بعد مشاريع دارا الاول العسكرية عندما عبر البوسفور وتعقب ملوك قبائل الساكا وبلغ في رحلته الى حد نهر الدانوب فخضعت الكثير من المستوطنات اليونانية على الساحل الاسيوي وبعض الجزر القريبة لسيطرة دارا ، كذلك تم الاحتكاك باليونانيين من خلال مقاطعة مقدونيا .

أما الحرب الميدية (٤٩٠ ق.م. ٤٨٠) كما يسميها هيرودتس وهي في الواقع الحرب بين الاخمينيين وبين الدويلات اليونانية . وقد سبق لنا وان اشرنا الى سبب تسمية الاخمينيين بالميديين في المدونات الكلاسيكية فقد نقلت الاحتكاك الخارجي بين الطرفين الى واقع يعيشه الالاف المؤلفة من جنود المتخاصمين يوميا ، بالاضافة الى الاسرى من الطرفين الذين نقل بعضهم الى قصور الملوك والامراء في المدن والعواصم .

ونتذكر بهذا الخصوص عهد الملك ارتخششتا الاول ، ذلك العهد السلمي بين الاخمينيين وبين اليونان والذي هيأ الفرص امام العديد من المؤرخين والعلماء والفلاسفة اليونان للتوغل في اقطار الشرق الخاضعة للاخمينيين ، ومن هؤلاء هيرودوتس الذين ساعدوا على عملية التفاعل الحضاري بين المركزين .

وهكذا نجد ان بذور الهلينستية تغرس في العهد الاخميني الذي مثل العالم الشرقي باسره . وكانت سبل المواصلات في هذه الآونة متطورة الى حد بعيد . وذلك بفضل المواصلات البحرية التي تطورت كثيرا بفضل الفينيقيين او البرية التي ازدهرت طرقاتها الصحراوية بفضل الجمل واصحابه التجار العرب ، او في الطرقات الاخرى التي بذل الاخمينيون جهدا ملحوظا منذ ايام دارا على شقها ورصفها بالحجارة وزرع نقط الحماية على طولها فقد عثر على نقود يونانية في معظم الاقاليم الغربية للدولة الاخمينية ، بعضها يرجع للقرن الخامس ، ومعظمها يعود للقرن الرابع ق.م. وجاءت هذه المسكوكات من بلاد وادي الرافدين وسوريا وفلسطين وجنوبي الجزيرة العربية وتؤكد المكتشفات الاثرية من الصناعات الاغريقية

في فلسطين وسوريا وسوسة والوركاء تطور الاتصالات بين العالمين الشرقي والغربي .

وهكذا اصبح العالم القديم بشقيه الشرقي والغربي مهيأ لقبول المتغيرات النوعية في حياته المادية والفكرية .

ونقولها عرضا انه لو تهيأت للفرس الاخمينيين السيطرة الناجزة على بلاد اليونان مركز الحضارة والفكر الغربي ، ولو لم يكن الاخمينيون دعاة ديانة جديدة ، تعصبوا اليها كثيرا ، وهي الزرادشتية التي كان انتصارها في ايران بفضل الاخمينيين فلربما برزت عناصر الحضارة الهلينستية قبل تاريخها بوقت طويل .

ولكن هذين الشرطين توفرا للاسكندر المقدوني في اواخر القرن الرابع ق. م . فقد غدا العالم باسره في قبضة يديه ، وهو العالم الذي يكتنز تراثا حضاريا وفكريا ودينيا يزيد عمره عن ثلاثة الاف سنة .

ولم يكن اليونانيون عموما ، ومنهم الاسكندر اولئك المتعصبون المتشددون دينيا كما عرفنا التشدد والتعصب الديني في بلدان الشرق ، وربما كان سبب ذلك نزعة اليونان الفلسفية وتحكيمهم المنطق والعقل في معالجة امور الحياة والانسان والكون ، لذلك كانت جميع الظروف مهيأة لامتزاج شعوب العالم القديم ببعضها وتناقل افكارها ومعطياتها وعناصر حياتها المادية ، وكان من نتيجة هذا الامتزاج النقلة النوعية الكبيرة في عناصر حضارة الانسان والتي شملت جميع فروع العلوم والمعرفة والاداب والافكار وينتقل الاسكندر من معبد امون في واحة سيوه الى معبد مردوخ في بابل ويأمر باعادة بنائه مع غيره من المعابد المهدمة ، ويشارك في الاحتفالات الدينية الوطنية لهذين المركزين الحضاريين القديمين ويمنح سكانهم الحرية في اجراء طقوسهم الدينية ويدعم كهنتهم ، ويولي زعمائهم المناصب الادارية (عدا العسكرية) والوظيفية ، وخطواته في ايران ترفد نفس التوجه الذي بدأه في مصر وبابل ، فيأمر بمعاقبة الذي اغتال دارا الثالث ويأمر بدفنه بشكل يتناسب مع مقامه الملكي الرفيع ويتزوج باميرة ايرانية هي روكسانا البكترية سنة ٣٢٧ ق. م . ويشجع ضباطه وجنوده

على اقتفاء نهجه هذا بالتزوج من ايرانيات . ويوزع المناصب الادارية على الايرانيين .

كذلك يعمد الاسكندر الى زرع طريق رحلته العسكرية من مصر الى بلاد ما وراء النهر بالمدن الاغريقية التي سميت على اسمه .

وزاد الاسكندر من تبنيه للشرقيين وعاداتهم واحترام الهتهم والمشاركة بطقوسهم الدينية ، عندما امر جنوده وضباطه من اليونان بان يقبلوا الارض بين يديه على عادة الفرس عند مقابلة ملوكهم على الرغم من معرفته الاكيدة بان هذا الرسم الشرقي يتنافى مع ابسط مقومات افكار الاغريقي . ولكنه كان جادا في مسعاه وكانت خيرات الشرق وثرواته تجلب اليه بمزيد من الحماس . .

وقضى الاسكندر ايامه الاخيرة في بابل وهو يخطط لاحتواء الجزيرة العربية ، البقعة الشرقية الوحيدة التي بقيت مستقلة عن حكم المقدونيين ولاجل ذلك ، فانه عمد لاكتشاف الطرق البحرية في الخليج العربي التي تتيح له فرصة الالتفاف حول جزيرة العرب اولا ولتهيىء له طريقا بحريا يربط ارجاء امبراطوريته من بابل الى الاسكندرية علما انه سبق وان اكتشف الطريق البحري من مصب السند الى الخليج العربي .

وهكذا هيأ الاسكندر بودقة قوية لصهر حضارتي الشرق والغرب ، وكان يخطط لصهر مزيد من عناصر الحضارتين فيها عندما وافته المنية متأثرا بحمى شديدة اصابته في طريق عودته من السند الى سوسة فكانت وفاته عام ٣٢٣ ق.م. .

رزق الاسكندر بولد واحد من زوجته روكسانا الفارسية ، وكان صغيرا عند وفاة والده لذلك برزت مطامع القيادات العليا في جيشه في املاك الامبراطورية . وعلى الرغم من حرصهم جميعا على المنجزات التي حققها الاسكندر ، وكانوا ساعده الايمن في ذلك ولكن طموح السلطة ومغرياتها ، وقناعة كل قائد منهم بقدراته التي تفوق الاخرين واحقيته بتولي منصب الاسكندر واخيرا تقاليد المقدونيين والاغريق شتت الجهود في اختيار الحاكم ومزق الامبراطورية الى اربعة اقسام (ابراهيم

نصحي : دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة . القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٤ ـ ٧٥) .

وكانت دولة السلوقيين التي اسسها سلوقس اكبرها حجما واكثرها انسجاما مع سياسة الاسكندر وافكاره كما كان سلوقس اقرب الى الايرانيين من غيره من قواد الاسكندر . فقد كان قائدا للقطعات المشكلة من النبلاء والفرس وقد تزوج من اميرة فارسية هي افاميا واصبحت نظرية الحكم الشرقية الوراثية ، نظرية سياسية ثابتة في العالم الهلينستي عندما نقل بطليموس سوتر (مؤسس الدولة البطليمية في مصر) الحكم من بعده لابنه فيلاد لفوس وسار على نهجه سلوقس في بابل وسوريا وديمتريوس في بلاد اليونان .

واخذت الاسر المقدونية الحاكمة في اقسام امبراطورية الاسكندر تعمل مستقلة عن بعضها وبوحي من مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وانسجاما مع تراث الحضارة في مناطق نفوذها . لذلك برزت نقاط الخلاف وتوضحت المصالح المتناقضة في مسيرة هذه الدول الهلنستية التي وجدت تعبيرا لها في اكثر من اسلوب كان ابرزه المصادمات العسكرية المتواصلة فيما بينهم وعلى الاخص بين اكبر دولتين هما الدولة السلوقية والدولة البطلمية . ان التاريخ السياسي للدولتين الهلنستيتين السلوقية والبطلمية تاريخ متداخل الاحداث تماما ، فما يقع في احدى الدولتين يجد صداه في احداث الدولة المعاصرة ، لذلك يتوجب علينا ان ننظر الى وقائع التاريخ للاربعين عاما التي اعقبت وفاة سلوقس الاول وبطليموس الاول بعين واحدة (اي الفترة ما بعد ٢٨٠ ق.م.)

لذلك انسحب اهتمام السلوقيين صوب سوريا وحوض البحر المتوسط وهما مركز الخلاف بين السلوقيين والبطالمة ، وقد ترك ذلك اثره الملحوظ في عدم العناية والاهتمام اللازمين بشؤون المقاطعات الشرقية للدولة السلوقية والتي تشمل ايران بالدرجة الرئيسية . وكان هذا الموقف العام في سياسة الدولة السلوقية اثره الواضح على تطور الاحداث السياسية في ايران لغير صالح السلوقيين .

وفي خضم الصراع العسكري العنيف الذي شمل الدولتين السلوقية والبطليمية تبرز قوتان جديدتان على مسرح الاحداث السياسية للعالم القديم ، احدهما في الشرق ومركزها اقليم بارثوا (خراسان) وهي الدولة الفرثية التي اعلنت عن انسلاخ اقليمها من جسم الدولة السلوقية في حدود عام ٢٥٠ ق.م. والثانية في الغرب في ايطاليا تحت رعاية روما ، حيث وجدت في الصراع المحتدم بين السلوقيين والبطالمة فرصتها الذهبية للانصراف الى عدوتها التقليدية قرطاجة ، وبعد ان انهكت سلسلة الحروب الطرفين استيقظت كل منهما وعلى اطرافها او على قسم من مناطق نفوذها قوة جديدة فتية ، كان لهما الاثر الكبير في تغيير احداث التاريخ القديم .

انشأ السلوقيون عاصمتين ، سلوقية على دجلة حيث حلت مكان مدينة بابل كعاصمة للعراق القديم ، وانطاكيا على العاصي في سوريا وكانت مقاطعات الدولة تحكم وتنظر من خلال هذين المركزين الاداريين . ولان سلوقس كان اكثر القادة المقدونيين تأثرا بافكار سيده الاسكندر ، فانه وخلفه انطيوخس الاول لم يكتفيا بهاتين المدينتين بل واصلا انشاء المدن الاغريقية على غرار سياسة الاسكندر في معظم مقاطعات الدولة السلوقية وبسبب حجم الدولة السلوقية الكبير وحدودها الشرقية غير الثابتة ومشاكلها السياسية والعسكرية مع البطالمة ، فقد خطى سلوقس خطوة سياسية جديدة تتمثل في منح هذه المدن الاغريقية حكما ذاتيا على غرار ممالك المدن الاغريقية القديمة ومع ازدياد مشاكل الدولة السلوقية ، برزت النزعات الاستقلالية لهذه الدويلات الاغريقية ، مما سبب متاعب كبيرة في ادارة الدولة السلوقية وفي وارداتها وعلى عهد انطيوخس الاول ثاني الملوك السلوقيين اخذت بوادر ضعف الحكومة المركزية وادارتها للاقاليم تطفو تدريجيا على السطح . ولم تمض فترة طويلة حتى اصبحت بعض المقاطعات الشرقية للدولة السلوقية مستقلة عن نفوذ السلطة المركزية ومن اهمها مقاطعة بكتريا (افغانستان) وبارثيا (خراسان) وهيركانيا (قزوين) .

وقاد حركة الاستقلال في مقاطعة بكتريا بقايا الجنود المقدونيين الذين وطنهم الاسكندر في تلك المناطق ، والذين عقدوا التحالفات السياسية مع الزعماء الوطنيين في ايران لتقوية مركزهم كما دفعتهم لهذا التعاون مصالحهم التجارية ، حيث كانت بكتريا على طريق الاتصالات التجارية بين الشرق لمناطق اواسط اسيا وجنوبي روسيا وبين الغرب .

ولكن بسبب طغيان النظم الاقتصادية الايرانية التي تعتمد على الزراعة والرعي والعلاقات شبه الاقطاعية التي تربط بين السكان وبين زعمائهم الذين يحتلون في نفس الوقت زعامة الوحدات القبلية ، رجحت كفة القبائل الايرانية على الزعامات الاغريقية ، ونجح الفرثيون الذين تميزوا بالفروسية وتمرسوا على الصعاب بسبب اصولهم البدوية ، كما تطورت اسلحتهم بفضل منجزات الحضارة الهلنستية ، ووصول العلوم العسكرية من خلال اليونان الى مناطقهم ، كل ذلك جعل كفة الفرثيين راجحة في الصراع التدريجي بينهم وبين اليونانيين في ايران .

وكان بامكان سلوقس الثاني (٢٤٦ ـ ٢٢٦) ان يدحر الفرثيين تماما ويعيد نفوذ السلطة المركزية السلوقية لاقاليم الشرق ، لكن المشاكل الخطيرة في مقر حكمه في سوريا وتربص الاعداء البطالمة دفعته لتأجيل استكمال النصر على الفرثيين . وهكذا خدمت العلاقات المتوترة بين السلوقيين والبطالمة ، الفرثيين كثيرا ووفق الفرثيون في اجتياح ارمينيا وآسيا الصغرى ، وبلغوا في امتدادهم غربا الى مقاطعتي ميديا (مركزها همدان) وفارس (مركزها برسيبوليس) .

ولكن الدولة السلوقية حققت انتصارات كبيرة على الفرثيين ، ونجحت في رسم حدودها السياسية القديمة على عهد الملك انطيوخس الثالث (٢٢٣ ـ ١٨٧) حتى ان ارشاق الثالث ملك الفرثيين اذعن لسلطته ودفع له الجزية السنوية . وكانت تدور في رأس هذا الملك فكرة احياء الامبراطورية مثلما تركها سلوقس الاول ، لذلك وصل بمسيرته العسكرية الى الهند وعاد الى فارس . وشن حملة بحرية صوب مدينة الجرهاء التي كانت من اشهر مراكز التجارة وقتئذ في الخليج العربي . ولكن اهل

الجرهاء فاوضوه على دفع جزية وهدايا كبيرة اشتروا بها حريتهم ، فعاد ادراجه في الخليج العربي الى مصب دجلة فيه ، ومن خلال دجلة الى سلوقية . وعندما فكر انطيوخس الثالث بالسيطرة على مقدونيا ، تلقى ضربة عنيفة من الرومان واضطر لعقد صلح معهم (عام ١٩٨ ق.م.) مقابل تنازله عن اسيا الصغرى ودفع جزية كبيرة لهم .

ولكن هذه النتيجة العسكرية والسياسية والمالية التي آل اليها السلوقيون . شجعت الفرثيين للتحرك السريع ثانية ، حتى انهم نجحوا في السيطرة على بلاد الرافدين بعد وفاة انطيوخس الرابع (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م.) بقليل وحذا حذو الفرثيين الكثير من المقاطعات السلوقية ، واخيرا تقلص نفوذ السلوقيين في حدود سوريا فقط التي كانت مقاطعاتها تدار ذاتيا . وبعد ان خسر السلوقيون مقاطعاتهم في ايران والعراق والاناضول وبعد ان انهكت الحروب المستمرة كلا من السلوقيين والبطالمة ، وجد الرومان فرصتهم سانحة لاحتواء بقايا مراكز العالم الهلينستي . فكانت ضربتهم الموفقة في عام ٦٤ ق.م. للدولة السلوقية وفي ٣٠ ق.م. للدولة البطليمية وهكذا انتهى العهد اليوناني بصيغته الحضارية الشرقية ـ الهلينستية ، وحل محله العهد الروماني الذي ورث بالاضافة الى ممتلكات السلوقيين في الشرق ، المشاكل التقليدية بين الغرب والشرق وذلك من خلال النزاع الذي استمر لاحقا بين الفرثيين والرومان .

اشرنا مرارا الى تأثُّر السلوقيين بأفكار المقدوني الكبير ، الاسكندر ، ورغبتهم المتواصلة في خلق قاعدة قوية لحكمهم الشرقي من خلال المزيد من المدن التي شيدوها في مناطق الشرق المختلفة وزرعوها بالمستوطنين اليونان والمقدونيين . ومن هذه المدن الهلينستية في ايران مدينة نيسا في سهل كرمنشاه كما اعيد تجديد اكبتانا ، والى جنوبها بنيت مدينة لوديكا (نهاوند الحالية) واعيد تجديد مدينة راجا (وهي راجي في الوقت الحاضر تقع في ضواحي طهران وسميت يوريوس . وشيدت في بارثيا مدينة نيسا الكسندوبوليس ولهذا احتلت هذه المدن السلوقية نقاط مهمة على

الطرق الرئيسية التي تربط اقسام الامبراطورية . كما ان سكان هذه المدن لعبوا دور الوسيط في نقل التراث الاغريقي الى ايران . ولدعم خطط السلوقيين في دمج المجتمعين الايراني والاغريقي . ولكن اغريق هذه المدن تأثروا بالايرانية قدر تأثيرهم بها .

وعلى الرغم مما وقع من اثر الاغريق في المجتمع الايراني . ومن اسباب التفاعل البطيء فيما بينهما ، لكن ذلك انحصر اولا في مراكز المدن ولم يتعداها الى سكان الريف كما بقيت نظرة الايرانيين الى الاغريق بلغتهم المميزة وديانتهم والهتهم المختلفة تختلط بنظرتهم الحذرة الى الاغريق الحاكمين .

وقد ترك هذا النمط من العلاقة بين الطرفين اثره في مجالات الحياة المختلفة منها في الجانب الفني حيث يمكننا تشخيص ثلاثة فروع في الاتجاهات الفنية[١] فن ايراني اصيل[٢] فن اغريقي ايراني[٣] فن هلينستي .

وكانت الممارسات الفنية للاتجاه الاول واضحة في ابنية المعابد ، التي تنال خصوصية تخطيطها وزخرفتها من المعتقدات الدينية الزرادشتية وقد لقيت اثار هذا الاتجاه الفني مع بقاء المعتقدات الزرادشتية على العهدين الفرثي والساساني .

اما الفرع الثاني من الاعمال الفنية ، فيجد ترجمته في بناء الاعمدة التي صيغت على غرار الاعمدة الاغريقية في بناية تحافظ على تخطيطها الفارسي وبخاصة المسطبة التي تشابه مصطبة برسيبوليس واوضح مثال على ذلك ، البناية في كنجافار اما النماذج الفنية للاتجاه الثالث وهو الهلينستي ، فهي كثيرة الانتشار في ايران . من بينها تماثيل برونزية من نهاوند (لوديكا) وكذلك مجموعة من قواعد تماثيل حجرية من سوسة وكسر من تماثيل من المرمر والنحاس وفي سهول نيسا في كرمنشاه حيث موطن الخيول الجيدة ، ارتبط ذكر المكان على العهد الاغريقي باله الخمرة ديو نيسس ، وبنى له الاغريق في هذا المكان معبدا لا تزال بعض حجاراته المزخرفة تشير اليه .

ان السنوات الاخيرة لحكم السلوقيين في ايران تختلط تماما بتاريخ الفرثيين ، لذلك سنتعرض لها عند حديثنا عن الدولة الفرثية .

المبحث الثاني

الفرثيون

كان انشغال السلوقيين بالحرب ضد البطالمة سببا في ضعفهم وانصرافهم عن شؤون ادارة الاقاليم البعيدة . فكان ذلك فرصة جيدة امام بعض الاقاليم الشرقية النائية للاستقلال عن حكم الدولة السلوقية فقامت حكومة اغريقية مستقلة في اقليم بكتريا (بلاد البخت) كما نجحت قبائل ايرانية من السيطرة والاستقرار في اقليم بارثوا (خراسان) (ومن اسم هذا الاقليم جاءت تسمية الفرثيين وهي التي اطلقها اليونان والرومان عليهم) وشكلوا في حدود عام ٢٤٧ ق.م. سلالة حاكمة تحت اسم السلالة الارشاقية نسبة الى زعيم هذه الاسرة ومؤسس الدولة الفرثية ارشاق وتسميهم المصادر العربية بملوك الطوائف واذا كانت العوامل التي شجعت الاقليمين على الانفصال عن الدولة السلوقية متشابهة فان الظروف التي احاطتهما تختلف تماما وابرز نقاط الخلاف تتركز في علاقة الاصل واللغة والدين بين الفرثيين وبين سكان ايران مقابل الاختلافات الكبيرة بين الحكام الاغريق في مقاطعة بكتريا وبين سكان المقاطعة نفسها وبقية المقاطعات من الايرانيين .

ينتمي الفرثيون الى قبيلة فارني اوبارني وهي واحدة من قبائل واسعة تعرف باسم داهي وهي تسمية اطلقها الاغريق على مجموعة القبائل هذه وهي من مجاميع القبائل السكيثية التي غادرت مواطنها الاصلية في السهول المحصورة شمال بحر قزوين (هركانيا) وكانوا فرسانا محاربين اشداء حتى يذكر لنا بعض المؤرخين القدامى بان اعظم امنيات الفرثى هو ان يموت مقاتلا .

وفي الفترة المحصورة ما بين ٢٥٠ ـ ٢٤٧ ق.م. يتزعم اخوان هما ارشاق

وتيريداتس جموع الفرثيين وينجحان في اجتياح اقليم بارثوا (خراسان) وقتل الحاكم السلوقي هناك ولكن احد الاخوين وهو ارشاق قتل في معارك لاحقة . ان ارشاق في الواقع شخصية ايرانية وان تيريداتس اخذ اسم ارشاق ثم اصبح الاسم لقبا للاسرة الحاكمة فاصبح تيريداتس الحاكم الفعلي الوحيد للفرثيين .

وقد حاول سلوقس الثاني ان يعيد السيطرة السلوقية على بارثوا ولكن تيريداتس لم يواجه الجيش السلوقي بل فوت عليهم الفرصة بالانسحاب الى مناطق السهول الشمالية وعندما زادت متاعب السلوقيين في سوريا ، عاد تيريداتس ثانية ليعيد احتلال اقليم بارثوا ويضيف اليه اقليم هركانيا (قزوين) الاقليم الممتد على السواحل الجنوبية الشرقية لبحر قزوين . واصبحت المنطقة الممتدة من جنوب بحر قزوين والى اقصى شرق ايران منطقة فرثية قوية .

ومع ازدياد علائم الضعف في الدولة السلوقية يتقدم الفرثيون نحو الغرب ويضيفون الى دولتهم مقاطعات جديدة شملت بلاد ميديا ويمكننا من تتبع عواصم الفرثيين ان نراقب تطورهم السياسي وامتداد مملكتهم . فمن مدينة نيسك اونيسا في المناطق الجبلية شرق اقليم خراسان الى مدينة هيكاتومبيلوس (المدينة ذات المائة باب) وهي مدينة انشأها الاغريق سابقا في اقليم (بارثوا) ومنها الى اكبتانا (همدان في ميديا) واخيرا الى طيسفون على نهر دجلة .

بذل السلوقيون محاولات اخرى لاستعادة الاقاليم الشرقية وبخاصة في عهد انطيوخس الثالث الذي نجح في اخضاع الفرثيين واخذ الجزية السنوية منهم . ولكن الفرثيين على عهد متريداتس الاول (١٧١ ـ ١٣٨ او ١٢٧ ق.م.) لم ينجحوا في السيطرة على جميع انحاء ايران فحسب ، بل مدوا بسيطرتهم صوب الاقسام الجنوبية الغربية لايران وسيطروا على سوسة وكرخينية وبلاد ميديا بما فيها سلسلة جبال زاكروس ، وكانت هذه المناطق قد انفصلت عن حكم السلوقيين وقامت فيها ممالك مستقلة قبل سيطرة متريداتس الاول عليها وهكذا تقلص النفوذ السلوقي وانحصر في الاقسام الوسطى من العراق ومع امتداد الفرات الى سوريا .

ولكن سيطرة متريداتس على سوسة جعلته يقف على عتبة باب بابل التي دخلها في عام ١٤٢ ق.م. وفي مطلع عام ١٤١ ق.م. دخل سلوقية ظافرا ، وبذلك اصبحت بلاد بابل واطراف دجلة الى الشمال فرثية ، بينما بقيت ارض ما بين النهرين (بين دجلة والفرات في اقسامها العلوية) سلوقية . وتظهر الوثائق البابلية المؤرخة في عام ١٤٠ ق.م. ، الملك متريداتس وهو يحمل لقب ملك الملوك وهو اللقب المتوارث عن ايام الاخمينيين .

مرّت الدولة الفرثية بفترة من الضعف تسببتها هجرة قبائل بدوية نزحت من اواسط اسيا وادت الى تخلخل الاوضاع السياسية وارباكها . كذلك تلقت الدولة الفرثية هجمات موفقة في نواحي حدودها الفراتية ، وبسبب تفاقم الاوضاع تشجعت دولة كرخينية على الانفصال .

ولكن متريداتس الثاني ، احد الملوك الاقوياء في الاسرة الارشاقية وضع حدا للتدهور ونجح في حسم مشكلة القبائل البدوية المهاجرة من ناحية الشرق ـ قبائل الساكا ـ ومد بنفوذ دولته لتشمل مقاطعات واسعة في الهند .

وامام هذه الانتصارات التي اعادت للدولة الفرثية سابق نفوذها وقوتها تلقب بـ « ملك الملوك العظيم » في سنة ١١١ ـ ١١٠ ق.م. .

كما اعاد فتح سلوقية بعد ان كان السلوقيون قد استعادوها .

ويتوعد ارطبان الثاني بزهو كبير من انه سيعيد جميع المقاطعات التي امتلكها كورش واخذها الاسكندر . واقام بنفسه نصبا تذكاريا اسفل نصب داريوس في بيستون ، وكانه يريد من عمله هذا تأكيد وراثته لداريوس والاخمينيين .

نجح الفرثيون اخيرا من احتواء قبائل الساكا على عهد متريداتس الثاني الذي يعود له الفضل في اعادة مجد الامبراطورية الفرثية .

وقد توزع الساكا في مناطق غربية وشرقية من ايران ، وانحدر فريق منهم صوب السند والبنجاب . كما ان بعض هذه القبائل اقامت مملكة على انقاض المملكة الاغريقية ـ البكترية التي تمثل اخر النفوذ اليوناني في ايران عام ١٣٥ ق.م. وفي

الوقت الذي تسببت هجرة قبائل الساكا من انهاء حكم الدولة الاغريقية في ايران في مطلع القرن الاول ق.م. فانها أقامت أفضل العلاقات السياسية والحضارية مع البارثيين .

وبسبب استقرار الاوضاع السياسية على ايام متريداتس الثاني ، ازدهرت النشاطات الاقتصادية وفي مقدمتها التجارة ، حيث توجت باتفاقية تعاون مع امبراطورية الصين بحدود عام ١١٥ ق.م. منحت بموجبها تسهيلات تجارية وبدأت التجارة الصينية بالانسياب الى بلاد بارتيا من خلال التركستان الصينية واخذ طريق الحرير بالازدهار .

وفي سنة ٩٢ ق.م. بعث متريداتس برسله الى الصين وروما ، حيث يستقبل سلا حاكم قيلقية الروماني سفارة فرثية عام ٩٢ ق.م. وهي اشارة الى بداية العلاقات الرومانية الفرثية كذلك تشير كميات النقود السلوقية المكتشفة في طهران ومندلي الى حجم التجارة الكبير بين فرثيا وسوريا ، كما تكشف النقود المكتشفة في الهند الى نشاط تجاري مماثل مع الهند ايضا .

وازدادت شهرة الطرق التجارية في اواخر القرن الثاني ق.م. ومنها طريق الحرير هيكاتومپوليس فاكبتانا فسلوقية . كما كان ينطلق من سلوقية على ايام الفرثيين خطان يسير احدهما صوب الحضر وبلاد اشور ونصيبين ومنها الى ارمينيا ، والاخر يعبر الفرات الى دورا يوربس (الصالحية) ثم يصعد مع نهر البليخ .

وكانت طرق القوافل التي تمر بتدمر معروفة النشاط منذ هذه الفترات المبكرة ، حيث تكشف لنا كتابة على قبر في تدمر عن استخدام الطريق الاقصر من دورا الى سوريا عبر تدمر منذ عام ١٠٠ ق.م. كما ترد الاشارات الى ان الطرق فيما بين هذه المراكز كانت بامرة العرب السكينيين ، ومن جانب اخر ، تتوفر معلومات عن وجود نشاط تجاري ملحوظ بين خاركس والهند من خلال الخليج العربي .

انتهت ايام الازدهار والقوة بوفاة متريداتس الثاني ، وشهدت الدولة الفرثية فترة من الضعف والتدهور وتقلص مساحتها السياسية حتى كادت ان تتحول الى

اقليم تابع ولعبت ارمينيا دورا بارزا في هذا المضمار ، ونجحت من مد نفوذها ليشمل اكبتانا .

اصبحت الامبراطورية الرومانية بعد عام ٦٤ ق.م. وعلى اثر انتصار بومبي على اشلاء الدولة السلوقية في سوريا ، الخصم الجديد الذي يحادد الدولة الفرثية .

وعلى الرغم من سريان مفعول اتفاقية صداقة كانت مبرمة بين الفرثيين والرومان ، لكن الرومان نقضوها واندفعوا صوب اقاليم الفرثيين بقيادة كراسوس حاكم سوريا ، ولكن الفرثيين نجحوا في دحر الجيش الروماني وقتلوا منهم عددا كبيرا وعلى رأسهم القائد كراسوس حاكم سوريا ، وبذلك اصبحت هذه الحرب فاتحة لسلسلة طويلة من المعارك والحروب بين الطرفين . لم تتوقف بنهاية الدولة الفرثية بل استمرت بعدئذ بين الساسانيين ورثاء الفرثيين في ايران وبين الرومان ومن بعدهم البيزنطيين .

ان الفترة التي اعقبت وفاة متريداتس الثاني غامضة في معلوماتها بعض الشيء . فقد كانت نهاية حكمه مضطربة الاحوال ، ولكن بعض المعلومات تؤكد بقاءه على دست الحكم لغاية ٨٧ ق.م. والمهم ان هذه الفترة الممتدة ما بين عام ٨٧ ولغاية عام ٧٠ او ٦٦ ق.م. وهي سنة حكم فراوررتيس الثالث تعد من فترات ضعف الدولة الفرثية وانكماش مساحتها الجغرافية امام امتداد نفوذ دولة ارمينيا ، حتى ان ارمينيا اوصلت حدود نفوذها السياسي الى سنجار ، وسيطرت على ميديا وشمالي سوريا ، وتلقب ملكهم تيكرانوس بلقب ملك الملوك ، وبقي العالم الشرقي القديم تتقاذفه مطامع القوى الثلاث ارمينيا وفرثيا والرومان الى ان حل عام ٦٤ ق.م. وعندها شهدت العلاقات بين هذه القوى تبدلات كبيرة ، ونال ارمينيا الحيف الكبير فيها .

شهدت ايران تبدلات سياسية على عهد فولوكاش الاول . فلقد حسمت مشكلة ارمينية لصالح الفرثيين والحقت بحكمهم المباشر . كما عمل هذا الملك على احياء الحضارة الايرانية وذلك من خلال اعادة تدوين وجمع نصوص الافستا ، كما

اشتق من الخط الارامي ما يميز هذه الفترة ويعرف بالفهلوي الارشاقي وهو ما عرفناه من بعض المسكوكات الارشاقية .

اما الابنية الفرثية ، فلم يصلنا منها اي اثر ، والارجح ان بقاياها ترقد مطمئنة اسفل المباني اللاحقة او تحت الارض اما بقايا ابنيتهم في بابل واشور ، فانها لا تعكس التراث المعماري الايراني بشكل دقيق . فان بصمات التراث المعماري العراقي القديم واضحة في هذه المخلفات .

استمر الصراع السياسي والعسكري بين الدولتين الفرثية والرومانية ، فاقاليم الحدود وبخاصة ارمينيا ومدن بين النهرين ومنها الحضر ونصيبين واديسة (الرها) وغيرها الشيء الكثير من تبعات هذه المعارك الطويلة .

فقد نجح الرومان من اجتياح عاصمة الفرثيين طيسفون لمرتين على عهد تراجان ١١٤ م وسبتيموس سفيروس ١٩٧م كما بذل هذان الحاكمان محاولات يائسة للسيطرة على الحضر .

ومما زاد من فرص انتصار الرومان ، الصراعات الداخلية في الاسرة الحاكمة الارشاقية ولكن مشاكل الحكام الرومان لم تكن اخف وطأة على الادارة الرومانية . لذلك كان اغتيال الحاكم الروماني كراكلا فرصة سانحة للفرثيين ليسجلوا انتصارات كبيرة على خصومهم ونجحوا في تثبيت نهر الفرات حدودا غربية لدولتهم وكان ذلك على عهد ارطبان الخامس .

لم تكن مشاكل الفرثيين مقتصرة على الحدود الغربية ونزاعهم مع الرومان . فقد كانت معاناتهم على اطرافهم الشرقية وبخاصة من قبل دولة كوشان القوية التي كانت تسيطر على وادي السند وكابل والبنجاب ، تزيد من هذه المشاكل وتعقدها . واصبحت دولة كوشان بفضل ثروات الهند وغناها وبفضل الطرق التجارية التي تربط الصين والهند بالغرب والتي تمر بمناطق نفوذها ، في مركز قوي سبب ضعفا كبيرا للدولة الفرثية وتقلص حدودها ، وكانت احدى العوامل القوية في تدهور الدولة الفرثية وسقوطها .

وكانت مكانة دولة كوشان الاقتصادية وموقعها المهم على الحدود الشرقية الجنوبية لايران سببا في ان يجعل اردشير من مقدمة اعماله دحر هذه الدولة وضمها الى دولته الجديدة الساسانية .

حكمت الدولة الفرثية حوالي الخمسة قرون وامتد حكمها من اقصى شرق ايران والى نهر الفرات غربا . ومن ارمينيا شمالا الى اقليم كابل في الجنوب الشرقي مع ملاحظة الاتساع والتقلص في هذه الحدود تبعا للظروف السياسية التي عاشتها هذه الدولة . وسايرت الدولة الفرثية التقاليد الحضارية لمناطق نفوذها وهي التقاليد الشرقية التي تميزت بخصائص جديدة على اثر حكم المقدونيين واليونان لمناطق الشرق ، والتي اصطلح على تسميتها بالهلينستية . كما ان النشاطات السياسية والعسكرية والتجارية ابقت على الصلات الوثيقة بين اطراف العالم القديم كافة وبين الشرق والغرب بشكل خاص . حيث واصل الرومان ورثاء حضارة الاغريق تفاعلهم مع العالم الشرقي .

ولهذه الاسباب يجد الدارس للفترة الفرثية صعوبة في تعيين عناصر حضارية او فكرية مميزة .

وعلى الرغم من استمرار تأثير الهلينستية في عهد الدولة الفرثية ، لكن الفرثيين لم يقطعوا خيوط الصلة باصولهم الايرانية . وذلك واضح في جوانب الفكر الديني وما يتصل به من طقوس وابنية . وقد شاع بناء المقبرة الجماعية في العهد الفرثي ، ونماذجها في سوسة وتل اسود وفي بابل (تنقيبات التل الشرقي) تكشف طرازا معماريا وتخطيطاً مميزاً لابنية المدافن الجماعية من هذه الفترة اما في اعمال النحت ، فقد نجح الفرثيون في تمييز صناعة فنية خاصة بهم وعلى الرغم من بقاء التأثيرات اليونانية واضحة في بعض جوانب هذه الاعمال . ويعتبر التمثال البرونزي الذي عثر عليه في معبد شامي على مقربة من سوسة ، من النماذج الجيدة لهذا الاتجاه في اعمال النحت .

وربما تكون الصناعات الفخارية من اوضح العناصر التي تميز بقايا فترة

الفرثيين في الطبقات الاثرية للمدن القديمة عن الفترات الاخرى . ومن ابرز الصناعات الفخارية مجموعة الجرار والاواني والكؤوس المدفنية المطلية بصبغة خضراء او زرقاء ومن هذه الاواني المزججة ما يشبه الزمزمية ، حيث عثر منها في تل اسود والطبقات الفرثية في سلوقية وفي بابل .

وتزود بعض القبور الفرثية بموديلات فخارية لنسوة يرمزن الى الالهات ، كما يصنع بعض هذه الدمى من العظام .

ومن نماذج الدمى ايضا « الخيال » او الفارس وهو يمتطي صهوة جواده الذي يرسم في حالة حركة . ولكن من بين دمى الالهة نصادف بعض القطع التي يتوضح عليها التأثير الهيلينستي تماما ـ ولكنها ـ بنهديدها البارزين ، وشكلها العاري يكشف عن صلتها بالمعتقدات الشرقية القديمة عامة وبتماثيل الهة الام في العراق القديم او عشتار بشكل خاص .

مراجع مختارة للفصل الرابع

1. The Cambridge Ancient History, vol. IV, Cambridge, 1953
2. Rostovtzeff: The Social and economic History of Hellenistic World, three volums. Oxford 1941.
3. W.W. Tarn: Alexander the Great Vol. II cambridge, 1948.
4. Eva M. Sanford: The Mediterranean in Ancient Times New York 1951.
5. Haywood R. Mansfield: Ancinet Greece and the Near East. New York 1968
6. The Cambridge Ancient History. Vol. IX, chapter six, W.W. Tarn: Parthia, P.574ff.



الفصل الخامس

الدولة الساسانية

المبحث الأول

قيام الدولة الساسانية

ومثلما حدث تماما في عهد كورش عندما استولت سلالة جنوبية على مقاليد الحكم في ايران من السلالة الميدية الشمالية ، تكرر ذلك ثانية على عهد اردشير الذي نجح في استلام السلطة من الفرثيين ومثلما بنى كورش بازركادة تخليدا لذكراه ولدولته الجديدة ، بنى أردشير مدينة اردشير خورا « وتعني » « عظمة اردشير » (وتعرف بقاياها باسم فيروز اباد) ليخلد ذكرى تأسيس دولته الجديدة .

أشرنا من قبل الى أن برسيبوليس التي خربها وحرق قصورها الاسكندر المقدوني وجنوده ، عرفت أسرة حاكمة في ضواحيها عند اصطخر بقيت تحافظ على كثير من التراث الاخميني . وأوضحه بقاء الأسماء الاخمينية مثل دارا وارتخششتا حية خلال حكم الأسر المتعاقبة في اصطخر الى العهد الساساني وان آخر النقود الاصطخرية ضربت من قبل اردشير قبل أن يصبح حاكما على جميع بلاد ايران وواحدة من هذه المسكوكات كانت باسم أخيه شابور وتحمل على قفاها صورة أبيهما بابك .وفي حدود ١٥٠ق.م . أصبحت اصطخر مركز ولاية رئيسية في اقليم فارس ،

وأصبح حكامها يتلقبون بلقب شاه « وهو لقب حكام الولايات في الدولة الفرثية » .
وهذا يكشف التطور السياسي الذي بلغته مدينة اصطخر وأسرتها الحاكمة ويتجاوز الحكام الساسانيون العهد السلوقي والفرثي أي مدة تقرب من ٥٥٠ عاما ، وينسبون أنفسهم الى الحكام الاخمينيين ويعتبرون خطواتهم وأعمالهم استكمالا لما وضعه الاخمينيون . ولهذا السبب فقد قلد اردشير مسكوكات الحاكم الفرثي متريداتس الثاني لأنه حمل لقب الملوك الاخمينيين وادعى أنه « يعيد مجد الامبراطورية القديمة » .
ينسب الملوك الساسانيون أنفسهم الى جدهم الأعلى ساسان الذي كان يحتل منصب الكاهن الأعلى في معبد نار اناهيتا في مدينة اصطخر . ومن الباحثين من يرى أن ساسان ليس شخصا معينا ، وانما اسمه تشخيص للقب يرجح أنه اشتق من لفظة ومعناها قائد وهي من الألفاظ الفارسية القديمة .

يصادف وصول أردشير الى عرش ولاية اصطخر حكم آخر الملوك الارشاقيين ارطبان الخامس ويبدأ اردشير استعداداته العسكرية للمعركة الفاصلة مع ارطبان بضم كرمان جنوب اقليم فارس ، ويسيطر على أصفهان وهو في طريقه لمقابلة ملك الأهواز الذي تلقى أمرا من أرطبان بالقضاء على اردشير . يتقدم اردشير صوب الاحواز وبعد أن يدحر جيش حاكمها يتوغل صوب كرخينية ويصل الى المدائن ويدخلها ظافرا في عام ٢٢٤ أو ٢٢٦م وبعد هذا التاريخ يتلقب بلقب « ملك الملوك » ويرجح أن تكون حفلة التتويج كانت في مدينة اصطخر مسقط رأس الملك ومستقر عائلة الساسانيين ، أو أنها أقيمت بجوار نقش رستم ، وهي الحافات الصخرية القريبة من اصطخر والتي حفر فيها الملوك الاخمينيون مقابرهم ، حيث نصادف نصبا عليه صورة اردشير يستلم الصولجان والحلقة (الشريط) من الاله اهورمزدا ويحمل النصب كتابة بثلاث لغات هي الفهلوية والساسانية والاغريقية ويعد هذا النصب واحدا من أقدم الأعمال الفنية الساسانية الذي فيما عدا الكتابة اليونانية عليه فانه يخلو تماما من أي أثر أو اقتباس هليني .

وفي ظرف سنوات قليلة استطاع اردشير أن ينهي حكم الدولة الفرثية وينشر سيطرته على معظم أقاليم ايران كما وسع سلطانه لتشمل مناطق واسعة في الهند والبنجاب ، وكأنه في خطواته تلك يعيد مجد الامبراطورية الاخمينية . أشرنا الى نقاط التشابه بين الدولتين الاخمينية والساسانية كما أشرنا الى تشابه أعمال كورش واردشير ، ولكن أردشير يفوق كورش في بعض المزايا ، ففي الوقت الذي اشتهر فيه كورش كسياسي وعسكري ناجح ، فان اردشير أضاف الى هذه المزايا صفة أخرى ، وهو أنه أثبت كفاءة عالية في ادارة الدولة ووضع قوانينها ونظمها ، حتى أنها بلغت حد ما وصلته الدولة الاخمينية على عهد دارا .

ومن أبرز الأعمال التي ترتبط بعهد أردشير هي اعتماده الزرادشتية دينا رسميا للدولة الساسانية ، فأمر بجمع فصول الافستا وبذلك استكمل العمل الذي بدأه فولوكاش الأول ، وأضاف على هذه الفصول المجتمعة من الافستا شروحات وتفاسير عرفت بالزند وأضيفت لها شروح وتفاسير أخرى عرفت باسم بازند . وكان ساعده الأيمن في تحقيق هذه الاصلاحات الدينية رئيس الكهنة الموبذان موبذ تنسر وينسب الى أردشير قوله « ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لأحدهما الا بصاحبه لأن الدين أساس الملك وعماده ، ثم صار الملك بعد حارس الدين ، فلابد للملك من أساسه ولا بد للدين من حراسه لأن من لا حارس له ضائع ومن لا أساس له فمنهدم (د . احسان عباس عهد اردشير دار صادر بيروت) .

ويتميز قيام الدولة الساسانية في ايران ببروز روح جديدة تتمثل في اعادة خلق الفكر الشرقي مقابل الهلينية وكان النظام الاداري ووحدة الأقاليم وتوحيد البلاد تحت لواء فكر ديني رسمي هي الأسس المتينة لهذا البناء الذي استمر قائما الى نهاية عهد الدولة الساسانية وواصل تأثيره للفترات اللاحقة .

كان لاقليم فارس وقعا كبيرا في نفوس الملوك الساسانيين ، فهو وطنهم الأصلي بالاضافة الى كونه موطن تاريخهم القومي الذي يرتبط بالسلالة الاخمينية . ومثلما احتل اقليم فارس هذه المكانة المفضلة احتلت مدينة اصطخر مكانة مميزة بين مدن

الأقليم ، فهي وريثة برسيبوليس الاخمينية ، وقامت فيها السلالة الحاكمة التي حافظت على تراث الاخمينيين والتي انحدر منها الساسانيون أنفسهم . لذلك نجد أن الملوك الساسانيين يكثرون من نصبهم وكتاباتهم التذكارية في حدود هذه المدينة ، وفي الغالب بجوار الأعمال التذكارية للملوك الاخمينيين . وهكذا كانت السفوح الجبلية المعروفة باسم نقش رستم وتقابلها سفوح جبلية تعرف باسم نقشي رجب الأماكن المفضلة للنصب التذكارية الساسانية .

وحافظت مدينة اصطخر على مكانتها الهامة في تاريخ الدولة الساسانية ، ولم ينس الملوك الساسانيون معبد نار أناهيتا في المدينة الذي كان جدهم الأعلى ساسان كاهنه الكبير ، لذلك كان معبد النار هذا يشهد حفلات التتويج للملوك الساسانيين الأوائل كما شهد حفلة تتويج آخر هؤلاء الملوك .

وكان الملوك الساسانيون لا يقيمون دائما في عواصمهم الأصلية ، مثلما فعل الاخمينيون من قبلهم ، حيث كانوا ينتقلون من سوسة الى بابل الى همدان، بينما كانت برسيبوليس وقبلها بازركاده العاصمة أو المدينة الرئيسية لدولتهم ، وهكذا أقام اردشير في مدينة « كور » وبنى فيها قصره المشهور وتقع على مسافة تزيد على مائة كيلومتر جنوب غربي شيراز في واد يعرف الآن باسم فيروز آباد ، وهو الاسم الذي يطلق على آثار القصر القديم أيضا فيسمى بقصر فيروز آباد ويعد هذا القصر من الآثار الساسانية الهامة ، لأنه واحد من أقدم الأبنية الساسانية كما يقدم في تخطيطه وعمارته عناصر ساسانية أصلية دون تأثيرات خارجية وهو من أول الأبنية ذات القباب في ايران .

وتكشف لنا الصور الجوية التي التقطتها بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو عن أبعاد هذا البناء وأبرز عناصره المعمارية ، ومن الملاحظات الهامة في بناء القصر أنه تقع أمام قاعة الاستقبال الرئيسية (ايوان العرش) بركة واسعة تمر بها المياه القادمة من الجبال في طريقها الى السهل المجاور ، وكانت البركة هذه جزءا من وحدات القصر البنائية حيث يحيطها جدار مستطيل تؤشر احدى زواياه امتداد سور

القصر الخارجي .

وعموما فان الأبنية الساسانية تعكس اختلافا واضحا عن الأبنية الاخمينية ومن هذه الاختلافات تعاقب وحدات البناء ومواده وتحول القاعات المستطيلة عند الاخمينيين الى مربعة الشكل في البناء الساساني . كما استبدل الساسانيون السقوف الخشبية بنظام العقادة البنائي . ولأن العقادة كانت تنفذ حتى باللبن أحيانا لذلك فهي تقضي بفناء ضيق لغرف ضيقة ولكن في حالة توفر الأخشاب الجيدة كما هو الحال في بعض الأبنية من العهد الساساني القريبة من الأفغان ، فان العمارة الخشبية كانت المفضلة دائما .

وهكذا عمد اردشير الى وضع أسس الدولة وأصولها ونظمها وديانتها وادارتها مثلما عمد الى خلق الروح الايرانية في نظم العمارة وتخطيطها وبقيت هذه الدعامات التي وضع أسسها أردشير قائمة وقوية الى أواخر العهد الساساني . مع ملاحظة التغييرات الثانوية التي طرأت عليها بسبب عاملي الزمن والاحتكاك الواسع بشعوب الشرق الأدنى القديم عامة وبالروم البيزنطيين بشكل خاص .

استسلم اردشير في أواخر أيام حكمه الى الراحة وأشرك معه في ادارة الدولة ابنه شابور الأول ، الذي توج عام ٢٤٢م بعد وفاة أبيه مباشرة فسار الحاكم الساساني الجديد مقتفيا خطوات والده في تقوية الدولة داخليا وخارجيا .

ففي عهده حسمت الخلافات الدينية بشأن نسخ الافستا الصحيحة حيث أمر بعقد مجمع ديني برئاسة الموبذان موبذ حيث أقر المجتمعون نص الافستا وقسموه الى واحد وعشرين كتابا (نسك) على عدد كلمات الصلاة المقدسة . ويبدو أن شابور لم يندفع الى حسم المشاكل الدينية بسبب تعصبه الديني ، لأننا نعرف أنه شجع كثيرا من الأمور التي تبحث في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة وهي من علوم الهند واليونان وبابل وأدخلها ضمن الكتب المقدسة للديانة الزرادشتية ، كما أنه سمح لماني أن يعلن عن تعاليم ديانته الجديدة في حفلة تتويجه .

كانت تجول في مخيلة الملك طموحات لا حد لها من التوسع السياسي

والعسكري وبناء امبراطورية تضاهي ما شيده الاخمينيون لذلك حسب للأمور السياسية والعسكرية المعاصرة له حسابا دقيقا ، فكان تحركه العسكري فيما بعد ناجحا الى أبعد الحدود فقد بدأ مشاريعه العسكرية باحتواء مملكة كوشان الهندية القديمة التي تتاخم الدولة في حدودها الجنوبية ، وبذلك فتحت أمامه أبواب الهند وخيراتها ، ووسع حدوده ناحية الشرق مسيطراً على اقليم بكتريا وواصل زحفه الى بلاد ما وراء النهر .

وهكذا شعر شابور بالقدرة الكافية لمقارعة أعدائه في الغرب فتوجه صوب سوريا متحديا قدرات الرومان العسكرية حتى بلغ أنطاكيا ، وكان لقاءه المثير مع الامبراطور الروماني فاليريان الذي أسره ومعه ٧٠ ألفاً من جنوده وضباطه ، وهم الذين نقلهم اردشير الى مدينة جند يسابور وفرض عليهم بناء السد المشهور في مدينة ششتر على نهر الكارون ، والذي لا يزال يؤدي مفعوله في سقاية هذه المدينة ومزارعها .

وهو واحد من كثير من أعمال الانشاء والعمران التي نفذها الرومان في هذه المقاطعة وكانت نهاية المملكة العربية في الحضر على يد هذا الملك أيضا ، فبعد أن فشل العديد من قادة الرومان من اجتياح المدينة ، وكذلك فشل اردشير في السيطرة عليها ، نجح شابور في اخضاع المدينة وانهاء حكمها ، وتورد المصادر العربية قصة طريفة عن علاقة ابنة ملك الحضر بالملك شابور ، وتسهيلها مهمته في اقتحام المدينة وترى أنها كانت السبب في سقوط الحضر بأيدي الساسانيين (فؤاد سفر محمد علي مصطفى : الحضر ومدينة الشمس) .

وفي تاريخ مقارب سقطت تدمر Palmyra على أيدي الرومان . وهكذا فقد العرب محطتين رئيسيتين لنفوذهما في المناطق الشمالية للجزيرة العربية على تخوم المراكز الحضرية للعراق وسوريا ، وهما الحضر وتدمر .

ويمثل ظهور المانويةوانتشارها وتبني الملك شابور لداعيتها اول حدث ديني هام تتعرض له الدولة الساسانية ودينها الرسمي الزرادشتية وبصرف النظر عن عمرها

القصير ، حيث قتل ماني بعد عهد شابور مباشرة ، لكنها تكشف من جانب اخر عن التحولات الفكرية الكبيرة التي طرأت على مسار التاريخ الساساني .

فمن المعروف ان المانوية استندت لمبادىء الزرادشتية وحاولت التقليل من شأن رجال الدين الزرادشتي كما استفادت من الافكار المسيحية والغنوصية والبوذية اي انها كانت ملتقى افكار الشعوب التي خضعت لحكم الدولة الساسانية ، وربما كان ذلك احد الاسباب التي دفعت شابور الأول إلى تبنيها ، رغبة منه في ايجاد اطار فكري عام تجتمع حوله كافة شعوب امبراطوريته .

كما يكشف انتشار المانوية عن عجز الزرادشتية بافكارها وطقوسها في المحافظة علي مسايرة التطور الفكري العام لشعوب الامبراطورية الساسانية واخيرا وبسبب العلاقة المصيرية بين الزرادشتية وبين الحكام الساسانيين فان المانوية وغيرها من الحركات الفكرية التي شهدتها ايران الساسانية انما كانت تمثل تطلعات الغالبية العظمى من شعوب ايران التواقة الى التحرر من الظلم والتعسف الطبقي والعبودية .

ولم يقتصر اثر ماني في التبشير بديانة جديدة لم يكتب لها النجاح بل كان اثره كبيراً في التطور الفكري العام للديانات القديمة كما الهب حماس ومشاعر الطبقات المسحوقة في المجتمع الايراني مما جعلها مستعدة فكريا ونفسيا لتقبل الدعوات الاصلاحية ذات الطابع الديني التي جاء بها مزدك في فترة تاريخية لاحقة .

ولماني هذا اثار جليلة في مجالات عديدة ابرزها مؤلفاته الكثيرة في الفكر والفلسفة كما يعود له الفضل الكبير بادخال اصلاح على الكتابة الفهلوية باستعماله الابجدية الارامية في تدوين اللغة الايرانية . كما ترك لنا ماني بعض الاعمال الفنية الرائعة المتمثلة في رسومه وخطه الجميل .

وينسب ابن النديم لماني (٧٦) رسالة وستة كتب وبقي اتباعه يعيشون في الخفاء من بعده ،وبقيت اثارهم الى حدود القرن الثامن الميلادي ، لكنهم اخذوا يذوبون تدريجيا في المسيحية والبوذية اللتان تقربانها من حيث التعاليم والاصول

الفكرية .

(يستطيع القارىء الاستزادة في الموضوع بمراجعة المصدر التالي « تقي زادة ماني ودينه : مجلة الدراسات الادبية ـ بيروت ـ العدد ٢ /٣ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ص ٥ و ١٩ ـ ٢٨٤)

شغل الفترة المحصورة بين حكم شابور الاول وشابور الثاني مجموعة من الملوك الساسانيين الذين تميز عهدهم بضعف الدولة واستشراء الفساد الاداري وصراع امراء البيت الساساني من اجل العرش ذلك الصراع الذي ذهب ضحيته العديد من ملوك الساسانيين وانعكس اثر هذه الاوضاع على العلاقات السياسية بين ايران وروما حيث نجحت روما في تسجيل انتصارات متلاحقة ضد الساسانيين ومن اهم المخلفات الاثرية التي وصلت من هذه الفترة نصب بايكولي (نصب تذكاري على السفح الغربي بجبال قرة داغ عند الفتحة المعروفة باسم دربند بايكولي . يبعد حوالي ٨ كم عن الضفة اليمنى لنهر ديالى ويدعوه السكان المحليون من الاكراد بت خانة اي بيت الاصنام . وهو عبارة عن برج مربع لم يبق منه سوى اقسامه السفلية وعلى اوجهه صورة الملك نرسي . وعليه كتابة بالخط الارامي وباللهجتين الفهلوية الاشكانية والساسانية) الذي يخلد انتصار الملك على بهرام الثالث كذلك شجعت هذه الاوضاع المتردية وخلافات افراد البيت الحاكم لازدياد نفوذ العظماء ورؤساء الاسر النبيلة التي كانت تحتل مراكز وظيفية عالية في الدولة ، وبلغ تلاعبهم بمقدرات الدولة الى حد قتل الملوك او سمل اعينهم او احداث اي عاهة في جسمهم تمنعهم من ارتقاء العرش لان التقاليد الساسانية كانت تقضي بان يرتقي العرش من اولاد الملك من لا عاهة في جسمه .

واخيرا نصبوا شابور الثاني وكان طفلا لم يبلغ سن الرشد املين ان تستمر الاوضاع التي تتيح لهم اوسع استثمار للدولة ومواردها .

ولكن شابور الثاني اظهر فطنة وذكاء ومقدرة عالية منذ نعومة اظفاره في احتواء الاوضاع الشاذة التي تحيط بدولته من الداخل والخارج . ويلقب هذا الملك بشابور

ذو الاكتاف لكثرة قتاله العرب وخلع اكتاف من بقي حيا منهم .

وتم على عهد هذا الملك اكتساح قلاع الروم في الجزيرة ونصيبين ، وقد زاد من التهاب الاوضاع بين فارس والروم ، تنصر الدولة الرومانية وقيام الدولة الرومية الشرقية (البيزنطية) وتبنيها للمسيحية دينا رسميا لذلك اصبحت مشكلة الاقاليم المسيحية الحدودية ومنها ارمينية مشكلة مزدوجة ، بذل الفرس قصارى جهدهم للسيطرة عليها واتباعها للسلطة المركزية .

وصادفت هذه الحروب بين الفرس والبيزنطيين حياة مؤرخ روماني شارك فيها وشاهد حوادثها فدون لنا كثيراً من تفاصيلها وذلك هو المؤرخ اميانوس مرسيلينوس . فافادتنا كتاباته كثيرا في معرفة تفاصيل المعارك وعدة الجيشين وخططهم العسكرية وبعض طباع وأساليب الجنود الفرس وبخاصة حديثه عن مزايا الملك شابور الثاني في الحرب .

وانسحبت مشاكل الصراع مع بيزنطة المسيحية لتشمل رعايا الدولة الساسانية من المسيحيين ، ولم يستطع أكثر الملوك الساسانيين اعتدالا ، اخذ مسألة مواطنيه المسيحيين دون اكتراث .

فكانت النتيجة سيلا من الاضطهادات والقتل والتشريد وتهديم الكنائس والاديرة ، واستمر ذلك لفترة طويلة .

وترك هذا الوضع اثره الكبير على المسيحيين في ايران ، لذلك شجعتهم ظروف المعاناة للابتعاد عن المذهب الرسمي للدولة البيزنطية ومحاولة الاستقلال بكنيستهم عن سيطرة الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية وهكذا اصبحت الكنيسة المسيحية في ايران ارضا خصبة لترعرع المذاهب المسيحية المعارضة لمذهب الكنيسة البيزنطية ، ومن هذه المذاهب اليعقوبية والنسطورية وقد صادفت الاخيرة رواجا كبيرا في ايران بسبب تلاقي بعض اهدافها مع الافكار الدينية الشرقية القديمة . ولا تزال بعض القبور الحجرية المنحوتة في الصخر على غرار قبور البتراء ومدائن صالح ، في جزيرة خرج القريبة من ميناء بوشهر ، ويحمل بعضها كتابات سريانية

تشير الى احدى مناطق تركز المسيحيين الاوائل بحدود القرن الثالث الميلادي ، في طريق هجرتهم الى الهند .

تسببت اهتمامات شابور العسكرية في تنامي قوة رجال الحرب وبخاصة قادة المقاطعات الذين اصبح الاعتماد عليهم وتطمين رغباتهم ضروريا لدرء الاخطار الخارجية ومما زاد من اهمية القادة العسكريين تنامي خطر الهياطلة وهم قبائل اسيوية بدوية محاربة بدأت تضغط على الحدود الشرقية لايران منذ العقدين الاخيرين للقرن الخامس الميلادي . ونجم عن حرب الهياطلة ان خسر الفرس ملكهم فيروز وبقي ولي عهده قباذ فترة من الزمن رهينة في بلاط الهياطلة . بالاضافة الى تنازل الساسانيين لهم عن كثير من مقاطعاتهم الشرقية ودفع جزية سنوية كبيرة وازاء الموقف العسكري المتردي والاوضاع الاقتصادية الحرجة وغياب الملك المقتدر ؛ برز احد القادة العسكريين وكان رجل الساعة في تدارك الاوضاع المضطربة التي تعيشها الدولة .

عقد القائد العسكري زرمهر هذا اتفاقية صلح مؤقتة مع ارمينيا حتى يتفرغ لحرب الهياطلة ، ولما نجح في تسجيل انتصارات مؤزرة عليهم شجعه ذلك للتمادي في سلطانه ، فعمد الى سمل عيني الملك بلاش ابن فيروز وعين مكانه قباذ ويبدو انه كان يقصد من وراء عمله ذلك تحسين العلاقات مع الهياطلة ، بسبب الصداقة بين ملكهم وبين الملك الساساني الجديد قباذ ، تلك الصداقة التي عززتها ايام كان قباذ رهينة في بلاط الهياطلة . ولكن هذه الخطوات لزرمهر ، فسحت المجال لعظماء الدولة وقادة الجيش بالتلاعب بمقدراتها دون اعارة الملك اي اهتمام ، فقد اصبح زرمهر الملك الفعلي غير المتوج على ايران .

ولكن اوضاع الحكم هذه لم تتفق مع رغبات قباذ وطموحاته في اعادة بناء الدولة وتثبيت هيبة الملك وسلطاته ، ولكن قباذ كان يفتقر الدعم الذي يسنده في موقفه ضد زرمهر وعظماء الدولة ، وقد وجد هذا الدعم الذي ينشده في دعوة المزدكية . فعمد الى تبني افكارها والسماح بترويجها في انحاء ايران .

وبسبب مبادىء وافكار المزدكية التي كانت تدعو للمساواة والعدل وتوزيع اموال الاثرياء على الفقراء ، التف حول هذه الدعوة غالبية افراد المجتمع الايراني من الفقراء وشكل اندفاعهم وحماسهم خطرا كبيرا وقوة عظيمة استخدمها قباذ بذكاء ضد الارستقراطية الايرانية وكبار رجال الدولة والجيش . وكانت خطوته الاولى لاعلان الحرب على هؤلاء قتل زرمهر الرجل الاقوى في الدولة .

لم تكن خطورة المزدكية تنحصر في قتل زرمهر واعادة هيبة ومكانة الملك فحسب وهي الجوانب التي افاد منها قباذ بتعاونه مع المزدكية ولكن الخطر الاعظم في المزدكية تمثل في اجراءاتها التي لاقت الدعم والقبول من لدن الملك نفسه ، فاهمها السيطرة على الاراضي والعقارات والاموال والمواد الغذائية المخزونة لافراد الطبقة الارستقراطية والاعداد الفائضة من الحريم والاماء اللواتي كن بحوزتهم وتزويجهن من الفقراء الذين لم يكن بمقدورهم التزوج لاسباب مالية .

وهكذا داهم خطر المزدكية من خلال جماهير الفلاحين المعدمين والعبيد والفقراء الطبقات الارستقراطية ، لذلك عملت هذه الفئات على تجميع قواها والتعاون فيما بينها ، ونالت خطواتها الدعم والتأييد من رجال الدين الزرادشتي الذين وجدوا مناصبهم ومراكزهم الاجتماعية والاقتصادية معرضة الى افدح الاضرار بسبب هذه الدعوة الدينية ذات الطابع الاصلاحي المتعارضة مع تعليمات الديانة الزرادشتية .

تنجح الارستقراطية في توجيه ضربة قوية للمزدكية من خلال تفوقها على قباذ ، رأس السلطة وعزله عن الحكم وسجنه وتعيين اخيه جاماسب ولكن قباذ يفوت الفرصة على الارستقراطية بفراره من السجن ولجوءه الى الهياطلة وحصوله على الامدادات العسكرية والمالية منهم سعيا منه لاستعادة عرشه .

ولكن تبدلا جذريا يطرأ على سياسة قباذ ازاء المزدكية بعد نجاحه في استعادة عرشه . ويبدو انه وزر الاوضاع التي آلت اليها ايران بسبب الدعوة المزدكية واجراءاتها والتي بدأت تهدد مصالح العائلة المالكة وامتيازاتها وثرواتها .

وكانت اولى دلائل ردة قباذ تعيينه لابنه كسرى وليا للعهد وكان زراد شتيا متحمسا بدلا من كاووس وهو ولي العهد الشرعي بسبب كبر سنه ، وكان مزدكيا متحمسا .

وتكون نهاية الدعوة المزدكية ورئيسها وكل مريديها مفجعة على يد كسرى ولي العهد ومباركة قباذ نفسه . فقد دعى زعماء المزدكية الى مناظرة دينية ترأسها كسرى ولي العهد وحضرها رجال الدين الزرادشتي وكثير من اساقفة نصارى ايران ، ويبدو ان موضوع المناظرة كان مؤامرة مدبرة باحكام من قبل كسرى ورجال الدين الزرادشتي ضد زعماء المزدكية حيث احيط مكان الاجتماع بالجنود المدججين بالسلاح وبايعاز من كسرى ، هجم الجنود على مزدك ورجاله واعوانه وقتلوهم جميعا . فكان ذلك بداية الحرب على المزدكية وافكارها وانصارها في ايران .

وقد صرف كسرى انو شروان سنوات حكمه الاولى في تصفية ما بقي من اثار المزدكية بعد ان لاحق رجالاتها ودعاتها في جميع انحاء ايران .

يعتبر عهد كسرى انو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) من الفترات المميزة في تاريخ الساسانيين بخاصة وانه تمخض عن صراع رهيب بين الارستقراطية وبين غالبية المجتمع الايراني المنضوية تحت لواء المزدكية .

وكانت تجربة المزدكية مريرة على الارستقراطية الايرانية والطبقة الحاكمة في ايران ، لذلك كانت خطوات كسرى انو شروان تتجه لمعالجة الثغرات في البناء الاقتصادي والاجتماعي للدولة منعا لتكرار مثل ذلك الحدث العاصف الذي كاد ان يودي بحياة الدولة والملكية والنظام الارستقراطي .

ولهذا السبب اتخذ كسرى انوشروان العديد من الاجراءات ذات الطابع الاصلاحي والتي شملت النظام الضرائبي وحقوق الارض وتخفيف وطأة الفقر التي يعاني منها الفلاحون واعتماد موظفين اكفاء نزيهين في الاعمال الادارية وبخاصة في الوظائف المالية .

ولم يهمل كسرى انوشروان الارستقراطية الايرانية ورجالات الجيش الذين

وجهت لهم ضربة شديدة بسبب انتشار تعاليم المزدكية من تجميع صفوفها واستعادة مكانتها خوفا من استشراء نفوذها وتجاوزها حدود صلاحياتها كما حدث على عهود الملوك الذين سبقوا كسرى انوشروان .

فكانت تنظيماته العسكرية يقصد من ورائها اعتماد قادة اكفاء لادارة شؤ ون الحرب بصرف النظر عن مكانة القائد الاجتماعية . فقد كان قائد الجيش سابقا يختار من افراد العوائل السبع الممتازة في الدولة الساسانية مثلما كانت بقية الوظائف الكبيرة حكرا على بعض هذه العوائل .

وخوفا من تفرد قائد الجيش بامكاناته العسكرية الواسعة ورغبة من كسرى في زيادة مرونة تحرك القطعات العسكرية ودقة الاشراف عليها . عمد الى توزيع قيادة الجيش العليا في اربع قيادات رئيسية وقد اتاحت هذه الاجراءات الادارية والعسكرية والاقتصادية لكسرى فرصة منازلة الروم البيزنطيين ثانية وكانت له انتصاراته الباهرة عليهم واشهرها حرب انطاكيا التي نقل اسراها الى مدينة ابتناها لهم بجوار العاصمة المدائن وعرفت بالرومية (رومكان) ويبدو ان الفنانين رسموا مشاهد انتصارات كسرى على الروم في حرب انطاكية على جدران الايوان الكبير في قصر الملك بطيسفون ، وقد بقي جانب من هذه الرسومات الى زمن الشاعر العربي المشهور البحتري الذي وصفها لنا في معرض رسمه الشعري الجميل لايوان كسرى الشهير .

وبلغت قدرات كسرى العسكرية من القدرة والمكانة بحيث انه وصل نفوذه الى اليمن وذلك في عام ٥٧٠ م فحل الحكم الساساني في اليمن بدلا من حكم الاحباش . ويبدو ان من دوافع فتح اليمن من قبل كسرى انوشروان ، ملاحظة هذا الملك تنامى نفوذ المسيحية في هذه الارجاء العربية ، وتدخل الاحباش المتعاونين مع البيزنطيين في شؤ ون اليمن بحجة حماية المسيحية ، ومما يجدر الاشارة اليه ان حملة الفرس الساسانيين على اليمن نفذت عن طريق البحر ، فبلغت السفن ميناء عدن اولا ثم انتشر الجيش في ارجاء البلاد الواسعة .

اشرنا قبل قليل الى ان ما تركته المزدكية من اثر كبير على الدولة والمجتمع الايراني حتى اننا نلاحظ في اجراءات كسرى العديدة محاولة من هذا الملك لتلافي الثغرات في البناء الاقتصادي والاجتماعي والفكري ، التي نبهت اليها التعاليم المزدكية .

ولذلك يعمد كسرى انوشروان لمنح مزيد من الحريات الفكرية للمواطنين ، وبخاصة فيما يتعلق بشؤون الديانة وتعاطي الفلسفة والعلوم . حتى عرف عنه تشجيعه للعلماء والفلاسفة وكان بلاطه موئلا لكثير من الفلاسفة السريان والرومان وبخاصة اولئك الذين كانوا على خلافات فكرية ومذهبية مع كنيسة الدولة البيزنطية . وينسب الى هذا الملك تشجيعه لترجمة كتب الفلسفة والرياضيات والعلوم من اليونان والهند ويعتقد ان كتاب كليلة ودمنة ترجم الى الفارسية في عهد كسرى ، وهو الذي ترجم الى السريانية والعربية فيما بعد . وكان ابن المقفع مترجمه الى العربية عن الفارسية .

ومن دلائل تفتح عقلية هذا الملك وابتعاده عن التعصب الديني انه خفف عقوبة المرتدين عن الديانة الزرادشتية من الاعدام الى السجن ومحاولة اصلاحهم بالارشاد والوعظ . وتنقل الينا المصادر التاريخية عن مناظرات فلسفية في اصول الدين واركانه كانت تجري بحضور كسرى انو شروان ، بين رجال الدين الزرادشتي وبين رجال الدين المسيحي .

وهكذا بذل كسرى جهودا كبيرة لاعادة بناء الدولة الاقتصادي والاداري ومحاولة مسايرتها مع تطور الفكر الانساني وما بلغه من تقدم في العلوم والمعارف والفلسفة وعلى الرغم مما حققته هذه الاصلاحات من اعادة قوة الدولة ومكانتها ولكن التناقضات الاساسية بين الغالبية العظمى من افراد المجتمع وبين حفنة الارستقراطية المنتفعة وعلى رأسها الملك ورجال الدين ، بقيت تنخر في جسم الدولة وتعرض اركانها للسقوط .

المبحث الثاني

المدائن ـ طيسفون

ومما ينسب تشييده الى الملك كسرى انو شروان بناء الايوان الكبير في القصر الملكي بالعاصمة طيسفون ، والذي يعرف بايوان كسرى والارجح ان هذا البناء المهيب سبق عهد كسرى انو شروان وربما كان بناؤه على عهد شابور الاول ولكن بسبب اللقب الذي اطلقه العرب على ملوك فارس وهو كسرى وجمعه اكاسرة مثل لقب قيصر الذي اطلقوه على ملوك الروم ، كان سببا في منشأ التسمية ، وبذلك يكون معنى ايوان كسرى ايوان الملك دونما علاقة بالملك كسرى الاول (انو شروان) أوالثاني (ابرويز) .

اتخذ الساسانيون من عاصمة الفرثيين في العراق طيسفون ، حيث كان افتتاحها ودخولها من قبل اردشير مؤشرا لسقوط الدولة الفرثية وقيام الدولة الساسانية ، عاصمة لحكمهم ويبدو ان عوامل ستراتيجية تتمثل في موقع العاصمة الجديدة على الاطراف الغربية المتاخمة لحدود الامبراطورية الرومانية ، وعوامل حضارية تتمثل في التراث الحضاري المتراكم في بلاد وادي الرافدين ، وعوامل اقتصادية تتمثل في الزراعة المتطورة الواسعة والتجارة النشطة من خلال خطوطها المائية في دجلة والفرات او البرية على اطراف البادية الغربية ، اجتمعت كلها لتبقى من منطقة وسط العراق مكانا مفضلا لانشاء العواصم على مر العهود السياسية في تاريخ العراق القديم ، ونعرف عن طريق المخلفات الاثرية أو نصوص الكتابة القديمة مواضع اكد وبابل ودور كوري كالزو (عقرقوف) وسلوقية وطيسفون (ايام

الفرثيين) والمدائن الساسانية واخيرا الكوفة على العهد الراشدي وبغداد العباسية التي بقيت تحتل مكانتها المتميزة حتى وقتنا الحاضر .

وقد توالى انشاء المدن في موضع طيسفون بتوالي السنوات في حكم الساسانيين فبالاضافة الى طيسفون نفسها انشأت مدينة الرومكان (الرومية) واشرنا سابقا الى انها انشئت لاستيعاب اسرى انطاكية الذين جلبهم كسرى انو شروان ، وكذلك انشئت مدينة على انقاض سلوقية عاصمة السلوقيين السابقة وغير ذلك من المدن . حتى اصبح مجموع المدن التي تتألف منها العاصمة الساسانية يتراوح ما بين ٥ ـ ٧ مدن ، ولهذا اطلق المؤ رخون العرب على العاصمة الساسانية تسمية « المدائن » جمع مدينة (القزويني اثار البلاد واخبار العباد ص ٤٥٣) .

تقع طيسفون شرقي دجلة ، وابرز اثارها القائمة الى يومنا هذا بقايا قاعة العرش في القصر الملكي المعروف بايوان كسرى او طاق كسرى وهو بناء مهيب مشيد بالطابوق والجص وهما المادتان الرئيسيتان في تشييد الابنية العراقية القديمة ، يتكون من ايوان مستطيل الشكل يغطيه طاق معقود بالآجر ارتفاعه ٢٩ مترا وعرضه ٢٥/٨٠ مترا وطوله ٤٣ مترا ، وبذلك فهو بابعاده هذه يعد من اكبر الطوق المشيدة بالآجر والجص من نماذج العمارة القديمة . . ويحيط بالايوان من الجانبين جداران يرتفعان بارتفاع قوس الايوان ، ويمثلان الواجهة الامامية للقصر ، تزينها اقواس مغلقة تشبه الابواب المصمته وكان الجانب الايمن من الجدار الامامي للايوان قائما حتى سنة ١٨٨٨ م . عندما صوره احد الرحالة المهتمين بالاثار ، ولكنه سقط بعد ذلك التاريخ ، بينما بقي الجدار الايسر قائما حتى يومنا الحاضر ووظيفة الايوان هي نفس وظيفة الابادانا في برسيبوليس مع الفارق الكبير في التخطيط والشكل المعماري فهي بمثابة قاعة العرش ، يجلس فيها الملك على كرسي العرش ليتصل بوزرائه وموظفيه ويلتقي بسفراء ووفود الدول الاجنبية الذين يزورونه وكانت جدران الايوان وأرضه موشحة بالسجاد والقماش الفاخر ، وبعض جنبات الايوان كان مصورا بمشاهد الاحداث التي تبرز مقدرة الملك وعظمته ، ومنها صور بالالوان لمعركة

انطاكية التي انتصر فيها الفرس بقيادة كسرى انوشروان على الروم وقد بقي جانب من هذه النقوش الى زمن ابي عبادة البحتري الذي وصفها لنا في قصيدته السينية المشهورة ، ومن ابياتها ما يلي :

فـاذا مـا رأيـت صـورة انـطاكـيـة ارتـعـت بـين روم وفـرس
والمنـايـا مـواثـل وانـوشـروان يـزجي الصفـوف تحت الـدرفس
في اخـضـرار من اللبـاس عـلى اصفـر يختـال في صبيغـة ورسى
وعـراك الرجـال بين يـديه في خفوت منهم واغماض حرس
من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء لـسهـم بينهم اشارة خـرس
وكـان الايـوان من عجب الصنعة جـوب في جنب ارعـن جلس
لم يعبه ان بزمن بسط الديبا ج واستل من ستور الدمقس
مشمخـر تعلو لـه شـرفـات رفعت من رؤوس رضوى وقدس

واجرت دائرة الآثار العراقية اعمال صيانة وترميم للايوان منها بناء جدار متعامد على الواجهة الامامية الباقية لمنعها من السقوط . كما انها كشفت عن بقايا الواجهة الساقطة ونجحت في تجميع بعض الاشكال الزخرفية المعمولة من الجص والتي كانت تزين الاقواس المصمتة للواجهة وهي تعد برنامجا لاعادة تشييد الواجهة الثانية لتعيد الى البناء شكله الاصلي وليكون هذا التشييد دعما لاساسات البناء الضعيفة لكل بناء الايوان .

وبقيت المدائن مدينة مهمة لبعض الوقت على العهد العربي الاسلامي ولكنها اخذت تفقد مكانتها ويهجرها سكانها امام انشاء المدن العربية الاسلامية التي امر المسلمون بتمصيرها في العراق مثل الكوفة والبصرة ثم واسط وبغداد .

مراحل ضعف الدولة وسقوطها

يمثل عهد كسرى انو شروان اخر العهود المجيدة في تاريخ الساسانيين وعلى الرغم من بعض فترات القوة الظاهرية التي تميز بها عهد كسرى ابرويز وغيره من الملوك ، لكن الخط العام لمسيرة الدولة كان يؤشر بدايات الضعف والتدهور التي اوصلت الدولة الى نهايتها المحتومة على ايدي العرب المسلمين كما سيأتي بيان ذلك .

لقد شهدت الفترة التي اعقبت حكم كسرى انوشروان بروز دور القادة العسكريين على مسرح الاحداث بشكل اصبح له تأثيره الكبير على الملك نفسه ، وكانت الدولة والملك على رأسها بحاجة ماسة الى مثل هؤلاء القادة بسبب المعارك الطاحنة المستمرة مع البيزنطيين ، كذلك اصبح دور الجيش وقواده حاسما في مسيرة الحكم الساساني ولم يتورع بعض هؤلاء القادة والذين كانوا يتحملون القسط الاكبر في درء الاخطار عن الدولة وضمان مصالحها وتسيير ادارتها من اعلان نواياهم في منافسة الملك على عرشه ، وقد حدث مثل ذلك على عهد هرمزد الرابع ابن كسرى انو شروان عندما اشتهر القائد العسكري بهرام الملقب (جوبين) حيث استغل هزيمة الملك امام البيزنطيين ليعلن عن رغبته الصريحة في اعتلاء عرش ايران .

وبعد ان عزلت الارستقراطية الايرانية هرمزد الرابع وسجنته وعينت مكانه ابنه كسرى ابرويز (المظفر) ، تقدم بهرام على رأس قطعاته صوب المدائن فاضطر كسرى الى الهرب ولجأ الى امبراطور البيزنطيين موريق طالبا المعونة . وهكذا اصبح بهرام الملك الحقيقي في المدائن ولا ينكر ما لهذه الاحداث من اثر سيء على مجمل اوضاع الدولة ولكن كسرى هذا يتوفق في استعادة عرشه وينتقم من قتلة ابيه وبذلك يمسك بامور الدولة بيد حديدية قوية .

وكانت الدماء التي دفقها كسرى انوشروان في شرايين الدولة لا تزال ساخنة ، فافاد منها كسرى ابرويز كثيرا ، وبخاصة في امور الحرب ومنازلات الساسانين ضد

البيزنطيين فنجح كسرى ابرويز من تسجيل انتصارات كبيرة على البيزنطيين واجتاح معاقلهم في سوريا وبلغ ابواب الاسكندرية وعانت القسطنطينية لفترة من خطر هذا الملك ، ولكن سرعان ما تحول هذا الانتصار الى هزيمة وكاد هرقل البيزنطي ان يدخل المدائن .

ولم يكن كسرى هذا جديرا بالانتصارات العسكرية التي حققها ، فقد اثبت جبنه في الساعات الحرجة عندما هرب من وجه بهرام وتخفى ثانية من وجه هرقل . كذلك يعرف عن هذا الملك حبه الشديد للمال واكتنازه الثروات وانصرافه عن شؤون الدولة ليقضيها مع عشيقته شيرين التي شيد لها قصرا عامرا يعرف بقصر شيرين ، كما تعكس لنا الاعمال الفنية والمعمارية الواقعة في طاق بستان مبلغ الجهود والاموال التي صرفها الملك لمتعته وتخليد ذكراه وفي السهول الغربية من كرمنشاه وعند الحافات الصخرية المحيطة بها اختار شابور الثالث وكسرى ابرويز مواضع لوحدات بنائية في غاية الجمال ودقة الصنع وكهف كسرى له واجهة على شكل قوس نصف دائري يستند الى عمودين ، وتحمل الواجهة زخارف بنائية من اغصان واوراد ، وفي اعلى زاويتي القوس من الواجهة نحتت صورتان بملابس وهيئة يونانية لآلهة النصر نيكة وهما يمسكان بتاج النصر ذي الاشرطة المتينة وفي اعلى منتصف العقد نحتت صورة هلال . اما داخل الكهف فعبارة عن وحدة بنائية منحوتة في الصخر مربعة الشكل نحت على الحائط الذي يقابل الداخل مشهدان بالنحت البارز ، احدهما فوق الاخر ، يمثل المشهد العلوي حفل تتويج الملك ، حيث يقف الى يمين الاله اهورامزدا ، وتقف الآلهة آناهيتا على الجانب الاخر وهي تمد بالتاج الى الملك . وتحمل الصورة تفاصيل دقيقة للملابس وزينتها وتاج الملك ونقوشه ومجوهراته وكل متعلقات لباس الملك الرسمية في حفل التتويج .

اما المشهد السفلي فقد تعرض قليلا الى التلف ، ونستوضح من بقاياه صورة كسرى وهو على ظهر جواده لابسا ثياب الحرب المؤلفة من درع قوامه حلقات حديدية يغطي كامل جسم الملك الى حد خوذة الرأس . ويمسك بيمينه الرمح بينما

يمسك بيساره حلقة دائرية الشكل ، وفي وسطه حزام وحافظة مملوءة بالسهام ، وهي من مستلزمات الزي الحربي . وعموما فان هذا العمل الفني المتمثل في نحت الوحدة البنائية والذي يكشف عن عناصر معمارية ساسانية ، او في نحت الصور الآدمية والحيوانية والنباتية هو واحد من النماذج الفريدة المتبقية من اعمال النحت الساسانية . كما يبدو واضحا من بعض التفاصيل ان التأثيرات الاغريقية - عن طريق البيزنطيين - كانت قوية النفوذ دون ان تمحو خصوصية التوجهات الفنية للساسانيين .

وعلى الحائطين الجانبيين للغرفة ، صورت بالنحت البارز الخفيف مشاهد واسعة للصيد منها صيد البقر الوحشي واخرى للخنازير . وتقدم هذه المشاهد صورا حية عن اساليب الصيد وعدته وسبله بالاضافة الى تفصيلات ثانوية منها بيئة صيد الخنازير المغطاة بالمستنقعات وعيدان القصب حيث يعج فيها البط والسمك . ويبدو ان جولات الصيد هذه كانت نزهات ملكية حقيقية حيث كان الملك يحيط نفسه خلالها بمجموعة من النسوة والمغنيات او المحظيات ليزدن عليه بهجة رحلة الصيد .

وتكثر الروايات الفارسية والعربية الحديث عن نفائس كنوز كسرى ابرويز منها الشطرنج المنحوت من الياقوت الاحمر والزمرد ، وتاجه الذهبي الذي يزن حوالي (٦٠) منا كان مرصعا باللالىء التي تحاكي في كبر حجمها بيض العصافير واليواقيت الرومانية وغير ذلك من اثاث ورياش وسجاجيد القصر التي شاهد بعضها العرب المسلمون عند دخولهم المدائن فدهشوا لها ووصفوها باطناب .

وعلى عهد هذا الملك توترت العلاقة بين الساسانيين وبين المناذرة على عهد ملكهم ابو قابوس المنذر ابن النعمان الذي اصبح بلاطه مؤئلا لشعراء العرب الافذاذ كالنابغة وطرفة بن العبد والمنخل اليشكري . ويكشف لنا اهتمام الشعراء بالنعمان بن المنذر سعة ثرائه وعظمة نفوذه بين العرب ، وربما كان ذلك احد الاسباب التي دفعت كسرى للتحرش بالنعمان بن المنذر وطلبه للحضور الى مجلسه . ولما كان النعمان يخشى كسرى ويتوقع شرا منه ، امر بماله وعياله ان تودع

امانة لدى هاني بن مسعود الشيباني وقد تحقق توقع النعمان فقد امر كسرى بحبسه في المدائن وطالب هاني برد اموال النعمان وعياله ، كما انه نقل الحكم في الحيرة الى اياس بن قبيصة من قبيلة طي وكان ذلك اشارة الى زوال الحيرة ومكانتها واهميتها الحدودية في حماية الدولة الساسانية .

ودفعت مطامع كسرى باموال الحارث للاصطدام بقوة العرب في معركة غير متكافئة في ذي قار ، ولكن الشيبانيين اثبتوا فيها جرأة ومقدرة عالية في الذود عن حماهم والحفاظ على الامانة المودعة عندهم ، فقاتلوا ببسالة منقطعة النظير وهزموا جيش الفرس في معركة ذي قار ففتحت هذه المعركة عهدا جديدا من محاولات تكررت فيما بعد بذلها عرب العراق للانتقاص من مكانة الدولة الساسانية واضعاف مسالحها الغربية على تخوم البادية ، ويمكن اعتماد هذه الغارات معارك استطلاعية هيأت للعرب المسلمين لاحقا حربهم الكبيرة في تحرير العراق من نير الحكم الساساني .

ومما يجدر الالتفات اليه ان رسول الله محمد (ص) بعث الى كسرى ابرويز يدعوه للاسلام مثلما فعل مع غيره من الملوك والامراء ، وفي ادناه نص كتاب النبي محمد (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني ادعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فاسلم تسلم وان توليت فانما اثم المجوس عليك « قيل فلما قرأ كسرى كتاب النبي مزقه ورمى به الى الارض ، ورفض الدعوة ، فلما بلغ ذلك النبي قال بان الله سيمزق ملك كسرى كما مزق كتابنا » وينقل عن الرسول الكريم قوله عند سماعه بنبأ انتصار العرب على الفرس في ذي قار قال « هذا يوم انتصف به العرب من العجم » .

كانت نهاية كسرى ابرويز مؤشرا لتداعي اركان الدولة وضياع هيبة الحكم المركزي المتمثلة بالملك ، فقد قتل كسرى نفسه من قبل رجالات الدولة الكبار والقادة العسكريين وتوالت عمليات قتل الملوك وتنصيب غيرهم لفترة من تاريخ الدولة حتى بات العثور على ولي للعهد من افراد العائلة الساسانية متعذرا فانيط الحكم الى بوران ابنة كسرى ومن بعدها لاختها آزرميدخت فكانت هذه الاوضاع السيئة التي تعيشها الدولة وغياب الحاكم القوي وتمليك النساء عليهم من الاسباب التي شجعت القبائل العربية على زيادة نشاطاتها العسكرية على تخوم الدولة الساسانية ومقابل ضعف شخصيات الحكام والحاكمات تحرك اكثر من قائد طامع بالعرش . وبسبب المصير المحتوم للملك المتوج عمد معظم افراد العائلة المالكة للاختفاء بعيدا عن العاصمة خوفا من ان يقع الاختيار عليهم لمنصب الملك ثم يقتلون بعد وقت قصير ، حتى ان عشرة ملوك حكموا في بحر اربع سنوات وبعد عزل الملكة آزرميدخت وسمل عينيها من قبل القائد العسكري رستم ، بدا التفتيش عن ملك من ابناء الاسرة الساسانية واخيرا تم العثور على احد افراد هذه العائلة يعيش متخفيا في اصطخر فجيىء به الى المدائن وتوج ملكا على ايران وهو يزدجرد الثالث اخر ملوك الساسانيين . نذكر بهذا الخصوص ان الملك الايراني كان يتزود منذ ساعات حفلة تتويجه بكثير من الاسرار الالهية التي تمنحه قدرة وصلاحيات ترفعه في نظر الايرانيين الى مصاف الالهة . ففي حفلة التتويج كان الملك يشارك في حفلات دينية خاصة ، فيأكل غذاء مقدسا ويشرب شرابا مقدسا ، وذلك يرمز الى الغذاء الخالد للالهة كما كان يلبس الرداء الذي لبسه كورش في حفلة تتويجه وبهذا فان الاسرة الملكية كانت محاطة بهالة من القدسية الالهية ولا يجوز لاحد ولو كان من افراد العوائل السبع الممتازة (وهي عوائل واسر القادة الذين ساعدوا داريوس على محاربة جومانا ونصبوه ملكا على ايران ، ومنهم كانت فرقة الخالدين المتميزة في الجيش الايراني والتي نجد صور افرادها مخلدة في منحوتات برسيبوليس ، وكان لاعضاء هذه الفرقة وعوائلهم حق مقابلة الملك والاتصال به) استير : ٢ : ١٤ .

وعلى الرغم مما تذكره المصادر عن شجاعة هذا الملك واستبساله في الدفاع عن دولته ، وكذلك عن قدرات قائده رستم العسكرية الفذة لكن عوامل النخر والتفتيت كانت قد انجزت مهمتها واصبح سقوط الدولة بين قاب قوسين او ادنى فلم تعد سيطرة الملك على الاقاليم قوية وبسبب ذلك اصبحت موارد الدولة ضعيفة ، كما ان الملك كان يحسب الف حساب في كل خطواته ليضمن مصالح وامتيازات قادة الجيش وحكام الولايات اولا ، لذلك اصبحت قضية امن الدولة وسلامتها تأتي بعد مصلحة الولايات وحكامها . وكان عرب العراق قد لاقوا الامرين من مساوىء الحكم الساساني ملوكا واداريين ، وكانت حادثة النعمان بن المنذر ثم حرب ذي قار لا تزال حية في الاذهان تذكي حماس العرب وتوحد صفوفهم للانقضاض على الدولة الساسانية وقد صادفت هذه الطموحات المشروعة للعرب في العراق توافقا مع الدعوة الاسلامية ، ويمكننا تأكيد ذلك من التحالف الذي بدأت بوادره بين الشيبانيين بقيادة زعيمهم المثنى بن الحارثة . وبين المسلمين على عهد ابي بكر ، حيث تبودلت الرسائل بينهما ، وامر الخليفة ابو بكر بدعم موقف العراقيين ضد الفرس ، وهكذا تحول خطر العرب من هجمات غير متصلة غايتها الغنائم ، الى حملات منسقة متواصلة هدفها تحرير الارض والقضاء على الدولة الساسانية .

وشهدت الاطراف الغربية للفرات من حدود الكوفة والى البحرين معارك عديدة بين العرب المسلمين وبين الساسانيين ، وكان النصر فيها للعرب المسلمين مقابل مزيد من الهزائم للساسانيين ولذلك اقتربت ساعة المعركة الفاصلة في القادسية حيث جمع الطرفان كل قواهم العسكرية ودارت حرب ضروس استمرت ثلاثة ايام بلياليها وكانت نتيجتها هزيمة الفرس امام انتصارات العرب وتقدمهم صوب المدائن ودخولها ظافرين سنة ٦٣٧ م .

واعقب معركة القادسية التحام الجيشين مرتين الاولى عند جلولاء والاخيرة في سهل نهاوند عام٦٤٢م حيث اصبحت ابواب ايران بعدها مفتوحة امام العرب المسلمين وفي عام ٦٥١ م اغتيل يزدرجرد على مقربة من مرو حيث لاذ فرارا نحوها ،

وبذلك يعتمد هذا التاريخ النهاية الرسمية للدولة الساسانية التي دام حكمها نيفا واربعة قرون ما بين ٢٢٦ م او ٢٢٤ م وحتى عام ٦٥١م .

وبنهاية الدولة الساسانية تنتهي اخر فصول تاريخ الحضارات القديمة تلك الحضارات التي كان منشؤها وادي الرافدين وشاركتها في المسيرة مراكز اخرى كوادي السند وايران والاناضول وسوريا والجزيرة العربية الجنوبية واليونان والرومان . فقد كانت هذه المراكز الحضارية قلب العالم القديم وقالبه ، وفيها كانت خطوات الانسان الاولى صوب اطوار الحضارة والمدنية ، وعندما وضعت اسس الكتابة والفنون والعلوم والمعارف الانسانية ، وتوارث بعضها عن بعض الكثير من الخبرات والتجارب دون ان يفقد كل مركز منها خصوصيته النابعة من مميزات ارضه وحدود تجاربه ومنطلقاته . ولكن يبقى القاسم المشترك الاكبر بين مراكز الحضارات هذه يتمركز في عبادات الشرك والمحاولات الاسطورية لسبر غور الكون ومعرفة خباياه على الرغم من بعض المحاولات العلمية ، وفي الانظمة الاوتوقراطية الفردية المستبدة التي كانت تميز بشدة بين طبقات المجتمع وافراده لتصل بالطبقة الحاكمة المتمثلة بشخص الملك وافراد بيته الى الاسرار الالهية هذا مع ملاحظة بعض المحاولات التي برزت هنا وهناك في بعض المراكز الحضارية القديمة التي كانت تدعو للمساواة وحرية الانسان والتشكيك بالمفاهيم الدينية القديمة ، مثلما حدث في مصر على عهد اخناتون او في ايران على عهد المانوية والمزدكية وكانت لغة الحرب الوحيدة التي تسود علاقات العالم القديم ، فكل ملك يتذرع بحقه الالهي في السيطرة على العالم ، وكانت فترات السلم والهدوء النسبي التي تعيشها شعوب العالم القديم قليلة جدا بالقياس الى اتون الحروب الذي تسبب في خراب مدن وعمران واسعين ودمار شعوب وتهجير اقوام عديدة حيث لا يزال الانسان المعاصر يرث بعض هذه الخصائص القديمة في العلاقات البشرية .

ومن مزايا العالم القديم تطور الاعمال الفنية بشكل ملحوظ حيث اعتمدتها المراكز الحضارية اسلوبا للتعبير يعوض عن افتقادها للكتابة او صعوبة التعبير وقلة

العارفين بالكتابات القديمة ، وقد كانت الاعمال الفنية سواء في مجال الرسم والتصوير او النحت ولا تزال اقوى تعبيرا واوضح اثرا في النفس من الكتابة ، وبخاصة مع الغالبية العظمى من الناس ممن لا يعرفون القراءة او يجهلونها .

ولا ادل على ذلك من اعتماد المسيحية ولحد الان على الصور (الايقونات) في شرح ابعاد الفكر المسيحي وهي السبب وراء شهرة اعمال مايكل انجلو وغيره من فناني عصر النهضة ولذلك فمثلما يتم قياس تقدم الامم في عصرنا الراهن على اساس مدوناتهم ، فان النتاجات الفنية القديمة تعد اساسا لمعرفة الاشواط المتطورة لحضارات المراكز القديمة .

اما العلاقات الخاصة وحقوق الافراد ، نساء ورجالا ، وواجباتهم ازاء الدولة والملك وكافة اشكال ا لمعاملات القانونية ونماذج التشريع القديم وحقوق الملكية وغير ذلك من شؤون المجتمع فانها كانت مغطاة بسحابة داكنة من تعاليم وطقوس الديانات القديمة ، التي كما المحنا ، بالرغم من اختلافات تفاصيلها في كل مركز ، لكنها تجتمع في منح الطبقات الحاكمة وعلى رأسها الملك صلاحية استعباد الاخرين ، وهذا ما يدفع البعض لاعتبار الانظمة القديمة انظمة عبودية او بعض اشكالها . ومع ازدياد معارف الناس وتجاربهم وتطور العلوم التجريبية والنظرية وبخاصة في القرون الاخيرة من فترة ما قبل الميلاد واتساع حركة التجارة التي تسببت في ازدياد الصلات بين الجماعات البشرية المختلفة ذات العادات والنظم والافكار المتباينة ، فقد افرزت حركة التطور التاريخي رغبة ملحة في كسر طوق الاسر الذي تفرضه تعاليم الديانات القديمة ، التي اصبحت حاجزا امام تطور متنام لحرية الانسان وحقوقه وطموحاته وفكره . وقد وجدت شعوب الشرق القديم (وهو مركز العالم القديم - بارقا من الامل في دعوات الديانات التوحيدية الاولى ولكن اليهودية اجهضت من قبل دعاتها المتعصبين بحجة انها ديانة الشعب المختار ، فاخفقت في جمع صفوف الجموع الغفيرة التواقة الى التحرر من الجهل والعلاقات الجائرة للانظمة القديمة ، لذلك كانت المسيحية في دعواتها وافكارها سفينة النجاة التي ركبها

المؤمنون الاوائل في طريقهم الى بر الامان وعلى الرغم مما حققته المسيحية من انتشار واتساع في جماهيرها ونفوذها ، ولكن وقعت في حبائل رجال الحكم الرومانيين منذ مطلع القرن الرابع الميلادي واصبحت سيفا مسلطا بيد الحكام البيزنطيين يشهرونه متى شاؤ وا ومتى شعروا بتعرض مصالحهم للخطر من الخارج او الداخل ، ضد اعدائهم ولكن الافكار المسيحية بقيت دواء ناجحا يشفي جراح المعذبين من جور أنظمة الحكم القديمة وطبيعة علاقاتها .

ومما يؤ يد كون الديانات التوحيدية نتاج حتمي افرزته حركة التطور التاريخية للمجتمعات الشرقية ، انها ظهرت في الشرق وانتشرت في الشرق ، ولم يتنصر من اقاليم الامبراطورية الرومانية الا الاقاليم الشرقية التي انفصلت في حدود القرن الرابع عن الامبراطورية الرومانية التي بقيت على وثنيتها الى سنة سقوط روما عام ٤٧٦م واعلنت عن قيام دولة رومية مسيحية تعرف بالدولة البيزنطية ومركزها الاناضول وعاصمتها القسطنطينية واقاليمها في سوريا ومصر وما بين النهرين .

وفي القرن السابع الميلادي شهد العالم القديم ولادة حدث جليل كان له كبير الاثر على مسار التاريخ الانساني ، ذلك هو الدعوة الاسلامية وظهور النبي محمد (ص) في مكة والمدينة ، وانتشرت الدعوة الاسلامية ـ التي استفادت كما يبدو من ثغرات الدعوات التوحيدية السابقة ، وكانت تدعو الى حرية الانسان والمساواة والعدل واقامة علاقات متوازنة بين الافراد ومنع الظلم والتعسف والاستعباد وغير ذلك من مبادىء ، وجدت فيها شعوب الشرق ضالتها من قرون التخلف والتسلط والعبودية وكانت سيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين مثالا للحاكم البسيط القريب من رعيته والذي يشاركهم افراحهم واحزانهم ولا يجد الى الترفع عليهم سبيلا بسبب التعاليم الصارمة للاسلام التي كانت تقر بسواسية الناس فهم كاسنان المشط ولا فرق بين عربي واعجمي او اسود وابيض الا بالتقوى وكان قادة الفتوحات الاسلامية الاولى يقتدون بالرسول والصحابة في اعمالهم وملبسهم ومشربهم ، لذلك كانوا خير سفارة للاسلام في الاقاليم البعيدة التي فتحوها . وعلينا ان نتذكر بذخ

وفسق وزهو كسرى ابرويز واثره على الفرد الايراني من سيرة الخليفة ابو بكر وعمر وفي الوقت الذي انتشر فيه الاسلام فوق مساحات جغرافية واسعة من العالم القديم احسن معاملة المسيحية والمسيحيين باعتبارهم اصحاب كتاب لذلك شجع بشكل غير مباشر في انتشارهم وهكذا اطبقت على العالم القديم بكل جنباته تعاليم توحيدية جديدة واحدة في الجوهر مع اختلاف في التفاصيل اخذت تقوض اركان واسس الانظمة والافكار والعلاقات القديمة . وكان انتصار العرب المسلمين في القادسية مؤشرا لنهاية اخر نظام سياسي قوي يمثل العالم القديم . ولأن الاسلام ليس سلطة فحسب ، بل هو فلسفة وافكار وتنظيم علاقات واقتصاد وادارة ونظام حكم جديد لذلك اخذ تأثيره يتسرب تدريجيا ليغير من البنية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعادات والتقاليد القديمة .

وفي حدود مطلع القرن الثامن الميلادي كان نصف العالم الغربي يتشح برداء المسيحية ونصفه الشرقي بثوب الاسلام ولكن هاتين الديانتين لم تعمدا الى تهديم كل ما شيده ـ القدامى وانما سايروا بعضا من النظم والعادات والافكار التي لم يجدوا فيها تعارضا مع الافكار الجديدة وابرز ما يشار اليه بهذا الخصوص اعتماد العرب المسلمين على كثير من النظم الادارية والمالية التي كانت شائعة عند الفرس واعتماد المسيحية للاعمال الفنية من نحت وتصوير في نشر افكارها . اما الجوانب العلمية التجريبية منها والنظرية فقد كانت الاساس الذي قامت عليه العلوم والمعارف على العهدين الاسلامي والمسيحي وهكذا انتهى العالم القديم سياسيا وفكريا لكنه بقي قوي التأثير في جوانب حياتية اخرى واصلت تطورها لتكون اساسا للعلوم والمعارف والاداب البشرية المعاصرة .

مراجع مختارة للفصل الخامس

١ - Percu cykes : History of Persia . 2 Vols. London 1969

٢ - طه باقر وفوزي رشيد ورضا جواد الهاشمي : تاريخ ايران القديم وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - رئاسة جامعة بغداد - ١٩٨٠

٣ - ارثر كريتنسن : ايران في عهد الساسانيين . ترجمة يحيى الخشاب القاهرة - ١٩٥٧ .

٤ - اريري : تراث فارس . القاهرة - ١٩٥٩ .

٥ - عهد اردشير : تحقيق وتقديم د. احسان عباس . دار صادر . بيروت ١٩٦٧ .

٦ - مجلة الدراسات الادبية ، السنة الرابعة ، الاعداد ٢ - ٤ ١٩٦٢ - ١٩٦٣ الجامعة الاميركية - بيروت

٧ - الشهرستاني : الملل والنحل (جزءان) دار المعرفة - بيروت - طبعة ثانية ١٩٧٥ .

٨ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ (١٢ مجلد) دار صادر - بيروت ٩٦٥

٩ - الدينوري : الاخبار الطوال ، دار احياءالكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠ .

تاريخ آسيا الصغرى

الباب الاول

مدخل الى الموضوع

الفصل الاول : الجغرافية الطبيعية والمناخية

المبحث الاول : ابرز الخصائص الجغرافية والمناخية لبلاد الاناضول والتي لها علاقة بسير الاحداث التاريخية والانسانية

تمتاز بلاد الاناضول (آسيا الصغرى) بالتناقض من الناحيتين الجغرافية والمناخية وبالتالي بالمنتجات الزراعية ، فقد حوت على الجبال والوديان والسهول . ففي الشرق حيث المرتفعات ترعى الماشية خلال بعض اشهر الربيع والصيف ، وعلى جانب الجبال المطلة على البحر الاسود في الشمال تكثر الغابات شبه المدارية بينما تشتهر الوديان المعتدلة المناخ على طول الساحل الغربي بمزارع الزيتون والعنب والسهول الساحلية المشرفة على البحر الابيض المتوسط جنوبا بالحمضيات المتنوعة وحقول القطن .

وموقعها كحلقة وصل بين آسيا الغربية واوروبا كان له الاثر الكبير على ازدهارها الحضاري في مختلف العصور وبالتالي على انتقال معالم حضارة الشرق الى الغرب . وتعتبر شبه جزيرة الاناضول جسرا يربط بين اوروبا وآسيا تحركت عبره

الكثير من الجماعات قادمة من اوروبا وجنوبي غربي روسيا عابرة منطقة الدردنيل (الهليسبونت) او مندفعة من آسيا الى اوروبا حاملة معها الافكار ومعالم الحضارة الشرقية في شتى مجالات المعرفة والتي شكلت خلفية المدنية اليونانية ـ الرومانية .

وان التنوع في محصولات بلاد الاناضول وكثرتها وثراء مختلف المناطق في بعض المعادن وتوفر الصخور والخشب جعلها هدفا لهجرة الكثير من الاقوام الاجنبية عبر التاريخ امثال الحوريين والميتانيين والفريجيين والليديين والسكيثيين واليونانيين ومن ثم الاتراك الخ . . كما ان موقعها بين الشرق والغرب جعلها في طريق الجيوش الغازية القادمة من قارةالى اخرى امثال حملات اليونانيين على طروادة وداريوس واحشويرش على بلاد اليونان والاسكندر الكبير على الامبراطورية الفارسية وحملات الملوك والقادة في العصر الهيليني والروماني . ولا ننسى الآثار السلبية لهذه الغزوات على البلد من اشاعة الخراب والقتل .

هذا وان اختلاف تضاريس البلد وكثرة الجبال والوديان والاكتفاء الذاتي لكل منطقة بحد ذاتها وسهولة الدفاع عنها ساعد في تكوين الدويلات المختلفة المنفصلة عن بعضها في البلاد منذ اقدم العصور وكان عاملا من عوامل انعدام الوحدة السياسية للبلاد لمدة طويلة .

واخيرا وليس آخراً وقوع آسيا الصغرى على طرق التجارة التي تربط الشرق بالغرب وتنقل المنتجات الهامة من كلٍ منها الى الاخرى والذي ادى الى اثراء مدن آسيا الصغرى من ناحية وطمع الاجانب بالبلاد (الذي يدفعهم للهجرة اليها او لاحتلالها او لاجزاء منها) من ناحية ثانية ، او استقرار بعض الفئات الخارجية بصورة مؤقتة لممارسة التجارة واستغلال ثروات المنطقة مثل المستعمرة الاشورية من بداية الالف الثاني ق.م في منطقة كانيش قرب قيصرى من ناحية ثالثة . ولانتعاش هذه التجارة الحيوية ودوافعها ارتبطت اسيا الصغرى مع بقية اجزاء الشرق بخطوط مواصلات عدة فهناك خط يصلها عن طريق جبال ارمينية ببحر قزوين (الخزر) فالقفقاس او (اواسط ايران) . ولكن هذا الخط لم يكن بذي اهمية كبيرة . والطريق

الاخر عبر جبال الامانوس الى كلكية والى اعماق هضبة الاناضول عن طريق جبال طوروس .

ونعرف ان الملك داريوس (٥٢٢ ـ ٤٨٦ ق.م.) من فترة الاحتلال الاخميني قد شق طريقا هاما للمواصلات وهو الطريق الملكي الذي يبدأ من ساردیس شرق ازمير الى شوشة مارا ببحيرة تاتا (طوزكولو اي بحيرة الملح) عن طريق بيسيديا (المنطقة التي تخترقها جبال طوروس وتحدها فريجيا من الشمال وسورية وكلكية من الشرق وبامفيليا من الجنوب وليشيا من الجنوب الغربي) وليكاونيا Lycaonia (في جنوب وسط آسيا الصغرى تحدها غلاطية من الشمال وكبادوكية من الشرق وكلكيا من الجنوب وبيسيديا على الجنوب الغربي وفريجيا في الغرب ومدينتها الرئيسية ايكونيوم (قونية) . ثم يتجه الى الشمال الشرقي باتجاه انقرة الحديثة مارا من وسط منعطف نهر قزيل ايرمق (الهاليس) منحرفا نحو الجنوب عن طريق كبادوكية الى الابواب الكليكية فسوريا . ومن الطرق التي استعملها اليونان والرومان والذي ربما كان معروفا من عصور اكثر قدما هو المؤدي من حاتوساس الى اميسوس (صامسون) عند البحر الاسود مارا باماسيا ووادي نهر ايريس . ويتصل الطريق الجنوبي مازاكا (قرب قيصري) بعد عبور نهر الهاليس بالطرق المؤدية الى بلاد الرافدين وحلب وبآخر يسير شرقا الى ملاطية عابرا نهر الفرات عند سميساط ـ (ساموساتا قديما)

المبحث الثاني

مصادر الدراسات

المصادر الآثارية

لقد امدتنا الحفريات التي شملت الكثير من المواقع بآسيا الصغرى من شتى العصور سواء الماقبل التاريخية او التاريخية بالكثير من الآثار المادية التي شملت

البنايات العمارية سواء الدينية منها او المدنية وخطط المدن والمقابر والمنحوتات على اختلافها والاختام والفخار والحلي التي القت الاضواء على الحضارة المادية لسكنة آسيا الصغرى في مختلف عصورها وتطور مدنياتهم وتأثرهم بحضارات الامم التي احتكوا بها واوضحت لنا معتقداتهم واوجه حياتهم المختلفة .

وقد بدأ الاهتمام بآثار آسيا الصغرى منذ الرحلات الاستطلاعية التي كانت تمونها جمعية ديليتانتي التي ركزت تحرياتها في الاثار اليونانية - الرومانية من حوالي سنة ١٧٦٤ وحفرت في موقع تيوس . ونقب الاثاريون الفرنسيون هذه المدينة سنة ١٨٢٤ . وفي سنة ١٨٣٨ بدأت تحريات تشاريس فيلوز في موقع خانثوس ، ثم تنقيبات الباحث الانكليزي وود J.T.Wood سنة ١٨٦٩ في افيسوس التي اكملها الاثاريون النمسويون بين ١٨٩٥ - ١٩١٣ وعملت بعثة اثارية المانية في هيرابوليس في القرن الماضي ايضا باشراف كارل هيومان وكيكوريوس وآخرون . وعمل هيومان هذا في موقعي مغنيسيا بين سنوات ١٨٩١ - ١٨٩٣ وبراييني سنة ١٨٩٥ . واتم ويغاند TH.WieGand حفريات هيومان سنة ١٨٩٨ - في الموقع الاخير ثم بدأ حفرياته في ملطية (مليتوس) .

واكتسبت تنقيبات هنريك شليمان في حصار لك (طروادة القديمة) منذ سنة ١٨٧٠ شهرة كبيرة في العالم آنذاك . والتي اكملها زميله ويليام دور بفيلد سنة ١٨٨٢ . وقد تعاون كارل هيومان مع الاسكندر كونز CONZ بين ١٨٧٨ - ١٨٨٦ في كشف المدينة العليا لموقع برغاموم والتي استأنفها دوربفيلد DORPFELD وزملائه بين ١٩٠٠ - ١٩١٣. وكان السواح يلاحظون وجود الصور والكتابات الهيروغليفية الحيثية منحوتة على الصخور في جنوب اسيا الصغرى باتجاه سورية والتي اقترح ارشيبالد سايس سنة ١٨٧٦ ربطها مع الاقوام الحيثية الامر الذي اثار اهتمام الكثير من الباحثين الاوروبيين فرتبوا زيارات لها وتدوينها . وفي سنة ١٨٧٦ طابق جورج سمث على ضوء كتابات وجدها في موقع قرب جرابلس الحالية قرب الحدود التركية - السورية بمدينة كركميش وعثر في زيارته للموقع على تلال تمثل اماكن القصر

والاسوار الواسعة للمدينة الهامة . وعلى ضوء الاكتشاف بدأ المتحف البريطاني بعد سنتين حفرياته في المدينة القديمة اعقبتها باخرى سنة ١٨٨١ واخيرا قبل الحرب الاولى بقليل والتي اسفرت عن اكتشاف منحوتات حيثية متأخرة وكتابات بالهيروغليفية الحيثية ولو ان الكثير من الاثار قد اصابها الضياع والتلف واستمرت الحفريات في الموقع سنة ١٩١١ برئاسة كامبيل تومبسون ثم هوغارث وبعده وولي . والتي زادت معرفتنا بمعالم المدينة . كما عثر في مقابر قرب قرية يونس على فخار ظهر بعد ذلك انه يعود الى فترة حلف . وبين سنين ١٨٨٨ تحرت الجمعية الالمانية الشرقية موقع زنجرلي (صمعل القديمة) الى الشمال من جبال انتي طوروس حيث عثرت على قلعة مسورة ذات بوابة من الناحية الجنوبية . وقسم الفراغ داخل القلعة باسوار الى بضع اقسام واشتمل على بنايتين واضحتي المعالم ذات اروقة باعمدة على الطراز المعروف ببيت هيلاني . وخلف تل القلعة كانت المدينة ذات السور الدائري الشكل والابراج الظاهرة والبوابات الثلاثة الحصينة .

اما الاثار الحيثية فقد استرعت لاول مرة انتباه الباحث الفرنسي شارلس تاكسير TAXIER سنة ١٨٣٣ لدى ملاحظته لبعضها على مقربة من قرية بوغاز كوى واخرى قرب يازيليكايا تتألف من سلسلة من المنحوتات على واجهة من الصخر لنوع من المعبد الطبيعي تمثل استعراضات لاشكال في مرسوم ديني . وبعد حوالي عشرة سنوات كتب هاملتون عن الموقعين ايضا . وعثر الاثنان على اثار مماثلة عند موقع غادور كلعة سي جنوب انقرة . وظلت التقارير ترد من باحثين كثار عن الاثار الحيثية مثل هيومان ورامسي وهو غارث وشانتر CHANTER. ولكن الحفريات المنظمة لم تبدأ الا في اوائل القرن الحالي عندما عثر هيوغوفنكلر في التل المسمى محليا بويوك قلعة وبجملة غرف التهمتها النيران على ما يزيد عن عشرة الاف رقيم مدونة بالحيثية . واستمرت حفريات فنكلر بالتعاون مع الاثاري التركي ثيودور مكريدي بك حتى سنة ١٩١٢ كشفوا بها معالم المدينة بقصورهاوحصونهاومعابدها .واعاد معبد الاثار الالمانية في استنبول الحفر في هذا الموقع باشراف كورت بيتيل BITTEL سنة

١٩٣١ حيث كشف الكثير من بقايا البنايات الحيثية في بوغازكوي ويازيليكايا . وتمكن بيتيل ان يتعقب تاريخ بوغاز كوى من العصر البرونزي فصاعدا . وتوقفت الحفريات خلال الحرب العالمية الثانية واستؤنفت بعدها واستمرت حتى الان وبين سنة ١٩٠٧ ـ ١٩١١ قام غارستانك بالتنقيب في موقع جوببا هويوك قرب سكجة كوزى الى الغرب قليلا من مدينة غازي عينتاب حيث عثر على قصر حصين يعود الى العصر الحيثي المتأخر. كما وجد في الطبقات العميقة على مستقر يرجع للعصر الحجري الحديث. كما نقب المتحف البريطاني برئاسة هرموزدرسام في موقع وان بشرق الاناضول (قرية توبراك كلعة) وحيث اكتشفت شولتز SCHULZ سنة ١٨٢٧ الكثير من الكتابات المدونة بالأورارتية . وقد تم العثور على دروع برونزية مكتوبة بالخط المسماري واستكمل الحفريات الآثاريات بيلك BELCK وليهيمان ـ هوبت اللذين عثرا على ادوات فضية وبرونزية وحديدية ومدونات عدة وتمكنا من البرهنة على ان توبراك كلعة كانت هي قلعة الملك روسا قبل تهديم الملك الاشوري تجلات بلاصر الثالث لها . وفي سنة ١٩١٦ حفر فريق روسي برئاسة واور بمقدمة القلعة القديمة حيث عثروا على معبد ضخم قطع من الصخر .

وفي العشرينات نقب المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو بين السنوات ١٩٢٧ ـ ١٩٣٢ باشراف فون ـ دير اوستن وشميت في موقع علي شار على بعد حوالي ٥٠ ميلا جنوب شرق بوغاز كوى حيث عثر على بقايا تعود الى الفترة المعاصرة للمستعمرة الاشورية في كول تبة . واستكمل سنة ١٩٢٠ الاثاري الفرنسي فيليكس سارتو SAETIANX حفرياته التي بدأها سنة ١٩١٣ في فوكايا PHOKAIA وفي العقدين السابقين شهدت بلاد الاناضول سلسلة من الحملات التنقيبية منها حفريات البعثة السويدية سنة ١٩٠٢ في موقع لاريسا والتي استأنفها بعثة سويدية ـ المانية بين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ . ثم تنقيبات جامعة برنستون في الولايات المتحدة بين ١٩١٠ ـ ١٩١٤ والتي اعاد العمل بها بعد توقف طويل هانغمان سنة ١٩٥٨ عن مدرسة البحث الشرقي الاميركية وجامعتي هارفرد وكورنيل . وعملت بعثة فرنسية برئاسة بول

كودين Gaudin بين ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ في موقع افرود يسياس الذي استأنف العمل به سنة ١٩١٣ بولانجية A.BOULANGEE ثم الايطالي غيولو جاكوب سنة ١٩٣٧ واخيراً جامعة نيويورك برئاسة كنعان ايريم ERIM منذ سنة ١٩٦١. وفي سنة ١٩٠٨ نقبت ميوس من قبل بعثة برئاسة ثيودور ويغاند WIEGAND واستكملت بعد فترة طويلة في الستينات برئاسة هانزويبير Weber. وبدأ غوستاف والفريد كورت KOERTE سنة ١٩٠١ الحفر في موقع كورديون الذي اعيد التنقيب فيه سنة ١٩٤٩ برئاسته رودني يونك YOUNG RODNEY من جامعةبنسلفانيابالولايات المتحدة.

وفي سنة ١٩٣٥ نقبت الجمعية التاريخية التركية باشراف حميد قصي ورمزي اوكوز في موقع الاجا هويوك الذي يبعد ٢٠ ميلا الى الشمال الشرقي من بوغازكوي حيث عثر على ثلاثة عشر مدفن تعود الى العصر البرونزي لا بد وانها ترجع الى عائلة ملكية لما حوته من التحف الثمينة وكانت المدينة مركزا تجاريا وزراعيا عاش اهله لمدة طويلة بسلام . وفي الثلاثينات نقب الاثاريون الاتراك في بعض مواقع العصر البرونزي قرب انقرة مثل ايتيوكوشو واخلاتلي بيل وكرة اوغلان . واعادت جامعة سنسناتي بالولايات المتحدة من ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨ باشراف كارل بليكين Blegen حفرياتها في حصارلك (طروادة) حيث قسم بيليكين طبقات دوربفيلد التسع الى ستة واربعين قسما ثانويا وفي الوقت نفسه كانت الانسة لامب تعمل في موقع كوسورا قرب افيون قرة حصار . وفي السنة التالية بدأ غارستانك عمله في موقع يوموك تبة في اطراف مدينة مرسين بسهل اطنة حيث عثر على اثار تعود الى بداية العصر الحيثي والمستعمرة الاشورية والحجري المعدني وما قبلها . وكان كولد مان يعمل سنة ١٩٣٤ في موقع كوزلوكولو قرب طرطوس وجاءت نتائج حفرياته مكملة لتلك في يوموك تبة . وفي الوقت ذاته كانت حفريات ل. ديلابورت وفون د يراوستن وشيفر في ارسلان طاش قرب ملاطية . كما اعيد بين سنوات ١٩٢٧ ـ ١٩٣٦ العمل في برغاموم برئاسة ثيودور ويغاند والتي استؤنفت برئاسة بوهرينر ERICH BOEHRINER منذ سنة ١٩٥٧ .

وفي سنة ١٩٤٥ عثرت فرقة من جامعة انقرة باشراف بوسيرت وجامبيل في موقع قرة تبة بسفوح الطوروس على اثار تعود الى القرن الثامن ق.م. منها كتابات في الهيروغليفية ا الحيثية والفينيقية تلقي ضوء على سكان قرة تبة واعقب هذا الاكتشاف بقليل حفريات الجمعية التاريخية التركية برئاسة تحسين ونعمت اوزكوج في موقع كول تبة حيث تم اكتشاف اثار المستعمرة الاشورية . وبين السنوات ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢ نقبت بعثة انكليزية ـ تركية مشتركة باشراف كوك وأكرم اكورجال في موقع سميرنا القديمة (بيرقلي) التي كانت جزيرة في خليج ازمير حيث اوجد المستعمرون اليونانيون مدينة على موقع قرية العصر البرونزي ثم استؤنف العمل سنة ١٩٦٦ من قبل الجمعية التاريخية التركية ودائرة الاثار التركية وجامعتي انقرة وايجة ـ ونقبت بعثة سويدية بين ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣ في موقع لابراندا . ثم حفريات عارف مفيد ما نسيل من جامعة استنبول عن الجمعية التاريخية التركية سنة ١٩٤٦ في موقع بيرج في الجنوب والتي استؤنفت بين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ ثم في سنة١٩٦٧ . وبدأ عارف مفيد مانسيل حفرة لموقع سيدي شهر من ١٩٤٧ ـ١٩٦٦ الذي سبق ان نقبته حملة نمسوية برئاسة نسيان وبيترسون . وكان بعثات تنقيبية تعمل في دوندارتبة وكاراز حيث عثر على اثار مهمة من العصر البرونزي في منطقة القفقاس وفي موقع بولاتلي بهضبة الاناضول واستمر الحفر في سكجة كوزي . وفي الخمسينات والستينات كانت حفريات كلاينر Klener ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ في ايونيا والحفريات التركية برئاسة اكرم أكورجال بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ في فوكايا وهناك حفريات لويس روبرت من ١٩٥٠ ـ ١٩٦٠ في موقع كلاوس وتنقيبات الاتراك بويسال واوغون بين ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ في تيوس واستكمال كلاينر الحفر في موقع مليتوس الذي بدأ به كارل ـ وايكرت Weickert سنة ١٩٣٨ وفي سنة ١٩٦٤ بدأت حملة تركية برئاسة اكرم اكورجال وحقي كولتيكن وجودت بيبور تلو او غلو العمل في موقع ايرثيراي . وبين ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ عملت حملة من جامعة لافال في كويبك كندا برئاسة جان كاكنية Jean Des Gagniers بالحفر في لاوديكيا . وفي سنة ١٩٦٧ بدأت جامعة لونك ايلاند

بالولايات المتحدة برئاسة ايريس كورنيليا لوف LOVE بالعمل في موقع كنيدوس . وفي نفس السنة حفرت حملة تركية يرأسها باقي اوغون واوميد سردار اوغلو في موقع كاونوس . وقبل هذا التاريخ باربع سنوات كانت بعثة من جامعة برين موار بالولايات المتحدة برئاسة ميللينيك Mellink تعمل في ليكيا . وفي سنة ١٩٦٧ تم العمل في موقع بيسينوس من قبل الاثاري البلجيكي بير لامبرشت ونقبت مواقع عدة من قبل بعثات اجنبية منها على سبيل المثال تلك في اسوس من قبل بعثة اميركية برئاسة كلارك J.T. CLARKE وباكون :F.H.BACON واخرى في كولوفون ولوتيون لبعثة من جامعة هارفرد ومدرسة الدراسات الكلاسيكية الاميركية في اثينا وغيرها في هاليكارناسوس على يد حملة يرأسها جيبيسن KRISTIAN JEPPESEN وكذلك في موقع انامور في الجنوب باشراف اليزابيث روزينباوم .

المبحث الثالث : المصادر المدونة

تمتاز المصادر المدونة المتوفرة لدينا عن تاريخ اسيا الصغرى القديم (حتى بداية الامبراطورية البيزنطية) بكثرتها وتنوعها . وما يؤسف ان ما لدينا من المصادر المدونة عن تاريخ الفترات المبكرة من تاريخها لمعدوم في الوقت الحاضر . واول المصادر المكتوبة التي وردتنا حتى الان هي باللغة الاكدية وترجع حوادثها الى اواخر الالف الثالث ق.م وتغلب على محتوياتها عنصري المبالغة والاسطورة . وهذان المصدران هما قصة ملك المعركة (شار تامخاري) الذي تذكر حادثة ترجعها لايام سرجون الاكدي (٢٣٢٥ ـ ٢٢٦٩ ق.م .) تتلخص بنجدته جماعة من الاكديين تعيش في مدينة بوروش خاندا في اسيا الصغرى وتصف الصعوبات التي لاقاها هذا الملك العراقي وجيشه في طريقه واحتلاله للمدينة . . الخ. والنص الثاني (ويغلب عليه العنصر الاسطوري) يذكر حادثة في عهد الملك نرام سن (٢٢٤٤ـ ٢٢٠٧ ق.م.) حفيد سرجون الاكدي ومحاربته لجيش غزى ارضه ابتداء من بوروش خاندا (في اسيا الصغري) لم يعرف هوية افراده بادىء ذي بدء . .الخ. ولنا ان نعرف بان الملك

الحيثي حاتو شيليش الاول (حوالي ١٥٢٠ ق.م.) قد نوه في كتاباته عن حركات سرجون الاكدي المارة الذكر .

ولكن التاريخ المدون لاسيا الصغرى يبتدىء في الواقع من المستعمرة الاشورية في (كانيش تبة) من اوائل الالف الثاني ق.م. والتي دونت وثائقها باللغة الاشورية القديمة وقد امدتنا كتابات هذه المستعمرة بالكثير من المعلومات الهامة عن اسيا الصغرى انذاك ومن فترة انعدمت بها المصادر المكتوبة الواردة لنا من البلاد .

وهناك الكتابات الحيثية (المدونة بالرموز المسمارية) والتي اخذت تقرأ بانتظام منذ ظهور دراسة روزني B. HROZNEY عن قواعد اللغة الحيثية سنة ١٩١٥ ثم بحث سومير F.SOMMER سنة ١٩٢٠ . وقد ساعدت قوائم الكلمات الاكدية او السومرية وما يقابلها بالحيثية على تفهم اكثر للغة الحيثيين في البداية والنصوص الحيثية الكثيرة والمختلفة المحتوى امدت الباحثين بمعلومات مفصلة عنهم بحيث صار من السهل كتابة تاريخهم السياسي والحضاري . ورغم معرفتنا عن وجود لغات اخرى الى جانب الحيثية معاصرة لها مثل اللغة الشبه الحيثية (الحاتية) والبالية Palaic واللوفية الا انه لم يردنا اي نص بهذه اللغات مهما كان طوله ولو ان بعض الكلمات قد وصلتنا من بعضها يمكن ان تعطينا فكرة عن صفاتها وارتباطاتها اللغوية .

وفي الكتابات المصرية ما يلقي ضوء على علاقتهم مع الحيثيين (منذ السلالة الثامنة عشر) وحركات الاخيرين في سورية . كما امدتنا رسائل العمارنة (١٣٨٠ - ١٣٤٠ ق.م) والمدونة غالبيتها العظمى باللغة الاكدية عن علاقات الحيثيين الخارجية آنذاك وصلاتهم بالاوضاع في سورية ونقرأ في المصادر العراقية القديمة (المدونة باللغة الاكدية) الشيء الكثير عن علاقات حكام العراق مع ملوك وامراء آسيا الصغرى سواء في فترة الاحتلال الكاشي للعراق او في كتابات مختلف الملوك الاشوريين وخاصة في العصر الاشوري المتأخر (٧٤٧ - - ٦١٢ ق.م.) الى جانب الوثائق التي عثر عليها في المواقع السورية امثال الالاخ (تل العطشانة) وحمات (حماه) . كما القت وثائق اوغاريت (راس شمرة) في شمال غرب سوريا الضوء

على علاقات هذه المدينة التجارية مع ملوك الحيثيين .

وهناك الكتابات المدونة بالهيروغليفية الحيثية التي لم تحل رموزها بعد رغم الجهود المبذولة . وفي سنة ١٩٤٧عثر في موقع قرة تبة بمنطقة جبال طوروس قرب نهر بيراموس (جيجان الحالي) على كتابة ثنائية اللغة غير متطابقة المحتوى باللغتين الهيروغليفية الحيثية والفينيقية القديمة . ثم الكتابات الآرامية لملوك وحكام الدويلات الآرامية في جنوب آسيا الصغرى امثال صمعل وميليد واربادو تل بارسيب من العصر المعروف بالحيثي المتأخر او عصر الدويلات السورية الحيثية والتي عرفتنا باعمال ملوكها وعلاقاتهم واحوال ممالكهم . كما وردتنا الكثير من العبارات المدونة باللغة الحورية في النصوص الحيثية الى جانب نصوص باللغة الحورية وجدت بين الوثائق التي عثر عليها في العاصمة الحيثية عند موقع بوغاز كوى علما بان اللغة الاورارتية هي سليلة هذه اللغة .

ثم الكتابات باللغات الفريجية والليدية والليشية والكارية . فالكتابة الفريجية (التي نعرف عن وجودها من قبل نهاية القرن الثامن ق . م .) شبيهة بالكتابة اليونانية ولغتها من مجموعة اللغات الهندية - الاوروبية . وان الكتابات الليدية والليشية والكارية هي الاخرى شبيهة بالفريجية واليونانية ولو ان رموز الكارية بعد لم تحل . والكتابات التي وصلتنا بهذه اللغات بصورة عامة قليلة وقصيرة ولكنها تشكل دون شك مصدرا لتاريخ الفترات التي دونت بها .

وتقدم المصادر المدونة باليونانية الغزيرة والمنوعة خير صورة لكافة اوجه تاريخ اسيا الصغرى منذ بدء ظهور النصوص بهذه اللغة حتى فترات متأخرة جدا من تاريخ البلاد . علما بان الهجرات اليونانية لبلاد الاناضول قد بدأت منذ نهاية الالف الثاني ق . م . وتدخل هنا الكتب التي الفها الكتاب اليونانيون سواء الذين عاشوا في اسيا الصغرى او خارجها من مختلف الفترات . ومن هذه كتاب هيرودوتس (المولود في مدينة هاليكارناسوس ببلاد الاناضول) في الفترات المعاصرة والسابقة قليلا لزمانه .
واخيرا وليس اخرا المصادر اللاتينية التي تأتي في ثرائها وغزارتها بعد تلك المدونة باليونانية وعلى الاخص منذ بداية التسلط الروماني على آسيا الصغرى . .

الباب الثاني

بلاد الأناضول

الفصل الأول

العصور الحجرية والحجرية المعدنية والبرونزي الأولى

١ ـ العصر الحجري القديم :

سكن الانسان في آسيا الصغرى منذ بداية العصر الحجري القديم حيث وجدت آثار في كثير من الكهوف أمثال أوزاغل قرب أنقرة وبنديك في خليج ازميت من الفترة الشيلية ثم دولوك في منطقة غازي عينتاب ولودوملو وبيره جك في منطقة كركميش من الفترة الاشيلية ومن اديامان بمنطقة انقرة وطوز كولو ولودمولو من الفترة الليفالوسية ـ الموستيرية ثم آثارا ترجع الى الفترة الأورغناسية من اديامان وبعض الصوان من منطقة أنقرة وأخرى تعود الى الفترات السولتيرية والمدجلانية . ويظهر كهف اديامان استمرارية في السكنى الى جانب تشكيلة أول حلقة وصل نعرفها بين سوريا ـ فلسطين وشمال العراق ومنطقة القوقاس وعلينا أن نذكر كهف قرعين قرب انطالية حيث عثر على آثار تعود الى فترات الأشولية والموسترية والأورغناسية وحيث عثر المنقبون على متحجرات لحيوانات منقرضة أمثال دب الكهف وأسد الكهف وسن طفل نياندر تالي[١] .

٢ ـ العصر الحجري الوسيط

وقد عثر على ملاجيء ومواقع كشفت بها عن آثار ترجع للعصر الحجري الوسيط ومن هذه كهف بيلدبيي على ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوب غرب انطالية[٢] ثم كهف بيلباشي أيضا كما عثر على آثار من هذه الفترة في كهف قرعين الذي نعرف عن سكناه في الفترة السابقة أيضا .

٣ ـ العصر الحجري الحديث :

ويمثل موقع حاجي لر أقدم موقع من العصر الحجري الحديث في آسيا الصغرى يتم اكتشافه حتى الآن . ونرى عناصر تشابه كثيرة بين العصر الحجري الحديث الذي سبق الفخار من أريحة بفلسطين والطبقة التي سبقت الفخار من حاجي لروالذي ـ ارجعه كاربون ١٤ الى حوالي ٧٠٠٠ق .م. فالجماعة التي عاشت في موقع حاجي لر كانت مستقرة حيث تم تمييز سبع طبقات بناء على الأقل بلقطات نادرة . وشيدت البيوت من اللبن على أسس من الصخر . ووجدت المواقد التي استخدمت كأفران غالبا في وسط ساحة البيت الكبرى أو في الغرف الصغيرة . وان وجود الأفران والكثير من القش يدل على ممارسة الزراعة وربما كانت توضع الشفرات الصغيرة من الصوان غير النقي في قرون الوعل وتستخدم كمناجل خلال الأزمان المتأخرة من العصر الحجري الحديث في حاجي لر كما عثر على الزجاج البركاني الأسود الذي استوردوه دون شك من أواسط بلاد الأناضول وتشمل عظام الحيوانات الماشية والماعز والكلب . ويظهر أن موقع حاجي لر قد هجر لمدة من الزمن يصعب تحديدها حيث صرنا نجد في الطبقات ٩ ـ ٦ من الموقع (٦٠٠٠ ـ ٥٤٠٠ق .م.) آثارا تعود الى العصر الحجري الحديث المتأخر . ولكن آثارا من الفترة الواقعة بين طبقات حاجي لر المسكونة (الطبقات غير المسكونة) قد وجدت في جاتال هويوك بسهل قونية وكلكيا . وهناك الكثير من مواقع العصر الحجري الحديث من جنوب بلاد

الأناضول في مرسين وطرسوس . ولنا أن نعرف أن جبال طوروس هي الحد الفاصل لبلاد الأناضول وما يقع جنوب السلسلة الجبلية انما هو جزء من سوريا . وان اكتشاف موقع جاتال هويوك وكيزيل كايا شمال انطاليا برهن بطلان نظرية انعدام سكنى هضبة الاناضول خلال فترة العصر الحجري الحديث(٣)

ويقع المستقر عند مرسين على الضفة الغربية اليمنى من نهر وفي منطقة يسهل عبور النهر فيها وعثر على آثار لما قد تكون بيوتا وجد فيها فخار وأدوات من الزجاج البركاني الأسود . وكان الفخار في البداية أحادي اللون غالبيته أسود ورمادي أو بني اللون بأشكال صحون بسيطة شبيهة بتلك التي وجدت في موقع سكجة كَوزى والمواقع الأخرى عند الحدود التركية وتتألف النقوش من حزوز تحت حافة الوعاء . كما وجدت الكثير من الأدوات المصنوعة من الصوان والزجاج البركاني الأسود مثل السهام والرماح والسيوف وشفرات المناجل . وطرأت في طبقات العصر الحجري الحديث الأخيرة تغييرات على صنع الفخار وأشكاله وصار الاناء يحوي شريطا بسيطا ملونا بالأحمر عند الحافة . وعثر في مرسين أيضا على الفخار الذي شاع في سكجه كَوزى في نفس الفترة وهي الصحون ذات القاعدة المستوية والجوانب المستقيمة المنحدرة نحو الخارج وتتألف الزينة من شرائط من المثلثات أو بالتظليل المتعارض بشكل خطوط محزوزة ملأت بمادة بيضاء(٤) .

ومن أواخر العصر الحجري الحديث لنا من موقع جاتال هويوك (٦٥٠٠ ـ ٥٦٥٠ق.م.) خير مثال . فمساحة الموقع ٣٢ ايكر يطل على نهر بحوالي ألف دار . وقد مارس سكنة الموقع زراعة أنواع حنطة بدائية والشعير والعدس واستغلوا ماء النهر للارواء بصورة منتظمة دون شك . واحتفظوا بالماشية والماعز ولو أنهم اصطادوا الماشية الوحشية والغزلان . وقبل معرفتهم للفخار صنعوا أوعيتهم من الخشب . وزينت نساؤ هم أنفسهن بأنواع الزينة واستعملوا المرايا

من الحجر البركاني الأسود والسلال الصغيرة التي حوت على صبغ أحمر مع نوع من الدهن وعصي صغيرة من العظام ذات نهايات نحيفة للتجميل لا تزال محتفظة بصبغ أخضر . وفي كل دار غرفة رئيسية وعلى الأقل واحدة أخرى فرعية وشيدت البيوت من اللبن على أسس صخرية . وبنيت البيوت في مجموعات حول ساحات أو أزقة ضيقة . وحوى كل بيت على مصطبة مرتفعة دفن تحتها أحد موتاهم بعد أن جردت عظامه من اللحم ومنصات للنوم على طول الجدار الشرقي مع زير كبير لخزن الحبوب وضع في الزاوية الشمالية الغربية مع موقد وتنور عند الجدار الجنوبي . وزينت جدران البيوت والمزارات بصور ملونة ومنحوتات مصبوغة . وتقع المزارات في مركز مجموعة تتألف من ٤ ـ ٥ دور وحوت كل دار على غرفة رئيسية كبيرة . وليس في البيوت والمزارات أي أبواب بل يصعدوا لها بسلالم خشبية كل ذلك كوسائل دفاعية للمدينة دون شك وتدل على عدم شعور السكان بالأمان في مدينتهم .

والمزارات والبيوت ذات خطة عامة متشابهة وكلها مشيدة من اللبن وبشبابيك صغيرة عالية . ووجدت في أحد المزارات صورة تمثل انفجار بركان ربما يكون جبل حسن داغ القريب الذي لا بد وأن جلبوا منه الحجر البركاني الأسود الذي صنعوا منه أسلحتهم الجميلة الحادة . وهناك صور أخرى تمثل مناظر صيد ورقص وألعاب اكروباتيك وأخرى ذات طبيعة دينية . وربما كانت تمارس بعض طقوس الخصب في هذه المزارات التي حوت على عدد كبير من رؤ وس الثيران والقرون موضوعة على شكل صفوف على طول الجدران وهذه لا بد وان كانت تمثل الاله الذكر كما وصلتنا الكثير من تماثيل الربة الأم . وحوى أحد جدران مزار بالطبقة السادسة (من حوالي ٦٠٠٠ق .م .) منحوتة الى فهدين قد يكونا ذوي علاقة بالربة الأم حيث وجد تمثال لهذه الربة جالسة على عرش يسنده حيوانان . وحشيان وتمثل بعض التماثيل الربة الأم وهي تلد ثورا أو رأس كبش . وفي منحوتة جدارية من جاتال هويوك وحاجي لر تمثال الامرأة العارية بشتى

الأوضاع نائمة ومضطجعة ومنحنية أو في وضع ولادة . أما تصاوير الرب الذكر فقليلة جدا منها واحدة نراه فيها راكبا على ظهر ثور من جاتال هويوك وهو موضوع ظل شائعا في آسيا الصغرى حتى العصور الرومانية(٥) .

وتركزت حياة سكنة جاتال هويوك في هذا العصر حول المراسيم الدينية . وأكبر الغرف في المدينة كانت مزارات منعدمة النوافذ بأنواع عدة من الأصنام والرموز الأكثر أهمية منها تمثال ربة من الطين نراها أحيانا بأرجل منفرجة قد تكون في وضع ولادة . والربات الأخرى أكثر نحافة وبعضها ذات سرة مبالغ فيها وعملت السرة بواحدة على شكل دوائر عدة . ووجود رؤ وس الثيران وقرونها ومنحوتات لثيران في المزارات قد يدل على تقديس الحيوانات وبذلك يعكس اقتصادهم المعتمد على الحيوانات .

وكان الدفن في البيوت وتحت مصاطب النوم ووضعوا مع الميت لوازمه الضرورية التي اعتقدوا بحاجته لها في حياته الأخرى . ووضعوا مع الميت القلادات ذات الخرز الصخرية والأصداف دونما أي فخار ويظهر أنهم جمعوا عظام الأموات بعد تفسخها بدليل كثرة عظام الموتى . وفي حالة واحدة على الأقل دفنت الجمجمة منفصلة . هذا وان غالبية الجماجم المكتشفة هي من النوع الطويلة الرأس وحوت الصور الجدرانية نسورا تهاجم جثثا عديمة الرؤ وس قد تدل على عادة أهل جاتال هويوك في قطع رؤ وس موتاهم وتعريض الجثث بعد ذلك وهي مقطوعة الرؤ وس الى النسور في الخلاء وهي عادة تشبه ما يمارسه البارسيون في الوقت الحاضر .

وعثر على الكثير من المغازل الطينية وأثقال النول وابر الحياكة المصنوعة من العظام مما يدل على معرفتهم للغزل والحياكة . وزاولوا التجارة حيث جلبوا الزجاج البركاني الأسود والصخور التي صنعوا منها الرحى والمدقات من جبال حسن داغ وملندز داغ والحجر الجيري والرخام من جبال طوروس والأصداف والكتل المعدنية الخام وعلى الأخص النحاس من سواحل البحر المتوسط .

واستعمل الرجال والنساء مختلف أنواع الخرز وتقدمت عندهم الأدوات النجارية والمصنوعة من الصخور مثل الفؤوس والقاشطات والسلتية . أما الفخار فلا يزال مصنوعا باليد وخفيف الجدار ولماع . والأوعية الأولى صغيرة الحجم وبنية/سوداء اللون . وصارت بالتدريج كبيرة الحجم وبألوان فاتحة مثل الأصفر الشاحب والسوداء المرقشة والوردية والأصفر البرتقالي . وزادت الأشكال وتنوعت . وظهرت الآن الأختام الطينية بمواضيع شبيهة بالتعرجات المعقدة وقد استعملت لختم الممتلكات وكان لكل دار ختمها الخاص ولم يعثر على ختمين متماثلين . وتعتبر الصور الجدرانية خير مصدر عن انسان العصر الحجري الحديث في هذا الموقع والحياة التي عاشها . فقد صورت هذه الصور الكثير من أوجه حياته مثل صيده لمختلف الحيوانات وحياته الدينية ونوع اللباس الذي ارتداه . فنرى الرجال يرتدون بدلة ربما من الصوف بيضاء اللون تصل الى الركبة يرافقها جلد الفهد . وهناك صور لامرأة تلبس ثوبا من جلد الفهد من رقبتها حتى الرضفة .

وفي نهاية العصر الحجري الحديث انحطت صناعة الزجاج البركاني والأسود وشاعت الأوعية الفخارية الملونة بالأحمر والأصفر البرتقالي والأصفر الشاحب والمزينة بنماذج عدة منها الأشكال المعينية في الخطوط الاعتيادية والنماذج الهندسية . وهناك بعض الفخار الأحادي اللون وكثرت الجرار والأوعية ذات العرى الأربع والعرى في شكل رؤوس الحيوانات وترجع الى هذه الفترة الطبقة السادسة من موقع حاجي لر حيث اكتشفت آثار حوالي ساحة مستطيلة وملطت الجدران بالملاط الأبيض الثخين . وأمام كل باب دار هناك تنور وموقد وحوت بعضها على زير كبير لخزن الحبوب وغطيت أرضيات الغرف بالحصران وعزلت جهة من الساحة وخصصت للطبخ . كما وجدت السلتيات الكثيرة والفؤوس والمثاقب والقضبان والمقاليع . وشملت أدوات الزينة الشخصية الخرز الصخرية والأسورة والقلادات من الأصداف واللؤلؤ . وهناك لعب أطفال مثل الكرات

الزجاجية الصغيرة والكعاب . كما وجدت الرحى والمدقات الصغيرة لعمل المساحيق وكذلك السلال . والأدلة على ممارستهم للتجارة حيث جلبوا النحاس الخام وسلفات الحديد والكبريت والزجاج البركاني الأسود من أواسط بلاد الأناضول واستوردوا المغرة الحمراء والصفراء من منطقة بحيرة اغريدير والأصداف البحرية من ساحل البحر المتوسط والرخام الأبيض والمخطط والأحجار الخضراء والصخر الأخضر المرقط والشب والشرت (الصخر الصواني غير النقي) الأحمر والبني لعمل الخرز وشفرات المناجل . ويظهر أن طقس ربة أنثى كان معروفا حيث وجدت في البيوت بعض تماثيلها المصنوعة من الطين والقطع الطينية ذات الذقن والعيون والفم والشعر المحززة . وفي زاوية ببيت عثر على ثمانية تماثيل نذرية ومناضد للعطايا النذرية مع قضبان طينية وعثر على أوعية بشكل جماجم أو حيوانات مضطجعة أو واقفة استعملت في السكائب . وحوى كل بيت على تماثيل للربة الأم في شتى الأوضاع والأشكال ولم يعثر حتى الآن على تمثال رب ذكر واحد من هذا الموقع . ويظهر أن حضارة حاجي لر هذه قد امتدت الى مساحة واسعة جدا من بحيرة بيشهر من ساحل بحري ايجة ومرمرة . وحتى حضارة فقير تبة على الساحل الشمالي لخليج أزميت لها صفات عدة مشتركة مع حضارة حاجي لر رغم التفاوت الزمني بينهما[٦] .

٤ - العصر الحجري المعدني : ١ - الفترة الاولى

وقد بدأ هذا العصر الذي استعملت فيه الادوات الحجرية والمعدنية جنبا الى جنب في الطبقة الخامسة عند موقع حاجي لر (حوالي ٥٥٠٠ ق.م) وهو العصر الذهبي لهذا الموقع حقا . وقد شملت حضارة هذا العصر مناطق عدة من بلاد الاناضول . ففي موقع مرسين وجد المنقبون مادة غزيرة من هذا العصر تختلف عن بعضها بالتقدم والتكامل مما جعلهم يقسمون الفترة بالموقع الى اولى ووسيطة

ومتأخرة . وعثر في موقع على شار مستقرا يرجع الى هذه الفترة وكذلك في مواقع دوندارتبه قرب صمسون وبويك غولوجيك غرب الاجا وكوم تبه قرب طروادة وايوكالا وجوكور حيسار قرب اسكي شهر وكارادين والاكثر اهمية الطبقات ٢٤ ـ ٢٠ من موقع مرسين التي تعود للعصر الشبه الحجري المعدني والوجه الاولي من العصر الحجري المعدني ثم الطبقات التي ترجع للعصر الحجري المعدني في مواقع جاتال هويوك وحاجي لر . ومن الاخير يرجع الى حوالي ٥٤٠٠ ق.م. وتقابل فترة حسونة بالعراق . فقد حل في مرسين عصر طويل تمتع بالسلام مع تغيرات طفيفة عامة وتحسينات في الطرق الزراعية . وبدأت الآن عملية تعدين النحاس بكل بساطة واول الادوات التي صنعت منه كانت الدبابيس البسيطة الصنع التي بدأت بالظهور في المواقع ثم المثاقب الصغيرة والفؤوس . وانحطت صناعة الصوان وتشير المغازل وأثقال النول الى زيادة في الطلب على المنسوجات . وتدل اثار القرية من مختلف الطبقات المكتشفة بانها قد اعيد بنائها حوالي السبع مرات خلال العصر الحجري المعدني والتي تشير في الغالب الى دخول عناصر سكانية مختلفة جديدة بالتتالي الى سكان المنطقة في كل مرة نرى دخولهم موضحا باشكال وتزيينات الاوعية الفخارية . ولنا ان نعرف بان الاوعية من هذه الفترة تشابه في عملها وما فيها من نماذج فخار حسونة في العراق . ففي البداية كانت الاوعية تحوي على الصور الشارية والنماذج الاخرى المرسومة باللون الاحمر على سطح مصقول او صبغ لماع . وتطور هذا الاسلوب المعروف بالبدائي الى اخر قياسي كان الشائع منه طرز التظليل المتعارض لشريط حول حافة الوعاء . ثم الفخار الجميل الشكل النصف مصقول . وبعضها ذات لونين مختلفين ومجموعة من النماذج الكثيرة . وفي نهاية الفترة ظهرت الجرة الشبيهة بالقرع الكبير الحجم والمزينة بخطوط متوازية والتي غدت الشائعة والمميزة للطبقة ١٦ من مرسين(٧) ومن طبقة مرسين ٢٢ هناك زراعة الحنطة والشعير . وان مستقرات الفترة المبكرة للعصر الحجري المعدني انتهت حرقا عند موقع مرسين حوالي ٤٧٥٠ ق.م. .

والطبقات الخاصة بالفترة المبكرة للعصر الحجري المعدني من موقع حاجي لر مستطيلة الشكل ٢٥٠ × ١٠٠ قدم محاطة بجدران من اللبن ثخنه ٥ـ١٠ اقدام جهز بالنتوءات البارزة الدفاعية والطلعات الصغيرة . ويتم الدخول للمدينة ببوابات ضيقة اكتشف منها ثلاثة في الجهات الشمالية والغربية . وواحد من هذه فقط يؤدي الى بناية والاخرى الى ممرات توصل الى ساحات مكشوفة شيدت حواليها البيوت . والبيت الاعتيادي يتألف من غرفة مؤدية واخرى رئيسية ذات موقد مربع او مستطيل الشكل بحاجز جداري . وبعض البيوت تعود الى طبقات اكثر ثراء مما يدل على تفاوت المدخولات . وتمتاز بيوت الاثرياء بغرفة اضافية وطارمة تطل على الساحة مع فرن الى جانب الموقد في الغرفة الرئيسية . والكثير من الدور كانت ذات طبقتين . وخصص الجزء الشمالي ـ الغربي للقرية لخزن الحبوب سواء في جرار كبيرة مبنية او غائصة . وامام هذا الجزء هناك تنوران لتجفيف الذرة بنيا في الساحة . الى جانب ثلاث محلات لصنع الفخار في وسط القرية . وقد عثر فيها على اوعية ملونة واخرى احادية اللون قد وجدت الى جانب رحى الطحن المغرة الحمراء والبيضاء ، ومغرة المعجنات والواح الصباغين واكواب الصبغ وادوات الرسم وعمل التماثيل الطينية . وحوى الحي الشرقي من المستقر الحجري المعدني الاولي في حاجي لر على ساحات صغيرة الحجم متلاصقة . وفي كل ساحة هناك تنور امامه موقد مرتفع ومخازن طينية للخزن ورحى لطحن الحبوب .

وفي شمال شرقي القرية هناك بئر وقربها المزار الرئيسي ، وهو اكثر اناقة وسعة من اكبر بيت تم اكتشافه في المدينة . ويشتمل على قاعة واسعة يمكن قسمتها الى جزئين بباب منزلقة وبكل جزء فجوة في الجدار الخلفي ، ويحوي المحراب الغربي على صخرة قائمة وامامها تجويفين بيضويين في الارض وجد قرب احدهما طاسة ذات صنبور . وهناك حاجز منخفض يفصل المحراب عن الغرفة الرئيسية . ويعترض الممر تنور بقمة مستوية وامامه خزن من الفخار وموقد . وفي الجزء الشرقي الاكبر هناك موقد في الارض امام خلوة ذات تجويف في الخلف والى الجنوب والشرق هناك

اعمدة من الاوتاد قد تدل على ان القاعة كانت مكشوفة ، والمدافن الوحيدة في الطبقة ٢٢ وجدت تحت ارضيات البناية حوى كل قبر منها على جثتين لام وطفلها وضع مع كل واحد منهما جرة ملونة ولو ان هناك هياكل عثر عليها في ساحات الطبقات ـ ٣ ـ ٥ دفنت وارجلها مسحوبة نحو البطن . وقلة القبور قد تدل على وجود مدافن خارج أسوار القرية لم يعثر عليها بعد . وقد احرقت الطبقة الثانية ربما على ايدي جماعة غازية . ويظهر ان الجماعة الجديدة التي عاشت بعد ذلك في موقع حاجي لرقد ابتنت لها حوالي سنة ٥٠٠٠ ق.م. قلعة كبيرة ذات طبقتين (بقطر يبلغ حوالي ١٥٠ مترا) نقب في جزء منها . وقد بنيت مجموعات من الغرف الواسعة (كل منها حوالي ٥/٨ × ٥/٥ مترا) حوالي ساحة مكشوفة قطرها حوالي ١٠٠ متر ، وكل مجموعة مفصولة عن بعضها بساحات مسيجة حوت افرانا بني خلالها ممر الى كافة المجموعات ولم تعد الاسس مشيدة من الصخر كما في العصر الحجري الحديث . وقد انتهى تاريخ هذه الطبقة حرقا على يد عدو يظهر انه ذبح سكانها حوالي بداية الالف الخامس ق.م. واخر اثار سكنى للموقع كانت القرية المكشوفة في الطبقة أ جـ وسكنى محتلين اجانب للطبقة أ د وظلت الادوات والاسلحة تصنع من الحجر كما كانت في العصر السابق . واستمر استعمال اللؤلؤ في القلائد وصارت تماثيل الربة الام بعيدة عن الابداع والتجديد وامتازت بالنمطية في العمل . واستمرت تماثيلها الواقفة في الاستعمال بالطبقات ٥ ـ ٢ ولم يظهر تمثالها جالسا الا في الطبقة الاولى التالية مع استعمال السبج لتطعيم العيون والسرة . واستمرت الاوعية بشكل الحيوانات في الاستعمال كما ظهرت من قبل تمثل مختلف انواع الحيوانات . ومغازل الفترة عبارة عن اقراص فخارية ملونة او احادية اللون مستوية الشكل وقد تشير طرز الفخار النسيجية على وجود صناعات للنسيج والسجاد الاعتيادي . والفخار بصورة عامة جميل ملون على مستوى فني عالي اذا ما قورن بفخار مواقع العصر في الاماكن الاخرى وباشكال عدة مختلفة وحتى معقدة ولو ان هناك اختلافا بين فخار الطبقات ٥ـ٢ وفخار الطبقة الاولى (أ ـ د) . ففخار الاولى يشمل الكاسات الجؤجؤية

المنخفضة او العالية ذات طبقة مضاعفة من الزينة . والاكواب البيضوية ذات الصنبور او الصنبورين عند الحافة والمزينة بمواضيع في اقسام . والجرار قصيرة او ذات رقاب طويلة وعروتين احيانا على شكل رأس حيوان . والنماذج المنحنية الاضلاع . وفي الطبقة الاولى زادت الاشكال ذات الطرز المزينة من الداخل والخارج . وهناك الكاسات الجؤجؤية الكبيرة المزينة من الداخل والخارج . وهناك كاسات مربعة وبيضوية او شبه مستطيلة وكؤوس مختلفة وجرار كما حلت العرى الشبيهة بالعقد . وانتهت حياة الطبقة الاولى في حاجي لر حرقا حوالي ٤٨٠٠ ق.م . اما فخار موقع جاتال هويوك الغربي فكان معقدا بصقل في غاية الاعتناء وشاعت به المزالق . ووجدت الكثير من الاثار المستوردة الى هذا الموقع من مرسين الطبقات ٢٤ - ٢٢(٨) مما يدل على العلاقة المتينة بينهما رغم بعد المسافة نسبيا .

ب - الفترة المتأخرة

في الوقت الذي يمكن فيه تمييز مرحلة انتقالية بين الفترتين الاولى والاخيرة من العصر الحجري المعدني في مواقع كليكيا يمكن ان نطلق عليها الفترة الوسطية (تقابل فترة حلف في العراق) ينعدم هذا الامر في مواقع غرب بلاد الاناضول . ففي الطبقة ١٧ من موقع مرسين ظهر الفخار الاصفر الشاحب الملون بالاحمر البني والاسود سوية مع الفخار الاصفر الشاحب او الاحمر المصقول ذو الايدي المبالغ فيها ثم الفخار الاسود المصقول ذو الطرز البيضاء . وربما تكون دلائل الاضطراب وعدم الاستقرار في الطبقات ١٩ - ١٧ من نفس الموقع مرتبطة بوصول هذا الفخار الملون الجديد الذي لم تشهد كليكيا مثيله من قبل والذي كان حسب ما يظهر مقتصرا على موقع مرسين . ولا علاقة للاوعية الجديدة بالفخار العراقي الذي لاحظنا ما يشابهه في الطبقة الماضية . وحتى العمارة الآن فمستحدثة الى جانب الظهور المفاجيء للادوات النحاسية مثل المثاقب والفؤوس التي توضح العرض والطلب المتزايد الان

على هذه المادة · وفي الطبقة التالية (١٦) ظهرت القلعة التي تحتل التل . وكانت نهاية هذه الطبقة حرقا مع ادلة على ذبح جماعي وتعطي بقايا الحرق على الفخار والادوات الاخرى المكتشفة التاريخ ٤٠٠٠ ق.م. لنهاية الطبقة ١٦ أ . ومن الصعب معرفة حجم قلعة مرسين بالضبط وفي الغالب كانت اصغر حجما من قلعة موقع حاجي لر من الفترة السابقة . ويظهر انها كانت ذات نطاق واحد استعمل سقفها للمدافعين من حملة المقالع . وخلف السياج هناك سلسلة من الغرف لكل واحدة منها شباكين ويظهر ان كل دار تتألف من غرفة رئيسية مجهزة بمنصة للجرش وصندوق خزن طيني للحبوب وامامها ساحة صغيرة مسيجة ومكان تحكمهم بمصدر الماء (بوابة الماء) محاطة ببرجين للحرس والى جنوبها بناية هامة ربما كانت مقرا للحاكم .

ولا نعرف ان كانت حضارة الطبقات ١٩ - ١٧ في مرسين تعود الى وافدين جدد او الى زيادة العلاقة مع جيران موقع حلف الجدد . اما حضارة الطبقة ١٦ في مرسين فهي داخلية وفدت من هضبة الاناضول وربما من منطقة موقع جان حسن الذي عثر فيه على اوعية صفراء شاحبة باشكال مماثلة الى جانب الفخار الاحمر والبني والاحادي اللون والملون وكذلك احجار المقالع المعمولة من الطين المفخور . والى هذه الفترة يرجع البعض الطبقة الاولى من موقع حسار ليك (طروادة) التي ينسبها اخرون الى فترة العصر التالي . فالزاوية غير الاعتيادية التي وضعت بها احد ابراج حراسة المد البارزة الذي يقع تحت احد البوابات المتأخرة تذكرنا بقلعة مرسين السالفة الذكر الى جانب استخدام الاسس الصخرية في تشييد البيوت . ولم يعرف الفخارون الدولاب الفخاري بعد واعطى الحرق الشديد اوعيتهم الفخارية لونا غامقا وحتى اسود في الكثير من الاحيان وصقلوها بالحصى او العظام ، ومن الاشكال الشائعة كان الابريق الكروي ذو الرقبة العمودية واليد الواحدة والبطون المسطحة او المدورة والذي عم في الالف الثالث ق.م. ثم الكاسات الثخينة الجدران والجؤجؤية عند الحافة . وفضل الفخار الطروادي العرى المثقوبة على الايدي والذي يأخذ شكل استطالات زينة في حالة الكؤوس الجؤجؤية توضع افقيا على

طول الحافة . والنوع الاخر الفخار المائل الحافة والمزين بانواع من الحزوز واحيانا بما يشبه الملامح البشرية . كما نرى في هذه الطبقة الفخار ذو الحزوز المليئة بالصبغ الابيض والطرز الملونة بالابيض والتي نعرف عن شيوعها في موقع مرسين من هذه الفترة . كما عثر على دبابيس وابر وشفرات سكاكين بسيطة مصنوعة من النحاس . اما الدفن فكان في مقابر تقع خارج المستقر تم العثور عليها في مواقع يورتان وبابا كوى القريبة من طروادة حيث وضعت الجثث في جرار كبيرة على جوانبهم ووجوههم نحو جهة الشرق . ومارسوا بنفس الوقت الدفن تحت ارضيات بيوتهم كما عثر على ادوات ودبابيس من العظام وتماثيل طينية ومغازل وازرار من الطين . وتركت حضارة هذا العصر في طروادة اثرها على الكثير من المواقع الصغيرة القريبة منها وعبر الدردنيل على شبه جزيرة غاليبولي . فتراها ممثلة في الطبقات ١ ـ ٥ من موقع ثيرمي وبوليوكني في ليمنوس .

والموقع الآخر الذي يرجع لهذه الفترة هي الطبقات الاولى لعلي شار حيث تظهر ما تسمى بنصب الفاكهة وهي عبارة عن كاسات كبيرة تقف على ارجل متشعبة والتي تحسنت صناعتها على مرور الزمن . ثم الجرار على اختلاف احجامها والتي كانت في بدايتها اوعية صغيرة جدا مزينة بالحزوز .

وفي موقع بويوك غولوجيك عند منعطف نهر الهاليس عثر حميد قصي على بيوت مشيدة فوق اسس صخرية تحت التراكمات الطينية التي سبقت الطبقة العليا من العصر الفريجي وجد فيها ادوات من الصوان والعظام والحجر البركاني الاسود وفأسين من النحاس . اما الفخار فكان يدويا مصقولا بنياغامقامع حزوز متنوعة الطرز . وكانت الاوعية بحجوم متنوعة بعضها كبير جدا منها جرار منخفضة الوسط ذات اياد اثنتين عند الرقبة مزينة احيانا بنقوش بعضها تشبه الحيوانات . وقد ارجع قصي هذه الطبقة الى القسم الاخير من العصر الحجري المعدني . وقرب صمسون على ساحل البحر الاسود وجد فخار يمزج بين ميزات فخار مواقع علي شار وبويوك غولوجيك يعود الى هذه الفترة . ولم يعثر هناك على نصب الفاكهة وما اكتشف من

البيوت كانت مستطيلة الخطة شيدت من الطوب . ولنا ان نعرف بان القرية عند موقع فقير تبه على البوسفور قد استخدمت فخارا مماثلا لفخار بويوك غولوجيك وشاعت نصب الفاكهة في موقع كوم تبه قرب طروادة .

وفي القسم الاخير من هذه الفترة طغت حضارة الجماعة الوافدة التي قضت على سكنة الطبقة ١٦ في مرسين على هذا الموقع . وكانت حضارة هؤلاء متقدمة في العمارة وغنية في منتجاتها الفخارية والمعدنية (الطبقات ١٥ - ١٧ من موقع مرسين) ونلحظ فيها كل وضوح زيادة التأثيرات العراقية . فالطبقة ١٥ أ في مرسين كانت محصنة وبلغ تحصينها من القوة بحيث استمر كما هو خلال الطبقتين التاليتين (١٤و١٣) . فالى جانب الاوعية الملونة من طراز العبيد هناك الكؤوس الرمادية المصقولة. ووجد في موقع طرسوس فخارا ما بعد العبيد الملون . ففي الطبقة ١٢ في مرسين نجد عنصرا دخيلا يتمثل في وجود الفخار الاسود المصقول باشكال مستحدثة ومزين بالطرز الملونة بالابيض الى جانب فخار اواخر العبيد الملون . وفي جنوب اسيا الصغرى وجد هذا الفخار في مواقع مال تبة وسيليفكة على الطريق من سهل قونية الى كليكيا . وسرعان ما وضعت نهاية الى سكنة الطبقة ١٢ في مرسين والى اخر حضارة حجرية معدنية في - طوروس من قبل مهاجرين دخلت البلاد معهم العصر البرونزي الاولي من تاريخها وهو وقت يعاصر ما يسمى العصر الشبه الكتابي في جنوب العراق .

وازدهرت في سهل قونية حضارة تشابه تلك للطبقة ١٦ من مرسين ولا ندري الوقت الذي حلت محلها الحضارة المتمثلة في الاوعية السوداء المصقولة ذات النقوش البيضاء . وان النماذج المضفورة للطبقة ١٢ في موقع مرسين يمكن تعقبها بسهل قونية في الاوعية الحمراء ذات الخلفية الصفراء الشاحبة الخاصة ببداية العصر الحجري المعدني في موقع جاتال هويوك الغربي . وظل بعضها موجودا خلال الفترة الثانية من العصر الحجري المعدني ولكن ليس هناك اي تأثير من حضارتي حلف او العبيد او وجود ما يشابه الكاسات الرمادية كما في كليكيا . وفي النهاية الشرقية من سهل قونية

وجدت بعض كسرات الفخار التي تظهر تشابها مع اوعية طرسوس المخططة من اواخر العصر الحجري المعدني وتقدمت حضارة موقع بيجة سلطان من اواخر العصر الحجري المعدني ، وقد تم تقسيم هذا الوجه في الموقع المذكور الى خمسة اقسام على اساس اختلاف الاثار وعلى الاخص الفخار . فالقسم الثالث يتميز باختفاء العلامات المماثلة لما في سهل قونية والتي ميزت القسم السابق وبظهور الكاسات الجؤجؤية ذات الجوانب المقعرة والتي ميزت القسمين الرابع والخامس لهذه الفترة . ويشابه الاخير ما في المواقع المعاصرة له في شمال العراق وجنوب جزيرة البلقان معطية اولى التواريخ للعلاقات مع شرق اوروبا . واضمحل الآن الفخار الملون بالابيض في الجنوب الغربي في وقت كثرت به في القسم الشمالي الغربي . وربما يكون القسمان ٣ - ٤ من موقع بيجة سلطان معاصرة الى الطبقة ١ أ من موقع كوم تبة والطبقة ١ من بوليوكني حيث حل الفخار الابيض محل المصقول . والبيوت كانت مستطيلة مشيدة من اللبن دونما اسس صخرية كما نرى اول مثال نعرفه عما يسمى بخطة ميكارون (قاعة مع طارمة أمامها) وتماثل كاسات بيجة سلطان تلك من موقع بزاريري في الشرق . وظهرت في موقع بازير شرق سفرى حصار الكاسات الملونة بالابيض ورؤوس السهام المثلثة الشكل الشبيهة بتلك من سهل قونية[١١] . ومن دراسة الجماجم التي عثر عليها في مختلف المقابر الخاصة بالعصرين الحجري والمعدني والبرونزي فان سكان اسيا الصغرى من النوع المستطيل الرأس Dolichocephals من النوع الرسي الاوروافريقي والبحر المتوسط في وقت ربما يمثل به النوع القصير الرأس Brachycephals غزاة كان عددهم في هذه الفترات قليلا . وان الغالبية العظمى لجماجم الشباب من نساء ورجال العصر الحجري المعدني التي تم اكتشافها كانت مستطيلة الرأس ومتوسطة الرأس MesocePhalic اما الجماجم القصيرة الرأس فكانت بنسبة ضئيلة . واظهرت دراسة الجماجم في الطبقات (١أ - ١ج لموقع كوم تبة بان وصول الرس المستطيل الراس قد سبق وصول الرس القصير الرأس الذي ظهر فقط في الطبقة ١ جـ[١٢] .

٥ ـ العصر البرونزي الاولي : ٢٣٠٠ ـ ١٧٥٠ ق.م.

لقد اطلق على العصر الذي تلى الفترة الحجرية المعدنية اسم البرونزي الاولى رغم ان جماعات قليلة في هذه الفترة قد اتقنت عمل البرونز في بلاد الاناضول . وقد قسم العصر البرونزي الاولي الى ثلاثة اوجه متتالية اهمها الوجهين الاولين . وفيما عدا سهل كلكيا حيث ادخلت هذا العصر اليه فئة وافدة فان العصر البرونزي الاولي كان نتيجة تطور حضاري عن العصر الحجري المعدني وكان الوجه الاولي منه عصر ازدهار حضاري وتقدم بالنسبة للعصر الذي سلفه . ومع الاسف لم تكشف في الوجه الاول من العصر البرونزي الاولي حتى الان اي مقابر ملكية في بلاد الاناضول يمكن ان نستدل منها على التقدم الذي كانت عليه صناعة الادوات المعدنية . وبرزشمال غربي ووسط اسيا الصغرى بهذا العصر بصورة واضحة لاول مرة في تاريخ البلاد . وبقي سهل كليكيا الغني زراعيا والمهم تجاريا على اهميته رغم فقره بالمعادن . وتقع في احدى نهايات سهل قونية الذي يحوي مناجم بولكاروبركتلي معدني للفضة في طوروس وفي نهايته الاخرى سورية والعراق . وان جنوب غرب بلاد الاناضول مجهز تجهيزا كافيا بالنحاس والحديد والفضة والذهب ويسيطر على طريق مندرس الى منطقة ايجة وطريق هيرموس . وفي نهاية العصر البرونزي الاولي كانت اسيا الصغرى مصدر المعادن لبلاد اشور وسوريا كما تظهر المصنوعات المعدنية من اور تشابها مع تلك من مواقع الاجا هويوك ودوراك مما قد يشير الى ان اسيا الصغرى كانت تصدر المعدن الى العراق منذ اقدم الازمنة . ويظهر ان رخاء آسيا الصغرى في الوجهين الاوليين من العصر البرونزي الاولي متأتية من استغلالها المنظم لثروتها المعدنية وقدرتها على تصديره الى جاراتها في سورية والعراق ومصر واليونان والبلقان . . . الخ . وازدهرت الحضارة المادية التي توضحت في بعض الانظمة الملكية المنظمة .

وهناك انفصام حضاري خلال هذا العصر بين الغرب والجنوب من جهة

والوسط والشرق من جهة اخرى يظهر واضحا في الفخار والصناعات المعدنية والبنايات والتماثيل . فالدفن في الغرب مثلا كان خارج المدن وعكس ذلك في الشرق . وكما اسلفنا يمكن تقسيم العصر البرونزي الى ثلاثة اوجه منها اثنين على غاية من الاهمية .

١ ـ الوجه الاول :

هناك ما يزيد عن اثني عشر حضارة متميزة في هذه الفترة ، مثل حضارة كوم تبة التي عمت القسم الشمالي الغربي من بلاد الاناضول والتي اثرت على حضارة شرق البلقان . وازدهرت في سهول اخيسار ومانيسا الخصبة حضارة حوت عناصر مشتركة مع طروادة (الطبقة ١) ويورتان . ثم حضارة يورتان التي ازدهرت على القرب منها في شرق بحر مرمرة عند سهول (تاوشنلي وكوبرواورين) حضارة تاوشنلي ـ ايزنيك . وحضارة دميرجي هويوك في سهل اسكي شهر .

ومن الاشكال المميزة لهذا الوجه الكاسات القائمة على ثلاثة اقدام اسطوانية او على قاعدة قائمة لها فتحات في الجانب ، والكاسات الضحلة او الصحون الثخينة الحافة والعرى الانبوبية ثم الكاسة ذات الحافة المقلوبة . وبالوقت الذي تندر فيه الاوعية الملونة بالابيض في كوم تبه (١ أ) تكثر عند موقع بوليوكني (الطبقة أ) . وعمت الاوعية الملونة بالبني والغامق والاسود المصقول . ويقدم لنا موقع ثيرمي فكرة طيبة على شكل المستقر في هذا العصر . وقدم موقع بوليوكني خير سلسلة من تحصينات هذا العصر والبيوت بصورة عامة مستطيلة الخطة . وكانت البيوت في موقع ثيرمي (١ـ٥) من النوع الطويل الذي يدخل اليه من الجانب القصير . والدور ذات طابق واحد مشيدة في مجموعات مفصولة عن بعضها بشوارع وازقة . ولغالبية البيوت ساحة امامية وتنار بشبابيك وضعت في القسم العلوي من الجدران ذات سقوف مستوية . وعثر في القرية عند موقع يورتان على بيوت مستطيلة الخطة . وان

مزار الطبقة ١٧ في موقع بيجة سلطان كان على طراز الميكارون . وفي موقع بولاتلي شيدت جدران البيوت باللبن على اسس صخرية بارتفاع يبلغ المتر الواحد . وفي حالة واحدة وضعت تقويات من القطع الخشبية في البناء .

اما الدفن فهو على طرق عدة في كل منطقة . وفي موقع بابا كوى (حضارة يورتان) هناك نوعان من الدفن الاول في اوعية طينية كبيرة والثاني في حفر صخرية . ووضعت مع كل جثة بعض الادوات الشخصية والاوعية وخنجر او فأس واحيانا لضيق المكان وضعت بعض الجرار خارج القبر الذي اغلق بقطعة من الصخر وضعت بصورة عمودية بحيث تبرز نهايتها العليا فوق الارض .

وحوت بعض المقابر على مئات القبور . وهناك مقبرة موقع كوسورا أ في الغرب من القرية وحيث عثر على اربعة عشر قبرا والدفن في الجرار الكبيرة اكثر شيوعا . ووضعت الجثث في وضع معقوف على جبهتها اليمنى ورؤوسها باتجاه الغرب والاوعية فيها قليلة تتألف من وعاء او وعائين وضعا قرب الرأس . وحوت مدافن الاطفال في منطقة يورتان وبيجة سلطان على قنينة للرضاعة او ابريق صغير . وتعود بعض قبور حضارة يورتان في موقع اوفابا يندير كما يشير الى عوائل ثرية بدليل وجود مواد ثمينة منها الكاسات المرمرية المصقولة التي يبلغ قطرها القدم الواحد وذات الجدار الخفيف والعرى الانبوبية . اما الدفن في موقع بولاتلي فكان في قبور عمودية بادىء ذي بدءثم في الجرار الكبيرة الحجم وفي الحفر الصخرية التي تبلط وتغلق بقطع من الحجر الجيري حيث يوضع داخلها الميت في وضع معقوق ووجهه نحو الجنوب . وان الدفن في الحفرة الصخرية المبلطة بالحجر له نتيجة مهمة . انه يقع في محل عال بين بيتين وفي طبقة البناء التي تقع فوقه مباشرة توجد بناية دائرية الشكل من الطراز المعروف باسم الثولوس وكانت شرفته المستطيلة الامامية مليئة بالعطايا الصغيرة وربما تكون هذه البناية مزارات جنازية تم تشييدها لتعيين المكان التقليدي للقبر وهو اجراء لا نعرف عنه حتى الان في هذا العصر . ان الادوات الفضية قليلة والذهب نادر خارج القبور . ويظهر ان صناعة الادوات المعدنية بعد لم تصل الى

درجة متقنة . فقد عثر على خناجر وسكاكين ومثاقب وابر كما وجدت الكثير من الادوات المصنوعة من الصخر امثال الصولجانات والمدقات والاقراص وفؤوس المعركة .

وخير انتاج لهذا العصر يتمثل في الفخار المصنوع باليد والكثير الاشكال وصارت الاشكال الان على غاية من الجمال الفني . ففي الحضارات الشمالية الغربية من هذه الفترة هناك الكاسة ذات الحافة المقلوبة والقاعدة المستوية ، وفي حضارة ميخاليتس في تراقيا كان لهذه الاوعية ايد او عرى انبوبية والتي كانت نادرة جدا في حضارات يورتان وأخيسارومانيساوتاوشلي وحل محلها نتوئين بالحافة مثقوبين عموديا . ثم الكاسات المفرطحة الجوانب . وصارت الحافة الان اثخن بحزوز ملئت بمادة بيضاء مع عروة تحت الحافة وهناك بعض الاختلاف فيها من موقع لآخر . ويصدق الامر على الاباريق فشاعت الاباريق ذات الصنبور الشبيهة بالمنقار التي تختلف هي الاخرى من موقع لثان . ومن مميزات يورتان ما يسمى بوعاء الطير المصنوع من المعدن بصنبور مقطوع والغير موجود في موقع ثيرمي . ومن ميزات حضارة يورتان الاخرى الجرار ذات الرقاب الشبيهة بالقمع والجرار الثلاثية القوائم ذات الاغطية والتي هي الاخرى ميزة شائعة في شمال غرب الاناضول وتختلف التزيينات على الفخار من منطقة لاخرى ففي امبوريو شاعت الحزوز المملوءة بالمادة البيضاء التي اضيف لها طراز الحبل في موقع ميخاليتس الغير موجود في فخار وسط الاناضول . ولم يهتم فخارو منطقة تاوشلي - ايزنيك بملء الحزوز بالمادة البيضاء وفي حضارة يورتان وجد فخار يحوي مثل هذه الحزوز واخر بدونها . وشاعت الاخاديد والتضليع في فخار موقع ثيرمي ويورتان . ومن موقع بولاتلي وجدت الكاسات الصغيرة والاباريق المزينة بالزخارف المحززة والتجاعيد مع شريط احمر . علما بان فخار موقع اخلاتلي بيل من نفس الفترة يحوي شريطا اسود . وفخار بولاتلي احادي اللون اسود او احمر وحل اللون البني والاحمر محل الاسود في الطبقات التالية . وهناك ايضا الاوعية المزينة بالخطوط البيضاء على السطح المصقول وهي مشابهة الى فخار

مرسين من العصر السابق .

اما فخار المنطقة الجنوبية الغربية من هذا العصر فيختلف تماما ، فقد كان اكثر رقيا من الاوعية الشمالية وفيه قطع كبيرة يصل ارتفاعها الى قدم وبثخن يصل الى ثلاثة مم وهو فخار مصقول كثير الالوان والتي منها الاسود والاصفر / الرمادي والبرتقالي والاحمر اللماع والقرمزي . والعرى مفقودة تقريبا والايدي العريضة هي الشائعة . وتتألف النقوش من تضليع وحزوز افقية وعمودية ومنحرفة . والجرار الدائرية ذات رقاب قصيرة ثم الاباريق الطويلة الرقبة المنحرفة الحافة والكؤوس ذات الحافات المنحرفة والكاسات بصورة عامة ضحلة برقاب مقلوبة وحافة قصيرة . والايدي التي وضعت بصورة افقية هي الوحيدة المعروفة . وهناك الاباريق ذات الايادي الاثنين والمزينة بمناطق ملثت بنماذج اصداف السمكة او بوضع قطع طينية تفخر مع الوعاء (الباربوتين) ثم الكوب ذو الاربع قوائم الملون بالابيض واباريق اخرى لها ما يماثلها في حضارة يورتان وجاراتها الغربية ويختلف فخار الجنوب (سهول قونية وكلكية) كذلك ، والفخار الاحمر على الخلفية الصفراء الشاحبة من العصر السابق استمر في سهل قونية طيلة هذا الوجه ولو انه اختفى من كلكية . ويمكن تصنيف الفخار في المناطق الجنوبية الى الاوعية المصقولة والاوعية الحجرية المحروقة طويلا . وهذا الفخار الذي يطلق عليه (الاحمر المحروق طويلا) في كلكيا كان السائد مع الاوعية الرنانة في سهل قونية والملونة بالاحمر بخطوط بيضاء . اما الاشكال فقليلة تتألف من اباريق كروية الاجسام ذات صنابير متقاربة ورقاب طويلة مع الكثير من الكاسات البسيطة . ولكل الاشكال المختلفة قواعد تشبه السرة والقسم الاعلى من ايادي الاباريق محززة بنقاط وشقوق . وتدخل هنا الاوعية المخدشة المعروفة في سهل قونية من العصر السالف التي صارت تصدر الان الى الساحل الغربي . كما شاعت الكاسات ذات القاعدة المستوية والجوانب المفرطحة والكاسات غير العميقة الشبيهة بنصف القواعد الشبيهة بالسرة او الاقراص .

والفخار الاولي لحضارة دميرجي هويوك في حوض نهر سقارية وسهل اسكي

شهر بني اللون او اسود في الغالب وشاعت به الاكواب والكاسات الضحلة ذات الايادي الصغيرة التي توضع فوق الحافة . ومن مواقع علي شار ١٧ في اواسط بلاد الاناضول وصلتنا قطعة فخارية تحوي على نموذج معقد من الاشكال المعينية بين خطوط متوازية بالرمادي الفاتح على خلفية صفراء شاحبة . وشاع اللون الاحمر والحزوز المليئة بمادة بيضاء وطريقة الاستئصال المشتقة من نقش الخشب وجد غالبا على قواعد نصب الفاكهة التي تحوي احيانا على سلسلة من المثلثات المقطوعة كما وجدت الاباريق ذات الافواه الافقية وشاعت نصب الفاكهة في منطقة البحر الاسود عند مواقع هوروزو تبة وتبة جك وكايا بينار في وادي نهر يشيل ايرمق . واخرى اتت من بازارلي والاجا ولكنها غير معروفة في ساحل البحر الاسود[٣] .

وعاصرت هذا الوجه جزء من مدينة طبقة طروادة ٢ التي ترجع غالبيتها الى الوجه الثاني من هذا العصر .

٢ ـ الوجه الثاني :

ان التحول من الوجه الاول الى الثاني من العصر البرونزي الاولي كان سلميا في غالبية المواقع (عدا بيجة سلطان ١٧ أ وأمبوريو) . وان غالبية منطقة طروادة قد هجرت منذ نهاية عصر طروادة أ واستوطن موقع بيجة سلطان الان (الطبقة ١٦) واعيد بناء المزار القديم في نفس موضعه السابق واستمرت اشكال الفخار الاولي مما يدل على ان الموقع لم يهجره كل سكانه من الطبقة السابقة الذين اعادوا بناء مدينتهم وقد تبدلت بنية القسم الجنوبي الغربي بهذا الوجه . وعمت العناصر الحضارية الشمالية الغربية بحيث ان كل شكل من اشكال الفخار تقريبا له ما يماثله في المنطقة الشمالية الغربية من الفترة السابقة مما يدل على ان القادمين الجدد كانوا من هذا الصقع . وقد وصلت حضارة بلاد الاناضول خلال العصر البرونزي الاولي عنفوانها في هذا الوجه . ويصعب معرفة الوضع السياسي خلال هذا الوجه ولكن وجود القلاع الحصينة الضخمة في طروادة واخلاتلي بيل ومواقع مدن هامة مثل بوليوكني

وبيجة سلطان والاجاهيوك وكول تبة وطرسوس إضافة الى القبور الملكية الغنية وبعض القصور تدل على تقدم سياسي وانظمة لا بد وان كانت تحت زعامة ملوك اقوياء ذوي ثراء .

فالمدينة التي اكتشفت عند موقع بوليوكني الطبقة الخامسة (في جزيرة ليمنوس ببحر ايجة) من هذه الفترة تزيد على ضعف مدينة طروادة الثانية بخطة منتظمة وشارع رئيسي طوله حوالي ٢٠٠ مترا يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب . وشيدت البيوت في مجموعات على جانبي الطريق . وبعض البيوت كانت كبيرة جدا والبيت الاعتيادي يتألف من قاعة وطارمة بساحة امامية وصف من الغرف الفرعية على طول احد الجوانب . والبيوت الكبيرة تحتوي على بضع صفوف من هذه الغرف مع ساحات فرعية وغرف اخرى حول الساحة الرئيسية. وهناك ميكارون كبير منفصل في المربع الاساسي لا بد وانه استخدم للفعاليات العامة . ومن البنايات الاخرى مخزن للحبوب وما يمكن ان يكون قاعة اجتماع (ربما مسرح) والمدينة لا بد وأنها كانت محصنة(١٤) . وفي اخلاتلي بيل وجدت قلعة تسيطر على الطريق الذي يفصل سهول انقرة وكول باشي ولم يعثر بها على ممرات مما جعل اعطاء اية فكرة عنها صعبة . ووجدت فيها بعض الغرف الصغيرة التي ربما كانت للخزن ولكن ثخن جدرانها يعترض هذا الاستنتاج الى جانب وجود القبور (سواء المحفورة بالصخر او في الجرار الكبيرة) منها والتي حوت الكثير من الادوات الجنازية الثرية منها اسلحة مختلفة (سيوف ، خناجر ، فؤوس معركة . . الخ .) ولا نعرف قبور من تكون وربما لحكام اواسط بلاد الاناضول .

وقد شيدت المدينة عند طبقة طروادة الثانية على انقاض الاولى دونما ثمة توقف . فهناك قلعة واسعة على شكل كثير الاضلاع والزوايا غير منتظم مع ابراج صغيرة عدة مربعة عند الزوايا وربما كانت ذات مدخل واحد في الجهة الجنوبية . اما سمك السور فحوالي ١٢ قدم شيد باللبن مع قطع خشبية وضعت للتقوية عند كل ثلاثة صفوف واستمرت هذه الطبقة مسكونة لمدة طويلة بدليل اكتشاف سبعة اوجه لعمارتها ميز

فيها المنقبون الاوائل (شليمان ودوربفيلد) ثلاثة فقط . ولمدينة الطبقة الثانية اسوار وبضع بوابات وداخل القلعة بنايات ضخمة منها القصر الذي شيد حسب طريقة الميكارون البسيط . وكان الميكارون بطارمة مربعة مع ممر يؤدي الى شقة كبيرة مستطيلة بموقد في الوسط ، والى جانبها بناية اصغر من نفس النوع بشقتين متصلتين مع بعضهما . وافترض الكثيرون كون هاتين البنايتين تشكلان القصر وان القسم الاول للرجال والثاني (الاصغر) للنساء . ومدخل القصر خلال ممر في الجهة الجنوبية - الشرقية وضع على نفس محور الميكارون الكبير . وقبل الوصول اليه على الداخل ان يجتاز طارمة صغيرة خلال جدار ثاني يحيط المنطقة الداخلية وجدار الزاوية الجنوبية لهذه المنطقة ذو طلعات عميقة تبرز عند مسافة كل ستة امتار وجد المنقبون بينها اسسا صخرية لاعمدة خشبية .

ووجد بكل دار من هذه الطبقة (نهايتها) ما يدل على ترك اصحابه له بسرعة نتيجة نشوب حريق ، فالادوات الذهبية قد وجدت بارضية كل بيت تقريبا مبعثرة في فناء الدار تركها اهلها نتيجة رعب وذعر . وان من بين ما اكتشف شليمان من الكنوز التي يبلغ عددها تسعة الاكثر اهمية منها المعروف بـ (كنزبريام) الحلي الذهبية والاوعية المصنوعة من الذهب والبرونز والاسلحة البرونزية التي تدل على ازدهار حياة سكان طبقة طروادة الثانية هذه ورفاههم . وربما كان مصدر الذهب الكثير الضرائب التي فرضها الطرواديون على التجارة المارة في اراضيهم . وتشهد الادوات المعدنية والحلي على مدى التقدم الفني والحرفي لطروادة في هذه الفترة فقد عثر على اربعة فؤوس معركة مزينة ورأسي اسدين من البلور . واستمر فخار العصر السابق الاسود والرمادي المصقول في الاستعمال بالبداية ثم عمت الالوان الفاتحة وتلك الملونة بالبني والاحمر والاسود الضارب الى الصفرة . وقد دخل الدولاب الفخاري في هذه الطبقة والذي كان له الاثر على تحسين عمل الفخار وجودته وكثرة الانتاج . وزادت الاوعية غير العميقة والكاسات المفرطحة الجوانب والاكواب الطويلة النحيفة . وان كثرة الادوات والفخار المستورد من العالم الايجي وبلاد اليونان تدل

على قوة العلاقة مع الغرب ولا بد وان كان لطروادة الان صلات مماثلة مع داخل بلاد الاناضول[١٥] .

وفي موقع ايتيوكوشو عثر على بنايات يصعب معرفة الغاية من تشييدها يظهر انها مرتبطة بالمدافن . وتتألف البيوت في غرب ووسط الاناضول من بضع غرف مستطيلة جمعت دونما ترتيب . وفي بيجة سلطان تتألف البيوت من شقق ذات غرف مستطيلة (الطبقة ١٣) كما في موقع كوسورا او على طراز الميكارون (الطبقة ١٦) والتي لم يكشف منها كثير لمعرفة تفاصيل خططها . وان المعبدين التوأمين في موقع بيجة سلطان (الطبقات ١٦ ـ ١٤) يختلفان في الطول من ١٥ ـ ١٧,٥ بنيا على طراز الميكارون مع غرفة خلفية . وقد شيدا امام السور الشمالي ويطلان جنوبا على المستقر وساحات مجهزة بافران ومخازن حبوب طينية او حفر مستطيلة مطلية من الداخل بالطين . وبكل معبد مذبح يتألف من نصبين شيدا على مصطبة عالية من اللبن تحوي على جرتين الاولى لخزن السوائل والثانية للمواد الصلبة جهزت بغطاء . وامام النصبين قرنا تكريس . وخلف المذبح هناك ستارة ربما من الحصران او السجاد معلقة بين سلسلة من الاعمدة الخشبية يخفي الحرم الداخلي ويحجبه عن نظرات المتعبدين . وهذا المعبد (بدليل القرنين) خاص بالرجال . أما المعبد الثاني فكان للنساء وحوى مذبحا للاضاحي الحيوانية مع مصطبة في الزاوية الشمالية الغربية . وعثر على حنطة وشعير وعدس وبذور عنب على الاخص في معبد النساء . وهذه هي المعابد الوحيدة المكتشفة حتى الان في بلاد الاناضول من هذا العصر . واكتشفت في طرسوس حيا يرجع لهذا الوجه يتألف من سلسلة من الدور وبقايا سورين للمدينة ببوابة . ويدخل الى البيوت المستطيلة الشكل من الشارع بممر يؤدي الى الغرفة الرئيسية ذات الموقد . وربما كانت هناك مصطبة قرب الموقد وقد يكون هناك باب او اكثر في الغرفة تربطها بغرفة ثانية . واحيانا نرى الغرفة مقسمة الى اثنتين . ولاحد الدور شرفة مع غرفة رئيسية واخرى بالخلف ذات مصاطب على طول الجهات الثلاثة اعتقد المنقبون باحتمال كونها حانة . وربما حوت البيوت على طابق ثان . ولنا ان

نعلم بان طراز الميكارون لم يظهر في طرسوس الا في الوجه التالي من هذا العصر .

لقد اظهرت المقابر الملكية في موقع دوراك ومدافن الاجا هويوك اختلاف عادات دفن الملوك من ناحية واختلافات حضارات شمال غرب ووسط الاناضول في هذا المجال . فقبور دوراك عبارة عن حفر صخرية ١,٨ × ٠,٨٣ و ٣,١٠ × ٢ مترا حفرت في سفح جبل وغطيت ببضع قطع صخرية . وفي الغرب كان الميت يوضع على ظهره او معقوف الارجل على جانبه الايمن ورأسه نحو الشرق (كما في يورتان) . وفي دوراك يوضع الميت باتجاه الشرق وفي قبر دوراك وضع الميت في المدفن رقم ١ على سجادة صوفية ووضع الملك والملكة في قبر رقم ٢ على حصيرة مع بعض الاثاث الخشبية كالمناضد والصحون . وفي السابق عثر على بقايا كرسي مصري خشبي يحمل تغليفه الذهبي اسم والقاب الفرعون ساحورة (الملك الثاني للسلالة الخامسة من المملكة المصرية القديمة) مدونة طبعا بالهيروغليفية المصرية . وعثر على ادوات زينة وتواليت خاصة بالملكة واسلحة للملك مع الكثير من الفخار والاوعية المعدنية والصولجانات والاسلحة الخاصة بالمراسيم والطقوس . ووجدت في الاجاهويوك بضع قبور يحوي كل واحد منها على جثتي رجل وامرأة مع عطاياهم الجنازية . وكل مدفن عبارة عن حفرة مستطيلة ٤ × ٨ × ٠,٧٥ مترا مع صف من الصخور حوالي قاعدته وقد دفن الموتى فيه بوضع معقوف ورؤوسهم نحو الجنوب ووضعت مع الرجل اسلحة ومع المرأة ادوات تواليت وزينة . ووضعت امام وجه الميت ادوات لها دون شك اهمية دينية مثل الاقراص والتماثيل . كما وضعت في وسط الحفرة تماثيل معدنية لغزلان وثيران وغطي القبر بقطع خشبية واحكم سده بالطين والتراب ووضع فوقه صف من الصخور لتعيين مكانه ، والى جانبها ازواج من رؤوس وحوافر الحيوانات التي ضحيت وقت الدفن . وهناك كومة من عظام نفس الحيوانات توضع فوق القبر ربما تدل على ان طقس الدفن قد اختتم في احتفال طقوسي . وفي احدى الحالات وجدت عظام الكلب المفضل مع عظام الحيوانات المضحاة . وفي قبر اطلق عليه المنقبون اسم المدفن ح H دفن الميت في احسن لباسه

وانواع من ادوات الزينة كشريط ذهبي مع شرابه من شرائط ذهبية واساور مزدوجة وخلاخل وتماثيل تشابه في شكلها الكمات المزدوج وكميات من الدبابيس الذهبية . ووضع امام وجه الميت تمثال لثلاث نسوة سوية بشعات المنظر من البرونز . وكاستين ذهبيتين في وعاء معدني واخر مليء بالحجر الكريم وعدد من الاباريق والاوعية الذهبية احدها مطعما بقطع من حجر اليشب مع مشط معدني . كما عثر في القبر على اوعية فضية وقرص شمس من النحاس وشرائط ذهبية وفضية ربما لتقوية الصندوق الذهبي الذي وجدت هذه فيه وتمثال صغير مطعم بالالكتروم يعتبر من القطع المعدنية الهامة للعصر البرونزي . ووجدت خنجرا بشفرة حديدية (وهو معدن كان اثمن من الذهب آنذاك) وممسك ذهبي على شكل هلال وخنجر من النحاس ثم الحاملات (STANDARDS) واحدة منها قرص معدني والثانية تمثال لحيوان . وهناك التماثيل والاصنام الكثيرة . وتعطينا مقبرة الاجاهويوك خير فكرة عن تقدم صناعة المعدن في هذا الوجه من العصر البرونزي[١٦] .

وتقدمت صناعة المعادن في هذا العصر تقدما يتضح من الادوات المعدنية المتقدمة الصنع التي وصلتنا منه سواء من الفضة او الذهب او الحديد او الرصاص او الالكتروم وكلها معادن موجودة في بلاد الاناضول فيما عدا القصدير الذي كانوا يجلبونه من الخارج . كما استوردوا الكثير من انواع الاحجار الكريمة التي ورد منها البعض من اماكن بعيدة مثل العاج الذي استوردوه من مصر والعنبر من منطقة البلطيق واللازورد من بدخشان في افغانستان والفيروز من ايران . وان كثرة الاسلحة المكتشفة من مواقع هذا العصر واختلافها جعل البعض يقترحون كون حضارات هذه الفترة ذات شخصية حربية . وترتدي التماثيل المكتشفة من الاجاهويوك حذاء معقوف المقدمة كالذي تستعمله الكثير من الاقوام الجبلية في الشرق الاوسط الان بما فيها بلاد الاناضول . واستعملوا الدبابيس لربط ملابسهم نظرا لعدم معرفتهم الازرار . ومثلت الربة في تمثال مرتدية ثوبا طويلا يحمله نطاقان عبر الصدر وفي آخر ترتدي ثوبا فضفاضا . وكانوا يرتدون الاحزمة والمئازر ربما فوق

التنورة كما في التماثيل المكتشفة بموقع دوراك . وقد وصلتنا الكثير من حلي هذا العصر وبالاخص من المقابر ومواقع طروادة وبوليوكني فيها الاساور والخلاخل والدبابيس والاقراط والخواتم . . الخ . وفخار هذا الوجه منوع وكثير حيث حل الان الدولاب الفخاري وان الفخار من مواقع دوراك واخيسار مانيسا يماثل ذاك من بيجة سلطان وجميعها استمرار للتقليد الشمالي الغربي . والطراز العام هو الاوعية الحمراء المصقولة التي زاد عددها على الاسود الذي شاع في العصر السابق . واخذت الاوعية المسماة بالكبادوكية بالظهور . وظهرت الكاسة ذات الصليب الاحمر عبر وسط الوعاء . وظهر في كليكيا الدولاب الفخاري وصارت الاوعية الحمراء والسوداء المصقولة الان مغطاة بصبغ بنفسجي . كما شاعت في هذه المنطقة الاوعية السوداء المحززة والكاسات والاكواب التي وجد ما يماثلها في سهل قونية والجرار الرشيقة ذات القواعد واخذ الفخار المخدش في الانحطاط بكلكيا . ومن الاوعية الرنانة كانت الاباريق القصيرة ذات الصنبور والعروة الملونة بالبنفسجي بحلقات ونماذج الشجر ثم الاوعية الصغيرة المصبوغة باللون البنفسجي كما شاعت الاوعية الحمراء والبنية والرمادية والسوداء وفي بعضها حزوز ملئت بالابيض وتعود طبقات موقع دميرجي هويوك الاخيرة الى نهاية هذا الوجه حيث صارت الوان الاوعية ذات الوان افتح خاصة الحمراء مع اختلاف في الاشكال كما ظهرت الايادي في الكاسات غير العميقة وتلك ذات الصنابير التي وجدت ايضا في مواقع بوزوينوك وبولاتلي . وكان الفخار في مواقع اخلاتلي بيل وقرة اوغلان في منطقة انقرة لا علاقة له بالتقاليد الغربية . فالاباريق من المواقع الأولى تشابه اكواب بيجة سلطان وكو سورا . وظهرت الاوعية الملونة بالابيض ولو بندرة في اخلاتلي بيل . وتماثل اباريق قرة اوغلان الصغيرة تلك من بيجة سلطان . وتعتبر بعض الاشكال في الاجاهويوك مستوردة من الخارج .

وزادت الاوعية الحمراء والسوداء في علي شار وكثرت في الاشكال التي منها نصب الفاكهة الطويلة النحيفة من مختلف الاشكال والاصص الرنانة الطويلة ذات

وبدون الايادي . وفي الفترة التالية عند علي شار ١ ب عمت الاوعية الحمراء .
ويمكن تمييز حضارتين مختلفتين في اواسط بلاد الاناضول الاولى في القسم الغربي ممثلة في موقع الاجاهويوك حيث استمرت نصب الفاكهة الحمراء بمختلف الاشكال الى جانب الفخار الاحمر المزين بطبعات الاصابع. واختفت نصب الفاكهة من علي شار وحلت الكؤوس البسيطة والاباريق والاكواب . وساد الفخار الملون بالنماذج البسيطة بالاحمر على قطعة بالاصفر الشاحب في حضارة علي شار ١ ب وعم في منطقة كول تبه وحتى في الاجاهويوك . والحضارة الثانية كانت في شرق نهر الهاليس ومنطقة قيصري والمنطقة البركانية بين الهاليس وبحيرة الملح .

اما مواقع البحر الاسود فاكثرها بحثا ودراسة موقع دوندارتبه قرب صمسون وعاش اهالي هذه المنطقة في بيوت من الخشب والطوف ويأكلون في الغالب اللحم والسمك . وفخارهم كان اسود او رمادي مزينا بالحزوز او ملونا بالابيض . ودفنوا موتاهم في مقابر خارج المدن وان كثرة المواقع في هذه المنطقة يدل على ممارستهم التجارة في البحر الاسود .

واذا انتقلنا الى المنطقة الشرقية من بلاد الاناضول نجد ان التحريات الاثرية فيها قليلة جدا مما يجعل معلوماتنا عنها غير كاملة . ففي موقع كاراز عثر على بيوت مستطيلة شيدت من اللبن على اسس حجرية ، الى جانب اخرى دائرية مبنية من الطابوق او الطوف على اسس صخرية ايضا عند مواقع ايلار وشنكافيت بمنطقة اريفان . اما في المدفن فلم يعثر على اي قبور في كاراز وربما مارسوا الدفن في مقابر خارج المدن . وفي مواقع بستا شيني وأرجيز على بحيرة وان دفن الموتى خلال هذا الوجه في حفر بالصخور داخل المستقر بينما مارس سكنة موقع اوزني الدفن في قبور قرب البيوت المدورة . والمعادن نادرة في كاراز . واهتم سكان المنطقة بالمواقد وزينوها وهذا متوقع في منطقة باردة كالمنطقة الشرقية . اما فخارهم فقد كان ثقيلا مصقولا اسود اللون او بني ونادرا ما كان احمر اللون من الخارج واحمر واصفر برتقالي من الداخل . وللبعض اغطية دائرية او مربعة . ثم المزين بالاخاديد والثقوب او

النماذج الهندسية المختلفة . وظهرت في هذا العصر ايضا الجرار ذات الاجسام الدائرية الجؤجؤية والكاسات والاوعية اللماعة .

لقد انتهى الوجه الثاني من العصر البرونزي الاولي في غرب وجنوب بلاد الاناضول بعنف بحيث قلت مواقع السكنى بنفس المناطق بصورة ملحوظة في الفترة التالية من العصر (الوجه الثالث). ففي منطقة اسكي شهر ظلت خمسة مواقع او اكثر بقليل من الثلاثين موقع التي استوطنت في هذا الوجه . ومن اصل ٢٢٥ موقعا ازدهرت في الوجه الثاني هذا بالمنطقة الجنوبية الغربية بقيت ٥٥ في الوجه الثالث . . الخ . وربما يكون اللوفيون هم المسؤولون عن هذا التخريب باجتياحهم البلاد . وقد عثر في المنطقة السادسة من بيجة سلطان (٢٠٠٠ ـ ١٩٠٠ ق . م .) على ختم طيني مدون بالكتابة الهيروغليفية مما يثبت كون اختراع هذه الكتابة قد سبق بداية العصر البرونزي الاوسط واللغة ولا بد وان كانت الليفية . وربما بدأ الليفيون هجومهم من منطقة ساحل البحر الاسود ووصلوا الى مضاربهم الجديدة في الجنوب الغربي والغرب . وهناك دليل يظهر لنا ان نفوذهم قد وصل حتى سوريا حيث وجدت في جبيل (بيبلوس) بلبنان مسلة صغيرة تعود الى الوجه الثالث من العصر البرونزي الاولى مدونة بالهيروغليفية المصرية تعود الى شخص باسم كوكون ابن الليش (رجل اوككا في ـ النص) قدمها الى امير جبيل (ابي شيمو) ونعته فيها بحبيب الرب هيرشيف . والأسم كوكون اناضولي غربي ونعرف عن ملك لأرزاوا في القرن الرابع عشر ق . م . اسمه كوكون . والاسم هذا ليشي واللغة الليشية هي في الواقع شبه لوفية[١٧] .

جـ ـ الوجه الثالث :

وما يمتاز به هذا الوجه هو ظهور فخار موحد تقريبا سواء في العمل او اللون . وكسيت الاوعية الان بالاحمر وتم صقلها بالطرق القديمة . ومن الاشكال المميزة

كوب الشرب ذو اليدين الاثنين الذي شاع على طول الساحل الغربي وكليكيا وموقع هيريوم في جزيرة ساموس . وفضلت مواقع كول تبة وعلي شار الكأس الكبير العريض وعمت الكاسات بالحافة المقلوبة في جميع غرب الاناضول ثم الاباريق ذات الصنابير الطويلة كانت المزينة بالحزوز منها اكثر شيوعا . ولو ان هناك نمطية في الفخار فاننا نجد اختلافات محلية طفيفة . ففي الشمال الغربي مثلا شاع الصحن المعمول بالدولاب ، فالابريق المعدني الطويل وزير الوجه ونوع من الاكواب تتميز بها الطبقة ٣ من طروادة لا نجدها في الجنوب الغربي الا في فترة طروادة ٤ عندما ظهر هذا الكوب بقاعدة ومزين بالاخاديد الافقية . وظهر في طروادة ٤ وبيجة سلطان في نفس الوقت الوعاء المعروف بوعاء البطة الذي شاع في ساموس ومنطقة ازمير . وان الاباريق الشبيهة بالعدسة بالصنابير المقطوعة والتي شاعت في طبقة طروادة الرابعة وجدت في مواقع يورتان وبيجة سلطان ١٠ وهيريوم ٤ . ثم الابريق بالفوهة ذات الاثنين او الثلاث تجعدات الشبيهة بالورقة الذي يعتبر من ابتداعات هذا الوجه . وظهرت في مواقع بيجة سلطان ١٢ واخيسار ـ مانيساوباليكيسير وتاوشانلي الايدي الطوقية التي تخرج عموديا من حافة الاكواب والكاسات . وان الاكواب ذات القواعد والايدي الاثنين التي ظهرت في طبقة طروادة الثالثة في طروادة ٤ بشكل اقل تعقيداً . وظهرت في طبقة طروادة الخامسة الكاسات ذات الحافات الخرزية .

من هذا الوجه (مواقع طروادة وهيريوم ٤ وطرسوس) مستطيلة الخطة واحيانا بخطة الميكارون . ووجدت خير الامثلة لها في موقع بيجة سلطان (١٠ـ ٨) وفي قصر عثر عليه في الطبقة الكبادوكية الاولى في موقع كول تبة . وزاد استعمال الخشب في بيجة سلطان سواء في الاسس او البناء . وصار للميكارون الان طارمتين واحدة امامية واخرى خلفية الى جانب موقد دائري كثير الارتفاع او بيضويا ومصاطب او منصات نوم منفرجة الزاوية ويشكل قصر كول تبة خير مثال لعمارة العصر وهو ما يماثل تلك من مواقع بوليوكني .

وطروادة (٢ ز) ويتألف من ميكارون كبير مع منصات نوم واسعة وعدد من

الغرف الفرعية على احدى الجوانب . وللقاعة الرئيسية مصاطب وموقد كبير مرتفع دائري الشكل محاط هنا باربعة اعمدة خشبية والتي تشابه ما في القصور المايسنية من العصور التالية . وظهور هذه البناية يدل على الصلة بين اواسط بلاد الاناضول والمناطق التي احتلها اللوفيون وهناك القلعة من موقع علي شار والتي حصنت خلال هذا الوجه بسور من اللبن على اسس من الخشب .

وفي كول تبة هذا الوجه وجدت الصحون المعمولة بالدولاب الفخاري والاكواب قد وجدت جنبا الى جنب مع الاوعية الكبادوكية المزينة بنماذج مماثلة الى زينة الحزوز التي نعرفها من بيجة سلطان خلال هذا الوقت . لقد تطور الفخار الكبادوكي السابق وصار الان اكثر تعقيدا ومتعدد الالوان واوعية خاصة بالحاتيين ولو ان هناك من اعتبره بشيرا بوصول الحيثيين الى البلاد . وموطن هذا الفخار منطقة شرق الهاليس وكول تبه على وجه الخصوص ومنها انتشر غربا الى منطقة بوغاز كوى ـ الاجاهويوك . ونعرف ان الحاتيين قد ركزوا انفسهم منذ هذا الوجه في اواسط بلاد الاناضول وربما هم المسؤولين عن تخريب الاجاهويوك حوالي ٢٢٠٠ ق.م. .

ان تشابه محتويات قبور الاجاهويوك من الوجه السابق مع قبور مواقع محمود لر وهوروز تبة ضمن منطقة البحر الاسود شمالا الى جانب تماثل في تقاليد الصناعات المعدنية قد اثار مسألة احتمال كون الحكام اصحاب قبور الاجاهويوك يمثلون امتدادا موقتا لسيطرة منطقة البحر الاسود على غرب منطقة الهاليس ظل حتى حوالي ٢٢٠٠ ق.م . بوصول الحاتيين من كبادوكية . واذا كان هذا الاحتمال صحيحا فان المنافسة بين سكان ساحل البحر الاسود وشعب منطقة الهاليس والتي تجسمت في حروب كاشا من عصر تالي تاريخا طويلا حسب ما يظهر . . ومر الفخار الكبادوكي لهذا الوجه بثلاث مراحل خلال تطوره . فكان في المرحلة الأولى مزينا بنماذج بسيطة في الالوان الاحمر والبنفسجي ـ البني على خلفية حمراء وصفراء برتقالية معه القليل من نصب الفاكهة المزينة باشرطة ملونة وفي المرحلة الثانية كان الفخار بني اللون الى اسود او احمر على خلفية برتقالية او صفراء برتقالية وفي المرحلة الثالثة صار اسود اللون

واحمر على خلفية حمراء ذات قطع صفراء ـ برتقالية ، اما النماذج فكانت هندسية (خطوط متوازية ، منكسرة ، معينية) وبنماذج الدومينا والخطوط المتموجة وحوت الصليب المعقوف ونقش اللولب . ومن موقع علي شار وصلتنا التماثيل المرمرية منها ما يمثل الربة الام جالسة او بجسم يشابه القرص تخرج منه ثلاثة رؤوس بظفائر وقبعات مخروطية او تحمل طفلا . وهناك تمثال لرجل يمسك اسدا واخر من موقع زنزي در لثلاثة اشكال بمئازر قصيرة وايد متشابكة تحت الصدر .

ووجد الفخار الكبادوكي في سهل البستان وعم الفخار الملون منطقة تمتد من ملاطية حتى ما وراء نهر الفرات . وفي هذا الفخار الملون بالبني والاسود على خلفية صفراء وصفراء برتقالية والمعمول باليد يمكن تمييز شكلين رئيسيين الاول الكاسة غير العميقة ذات الحافة الملتوية والعرى والثانية الجرة الكروية ذات الحافة السميكة . وتألفت الزينة من أشرطة افقية ومنكسرة ومثلثات . وفي موقع ترياليتي عثر على مقابر تلية حوت فخارا اسودا مصقولا مزينا بالحزوز . ونرى هذا النوع من الدفن في منطقة ساحل البحر الاسود وان شيوعه في شرق الاناضول ربما يدل على وصول جماعة هندية اوروبية اليها من الشمال حوالي سنة ٢١٠٠ ق.م. اي قبل نهاية هذا الوجه بمائة سنة تقريبا في شرق الاناضول . وهذا يدل ايضا على اندفاع عناصر هندية اوروبية باتجاه الغرب خلال هذه الفترة . وان كثرة المواقع المحروقة والمهجورة على طول ا لطريق من الحدود الشرقية الى منطقة قيصري يدل على ذلك ايضا . ويظهر ان هذه الحركات كانت من العنف بحيث جعلت من الصعوبة بمكان استيطان هذه المواقع في العصر الحاتي المقبل (العصر البرونزي الاوسط اثاريا) .

وازدهرت في منطقة ساحل البحر الاسود خلال هذا الوجه حضارة متميزة نعرف عناصرها من القبور الملكية التي نهبت غالبيتها عبر التاريخ . ولا نعرف متى بدأت هذه الحضارة ولكن القبور الملكية ربما استمرت حتى سنة ٢١٠٠ ق.م. ومن هذه المدافن في مواقع ـ هوروز تبة ومحمود لر وكايابينار ، ويظهر ان المقابر كانت خارج المدن . وان معلوماتنا عن حضارة ساحل البحر الاسود من هذه الفترة

مستمدة من ادلة القبور . وقد استمرت تقاليد الاجاهويوك في صنع الادوات المعدنية وتنوعت . وظهرت أنواع جديدة من ادوات الطقوس امثال القيثارة المصرية المعروفة بالسيستروم والاسلحة ونوع جديد من السيوف والفؤوس الهلالية واشكال جديدة من الاوعية المعدنية كالكاسات والاكواب ونصب الفاكهة وظهرت المناضد المعدنية ذات الارجل البشرية وانواع من التماثيل الجذابة الثقيلة واحدة من النحاس منها الربة عارية ترضع طفلها واخر من الفضة والشعر من الذهب وكلها ترينا واقعية حقة . ثم تماثيل ثيران على قواعد يمكن فصلها عند الحاجة مع تماثيل صغيرة لغزلان وثيران وان الفؤوس الهلالية الشكل ورؤوس الرماح ذات القبضة الشبيهة بالقضيب ترينا علاقة مع شمال سورية الذي نعرف عن تبنيه التقاليد العراقية في هذا الخصوص . وتمثل المكتشفات جميعها صناعة منطقة ساحل البحر الاسود والاجاهويوك المحلية .

ووجدت في موقع كارا اوغلان الاكواب الملونة بالابيض والكاسات ذات زينة الصلبان ثم الفخار الرمادي المصقول والاوعية المحززة والاكواب الحمراء ذات اليدين والكثير من شقف الفخار المماثلة لفخار بيجة سلطان (٦ أ) .

وقد انتهى هذا الوجه في موقع بولاتلي ٢ بالحرق . وتظهر التحريات الاثرية في سهل اسكي شهر كون الكثير من المواقع قد هجرت بعد نهاية الوجه الثالث هذا . وفي منطقة اميرداغ هناك اثار لفخار من هذا الوجه لها علاقة بفخار بولاتلي ٢ او فخار نفس العصر من قرن هويوك ـ قونية وفي الجنوب ـ الغربي عند بيجة سلطان استمر فخار هذا الوجه الاحمر الى جانب الاكواب والكاسات المعمولة بالدولاب الفخاري والجرار ذات الايدي الحلزونية والكاسات ذات الحافات الشبيهة بالخرز . وقد اكتشف فخار هذا الوجه ايضا في مواقع مناطق تاوشانلي ـ كوتا هيه وبورصة ـ ايزنيك [١٨] .

وترجع الى هذا الوجه الطبقات ٣ ـ ٥ من موقع طروادة وتغطي الطبقة الثالثة مساحة اكبر من تلك التي غطتها الطبقة الثانية قسمت بها المدينة الى مجموعات ذات

بيوت صغيرة مفصولة عن بعضها بشوارع ضيقة . وربما كانت هناك بنايات فخمة في وسط القلعة . وظهرت الان عادة بناء جدران البيت الخارجية كليا من الصخر . وظلت صناعات الحجر والعظام والنحاس والطين على ما كانت عليه من العصر السابق . وظهرت تماثيل الحيوانات الطينية السمجة . وبقي الفخار مماثلا لفخار الطبقة الثانية وشاعت اغطية الاوعية الشبيهة بالوجوه واوعية الوجوه وكذلك الاكواب الطويلة النحيفة ذات الايادي وكثرت الكاسات المفرطحة . واستمرت علاقة هذه الطبقة مع الغرب حيث وجد الكثير من الفخار الهيلادي الاولي الى جانب العلاقات مع اواسط آسيا وكلكيا . ولا نعرف كيف انتهت حياة هذه الطبقة ولكن ليس هناك دليل على خرابها نتيجة حرق .

اما الطبقة الرابعة فهي اكثر سعة من الثالثة . ولكنها مشابهة لها بالخطة ذات سور محصن اكتشف حانب منه . وكذلك يصعب خلالها تقرير البنايات الموجودة داخل القلعة والتي ربما كان فيها قصر الحاكم . وشيدت البيوت على اسس من الصخر . اما في الفخار فان اختلافات فخار هذه الطبقة عن السابقة قليلة فقد اختفت الكاسات المفرطحة وكثر استعمال القش في الطين المستخدم بصنع الفخار . واستمرت العلاقة قوية مع الغرب بدليل استمرار تدفق الفخار الهيلادي الاولي كما بقيت صلاتها قوية مع جنوب اسيا الصغرى والساحل السوري عبر هضبة الاناضول .

وكانت الطبقة الخامسة في طروادة محصنة وشيدت الان في اطراف القلعة الخارجية بيوت جديدة اكثر تعقيدا في الخطة من بيوت الطبقة السابقة والجدران (انحف ، وقد بنيت بكل اتقان وحوت على المواقد والافران والمصاطب عند الزوايا . وليس هناك اي دليل يشير الى تأثيرات اجنبية . وطرأ على فخار الطبقة بعض التغييرات . وان وجود الفخار الايجي الاولي يدل على الصلات البحرية مع الغرب .

اما نهاية هذه الطبقة فليس هناك ما يدل على نهايتها بالحرق(١٩) .

1. Seton Lloyd, Early Anatolia, (Baltimore, 1955), pp. 51-52.
2. E. Bostanci, Researches on the Mediterranean Coast: A New Palaeolithic site at Beldibi near Antalya'', Vol. 4 (1959), pp. 129 ff.
3. J. Mellaart, Anatolia Before C. 4000 B.C. and C. 2300-1750 B.C. , CAH,(Cambridge, 1964), pp. 6-8.
4. Lloyd, Op. Cit., pp. 75-78.
5. Ekrem Akurgal, Ancient Civilizations and Ruins of Turkey, (Istanbul, 1970), pp. 3-4.
6. Mellaart, Op. Cit., pp. 8-16.
7. Lloyd, Op. Cit., pp. 79-81.
8. Mellaart, Op. Cit., pp. 16-22.
9. Ibid, pp. 22-25.
10. Lloyd, Op. Cit., pp. 85-90; C.W. Belgen, Troy, CAH, (Cambridge, 1964), pp. 4-5.
11. J. Mellaart, Anatolia C. 4000-2300 B.C., CAH, Vol. 1, Part 2, (Cambridge, 1971), pp. 363-367.
12. Lloyd, Op. Cit., pp. 205 ff.
13. Mellaart, Anatolia C. 4000-2300, Op. Cit, pp. 368-383; Lloyd, Op. Cit., pp. 92-95.
14. L. Barnabo Brea, ''Bronze Age House at Poliokhni in Lemnos'', Proceedings of the Prehistoric Society, Vol. 22, (1955 Childe Volume), pp. 144 ff.
15. C.W. Blegen, Op. Cit., pp. 6-7.
16. H.Z. Kosay, Les fouilles d'Alaca Hoyuk, 1937-1939, (Ankara, 1951.)
17. Mellaart, Anatolia C. 4000-2300 B.C., Op. Cit., pp. 383-410.
18. Mellaart, Anatolia before C. 4000, Op. Cit., pp. 28 ff.
19. Blegen, Op. Cit., pp. 7-9.

الفصل الثاني

العصر الحاتي (٢٣٠٠ ق.م. (؟) - ١٧٥٠ ق.م.)

من الصعب جدا معرفة بدء هذا العصر لان ليس من السهل معرفة الوقت الذي بدأ فيه الحاتيون بدخول البلاد . وقد اعتبر البعض اصحاب قبور الاجاهويوك وحروز تبة وكايابينارهويوك في سهل توكات - اماسيا الخصب هم من الحاتيين . وحتى ذهب آخرون استنادا الى وجود النصب في مقابر الاجاهويوك الى افتراض اصل شمالي لهؤلاء الحاتيين (من منطقة القفقاس) وافترضوا الاصل المشترك للوعائيين الفخاريين (الصغيرين المعمولين باليد والمزينين) من مقبرة الاجاهويوك وفخار خربة الكرك في فلسطين المماثل لهما والذي يمكن تتبع دخوله الى الموقع الاخير بطريق (راس شمرة ، طبارة الاكراد ، الالاخ . . . الخ) في جنوب بلاد القفقاس واستنتجوا احتمال بدء هجرة الحاتيين هؤلاء من القفقاس جنوبا طاغين على منطقة تمتد من اسيا الصغرى حتى فلسطين . وبذلك (حسب رأيهم) فان الحيثيين الذين يذكرهم العهد القديم زمن الاباء (ابراهيم الخليل واولاده واحفاده) ليسوا من الحيثيين الذين دخلوا فلسطين ايام الامبراطورية الحيثية بل من المهاجرين الحاتيين الاوائل[1] . ولم تستمر هذه الحضارة الى العصر التالي باسيا الصغرى ولكن تأثيرهم ظل مستمرا في حضارة البلاد الى جانب اظهارها تأثيرات خارجية مما يدل على علاقات لهم مع جيرانهم . فبعض اثار مقبرة الاجاهويوك تماثل نظيرات لها من عصر فجر السلالات في العراق من زمن اسبق وكذلك مع ادوات من مدينة الطبقة الثانية

لطروادة وبعض الاسلحة لها ما يماثلها في شمال سوريا وقبرص[٢] . وقد وردنا اسم الحاتيين من المصادر الحيثية ونعرف ان بلاد الاناضول قد سميت بهم منذ الربع الاخير من الالف الثالث ق. م. (بلاد حاتتي) وظلت تعرف بهذا الاسم حتى قرون متأخرة . وقد سميت لغتهم ايضا بالنيسية ويمكن ان نتعرف على لغتهم من الكثير من الكلمات والعبارات القصيرة التي وردت منها في النصوص الحيثية . فقد استعملت هذه اللغة والتي سميت ايضا باللغة شبه الحيثية (الما قبل الحيثية) من قبل الكهنة في طقوس بعض الارباب منهم الهة عظام في مجمع الارباب الحيثي . ولكن هذه العبارات غير كافية لان تعطينا صورة كاملة عن اللغة الحاتية سواء من ناحية البنية او المفردات . ويظهر انها تمتاز باستعمالها للكثير من المزيدات عند بداية الكلمات والافعال فمثلا كلمة بينو (معناها طفل) التي يكون جمعها باضافة لي الى بداية الكلمة فتكون اطفال . ولا تنتمي هذه اللغة الى اية عائلة لغوية معروفة ولا علاقة لها باللغة الحيثية التي هي احدى اللغات الهندية ـ الاوروبية . ونعرف بان العبارات في اللغة الحاتية تبدأ عادة بالصيغة الظرفية حاتيتلي[٣] ويظهر ايضا تأثير الحضارة الحاتية في الطقوس الدينية الرسمية والاساطير الحيثية . وكما يدل الاسم فان العاصمة الحيثية نفسها (حاتتو شاش) كانت بالاصل مستقرا حاتتيا . وان العناصر الحاتية الكثيرة الواضحة في الحضارة الحيثية يدل على مدى التقدم الفكري الذي كان عليه الحاتتيون[٤] . ونعرف ايضا بأن جماعة اخرى تعرف باللوفيين قد دخلوا بلاد الاناضول من الغرب في نهاية العصر البرونزي الاولي واضعين نهاية لحضارة اقدم في البلاد . وقد سكن اللوفيون خلال هذا العصر والذي تلاه في الاقسام الجنوبية والغربية من شبه جزيرة الاناضول .

ويطابق هذا العصر اثاريا العصر البرونزي الأوسط في البلاد والذي شهدت به غرب بلاد الاناضول نهضة حضارية وظهرت في اواسطها وبمنطقة كليكيا بدايات حضارات هامة . فقد وجدت مواقع جديدة وعثر على اوعية وادوات واسلحة مستحدثة ونشطت التجارة . انه عصر تحول ولدت به حضارات جديدة عن تلك

التي عاشت في البلاد من قبل وعاشت الحضارات السابقة والجديدة جنبا الى جنب . فمن الطبقة الخامسة من موقع بيجة سلطان عثر على قمة التل الشرقي قصر واسع قطره ثمانون ياردة بينما شغل التل الغربي مجموعة من بنايات عامة داخل سياج خاص بها . وكذلك بناية لمعبد . والمدينة كانت محاطة بسور . وربما كانت للبنايات طوابق ثانية شيدت من الخشب مع شرفات عريضة مفتوحة لاستعمالها في فصل الصيف . وتركت ارضية البنايات دون تبليط او رصف ، واعتبر البعض مدينة هذا العصر عند بيجة سلطان المركز الاداري لدولة ارزاوا . وان تهديم هذه المدينة في وقت تم تقديره بحوالي سنة ١٧٥٠ ق.م. على يد عدو غير معروف يوازي بداية الدولة الحيثية يقوي الاحتمال كون المهاجين من الحيثيين الاوائل . وعثر في القصر على عدد من الاساور الفضية والاقراط الجميلة مبعثرة في الساحة والتي تشابه اقراطا من الذهب وجدت في كوبر اورين قرب كوتاهية ، والى العصر البرونزي الاوسط تعود مدينة الطبقة السادسة من طروادة التي استمرت لمدة طويلة بحيث عاصرت أواخرها حوالي نهاية الامبراطورية الحيثية . فقد طغت على طروادة الان حضارة جديدة لا علاقة لها بحضارة مدينة الطبقة الخامسة (٥) . وتتميز هذه بالفخار الرمادي المعروف بفخار المنيا الذي طغى على الساحل الايجي شمال ازمير والذي تعرض الان الى الهجرة التي جلبت العصر الهيلادي الاوسط الى بلاد اليونان والتي يقال انهم يمثلون اوائل المتكلمين باللغة اليونانية . علما بان هناك من يعتبر حضارة الطبقة السادسة في طروادة استمرارا لحضارة بلاد الاناضول(٦) . فلقد اعيد بناء الاسوار ثلاث مرات خلال هذه الفترة وفي كل مرة كان بناء السور يفوق سابقه في حجمه وعظمته . وكان السور الاخير بمحيط يبلغ حوالي ستمائة ياردة يضم داخله قلعة طولها حوالي ٢٢٥ ياردة فيها خمس بوابات . وحوت المقبرة التي تقع خارج القلعة على حوالي ٢٠٠ جرة حوت رماد عظام رجال احرقوا مع عظام اطفال لم تحرق . وتدل هذه المقبرة على ممارسة السكان لحرق الموتى في نهاية حياة هذه الطبقة التي استمرت حتى القرن الثالث عشر ق. م. .

ولم يكتشف الكثير من المعادن ولكن الادوات المزينة المصنوعة بكل اتقان من الذهب والالكتروم والفضة والبرونز تدل على تقدم . وبعض هذه الادوات مع اخرى من الصخر والعاج والعظام مستوردة دون شك من المراكز الماليسية بينما غيرها مصنوع في طروادة نفسها وتظهر المكتشفات علاقات مع العالم الايجي وقبرص»[٧] .

فالبلاد كانت مقسمة الى دويلات منفصلة ربما تصل عددها الى ما يزيد عن الثلاثين مستقلة عن بعضها ولو ان رئيس احدى دويلاتها كان يلقب بالامير العظيم . ويمكن الافتراض بان لا بد وان كانت هناك منافسة للحصول على هذا اللقب ربما ادت الى حروب محلية فنسمع مثلا عن الامير العظيم لمدينة بورروش خاندا . ومن اواخر عهدهم كان هناك ملكان في مدينة كوسسورا هما بيتخانا وولده انيتاس تمكنا من اخضاع جميع المدن الاخرى بما فيها حاتتو شاش ونقلوا عاصمتهم الى نيسا NESA متقدما حسب ما يظهر نحو الشمال . وفي الغالب هو الذي قضى على المستعمرة الاشورية بكبادوكية . وقد وجد خنجر منقوش باسمه في اطلال المدينة[٨] . وان النصوص اللغوية من الفترة التي عاصرت المستعمرة الاشورية في آسيا الصغرى تدل على ان بلاد الاناضول كانت الى حد كبير مسكونة من قبل الحاتيين . ونستدل من وجود اسماء هندية ـ اوروبية كثيرة على ان الهنود الاوروبيين كانوا يشكلون جزءا رئيسيا من السكان . وهناك ايضا اسماء حورية في الوثائق الاشورية ربما يمثلون نظرا لقلتها بعض الاشخاص الذين عملوا مع رجال المستعمرة وتدل على شريحة اخرى في المجتمع آنذاك . كما عاشت في البلاد الان جماعات اللوفيين الذين تكلموا اللغة اللوفية والباليين الذين تكلموا اللغة البالية .

وتظهر النصوص الخاصة بالمستعمرة الاشورية انقسام البلاد الى عدة دويلات يتألف كل منها من مدينة حولها قرى وقصبات بيد امير محلي (روبائوم) او اميرة محلية (روباتوم) . ويعتقد البعض ان الملوك الاشوريين لم يتعرضوا لهؤلاء بل تركوهم وشأنهم في دويلاتهم شريطة ان يربطوا انفسهم بالعجلة الاشورية والاعتراف بسلطة الملك الاشوري العليا[٩] . وجرت العادة ان تعقد معاهدة بين الطرفين الاشوري

والمحلي يقسم بها الطرفان اليمين بارباجم ويصبح بموجبها الحاكم المحلي كابن الى الملك الاشوري وقد وردتنا بضعة نصوص تشير الى مثل هذا القسم الى الملك الاشوري . ففي احدى الوثائق نقرأ بان رسل السلطة الاشورية في مدينة دورخوميد قد طلبوا مقابلة امير تامينا لاجل ان قسم اليمين امامهم . ولكن الامير رفض بان يجعل القسم يدار من قبل رسل دور خوميد (ربما لاختلاف له مع سلطة تلك المدينة) طالبا ان تقوم به سلطات كانيش . وفي رسالة ثانية نقرأ بان الادارة الاشورية في مدينة واخشوشانا تعلم رؤ سائها في كانيش بوصول رسالة لهم من امير واشخانيا يعلمهم فيها بانه قد تبوأ عرش والده عارضا ان يقسم اليمين . وفي نص اخر نقرأ بان اميرة مدينة خورومو قد كتب الى السلطة الاشورية في كانيش بما نصه (انا ابنكم متمسك بالقسم) . وتظهر وثائق المستعمرة الاشورية باسيا الصغرى ان هناك حوالي الثلاثين حاكما يلقون على انفسهم اللقب روبائوم او بيل ـاليم (سيد المدينة) واحيانا ملوك . ويظهر انهم كانوا مستقلين عن بعضهم البعض وهي :

١ ـ بادنا التي ربما كانت تقع بين مدينتي أورفة وبيرة جك ، ٢ ـ بورروش خاتون (بورروش خاندا) في سهل قونية ربما اوبروك . ٣ ـ تاوينيا ربما عند نفس كوى على بعد حوالي ٢٠ كم جنوب بوغاز كوي .[١٠] ٤ ـ تامينا (قرب بوغاز كوى) . ٥ ـ دور خوميد (دور خومد) شمال شرقي حوض نهر قزيل ايرمق . ٦ ـ واخشو شانا ربما قرب نقدة . ٧ ـ داداني ربماعند عبور الفرات قرب بيرة جك . ٨ ـ خاخخوم في منطقة حاربوت . ٩ ـ خاتتوشا غالبا بوغاز كوى . ١٠ ـ خوراما في المنطقة التي تؤدي الى جبال انتي طوروس غربي الفرات . ١١ ـ كوششارا في منطقة حوض نهر الهاليس . ١٢ ـ كاراخنا شمال شرق بوغاز كوى وشرق جوروم في حوض الهاليس الاعلى . ١٣ ـ لوخوزاديا في منطقة حوض شرق كلكيا . ١٤ ـ ماما على طريق الب ستان ومرعش . ١٥ ـ نيناشا في منطقة اكسراي في الطريق المؤدي الى سهل قونية . ١٦ ـ نيخريا في مثلث ماردين وسيفريك ودياربكر . ١٧ ـ باخاتيما في وسط الاناضول . ١٨ ـ باروتتوم في منطقة غازي عينتاب . ١٩ ـ شالوخوشوا في منطقة

حوالي شرق كلكيا . ٢٠ ـ شالا توار حوالي الجنوب الوسطي من هضبة الاناضول . ٢١ ـ شاموخا في المنطقة بين اعالي الهاليس واعالي الفرات . ٢٢ ـ تامينا قرب بوغاز كوى . ٢٣ ـ تيميلكيا جنوب شرق هضبة الاناضول . ٢٤ ـ زالپا جنوب بوغاز كوي وربما الاجاهويوك . ٢٥ ـ اولاما جنوب بحيرة الملح . ٢٦ ـ تـوخبا شمال شرق الهاليس . ٢٧ ـ اوششا جنوب بحيرة الملح . ٢٨ ـ واشخانيا جنوب قيصري . ٢٩ ـ تاوينيا ربما تكون اسكي يابار . ولا نعرف محلات مدن اخرى امثال شانا وخوبيشنا وتليماريا وشيخواو خانا كاناك وخودوروت ونادو ختوم[١١] . ونعرف ان في اواخر عهد المستعمرة الاشورية باسيا الصغرى غزى ملك زالپا مدينة كانيش وحمل منها الهها المحلي .

1. Maurice Vieyrao Hittite Art, (London, 1955), pp. 19-20.
2. Leonard Woolley, The Art of the Middle East, (Holland, 1961), pp. 122-124.
3. O.R. Gurney, The Hittites, (Baltimore, 1954), pp. 122.
4. Ekrrem Akurgal, Op. Cit., pp. 5-6.
5. C.W. Blegen, J.L. Caskey, and M. Rawson, Troy II: The Third, Fourth and Fifth Settlements, (Princeton, 1951), p. 226.
6. K. Bittle, "Review of C.W. Blegen and others, Troy III, Gnomon, Vol. 28 (1956), pp. 241 ff.
7. Blegen, Troy, Op. Cit., pp. 10-12.
8. Tahsin Ozguc, "The Dagger of Anitta", Belleten, XX, (Jan. 1956), p. 77.
9. Edward Meyer, Geschichte des Altertums, (Berlin, 1923), Vol. I, p. 612. J. Lewy, Kappadokische Tantafeln and fruehgeschichte Assyriens and Kleinasiens, Orientalistische Literaturzietung, (OLZ), 29 (1926), pp. 750-761.
10. J. Garstang, Hittite Military Roads in Asia Minor, American Journal of Archaeology, :AJA), Vol. 47 (1943), p. 47
11. Louis Lawrence Orlin, Assyrian Colonies in Cappadocia,(The Hague, 1970), pp. 77-87.

وفي هذا العصر كانت هناك مستعمرة تجارية اشورية عند مدينة كانيش (جانيش) التي كانت عاصمة لمملكة واسعة عرفت بهذا الاسم . ويظهر أن المستعمرين الاشوريين قد اختاروا هذه المدينة لاسباب عدة منها وقوعها وسط سهل قيصيرية الخصب ووجودها عند النهاية الشرقية لهضبة الاناضول الوسطى وفي محل تلتقي وتفترق منه الطرق التجارية التي تربط الشرق والغرب وقتذاك . ويغطي المركز التجاري هذا المنطقة بين القسم الشمالي والشرقي والجنوب الشرقي من تل كول تبة . وقد مارس الاشوريون التجارة بين بلاد اشور وآسيا الصغرى والنصوص التي تركوها دونت باللغة الاكدية وبلهجة بدائية ولو انها احتوت على بعض الاستعمالات النحوية الخاصة .بها وربما استمرت حياة الجالية الاشورية حتى حوالي سنة ١٧٠٠ ق . م . في وقت قد يكون تأسيسها زمن حكم الملك شوسن من ملوك سلالة اور الثالثة (١٩٨٣ ـ ١٩٧٥ ق . م .) ولا نعرف السبب الذي ادى الى توقف فعاليات المستعمرة هذه ولكن اخذت تظهر في نصوصهم سواء من موقع كول تبة او علي شار اسماء امراء غير اشوريين منهم لابارشا (ربما الملك لا بارنا) . كما حدث تغيير مماثل في مدينة زالبا حيث حل حاكم من مواطني البلدة محل التسلط الاشوري يمكن ملاحظته في الطبقة الثانية بعد ثلاثة اجيال من حياة المستعمرة الاشورية . ونقرأ في وثيقة طلاق اسم الملك بتخانا وكون انيتا قائدا للقلعة . ونقرأ في نصوص من موقع علي شاركون لقب انيتا الامير العظيم (روبائوم رابيوم) .

وقد استورد التجار الاشوريون في آسيا الصغرى من بلاد اشور التي كانت المركز الرئيسي لهم ماليا وتجاريا الكثير من المنتوجات امثال المنسوجات والصوف الذي بادلوه بالملابس الاناضولية ومعدن الاناكوم (القصدير وربما النحاس) وبعض المنتجات الصغيرة . وقد كان هناك طلب شديد في اسيا الصغرى على القصدير لخلطه مع النحاس لعمل البرونز . والنحاس موجود في آسيا الصغرى في وقت انعدم فيه القصدير . ويظهر ان القوافل الخاصة بالجالية الاشورية حملت الرصاص والقصدير وتاجرت فيهما. فكانت قرب منابع الزاب الاعلى ومنطقة جودي داغ

خامات الرصاص التي حوت كميات من الفضة حصل عليها الاشوريون وكانوا يرسلونها الى وكلائهم في آسيا الصغرى لصهرها وتعدينها حيث هناك الوقود الكافي والفنيون اللازمون ولو ان هناك من لا يعتقد بانه قد نقل لقلة الوقود ولو كانت تلك المشكلة بسبب الوقود لكان من الاسهل على الاشوريين جلب الاخشاب من الجبال المجاورة لهم . ويظهر ان التجار الاشوريين في آسيا الصغرى كانوا يحصلون على النحاس المنقى والخام (الاسود) من داخل الاناضول ويرسلونه الى بلاد اشور للتعدين .

وكانت الدولة الاشورية زمن ازدهار المستعمرة الاشورية بآسيا الصغرى تمر بدور قوة زمن الملوك ايلوشوما وخليفته اريشوم الاول وحفيده سرجون الاول الاشوري وقوة هؤلاء قد قوى من نفوذ التجار الاشوريين في كبادوكية واعطاهم امام حكام البلاد سكانها سندا ودعما خاصة وان فعاليات التجار الاشوريين في آسيا الصغرى كانت مشاريع عائلية مثل عائلة بوشكين وبوشوتا وطاب آخوم ولوزينا وكيكي . وكان تأثير التجار الاشوريين على آسيا الصغرى كبيرا حيث كونت فيها لاول مرة حسب معلوماتنا الحالية وحدة اقتصادية وحتى قيل ان حقيقة ظهور الدولة الحيثية القديمة كاملة القوة بعد وقت قصير من نهاية حياة المستعمرة الاشورية في بلاد الاناضول انما يعزى الى الجو الاقتصادي الملائم الذي تركه هؤلاء التجار هناك .

وقد قدمت نظريات عدة عن اصل المستعمرة الاشورية بآسيا الصغرى هذه . وهناك من يتحمس الى كونها حصيلة غزو اشوري قديم الى المناطق عبر جبال طوروس[١٢] . حيث كان هناك في عصر ازدهار فعاليات التجار الاشوريين بآسيا الصغرى بالذات امبراطورية اشورية واسعة وكانت لها في بلاد الاناضول دولة تابعة دعاها الاستاذ ليفي هاليس الاشورية[١٣] وعاصمتها عند كانيش . وربما حدث هذا الغزو المقترح في عهد الملك سرجون الاول وولده بوزور اشور الثاني وربما زمن ايريشوم الاول (١٨٧٦ ـ ١٨٣٧ ق . م) الذي وزع الكثير من الرعايا الاشوريين الى عدة مدن عبر جبال طوروس كيما يؤمن سلامة ممتلكاته الجديدة . وبعد ان

سقطت سلالة اور الثالثة التي كانت كانيش تابعة لها انقسمت الاخيرة الى عدة دويلات وخلال تلك الفترة انتهزت اشور الفرصة وغزت بلاد الاناضول واستمرت في الوجود زمن الملك شمشي اداد الاول وولده اشمة داكان. ونعرف بأن في هذه الفترة كان بكانيش مندوب اشوري يحمل اللقب ايششيئا ككوم يمثل الادارة المركزية الاشورية . وان التجارة بين اشور وكبادوكية قد سندت بمعاهدات تجارية بين ممثلي الحكومة الاشورية وحكام المدن الاناضولية التي كان التجار الاشوريون يرغبون في تأسيس تجارتهم فيها . ونعرف عن اختلاط التجار الاشوريين مع السكان المحليين حيث نقرأ عن اسماء حيثية ولوفية ونيسية وسوبارية في النصوص الاشورية . ونقرأ في نص عن تزويج تاجر يحمل اسما حوريا (انشيرو) ابنته خاتالا من تاجر اشوري . وتظهر ان التجار الحوريين كانوا يعاملون على قدم المساواة مع الاشوريين . فانشيرو كان من التجار ذوي النفوذ الكبير في كانيش يدير تجارة واسعة في الحبوب والمنتجات الزراعية الاخرى ويشتري من المواطنين الهنود ـ الاوربيين محاصيلهم مقدما ويقرضهم باسعار فائدة عالية جدا . واطلق الاشوريون على الجماعات الهندية ـ الاوربية في آسيا الصغرى اسم برابرة (نوئائوم) مماقد يدل على استعلائهم . واطلق التجار الاشوريون على الهيئة التي تدير شؤونهم في آسيا الصغرى اسم الكاروم واحيانا لم يكن في المدينة التي فيها جالية اشورية تمارس التجارة كاروم بل اوباروم (وابارتوم). والكاروم اشبه بغرفة تجارة تدير حركة التجار بين بلاد اشور ومدن آسيا الصغرى ومسؤولة عن ارسال القوافل وسلامتها ودفع الديون المترتبة على البضائع ونظام ائتمان لضمان سلامة القوافل وما فيها . وحسب معلوماتنا الحالية هناك احد عشر جالية (مستعمرة) تجارية اشورية في آسيا الصغرى من نوع كاروم وعشرة من نوع وابارتوم ممتدة بمنطقة من اشور حتى سهل قونية. ويظهر ان كاروم كانيش وكاروم بورروش خاددوم كانا اكثرها اهمية. وتأتي اهمية كاروم المدينة التالية لوقوعها قرب مناجم النحاس المهمة في آسيا الصغرى واشراف الكاروم فيها عليه وبيعه للتجار الاشوريين . ونعرف ان المدينة ظلت ذات قيمة في العصر الحيثي واستمرت كمركز

لسكن الامير العظيم (روبائوم رابيوم) . واعتبر التجار الاشوريون الكاروم حيا خاصا بهم عاشوا فيه لوحده مستقلين يحكمون انفسهم بانفسهم محتفظين بعاداتهم وامورهم السياسية والمدنية فكتبوا كتابتهم الخاصة وعبدوا اربابهم الخاصة واستعملوا تقويمهم الخاص باعمالهم وطبقوا قوانينهم الاشورية واستعملوا الاوزان والمقاييس العراقية التي عرفوها في بلدهم الام . وكان للكاروم مجلسا سمي مجلس الكاروم وكذلك كاروم الصغار والكبار . وكانت علاقات الامراء المحليين مع الكاروم والوابارتوم علاقة طيبة وتعاونية وحتى نعرف عن اقتراض الامراء الاموال احيانا من التجار الاشوريين واحيانا كانت تحدث اختلافات بين هؤلاء الامراء والكاروم خاصة وان الاولين لهم الحق بمصادرة بعض الضرائب من مخازن وبيوت التجار الاشوريين . وفي وثيقة نقرأ عن سرقة ملابس جاهزة من تاجر قرب دادانا وذهاب مسؤولي الوابارتوم في تلك المدينة الى المسؤولين المحليين فيها طالبين ضرورة ارجاع الملابس للتاجر او المال مما يدل على ان الحكام المحليين كانوا مسؤولين عن حفظ الامن وعدم ضياع اي من بضائع واموال الكاروم وربما بذل على وجود اتفاقيات بين الوابارتوم والكاروم من جهة والحكام المحليين من جهة اخرى بذلك . وكان التجار الاشوريون يدفعون الضرائب على بضائعهم الى السلطات المحلية في الاناضول . اضافة الى ضريبة رؤوس وضريبة الى القصر الملكي عن كل حمولة اضافة الى ضريبة الشاددوئوتو التي تدفع عن ارساليات الذهب والفضة .

وكان لحكام المدن الاناضولية (الروبائوم) التي سكنها التجار الاشوريون في آسيا الصغرى السلطة العليا في أقطارهم وكانوا يراقبون فعاليات التجار الاشوريين بكل دقة وكان التجار يتجنبون اي صدام مع مصالح الحكام المحليين . فاذا لم يراعوا الانظمة او اختلفوا مع الحكام فان النتائج كانت وخيمة.واذا رأى الحكام ان اي عملية للتجار تضر بمصالح البلد فانهم لم يتورعوا عن انزال اذى بمصالح التجار حتى القبض عليهم وتفتيش بيتهم او مصادرة ما لديهم من ذهب وفضة . وهناك ادلة كثيرة تثبت بان عددا غفيرا من السكان المحليين في بلاد الاناضول قد قاسوا الامرين

من الضغط الاقتصادي والاجتماعي العنيف الذي سببته ديون التجار لهم . فمثلا كان التجار الاشوريون يتقاضون من السكان ٦٠٪ وحتى لدينا امثلة عن ١٢٠ ـ ١٣٠٪ كسعر للفائدة وحتى صرنا نسمع عن رهن هؤلاء لبيوتهم واملاكهم او احد افراد عوائلهم . ويظهر ان الحالة بين التجار الاشوريين والسكان المحليين وصلت الى حد من السؤ بحيث ان الملك تدخل لتخليص الناس من ديون الاشوريين . كما نعرف بان الحكام المحليين قد جهزوا حماية الى القوافل المارة باراضيهم وكذلك ادلاء لها . وللامراء الحق في القبض على كل اشوري يشكون به او تفتيش كل بضاعة يشكون بها . ويظهر ان العلاقات بين الامراء المحليين في آسيا الصغرى انفسهم كانت تتمخض عن منازعات ومخاصمات تؤثر دون شك على فعاليات التجار الاشوريين[١٤] .

12- LEWY, Kappadokische ... op. cit. p. 756.

13- J. Lewy, A Propos of a recent study in old assyrian Chronology, Orientalia n. S. Vol. 26 (1957), p. 23.

١٤ ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد ، المستعمرة الاشورية في آسيا الصغرى ، سومر ، مجلد ٣١ (١٩٧٧) ص ٧٠ ـ ص ٩٦.

12- ... Kapanfkinsde ...

13- J. Lewis, A Progress of a recent study in old ... Chronology ...
... 1971, p. 23 ...

الفصل الثالث

المبحث الاول : الحيثيون ، اصلهم ، تاريخهم وعلاقاتهم في الداخل والخارج

الحيثيون من الاقوام التي تتكلم احدى لغات المجموعة الهندية ـ الاوروبية ويتفق الكثير من الباحثين على كون موطنهم الاصلي هو بلاد القفقاس . ويشير الدليل اللغوي بان الهجرة لم تتم في وقت واحد بل استغرقت وقتا طويلا وتدريجيا وان اشتركت به الكثير من القبائل الحيثية . وهناك من يعتقد ان الحيثيين قد قدموا من منطقة ما وراء البحر الاسود والتي تشمل ضمنها القفقاس ايضا[١] . ويضع اخر احتمال هجرتهم من المنطقة الايجية عبر الهلسبونت والبوسفور دون ان ينفي احتمال هجرتهم من بلاد القفقاس[٢] ويتعرض وولي ان وثائق الحيثيين انفسهم تذكر هجرتهم الى بلاد الاناضول من الجنوب في[٣] الوقت الذي يتفق هو به مع الباحثين بان الوثائق الحيثية لا تنوه بشيء عن اصلهم وكون الفخار هو الدليل في هذا الاتجاه[٤] وفي الوقت الذي ربط البعض كما رأينا في اعلاه مقابر موقع الاجا هويوك مع الحاتيين وذكروا وصولهم في اندفاعهم ـ حتى سورية ـ فلسطين بحيث ان الحيثيين الذين يذكرهم العهد القديم من عهد الاباء (ابراهيم الخليل واولاده واحفاده) كانوا من الحاتيين ، فقد جعل اخرون ومنهم وولي مقابر الاجاهويوك بشيرا بوصول الحيثيين الذين قدموا من منطقة القفقاس وذهبوا الى سوريا وفلسطين ومنها دخلوا بلاد الاناضول . فهناك حضارة اغدير في منطقة القفقاس والتي بدأت هناك منذ العصر الحجري الحديث حتى الحجري المعدني وصار لهم في الالف الرابع ق . م . فخارا اسود اللون مصقولا مزينا بنماذج منحوتة ومرسومة ، وبنوا مواقد طينية على شكل حذوة الحصان زينوها بالاشكال والرؤوس البشرية . وقد هجرت مواقع هذه

الحضارة في وقت بالعصر الحجري المعدني . وفي هذا الوقت نفسه كانت في سهل عمق في حوض نهر العاصي الاوسط مستقرات سكان استعملوا الفخار الاسود المصقول ونفس نوع مواقد اغدير . وقد حلت هذه المستقرات محل اخرى لسكان محليين كانوا يستعملون نوعا محليا من الفخار . وفي اواخر العهد البرونزي الاوسط ظهر نفس نوع الفخار في سورية ـ فلسطين فوق اطلال البيوت المحروقة للسكان القدامى . وعثر على بعض شقف من هذا النوع من الفخار او اواسط بلاد الاناضول منها وعاء كامل في مقبرة الاجاهيويوك . كما عثر على نوع مشابه الى مواقد اغدير في كول تبة من بداية العصر البرونزي الاولي . فحسب هذا الافتراض ان الحيثيين قد خرجوا من بلاد القفقاس واندفعوا جنوبا واصلين سهل عمق حيث بقوا هناك مدة من الزمن ولما خرجوا عنها بالقوة ذهب البعض منهم جنوبا الى فلسطين بينما صعد اخرون باتجاه الشمال الى بلاد الاناضول وبالتدريج قضوا على معارضيهم ـ واسسوا اخيرا الدولة الحيثية[٥] . وفي نفس الوقت ظل الكثير منهم في سهل عمق وهذا يعلل سبب وجود جماعة تؤ يد الحيثيين الى عصور متأخرة في منطقة كركميش كانت تقف في وجه مؤ يدي المصريين وتعارض سياسة دول شمال سورية المناهضة للحيثيين[٦] .

ويؤكد البعض ان اوائل اثاروجود الحيثيين قد ظهرت في موقع كول تبة (كانيش) . فالمزيدات الى نهاية الالفاظ في اسماء السكان المحليين في الكتابات التي وردتنا من كول تبة امثال الا ala وايلي Iliواولا Ula هي تحويرات حيثية الى المزيدات الحاتية ال ، ايل واول . وقد ظهر اخيرا بأن كانيش هي نفسها نيسا . ولما كان الحيثيون قد اطلقوا على لغتهم الاسم النيسية فان نيسا (كول تبة) كانت في الغالب عاصمتهم[٣] . يضاف الى هذا دليل الفخار حيث ان الاوعية التي سادت في كول تبة بالفترة التي سبقت ظهور الحيثيين كان الفخار المعمول باليد والكثير الالوان والمزين بالمواضيع الهندسية بالالوان الابيض والاحمر او الاسود وهي مواضيع تظهر ايضا في التماثيل الشبيهة بالاقراص من موقع كول تبة . والمهم ان هذا الفخار الما قبل الحيثي قد اشتهر خلال المملكة القديمة الحيثية وقد حل معه فخار اخر بصورة

تدريجية ولكنه ظل في الاستعمال . وقد علل البعض كون الحيثيين القادمين قد استعملوا هذا الفخار القديم في وقت كانوا يطورون به نوعا خاصا من الفخار[٨] . ويربط البعض الفخار الكثير الالوان هذا مع الحيثيين ويربطون بدء ظهور هذا الفخار الاولي بمجيء الحيثيين الاولي في الطبقة الثالثة من موقع علي شار[٩] . وقد بقي الحيثيون اقلية في بلاد الاناضول ولم يظهر السكان المحليون قبل حلول الحيثيين وتسلطهم في الاناضول اية جدارة في الحقل السياسي بل ظلوا يحكمون بدويلات محلية منفصلة . وليس هناك اي دليل بان الحيثيين قد غيروا هذا النظام في البداية .

فالحيثيون لم يجتاحوا بلاد الاناضول في هجرة جماعية واحدة بل تغلغلوا تدريجيا وحصلوا في البداية على شيء من النفوذ في بعض الدويلات . وتذكر بعض وثائق المستعمرة الاشورية في كانيش حكاما محليين تعترف بهم الاخبار الحيثية واحد وثائق المستعمرة الاشورية هذه مدونا باللغة الحيثية[١٠] .

وكثرت المصادر المدونة عن الحيثيين وعلى رأسها الوثائق الملكية التي عثر عليها في بوغاز كوي سنة ١٩٠٦ . كما وصلتنا الكثير من النصوص التاريخية التي اعيد استنساخها في قرون احدث ومن هذا قرار الملك تيليبينوش الذي كانت مقدمته التي شرح بها استقرار الحكومة زمن الملوك الاسبقين والفوضى في الازمان اللاحقة خير عرض للتاريخ الحيثي حتى وقت كتابة النص[١١] . الى جانب الاثار المادية من مواقع عدة امثال كول تبة وحاتتوشاش (بوغاز كوي)وأنكـوا Ankuwa (علي شار).

وخلال وقت الحيثيين كانت في بلاد الاناضول لغات عدة . فالى جانب الحيثية كانت هناك اللغة الاكدية التي كانت لغة المراسلات والعلاقات الدولية . ثم اللغة الحاتية والبالية والحورية . وقد دون اللوفيون لغتهم في الخط الهيروغليفي الحيثي منذ عصر المملكة الحيثية القديمة وهي اللغة التي دون بها الملوك الحيثيين من العصر الحيثي المتأخر (الجديد) كتاباتهم الضخمة بها . وتظهر اللغة الحيثية الكثير من المفردات الموجودة في لغات هندية ـ اوروبية اخرى .. وكانت اللغة البالية لغة اقليم بالا (منطقة بافلاكونيا في العصور الكلاسيكية وهي كاستومونو الحالية وهناك من يضعها

عند سباسطية (سيواس) او في الشمال الشرقي (قرب باي بورت). ثم اللغة الحورية وقد تكلمها الحوريون الذين كانوا في بدء تأسيس المملكة الحيثية القديمة في منطقة الجبال الشرقية ثم تحركوا نحو الجنوب الى المناطق التي سكنها اللوفيون من قبل .

كان بآسيا الصغرى في نهاية عصر المستعمرة الاشورية ملوك كوششارا (كوسسارا) ومنهم بيتخانا وولده انيتاش (انيتا) الذين سيطروا على القسم الاعظم من هضبة كبادوكية.وان العثور على خنجر لانيتا في بناية ضخمة في كانيش قد يكون هو نفسه قصر انيتا لاننا نعرف ان كانيش (نيسا) قد ضمها بيتخانا اليه مهم للغاية لأنه قد يدل على تخريبه لهذه المدينة . وقد اخبرنا انيتا انه قد خرب حاتتوشاش (بوغاز كوي العاصمة الحيثية) واعلنها ملعونة وفعلا اظهرت الحفريات بان الطبقة الرابعة من بوغاز كوي والمسمى بموقع بويوك قلعة (والذي عاصر المستعمرة الاشورية في كول تبة) قد خربت واعقب هذا التخريب فترة هجرت المدينة . وقد سكنت المدينة مرة ثانية في الطبقة الرابعة جـ المزدهرة التي ترجع الى المملكة الحيثية القديمة . وقد اخبرنا انيتا في نصه (الذي هو نسخة متأخرة دونت المسمارية وربما كانت نسخته الاصلية مكتوبة بالهيروغليفية الحيثية لم تصلنا بعد) عن صراعه وصراع والده للحصول على السلطة ضد المدن المنافسة لها وهي نيشا (نيسا) وزالبوا وبورو شخا ندا وسالاتيوارا وحاتتوشاش وكيف انهما اخضعا كل هذه المدن . وقد نقل انيتا عاصمته بعد ذلك الى نيسا . وفي الغالب ان اعمال المستعمرة الاشورية في كانيش قد توقفت في عهد انيتا . وهناك من الادلة ما حمل البعض الى الاستنتاج بان التجار الاشوريين في موقع علي شار (التي ربما هي نفسها كوششار او كسسورا) لم يحسوا باي اذى بل تركوا ديارهم من تلقاء انفسهم وبصورة سلمية وسلموا المكان الى الحيثيين ومن ان ثورة لا بد وان حدثت لمصلحة الحيثيين الذين سيطروا على هذه المدينة واندفعوا منها لغزو كانيش ومن ثم استوطنوا موقع حاتتوشاش الذي كان مهجورا آنذاك . ومن الصعب القول الآن بان المملكة الحيثية هي استمرار مباشر

لمملكة بيتخانا وانيتا . وان سلالة جديدة قد اخذت الحكم من سلالة انيتا بظروف لا نعرفها الان وبها ابتدأت المملكة القديمة الحيثية (منذ سنة ١٦٥٠ ق . م .). ويقسم الباحثون تاريخ هؤلاء الحيثيين الى خمس فترات متتابعة وهي :-

١ - **المملكة القديمة** : ان النصوص المتوفرة من هذا العصر قليلة ومهشمة والمصدر المهم لدينا هو قرار الملك تيليبينوش . ونقرأ في هذا القرار بان الملك كان لابارنا ثم اتحد اولاده واخوانه واقاربه وجنده . وكان البلد صغيرا واينما سار اخضع بشكيمته بلدان اعدائه وخرب أقطاراً كثيرة وجعل البحر (يقصد البحر المتوسط) حدوده . ولما عاد من المعركة تفرق اولاده بين اجزاء البلد المختلفة ليحكمها . وبعد ذلك صار حاتوشيليش حاكما وكانت اعماله مشابهة لانجازات لابارنا . واعتبر الحيثيون لابارنا مؤسس دولتهم ومنه ابتدأوا تاريخهم . وظل حيثيو العصور التالية يحترمون ذكرى هذا الملك وزوجته تاوانا نناش TawannaNnash ويقدمون الاضاحي الى اشخاصهم المؤلهه عند كل مناسبة واتخذت اسمائهم القابا للملوك الحيثيين . وليس لدينا عن لابارنا هذا اي نص وان اول نصوص حيثية متوفرة ترجع الى الملك حاتوشيليش الاول (١٦٥٠ - ١٦٢٠ ق . م .) وولده مورسيليس الاول (١٦٢٠ - ١٥٩٠ ق . م .).وفي الغالب اتخذ حاتوشيليش الاول اللقب لابارنا الثاني عند تتويجه . وفي نص يذكر حاتو شيليش اسمه والاسم الذي اتخذه عند التتويج (لابارنا) ويذكر كونه ابن اخ الملكة تاوانا نناش زوجة لابارنا الاول ثم ان جده اعلن ابنه لابارنا وليا للعهد ولكن خدمه واعيان مواطنيه نصبوا بابا خديلماخ بدله . وهذا النص يدل على ان ملكا باسم لابارنا كان قد سبق حاتوشيليش بجيل واحد وعن كون والدلابارنا هذا كان ملكا ايضا ولو لم يردنا اسمه (وربما يكون بوشا رروماش ابن تود حيليا الذي ذكره الملوك والامراء الحيثيون اللاحقون في قائمة للاضاحي[١٢] . ولا يمكن اعتبار لابارنا اخا الى تاوانانناش لأن الحيثيين لم يتزوجوا اخواتهم بل وضعوا عقوبة الموت لمن يقترن باخته وربما كان للابارنا اختا تزوجت من

اخ تاوانناناش فصارت هي بذلك اما لحاتوشيليش . وحسب قرار تليبينوش فان لابارنا جد حاتوشيليش هو الذي بدأ المملكة الحيثية ومهد طريق الفتح ووسع الحدود الى البحر وان اعادة نفس العبارات بالنسبة الى لابارنا وحاتوشيليش قد يدل على خلط الناسخ بين لابارنا الأول وبين حاتوشيليش الذي أسمى هو الآخر نفسه لابارنا . ويدل قرار تليبينوش على توسع المملكة الحيثية والحاقهم المنطقة جنوب نهر مارسانتيا (وهو نهر الهاليس بالحيثية اي قزيل ايرمق) حيث كانت توا نووا (تايانا في العصور الكلاسيكية اللاحقة) وخوبشينا (سيبستريا الكلاسيكية) ولوشنا (ليسترا الكلاسيكية) وبورو شخاندا (ربما سواندس الكلاسيكية) وربما نينا ششا وزاللارا وبذلك يكون اختراق جيش حيثي لممرات طوروس حدث خلال هذه الفترة الغامضة من تاريخ الحيثيين .

والمعروف ان التاريخ الحيثي يبدأ من عهد حاتوشيليش (لابارنا الثاني)، الذي لدينا من عهده بضع كتابات اصلية . ونعرف بانه اتخذ الالقاب ملك حاتوشاش رجل كوششار وان استعماله للقب الاخير قد يدل على المكان الذي قدم منه بالاصل والذي قد يكون هو العاصمة الاصلية للسلالة . وربما كان اتخاذه الى لقب ملك حاتوشاش يشير الى انتقاله الى هذه المدينة المهمة تجاريا (حيث تقع على ملتقى طريقي التجارة القديمة الاول المؤدي من منطقة البحر الايجي عبر الهاليس الى سيواس والثاني جنوبا من اميسوس (صمسون) على البحر الاسود الى الابواب الكليكية) ولو ان قبيلة كاسكا الجبلية العنيدة كانت تقطن الى الشمال منها والتي هددت سلامة المملكة بعدئذ ولا نعرف متى ظهرت هذه القبيلة بالضبط وربما يكون وجودها هو الذي حمل حاتوشيليش على اتخاذ مدينة حاتوشاش ذات المنعة والحصانة والقريبة منهم كعاصمة لضبطهم . وقد غزى حاتوشيليش شاناوبتا وزالبا وربما حوت الاولى قصرا ملكيا وكانت الثانية منافسة لدودة للحيثيين في بدء تعاظمهم . وربما احتل حاتوشيليش في طريقه بلاد ادانيا (سهل اطنة) لأن تليبينو يذكر خسارة الحيثيين لهذا الاقليم فيما بعد . وان ظهور اوعية اناضولية في طوروس خلال هذا

الوقت يدل على توسع حيثي باتجاهها الى جانب وجود قلعة حيثية في مرسين ترجع لهذا العصر .

ويظهر ان حاتوشيليش قد اصطدم في سنته الثانية بمملكة يمخد (عاصمتها الالاخ - تل العطشانة) في سهل انطاكية والتابعة الى حلب وحولت الى دولة تابعة الى الحيثيين.ويظهر ان حاتوشيليش انتهز فرصة عصيان عمي تاقوم حاكم الالاخ على سيده ياريم ليم الثالث ملك حلب واعلان استقلاله.وهذا يعلل عدم نصرة حلب له واستعانته هو بحلب كما يظهر ان يمخد قد ثارت بعد ذلك حيث نعرف عن حملة الملك مورسيليس الاول عليها وتخريبه لها . واخبرتنا حاتوشيليش عن غزوة بعد الالاخ لمدينة اورشو (على ضفة الفرات اليمني شمال كركميش). ويذكر نص باللغة الاكدية سلسلة من القصص عن عدم كفاءة الضباط الحيثيين خلال حصارهم لاورشو ويتعرض كيف ان الملك الحيثي قد بدأ حملته ضد اورشو من مدينته لوخوززانتيا (عند سفح جبال طوروس وربما تكون موقع قره هويوك قرب البستان). وكانت اورشو في حلف مع حلب وزاروار وربما مع كركميش ايضا .

وفي السنة الثالثة توجه حاتوشيليش لحرب ارزاوا وهذه اول اشارة لحرب مسلحة معها وتقع الى الغرب او جنوب غرب بوغاز كوي وبها قصر للملك على ساحل البحر الاسود . وان غياب الملك الحيثي في الغرب مكن الحوريين من اختراق اسيا الصغرى من حدودها الشرقية ولم تنج منهم الا العاصمة حاتوشاش . وفي هذا الوقت بالذات طغى العنصر الحوري على شمال العراق (نتيجة ضعف الاشوريين) وشمال سورية ، وترك الملك حربه لارزاوا وعاد لصد المعتدين الذين ردوا على اعقابهم .

وفي سنته الرابعة هاجم مدينة شانا خوت (ربما هي نفسها شانا خوتا) . وفي السنة الخامسة احتل مدينة الاهها التي يصعب معرفة موقعها . وفي سنته السادسة عبر جبال طوروس لغزو مدينة خاششو (كوماكين في العصور اللاحقة التي يظهر ان قسما من ممتلكاتها كانت على ضفة نهر الفرات اليمنى) حيث كانت هناك مملكة حورية

غرب الفرات . وقد قاومت المدينة بمعاونة جيوش وصلتها من حلب ربما كانت بقيادة زوكراشي الهجوم الحيثي ولكن المعركة الفاصلة عند جبل ادالور ضمن جبال الامانوس انتهت باندحار جيوش حلب وخاشثو واندفاع الملك الحيثي نحو خاششو وتهديمه لها ومحتلا مدن خاههو التي خربها وزيباشنا . واخبرنا بانه قاد جيوشه عبر الفرات (مالا بالمصادر الحيثية) سيرا على القدم . ويظهر ان اولاد حاتوشيليش وهم خوززبياش (الذي عينه والده حاكما على تايشاندا التي لا نعرف مكانها) وكاككار بيليش (الذي ارسل لادارة مدينة زالبا) قد ثارا ضد والدهم في اواخر حياته فقضى على ثوراتهم وحرمهم من شرف العلاقة بالبيت المالك ويبدو ان جمعا من اهالي العاصمة حاتتوشاش عرضوا مساعدة لاحدى بنات حاتوشيليش للثورة على ابيها وفعلا شهرت السلاح وسببت حركتها خسارة وتخريبا كبيرين . ولا نعرف ماذا كان اجراء والدها الملك ضدها لقيامها بهذا العمل المشين . واضطر حاتوشيليش ان يعين ابن اخت له كوريث للعرش ولكن ظهر ان هذا لم يكن هو الآخر مخلصا له فعين بدله مورسيليس وكان ولدا صغيرا عند توليته العرش . ولنا ان نعرف بان اقدم النصوص المدونة بالحيثية القديمة ترجع حسب ما يظهر الى أواخر حكم حاتوشيليش الاول .
ومن المعقول الافتراض بان بعض الناسخين العراقيين قد تم احضارهم من بلاد بابل لتعليم الحيثيين كيفية استعمال الرموز المسمارية لتدوين لغتهم الحيثية . وان الرموز المسمارية التي استخدموها شبيهة بتلك من موقع الالاخ الطبقة السابعة . وقد مات حاتو شيليش بنتيجة جرح بليغ اصابه في حرب له مع حلب .
وتلاه على العرش حفيده وولده بالتبني مورسيليس الاول . ونظرا لصغر سنه فربما صاربيمبيراش اخ الملك الراحل وصيا عليه لحين بلوغه سن الرشد . وقد حارب حلب وخربها ووضع نهاية لسلالتها التي حكمتها منذ الربع الاخير من القرن الثامن عشر ق.م. بعدها تتبع نهر الفرات وقضى على سلالة بابل الاولى في بابل .
والعجيب ان الملك الحيثي بعد مشقة الوصول الى بابل (تبعد حوالي ٥٠٠ ميلا عن حلب) وقضائه على ملكها شمشو ديتانا وسلالته تراجع على الفور.ويظهر ان هناك

بمملكة كاشية على الفرات في الطريق الى بابل تعاون معها مورسيليس اثناء مروره وعاونته في احتلال بابل فترك لها الملك الحيثي زمام الامور بعد انسحابه . وربما اتى الحيثيون هنا لمساعدة الكاشيين على احتلال بابل بعد ان فشل هجومهم الاول عليها زمن الملك شمشو ايلونا . كما اخبرنا مورسيليس عن حربه للحوريين ودحره لهم دون ان يذكر المكان الذي اصطدم به معهم . بعدها رجع مورسليس الى بلاده . ولم يمض وقت طويل (ربما سنة واحدة) حتى تآمر خانتيليش (ساقي زوج اخته خاراب شيليش) بالاشتراك مع زوج ابنته زيدانتاش على مورسيليس وارسلوا له من قتله ـ صعد خانتيليش على العرش . وقد اخبرنا الملك تيلليبينو فيما بعد عما اقترفه خانتيليش وزوج ابنته زيدانتاش من الاعمال الاجرامية التي ليس لدينا ما يجعلنا نقف على صحتها .

وقد صاحبت حكم خانتيليش الاول الكثير من النكبات الخارجية . فقد غزى الحوريون القسم الشرقي من الدولة الحيثية وخربوا مدن نريك المقدسة وتيليورا القريبتان من حاتتوشاش مما سهل على قبيلة كاسكا الجبلية احتلال هاتين المدينتين بعد ذلك ، وهرع الملك الى تقوية حصون عاصمته كما يبدو ان خانتيليش قد فقد الكثير من الممتلكات الجنوبية . واخبرنا تيلليبينو عن حدث لا نعرف طبيعته الم بخانتيليش (عزاه النص الى انتقام الارباب منه لقتله مورسيليس) عند مدينة تيكاراما (ربما غورون غرب ملاطية) خلال حربه للحوريين الى الجنوب من كركميش مما اضطر الملك لاجله على الرجوع الى عاصمته وانتصر الحوريون . قد يظهر من نص باللغة الاكدية ان الحوريين اسروا زوجة الملك واولادها وجلبوهم الى مدينة شوغار (ربما في منطقة جبال طوروس) حيث تم قتلهم على يد جماعة ليست بحورية تمكن خانتيليش من انزال العقوبة بها . وفي أواخر ايام خانتيليش واثناء مرضه قتل زوج ابنته ولده كاشينيش واولاده وخدمه وتربع على العرش فور وفاة الملك . ولكن زيدانتاش هذا لم يتمتع بما حصله طويلا حيث قتله ابنه امموناش الذي اخذ مكانه . وكان حكم زيـدانتاش قصيرا ونسب اليه البعض عقد المعاهدة مع

بيلليا PELLIYA ملك كزواتنا . وقاسى الجيش الكثير من الحركات المعاكسة زمن اموناش وضاعت المقاطعات العدة مثل ادانيا (اطنة) وارزاوا ومدن شاللابا وباردوواتا. وكان يحكم في الالاخ الملك ايدريمي الذي كان تابعا الى الملك الحوري باراتتارنا PARATTARNA الذي وصل الحوريون زمنه شمال سورية والعراق . وقد منعت الغزوات الحورية الحيثيين لمدة من الزمن عن الوصول الى الجنوب من جبال طوروس وظلت كزواتنا تدير كلكيا حتى نهاية زمن الملك الحيثي شوبيليوليوما مجبرين الملوك الحيثيين على اختراق جبال انتي طوروس للوصول الى سوريا . وخسر الحيثيون شللابا على الطريق الى ارزاوا (ارزاويا) وباردوواتا . ومع الاسف لا يزال موقع ارزاوا موضع جدل وربما كانت الى الغرب او الجنوب الغربي من وطن الحيثيين انفسهم مع عاصمة على ساحل البحر . وقد وصلتنا من عهد اموناش شظية من نص يذكر بعض المدن امثال تيبيا وخاهها وباردوواتا وخاشبينا. وتقدم لنا ما يدل على ان الملك حكم لمدة طويلة وشملت فعالياته مناطق عدة من البلاد . وبعد حركة عنف تلت وفاة اموناش برز فيها اسم زورروش رئيس الحرس راح ضحيتها شخصان هما تيتتيش وخانتيليش اللذان ربما يكونا اولاد الملك اموناش حاولا استرجاع عرش والدهما . ولا نعرف عن هذين الشخصين سوى اسمائهما . وتربع على العرش بعد ذلك خوززياش الذي هو في الغالب ابن اموناش الذي تلاه تليبينو زوج اخته ايشتابار بياش حيث ان تيليبينو قد واتاه الحظ حيث اكتشفت مؤامرة ضده كان يدبرها خوززياش فنفاه واخوته الخمسة واخذ العرش منهم بالقوة ولو ان تيليبينو يذكر انه الابن الاصغر لملك سابق والذي فسر من قبل البعض باحتمال كونه قد قصد بذلك والد زوجته خوززياش وذكر لنا نص سعة مملكته حوى الكثير من اسماء المدن التي لا نعرف بعضها امثال شاموخا المركز الديني على نهر الهاليس الاعلى وماريشا في منطقة الكاسكا وخورما وشوكزيا في جبال انتي طوروس وبورروش خاندا قرب بحيرة الملح ونهر خولايا جنوب قونية ثم مدينتي داماشخوناش وخاليبا شوشواش المشابهين لاسمي دمشق وحلب على التوالي . ونعرف عن عقد تيليبينو معاهدة مع اشبوتا خشو ملك

كزواتنا (كاتاونيا بالعصر الروماني التي تسيطر في الغالب على شرق سهل كلكيا) والذي ربما كان حوريا . ولم تصل لنا نصوص المعاهدة ولكن اتخاذ ملك كزواتنا اللقب (الملك العظيم) وبدء تعاظم كزواتنا ربما يدل على اعتراف الملك الحيثي به كمساو له . وقد وجد لهذا الملك طبعة ختم بموقع في منطقة طوروس مكتوبا بالهيروغليفية الحيثية وهي اقدم كتابة بهذا الخط تكتشف لحد الان . وبلغ تيليبينو من القوة بحيث اندفع نحو سورية عن طريق جبال انتي طوروس وذكر تهديمه لمدة خاشْشوا واخماده ثورة في لا وازانتيا (اللتين لا نعرف مكانهما) واصطدامه بمعركة عند زازليبا (قرية في كزواتنا) . وحاول تيليبينو العمل على استقرار الامور في البلاد فدعى النبلاء الى الاتحاد في اخلاصهم للتاج واللجوء الى الطرق القانونية في حالة الفرقة والاختلاف . فالبانكوش الآن (مجلس كل المواطنين) هو المحكمة العليا الذي يمكنه انزال العقوبة بالمخالفين ، وهذا يدل على ان البانكوش بقي موجودا لمدة طويلة . ووضع تيليبينو قانونا متقنا لولاية العهد ينص على تخليف اخ او ابن من الخط المستقيم للملك وفي حالة انعدام ذلك فابن من الدرجة التالية وفي حالة عدم توفر ذلك فزوج لاميرة من الخط المستقيم للملك . وان اللقب تاواننانناش (الذي هو بالاصل اسم زوجة لابارنا الاول) كانت ترثه زوجة الملك الحيثي الحاكم عند وفاة الملكة السابقة التي كانت تحمله . وبوفاة تليبينو انطوت صفحة المملكة القديمة الحيثية ولو ان اخبارها بالواقع قد انقطعت منذ اواسط فترة حكم هذا الملك .

٢ ـ **المملكة الوسطى الحيثية :** وكان هذا العهد بمثابة عصر انتقالي اذا ما قورن بالمملكة القديمة التي سبقته وعصر الامبراطورية التالي . وان ما يسمى باثبات الملوك الحيثيين مهم في تعريفنا باسماء الملوك الحيثيين وتسلسلهم التاريخي والتي جمعت لغرض تقديم الاضاحي الى ارواح الملوك السابقين واعضاء من العائلة المالكة . وخلف الملك على العرش اللووامناش (وهو اسم ليفي) وكانت زوجته خاراب شيكوش ابنة تيليبينو الملك السابق حيث ان ابن تيليبينو الوحيد (واسمه امموناش)

وزوجته الملكة قد توفيا خلال حياته ولهذا السبب ورث العرش زوج ابنته وخلف اللووامناش الملك حانتيليش الثاني ثم زيدانتاش الثاني (زوج الملكة اياياشي) ثم خوززيياش الثاني (زوج الملكة شوميريش) ثم تودحيلياش (زوج الملكة نيككال ماتي) ثم ابنه ارنوواندلش (زوج اشمونيككال) . وقوت شكيمة الدولة الميتانية في عهد اللووامناش وحانتيليش بحيث سيطرت على شمال سورية وصارت كزواتنا تابعة لها بدليل وجود دعوى حكم بها الملك الميتاني شوشتاتار اقامها نقميبا ملك الالاخ ضد شوناششورا الذي قد يكون ملك كزواتنا . ولكن الملك زيد انتاش الثاني تمكن من عقد معاهدة مع بيليبا Pelliya الثاني ملك كزواتنا . ولاول مرة استعمل الملك الحيثي اللقب (الشمس) الذي صار الملوك الحيثيون يطلقونه على انفسهم في عهود متأخرة . ونقرأ فيها عن استرجاع الملك الحيثي لبعض المدن واتفاق الطرفين على التوقف عن بناء المدن التي خربت اثناء القتال ويظهر ان زيدونتاش الثاني (ان كانت المعاهدة ترجع لعهده) قد شن حملة ناجحة استرجع بها كزواتنا . وربما انتهز الملك الحيثي فرصة تقدم الفرعون طحوطميس الثالث في سورية وطرده الميتانيين الى شرق نهر الفرات . وكان تعزيز المصريين لقواتهم في سورية لمصلحة الحيثيين بحيث ان احد ملوك الحيثيين الآن (ربما زيد انتاش الثاني او خوزيياش الثاني قد ارسل جزية الى الملك المصري بعد رجوعه من حملته الناجحة في سورية سنة ١٤٧١ ق.م . تلاها بأخرى بعد ثماني سنوات . ولا بد وان كان هناك اتفاقا بين المصريين والحيثيين خلال هذه الفترة تضمنت نقل بعض سكان كوروش تاما الشمالية الى اراضي مصرية وقد تمت الاشارة الى هذه الاتفاقية في وثائق متأخرة كعلاقات صداقات قديمة بين الاثنين وبدت في الدولة الان ظواهر جديدة عدة فقد اختفت المؤسسات الديمقراطية التي ورثت من المملكة القديمة وصارت سلطة الملك مطلقة . كما اظهرت السلالة الحيثية الان خصائص حورية قوية فارباب العائلة المالكة كانت ضمن اطار حوري والمزايا الحورية في جميع الارباب الاناضولية واضحة في منتوجات يازيليكايا الى جانب زيادة الطقوس الحورية في عهد الملوك المتأخرين وتبني جيش الدولة حرب العربات التي

اعتمدت على تدريب الخيول التي وضع طريقها حوري اسمه كيككولي . اضافة الى ان الكثير من ملوك وملكات وامراء الحيثيين كانت لهم اسماء حورية امثال الاسماء اشمونيككال وارنوواندش وتود حيلياش ونيككال ماتي وولدها أشمي شاررروما وربما تكون نيككال ماتي اميرة حورية حتى ان كثرة الخصائص الحورية ضمن العائلة المالية وحضارة العهد قد يشير الى اصل حوري للسلالة الحاكمة نفسها .

عندما تربع تود حيلياش الثاني (١٤٦٠ - ١٤٤٠ ق.م) على العرش (ان تود حيلياش الاول قد يكون جد لابارنا الاول ولا نعرف عنه سوى اسمه وربما حكم بين ١٧٤٠ - ١٧١٠ق.م.) هاجم حلب ودحرها سوية مع ميتاني وعقد مع الاولى معاهدة كما نصت المعاهدة مع شوناششورا الثاني الميتاني بان كزواتنا تابعة للملك الحيثي وربما كانت كزواتنا في هذا الوقت تحت حكم بيلليا الثاني او خليفته باد داتيششو الذي نعرف عن معاهدة له مع الملك الحيثي لم تصلنا نصوصها وبدأ تود حيلياش غزوه للغرب بحرية لارزاوا والتي نجد عنها فيما يسمى بحوليات تود حيلياش (الرابع) فتصف هذه اربع حملات نقرأ في الاولى منها قائمة بالاقطار المغزية مثل ارز اوا وحليفتيهاخابـالـلا وبلاد نهر شيخا ثم واللاريما . وكانت الحملة الثانية ضد ٢٢ بلدة اطلق عليها اسم بـلاد اسسوا (ربما في منطقةسـارديس) منها ويلوشيا(ربما ايليوس) وتارويشا(ربما ترويا - طروادة).وعندما كان تود حيلياش مشغولا في الغرب هاجمت قبيلة الكاسكا بلاد الحيثيين مما اضطر الملك الى الرجوع لحربهم في حملته الثالثة عند معركة تيوارا(لابد وان تكون على مقربة من بوغاز كوى) . ووجه حملته الرابعة الى الشرق لاخماد ثورة في ايشووا (جنوب منعطف الفرات الى الجنوب من نهر مراد صو) التي كان يسندها الملك الحوري . وفي عهد ارنوواونداش) (١٤٤٠ - ١٤٢٠ ق.م.) الاول ابن تود حيلياش الثاني عقدت معاهدة بينه وبين بعض رجالات ايشمي ريككا التي تذكر اعادة اسكان هؤلاء الرجال من سكان هذه المدينة في مدن مختلفة من كزواتنا منها مدينة واششو كاني التي نعرف كونها عاصمة الميتانيين وكذلك في اوروششا (اورشو) ما يدل على ان كزواتنا

قد حصلت على جزء من ارض الميتانيين الان الى الشرق من نهر الفرات وكذلك حقيقة كون جميع البلاد تحت حكم الملك الحيثي ، وهناك احتمال كون تود حيلياش الثاني هو الذي غزى حلب واحتل عاصمة الميتانيين وسلم المنطقة التي احتلها لحليفه ملك كزواتنا.ولكننا نعرف بأن كزواتنا الان دولة قوية ومن غير المعقول ان يسكن الملك الحيثي جماعات على ارض تابعة لها دون اخذ موافقة ملك كزواتنا او بموجب اتفاقية بينهما وفي نهاية حكم الفرعون امينو فيس الثاني صار التقارب بين مصر والميتانيين لمواجهة الحيثيين وتزوج طحوطمس الرابع من اميرة ميتانية . ويظهر ان السوريين قد خافوا التقارب المصري ـ الميتاني بحيث ان حلب اعلنت زمن حاتوشيليش الثاني تأييدها للميتانيين تلتها كزواتنا زمن الملك تود حيلياش الثالث (١٤٢٠ ـ ١٣٨٠ ق.م.) وان فشل الحيثيين في حفظ النظام بسورية ادى الى عدم استقرار الامور فيها . وهنا غزت ارزاوا سهل قونية (البلاد المنخفضة حتى توانووا (تيانا) واوودا (هايد) . ومن الجنوب الشرقي خرب اهالي ارماتانا منطقة حيثية تصل حتى مدينة كزواتنا (كوماني) وبذلك فقد الحيثيون كزواتنا . وانتقم تود حيلياش الثالث بالاستيلاء على مدينة (ارماتانا التي لا نعرف موقعها) نفسها مع منطقة من طوروس . وبنفس الوقت احتل جيش من ايشووا سهل ملاطية باتجاه الغرب حتى تيكاراما (غورون الحالية) . وهرع اهالي منطقة ازري ـ خاياشا (هاياسا) في الشمال الشرقي بالهجوم على البلاد العليا (في الوديان العليا لنهري قزيل ايرمق والفرات).وصار المركز الديني عند شاموخا موقعا حدوديا . وفي نفس الوقت احتل غزاة من اروانا (في الشمال الغربي غالبا) مقاطعة كاششيا (كيششيا) كما هاجمت قبائل الكاسكا بلاد الحيثيين ووصلوا نينا شاشا (ناناسوس) على الهاليس من العصر الكلاسيكي) واحرقوا العاصمة حاتوشاش . وارسل توشراتا الميتاني الى الفرعون امينوفيس الثالث جزء من الغنائم التني حصلها من الحيثيين . وفي وسط هذه الازمات برز اسم الامير شوبيليوليوما (الذي لم يكن بالابن الاكبر ولا وليا للعهد) نجل تود حيلياش في الحركات لصد المعتدين وقت كان الملك الوالد

مريضا . وقد بدأ حركاته في الشمال الشرقي (البلاد العليا) ضد قبائل الكاسكا والازري - - خاياشا فاسترجع ارزيا وشاموخا واندحر كارانيش (ربما لاننيش) ملك الازريين عند كوماخا (كيما الحالية) . ويظهر ان الحيثيين قد انتصروا بحيث ان تود حيلياش الثالث عين مارياش تابعا له على بلاد الازري - خاياشا . كما استرجع الحيثيون شاللايا كاول اشارة في حربهم لكزواتنا . وحرر الحيثيون ايضا مقاطعات كاششيا ونهر خولانا وفي اواخر حكم تود حيلياش الثالث اغتيل ابنه الاكبر وولي عهده الذي يحمل الاسم تود حيلياش ايضا بوضع لا نعرف تفاصيله وعهدت ولاية العهد الى شوبيليوليوما الذي خلف تود حيلياش الثالث بعد وفاته[١٣] .

٣ - الامبراطورية : - وتبدأ بعهد شوبيليوليوما (١٣٨٠ - ١٣٤٠ ق.م.) الذي نظم الامور في الداخل بادىء الامر فبنى السور العظيم الذي يحمي جنوب العاصمة والتحصينات الاخرى فيها . وقد عاصر لفترة من الزمن الفرعون امينوفيس الثالث (امنحوطب) (١٤١٧ - ١٣٨٠ ق.م.) وتوشراتا الميتاني . ونقرأ في رسالة بعث بها الاخير الى امينوفيس الثالث عن صده لهجوم حيثي مما يدل على فشل شوبيليوليوما في هجوم مبدأي له في الجنوب . وزاد خطر مواجهة شوبيليوليوما مع الميتانيين عندما استرجع ايشووا . ولكن في اكبر مسافة فاصلة بين الدولتين (بين اعالي الفرات والبحر المتوسط) تقع كزواتنا التي عقد شوبيليوليوما الان مع ملكها شونا ششورا معاهدة نقضت بها ارتباطاتها مع ميتاني ودخلت ضمن منطقة النفوذ الحيثية . كما عدلت الحدود لمصلحة الحيثيين ولم يعد بامكان كزواتنا انشاء علاقات مع الاقطار الاجنبية كما يحلو لها . كما عقد الملك الحيثي معاهدة مع ارتاتاما ملك بلاد خورري لا بد وان تعهد بها بالوقوف على الحياد في الصراع الميتاني الحيثي.و تبادل شوبيليوليوما التهاني مع امينوفيس الثالث وكتب رسائل الى اخناتون (امينوفيس الرابع ١٣٨٠ - ١٣٦٢ ق.م.) عندما اعتلى الاخير على العرش . ولم تتأزم العلاقة بادىء الامر بين الحيثيين والمصريين ربما لحرص الفرعون على عدم التورط في امور سوريا الداخلية

والتوقف عن دعم توشراتا الملك الميتاني في نواياه التوسعية . وتدل مراسلات اخناتون مع الاخير على برود علاقتهما .

واخيرا هاجم شوبيليوليوما سوريا ووصل حتى جبال لبنان التي احتلها بكل سهولة واسرع توشراتا لدرء الموقف فوصل صومورا وحاول اخذ جبيل ولكنه اجبر على التراجع تاركا الملك الحيثي يصل حتى الاراضي التي تديرها مصر سنة ١٢٧٠ ق.م . والتي لم تدخلها الجيوش الحيثية مخافة اثارة الفرعون . علما بان هناك معاهدة سابقة بين الحيثيين عندما تم نقل مواطني المدينة الاناضولية كورروش تاما الى منطقة مصرية . وصارت بعض الدويلات السورية تابعة للحيثيين ولاجل حماية مدخل سوريا عين الملك الحيثي ولده تيليبوموش حاكما على مدينة كوماني المقدسة . وحولت حلب الى دويلة تابعة للحيثيين وكذلك موكيش (عاصمتها الالاخ) وربما عقد الملك الحيثي معاهدة مع كل منهما وقد وصلتنا بعض اجزاء معاهدة تم ابرامها بين الحيثيين ودولة تونيب ربما ترجع الى هذه الفترة ووقفت اوغاريت على الحياد . وقد وصلتنا من موقع رأس شمرة (اوغاريت) رسائل تبودلت بين ملكها نيقمادا وشوبيليوليوما ربما خضع بها للاخير رغم علاقته الطيبة مع مصر واحتمال تزوجه من مصرية (يصعب القول بانها من البيت المالك المصري) . كما ان هناك معاهدة بين شوبيليوليوما وشارريشا ملك بلاد ناخاشي (نخاشي الى الجنوب من حلب) عارضها الميتانيون وهاجموا ناخاشي ذلك الهجوم الذي نجح في البداية وفشل اخيرا ونعرف بأن شوبيليوليوما قد نفى الى آسيا الصغرى الكثير من العوائل الحورية الاصل في مناطق اراختونيا Neya في شمال سورية تحسبا على ما يترتب من نتائج نظرا لميولهم الميتانية . وفي ارض عمورو (غرب وسط العاصي في سورية) كان يحكم عبدي اشيرتا ومعه ابنه ازيرو مستغلين تأييد الخابيرو (سكان البوادي الخارجين على اعراف المدن) والذين توسعوا الان باتجاه البحر المتوسط وسيطروا على المنطقة بين صومورا بالجنوب واوغاريت في الشمال وقد اعترف امينوفيس الثالث بعبدي اشيرتا كرئيس للعموريين وحاول استخدامه كوسيلة يوقف بها توسع توشرانا الميتاني في سورية . ووقع ريب

عادي حاكم جبيل ضحية الاندفاع العموري ولم يدرأ عنه دخول الحيثيين خطر الصوريين او حتى ليقلل منه . فلما أفل نجم المصريين في سوريا لفترة من الزمن الان وانسحب المندوب المصري من مركزه في مدينة صومورا اخذ عبدي اشيرتا يفرض نفسه كبديل عن مصر ويوسع منطقته باتجاه دمشق ويحاول وضع قدم له في ساحل البحر المتوسط . وباءت كل توسلات ريب عادي للفرعون المصري للتدخل بالفشل ولم يوقف المندوب المصري الجديد تحركات عبدي اشيرتا الذي احتل الان صومورا وتآمر على اغتيال حكام مدن ايرقاتا وامبي . وكان عبدي اشيرتا يحتل جبيل لولا وصول المساعدة المصرية التي استرجعت صومورا ومدنااخرى التي عجلت اخبارها بموت عبدي اشيرتا . ولكن سرعان ما اعاد ابنه ازيرو احتلال مدن ارقاتا وامبي وارداتا وشيكاتا وحوصرت صومورا وقتل المندوب المصري فيها وسحبت مصر جيوشها وتحالف زمزا ددا حاكم صيدا مع ازيرو واضطر ريب عادي اخيرا الى ترك مدينته . فهكذا كان الوضع في سوريا قبل حملة شوبيليوليوما الثانية عليها وقد زار ازيرو مصر وعقد (ربما تحت تأثير مصر) معاهدة مع نيقمادا ملك اوغاريت . وهنا تقرب الملك الحيثي الى الكاشيين وتزوج من اميرة بابلية ربما تكون اخت او ابنة الملك بورنابورياش .

ان تدهور الاوضاع في سورية كما رأينا وغياب السلطة المصرية وتدخل توشراتا الميتاني في شؤون نوخاشي وخلعه حاكمها شارريشا واتخاذه خطوة معادية الى الحيثيين في ايلشووا كل هذه دفعت شوبيليوليوما الى الهجوم على سورية ثانية سنة ١٢٤٠ ق.م. فعقد اولا معاهدة مع نيقمادا ابن عمي شاتامرو ملك اوغاريت التي كانت بالواقع لمصلحة الاخير ويحمي بواسطتها الملك الحيثي جناحه الايمن . ووقع معاهدة مع دولة ازري - خاياشا زوج بها اخته الى رئيسها وضمن بها سلامة جناحه الايسر وارسل فرقة عسكرية الى نوخاشي وعبر الفرات الى ايشووا . وحصل على موافقة انتاراتال ملك الشي على المرور بمنطقته فوصل بذلك الحدود الشمالية الغربية لدولة ميتاني فاحتل حصون كوتمار وسوتا ووصل العاصمة الميتانية واششوكاني حيث

وجد توشراتا هاربا فتركه دون تعقب حيث نعرف ان ولده كورتيوازا (ماتتيوازا) قد اغتاله بعد ذلك بمساعدة اخرين ثم دخل الملك الحيثي عابرا الفرات ثانية عند كركميش الهامة التي تسيطر على معبر الفرات والمنطقة التي عرفها الحيثيون باسم استاتا التي تمتد من كركميش حتى مصب خابور الفرات . وصار شوبيليوليوما يخلع حكام المدن الحوريين واحدا بعد الاخر ويستبدلهم باخرين من جماعته . كما دحر سلاح عرباته ملك كينزا (قادش على نهر العاصي) المعروف بميوله المصرية . واعطانا قائمة بالمدن التي ارجعها الى حظيرته امثال حلب وموكيش ونيا واراختو وقطنة ونوخاش وكينزا وانتهت حملته عند ابينا (قرب دمشق وهي هويا في سفر الخليقة ١٤ : ١٥) واحتل الحيثيون الان الشي فتخلص الاشوريون من خطر الميتانيين وقسموا مع الحيثيين الممتلكات الميتانية .

وخلف توشراتا ابنه ماتتيوازا الذي نافسه في الحكم شوتتارنا (شوتا تاررا) خليفة ارتاتاما . وقد التجأ الاول عند الملك الكاشي واعتمد على مساعدة شوبيليوليوما في استرجاع عرش ميتاني ووصل نيقمادا الى الالاخ عاصمة موكيش لمواجهة الملك الحيثي حيث وافق على دفع جزية للاخير وتزويده بجيوش عند الحاجة . كما عقد ازيرو معاهدة مع شوبيليوليوما بقي على اثرها مخلصا له حتى نهاية حياته . ونصب شوبيليوليوما حفيد شارويشا على عرش نوخاش وعقد معه معاهدة كما اجبر كينزا بعد حرب قصيرة خرج منها منتصراً على تنصيب ايتاكاما على عرشها الذي عقد معه معاهدة . واخذ الاخير يساعد ازيرو العموري على توسيع حدوده على حساب صور وقطنة حيث كان يحكم اكيززي المعروف بميوله المصرية ومراسلاته مع الفرعون . وفعلا هاجم ايتاكاما قطنة بمساعدة جيش حيثي واضطر اكيززي على الهرب . ووجه ايتاكاما بعد ذلك اسلحته صوب هوبا (اوبي ـ دمشق) حيث كان هناك مندوب مصري وبذلك يكون الحيثيون الان قد وصلوا امقا بسهل البقاع ودمشق واللواتي هي ضمن مناطق النفوذ المصري .

هاجم الحيثيون بقيادة تيليبينوش ابن الملك مدينة كركميش واخضع اولا

مناطق كركميش وارزيا وحاصر مدينة كركميش لمدة ثمانية ايام ودخلها بعد ذلك .
واقام الحيثيون خلال فصل الشتاء بمدينة خوروموريكا (مورموريكا) . وعندما غادر تيلييبينوش مقر عمله لحضور مراسيم دينية وضع مكانه القائد لوباككيش الذي استغل الحوريون وجوده فهاجموا خورموريكا وحاصروها كما اسرع المصريون (الذين اثارهم احتلال امقا) على ارسال نجدة عسكرية لغزو كينزا.وربما في هذا الوقت بالذات ثارت كينزا ونوخاش على شوبيليوليوما كل هذه حملت الملك الحيثي على الاسراع لنجدة سوريا بجيش قاده ولداه ارنووانداش ولي العهد وزيداش منطلقا من تيكاراما في اول الربيع . وقبل ان يلحق شوبيليوليوما بولديه كانت جيوشهما قد دحرت الحوريين ورفعت الحصار عن خورموموريكا فما كان من الملك الحيثي الا وحاصر كركميش وارسل فرقة بقيادة لوباككيش وتارخوند زالماش لحرب المصريين وتمكن هذان القائدان من طرد المصريين من كينزا واسترجاعها مع امقا ـ وهنا توفي الفرعون المصري توت عنخ امون دونما خلف ووصلت من ارملته عنتخ سن امون ابنة أخناتون ونفر تيتي رسالة الى شوبيليوليوما تخبره فيها بوفاة زوجها دونما وريث للعرش وتطلب منه ارسال احد اولاده كيما يتزوجها ويعتلي العرش المصري . فناقش الملك الحيثي فحوى الرسالة مع كبار مشاوريه وأرسل خاتتوشازيتيش احد كبار موظفيه الى مصر للتأكد من صحة الامر . وفي هذا الوقت بالذات سقطت كركميش في يد الحيثيين . ورجع الموظف الحيثي من مصر بعد ان قابل ملكة مصر الارملة وجلب منها رسالة تعتب فيها على الملك الحيثي تباطؤه وعدم ثقته واكدت فيها مطالبها السابقة . فارسل شوبيليوليوما ولده زاننانزاش الى مصر الذي قتله المصريون في طريقه اليها دون شك باشارة من الكاهن وموظف البلاط الذي استحوذ على العرش بعد ذلك وتزوج من نفس الاميرة.فارسل شوبيليوليوما جيشا الى امقا اصيب افراده خلال ذلك بطاعون حمله معه الى بلده وبقي يفتك بالسكان مدة طويلة . وبعد احتلال كركميش بدأ شوبيليوليوما تنظيم شمال سورية فعين ولده بياشيليش ملكا على كركميش وتيلييبينوش على حلب مسيطرا بذلك على ممري طوروس والامانوس

وعلى اقوى دولتين في شمال سورية . وفي هذا الوقت بالذات بدأت الدولة الاشورية بالتحرك . وعهد شوبيليوليوما الى ابنه بياشيليش (الذي اتخذ الان الاسم الحوري شارري كوشوخ) حاكم كركميش بمهمة ارجاع ماتتيوازا كملك في عاصمته واششوكاني لخلق دولة حاجزة تقف بين الاشوريين وبينه . فارسل شارري كوشوخ حملة من كركميش برفقة رجال لماتتيوازا عبرت الفرات وهاجمت مدينة ارريتي irrite ثم حران باتجاه العاصمة الميتانية ولكن الحملة اصطدمت في طريقها الى الاخيرة بقوة ارسلها الملك الاشوري اشورا وباللط وملك بلاد خورري ولكنها تمكنت من دخول واششوكاني اخيرا ، واثناء هذه الحركات ثارت ارزاوا على الحيثيين . وكان جنوب ارزاوا يحميه خانوتيش حاكم البلاد السفلي وربما نمى ملك ارزاوا الجديد او خخازيتيش خليفه تارخو نداراد وعلاقة طيبة مع الاخخياوا ، وهذه اول اشارة الى الاخخياوا تصل لنا حتى الان (وربما يكونوا هم الاخخيين الذين ذكرتهم الالياذة المنسوبة الى هوميروس والذين ربما كانت منطقتهم بلاد ما يسيني اما اذا كانوا من سكان اسيا الصغرى فلا بد وان كانت منطقتهم في القسم الشمالي الغربي منها) ونعرف بان شوبيليوليوما قد نفى احد اعضاء اسرته وقيل احدى زوجاته الى بلاد الاخخياوا مما حمل البعض الى الاستنتاج بان زوجة الملك الحيثي هذه لا بد وان كانت اميرة اخخياوية حتى ينفيها الى هذه البلاد وان بلاد الاخخياوية لا بد وان كانت على علاقة طيبة مع شوبيليوليوما حتى ينفي لها احدى زوجاته حيث نعرف عن علاقة الحيثيين الطيبة مع قبرص التي نفوا لها الملك ارخي ـ تيشوب . اما ارزاوا التي تغطي معظم غرب اسيا الصغرى وتشمل الان مناطق ميراكووااليا وخباللا وبلاد نهر شيخا فكانت مستقلة عن الحيثيين زمن شوبيليوليوما ونعرف بان ملكها تارتار خولدان هذه الفترة كان يراسل الفرعون امينوفيس الثالث . ولم تنج ارزاوا من تحرشات شوبيليوليوما حيث عسكر الاخير في مدينة توونوا بمنطقة خابالللا . ولم تدم ثورة ارزاوا طويلا حيث اخمدت في وقت بقي به كوككونيش حاكم ويلوسا (شمال ارزاوا) مخلصا للحيثيين . واقنع اوخخازيتيش ملك ارزاوا حاكم مدينة ميللا واندا

للعمل على اعلان استقلاله بمساعدة الاخخياوا . ورفض ماشخو ايلوواش حاكم ميرا اقتراحا من اخوته بالثورة والتجأ عند الحيثيين حيث استقبله شوبيليوليوما بحرارة وزوجه من ابنته مورواتيش وارجعه الى عرشه مورسيليس الثاني خليفة شوبيليوليوما . وقد هرب ماناباتاتتاش حاكم بلاد نهر شيخا الى كاكريشا بحماية الحيثيين . ونعرف ان شوبيليوليوما قد ارسل الى مصر جيشا بقيادة ولي عهده ارنوواندااش للانتقام من مقتل ولده لا نعرف عن تحركاتها ونتائجها اي تفصيلات .
وقد توفي شوبيليوليوما بالطاعون الذي حمله جنوده من سورية وخلف شوبيليوليوما ابنه ارنوواندااش (١٣٤٠ - ١٣٣٩ ق.م) الذي لم يبق مدة طويلة فاتى للحكم بعده اخيه مورسيليس الثاني (١٣٣٩ - ١٣٠٦) ق. م.) الابن الثاني لشوبيليوليوما واول عمل له كان ارساله قوات الى الاراضي السفلى (البلاد التي تحمي الحدود باتجاه ارزاوا) لتعزيز مركز حاكم البلاد الجديد . وارسل قوات اضافية بقيادة نوانزاش لتعزيز مركز اخيه ملك كركميش امام الاشوريين الذين سيطروا الان على معظم الاراضي الميتانية واتخذ ملكهم لقب الملك العظيم في وقت كانت مصر لا تزال مشغولة بمشاكلها الداخلية . ووجه مورسيليس همه للقضاء على الفتن في داخل بلاد الاناضول . فقضى اولا على حركات قبائل الكاسكا ثم اتجه نحو اوخخازيتيش ملك ارزاوا الذي تحالف مع جميع مناطق دولته وقاد مورسيليس حملة دحر فيها قوات ميللاواندا التي نعرف عن تحالفها مع الاخخياوا ضد الحيثيين . ثم اندفع برفقة اخيه ملك كركميش لحرب جيوش ارزاوا التي كانت بقيادة بياما ايناراش ابن الملك اوخخازيتيش ودحرهم عند معركة الماو ودخل عاصمتهم اباشا ولما استأنف تبالازاناوليش ملك ارزاوا الجديد (خليفة اوخخازيتيش) حركاته العدائية ضد الحيثيين هاجمه مورسيليس الثاني ودحر قواته وهرب هو الى بلاد الاخخياوا . وطلب الملك الحيثي من ملك الاخخياوا تسليم ملك ارزاوا اليه مما يدل على وجود اتفاقية بين الاثنين تحوي على مادة بخصوص تسليم اللاجئين . ولما مرض مورسيليس الثاني يخبرنا نص عن استنجاد الكهنة الساهرون على مداواته بجملة ارباب منهم الهة

الاخخياوا واله لازيا لشفاء الملك العليل . ونقرأ ما يعرف بنص تاواكالاواس عن رسالة من ملك حيثي قد يكون مورسيليس الثاني موجهة الى ملك الاخخياوا وصلتنا مع الاسف ناقصة ومليئة بالتنويهات الى احداث سابقة ومهشمة مما يجعل فهمها كاملا صعبا وتذكر الرسالة عن رجل اسمه بيامارادوس من رعايا الحيثيين وموظفيهم الكبار سابقا والذي تحول الى قاطع طريق وصار يهاجم اراضي الليشيين التي يعود قسما منها الى الملك الحيثي واتخذ من مدينة ميللاواندا التابعة لملك الاخخياوا قاعدة لحركاته وانطلاقاته وكانت الرسالة لحث ملك الاخخياوا لوضع حد لهجمات بيامارادوس . ثم تذكر الرسالة اسم شخص اخر هو تاواغالاواس الذي ربما يكون من اقارب ملك الاخخياوا ومن اهالي ميللاواندا او يسكن على القرب منها . وقد طلب اهالي ليشيا (لوككا في النص) اولا العون من تاواغالاواس ولكن لما ضربت مدينة اتاريما استنجدوا بملك الحيثيين مما قد يدل على ان ليشيا كانت ارضا محايدة بين الحيثيين والاخخياوا وان تاواغالاواس قد حكم على جزء من ليشيا وطلب من الملك الحيثي الاعتراف به كتابع له . وطلب الاخير حضوره شخصيا الى بلاطه ولكن عدم كون مبعوث الملك الذي قدم اليه رئيس اركان الجيش الحيثي نفسه فقد غضب تاواغالاواس الامر الذي يدل على منزلته العالية . وبعد رجوع الامور الى نصابها في ليشيا ارسل ملك الاخخياوا رسالة الى الملك الحيثي يذكر فيها بانه قد امر نائبه اتياس في مدينة ميللاواندا (على ساحل البحر) ان يسلم اليه بيامارادوس . ولكن الملك الحيثي سرعان ما وجد ان بيامارادوس قد هرب في سفينة مما جعله يبعث بشكوى اخرى . وقد اقترح الملك الحيثي احتجاز حامل رسالة الملك الاخخياوي اليه وهو موظف ذو مركز مرموق حتى يتم تسليم بيامارادوس حيا اليه . ويظهر ان هناك الكثير من الاخخياويين في ميللاواندا كانوا يتمتعون بحرية الحركة وان المدينة نفسها تحت حكم ملك الاخخياوا . واعتقد اميل فورير بان تاواغالاواش هو ملك ايولي وطابقه مع ايتوكليس ابن انديروس ملك اورخومينوس والواقع ليس هناك خارج التشابه الجزئي بين الاسمين ما يسند هذا الافتراض .

واستسلم الى مورسيليس حكام مناطق ارزاوا الاخرين وهم تارغاشناليش حاكم خاباللا ومانا باتاتتاش حاكم منطقة نهر شيخا فثبتهما الملك الحيثي كتابعين له في مناطقهم وعقد مع كل منهما معاهدة وصلتنا نصوصها ، كما ارجع ماشخو ايلوواش (اللاجىء في بلاطه منذ عهد والده) الى ميرا . ولا بد وان احد افراد اسرة ارزاوا الحاكمة قد استسلم الى مورسيليس فارجعه كتابع له على حكم المنطقة وربما عقد معه معاهدة كما حارب قبائل الكاسكا ثانية ووجه همه في السنة السابعة الى منطقة ازري ـ هاياسا في اقصى شرق الاناضول حيث غزى جيش منهم البلاد العليا وحاصر كانوورا . وفي بداية سنة حكمه التاسعة ثارت بلاد نوخاشي وكينزا في سورية وتوفي ملك كركميش اخ الملك الحيثي الامر الذي حفز الاشوريين على مهاجمة كركميش . فقاد مورسيليس جيشا الى اشتاتا على الفرات وارسل قواده نووانزاش الى جبهة هاياساو ونجح في مهمته وايناراش الى جبهة نوخاش وكينزا على ان يلتقي هو مع جيش الاخير في حلب وكركميش . وفعلا نجحت الخطة فاخذت الثورات هذه وقتل ايتاكاما حاكم كينزا الذي ثار ووضع مورسيليس بدله ابنه أرى ـ تيشوب الذي لم يوافق والده على ثورته ضد الحيثيين ـ ثم ذهب مورسيليس الى كركميش حيث نصب ابن اخيه ملك كركميش المتوفي كما حل تالمي ـ شارروما مكان والده تيليبينوش كملك على حلب وعقد عمه الملك معاهدة كما عهد الملك الحيثي الى تجديد المعاهدة مع ملك اوغاريت الجديد نيقميبا وحوت المعاهدة الجديدة تفاصيلا بالحدود بين اوغاريت وموكيش . وبتحريض من ملك الاخخياوا ربما ثارت ارزاوا ثانية في سنة مورسيليس الثانية عشر وتورط معها ماشخو ايلوواش حاكم ميرا فادبها الملك الحيثي وعين كوباتتا ايناراش كحاكم جديد على ميرا وعقد معه معاهدة وصلتنا ويظهر ان الملك الحيثي لم يكن واثقا من اخلاص حكام الدويلات السورية حيث نراه يتبع سياسة فرق تسد لتسهل عليه الادارة . ففصل سياني عن اغاريت ووضع عليها حاكما اعترف بسيادته ربطه بملك كركميش ، وايد ابيراتتاش حاكم برغا بادعائه مدينة ياروووندا من حاكم نوخاشي علما بان الاول قد ساعده عند ثورة نوخاشي

ضده . وظل ازيرو مخلصا للحيثيين فكافأه مورسيليس بالاعتراف بولده خلفا له ثم حفيده وربما قام مورسيليس او احد قواده بحملة ضد شمال العراق . وفي الداخل نعرف عن اصطدام مورسيليس مع الملكة الام (زوجة شوبيليوليوما البابلية الاصل) واتهامه اياها بتهم عدة منها قتلها لزوجته بالسحر . وربما وقعت حملة الفرعون سيتي الاول على سورية في نهاية حكم مورسيليس الثاني .

وأتى بعده ولده مورواتاليش (١٣٠٦ ـ ١٢٨٢ ق . م .) . الذي قلت المصادر عنه وما لدينا من المعلومات تمتاز بالتحيز ضده وقد عين اخاه حاتوشيليش قائدا عاما للجيش وحاكما على اقليم البلاد العليا الهام الذي يقع فيه المركز الديني الهام شاموخا . وقد اخمد الاخير بعض الثورات عند الحدود الشمالية ولما هاجم الملك الحيثي ارزاوا كان حاتوشيليش يوجه ضرباته الى قبائل الكاسكا . ولم تعد منطقة نهر شيخا الان جزء من ارزاوا وبقيت مخلصة للحيثيين ولما توفي حاكمها ماناباتاتاش خلفه ابنه ماشتووريش الذي زوجه مورسيليس الثاني اخته . ونصب مورواتاليش الاك شاندوش حاكما على ويلوسا التي هي ضمن منطقة ارزاوا . كما نعرف بانه قد قوى حصون حاتتوشاش ونقل العاصمة بعد ذلك الى تاتتاششا التي نقل اليها ارباب الدولة والعائلة الحاكمة وعين اخاه حاتوشيليش ملكا على خاكبيش حيث يقع المركز الديني زيببالاندا مركز رب العاصفة واسهم حاتتوشيليش في الحملة السورية وتزوج من بـودو خيبا ابنة بانتيب ـ شاررى ملك لاوازانتيا .

وصمم المصريون منذ بداية السلالة التاسعة عشر على ارجاع سيطرتهم على سورية وطرد الحيثيين شمالا (حيث وصلت حدودهم عند كينزا وعمورو جنوبا) . وما ان وصل المصريون كينزا حتى نقض بنيتـا ـ شينا حاكمها اتفاقيته مع الحيثيين وسار في مسلك مصر . واذا كان الفرعون سيتي الاول (١٣١٨ ـ ١٤٠٤ ق . م .) : قد وصل كينزا (قيد ـ سا) المحصنة على نهر العاصي فان خليفته رعميسيس الثاني (١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق . م) الذي سبق ان هنأه الملك الحيثي لصعوده على العرش قد وصل في حملته الرابعة بيروتا سنة ١٣٠١ . ق . م . وجبيل

سنة ١٣٠٠ ق . م . وتقدم مرواتاليش وعسكر عند قادش (قدسا-كينزا) حيث دارت رحى المعركة الفاصلة التي ذكر تفاصيلها رعمسيس في حولياته (التي تمثل وجهة النظر المصرية دون شك) وصور احداثها على جدران المعابد التي شيدها . وكانت المعركة نصرا للحيثيين وتعقبوا المصريين المتراجعين حتى ابينا وبقيت قادش في ايدي الحيثيين كما سلمت لهم عمورو التي نصبوا عليها شابيليش بدلا من بنيتا - شينا . وجدد الملك الحيثي معاهدته مع تللمي - شارروما ملك حلب . وانتهز ادادنراري الاول الاشوري فرصة انشغال الحيثيين والمصريين في مصر فدحر شاتتوارا ملك خانيكالبات سليل ماتتيوازا واخذه اسيرا الى اشور ثم اطلق سراحه بعد ان اقسم يمين الطاعة للسلطة الاشورية . وبذلك صار نهر الفرات الحاجز بين مناطق الحيثيين والاشوريين وانتهزت قبائل الكاسكا الفرصة فقاموا بغارات على الحدود وقد توفي مرواتالليش بعد ذلك بقليل وتبعه اورخي - تيشوب الذي اتخذ عند تسلمه الملك على عادة الملوك الحيثيين الاسم مورسيليس الثالث (١٢٨٢ - ١٢٧٥ . ق . م) الذي وجد ختمه الرسمي في اوغاريت . وزاد نفوذ عمه حاتتوشيليش كثيرا خاصة بعد تحريره مدينة نريك التي بقيت مدة طويلة في ايدي قبائل الكاسكا وصار حاتتوشيليش يحمل اللقب ملك خاكبيش ونريك . واخذت مخاوف مورسيليس الثالث تتزايد من عمه فعزله اولا عن حكم البلاد العليا وحصر سلطته في خاكبيش ونريك ثم عزل منها ايضا مما ادى الى ثورة حاتتوشيليش الذي تمكن من دحر مورسيليس الثالث واخذه اسيرا من شموخا واعلانه نفسه ملكا (١٢٧٥ - ١٢٥٠ . ق . م .) وارسل رعمسيس الثاني رسالة الى الملك الحيثي الجديد تمتاز بالبرودة اجابه عنها الاخير بالمثل . وعرف حاتتوشيليش ان ملك ميرا يراسل ملك مصر مما يشكل خرقا لمعاهدته مع الحيثيين وثار واساشاتنا خليفة وابن شاتتوارا الميتاني ضد الاشوريين مما جعل ادادنراري الاول يضم كل ميتاني الى بلاد اشور ويعلن لنفسه بعدها اللقب الملك العظيم الذي اثار اتخاذه له حفيظة الملك الحيثي . وكانت رسالة الأخير الى ادادنراري الاول تحمل بين طياتها غضب الملك الحيثي على هذه

الاجراءات ودفعت بحاتتوشيليش على التقرب من الكاشيين وعقد مع الملك كادشمان تورغو معاهدة صداقة ومساعدة متبادلة . وبعد ذلك دفعته سنة ١٢٨٤ ق . م . على عقد معاهدة سلام وصداقة مع مصر . وظل الخط الذي وصل اليه شوبيليوليوما في سوريا يشكل الحد الفاصل بين مناطق النفوذ الحيثية والمصرية في سورية . واعقبت المعاهدة تبادل الرسائل بين الملوك والملكات . وفي سنة ١٢٧١ ق . م . م . تزوج رعمسيس الثاني من احدى بنات حاتتوشيليش.وفي بلاد الاناضول انشغلت الجيوش الحيثية في حرب قبائل الكاسكا وربما عقدت معاهدة بين الحيثيين ومدينة تيليورا ونصب في تاتتاشتا في الجبال الجنوبية ايناراش احد افراد الاسرة المالكة اعقبه عند موته اولمي تيشوب الذي جدد معاهدة التبعية معه . وكان لزوجته بودو خيبا مكانة مرموقة بحيث ان الوثائق الرسمية كانت تحمل اسمها مع الملك . ومن عهد حاتتوشيليش لدينا في الغالب رسالة مرسلة اليه من ملك الأخخياوا حول ارسال هدايا وتشير الى انقلاب حاتتوشيليش .

وجاء الى العرش ابنه خشمي شارروما الذي اتخذ عند اعتلائه العرش الاسم تود حيليا الرابع (١٢٥٠ ـ ١٢٢٠ ق . م .) الذي كان خلال ولايته العهد كاهنا للربة شاوشكا (عشتار الحيثية) في شاموخا . وقد تعاظمت قوة اشور الان وتربع ايني تيشوب على عرش كركميش خلفا لوالده شاخورنواش وتدل المصادر المتوفرة على علاقات له مع اوغاريت وعمورو (التي ظلت تابعة للحيثيين) ودحر الملك شلمانصر الاول الاشوري (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق . م .) . شاتتورا الميتاني وحمل الحرب الى الفرات حيث لعب ايني تيشوب ملك كركميش دورا فيها . واتخذ تود حيلياش الرابع اللقب الملك العظيم وزادت هجمات الكاسكا وحارب ارزاوا نتيجة عصيان ملكها كوبانتا ايناراش ربما بمساعدة ملك الاخخياوا . وذكرت معاهدة لهذا الملك مع ملك عمورو العبارة والملوك المساوين له بالملك كان منهم ملك الاخخياوا وتنظيم علاقة ملك عمورو مع هؤلاء الملوك بضمنهم ملك الاخخياوا . وهناك نص اخر من عهد تود حيلياش الرابع يذكر ملك الاخخياوا وعلاقته ببلاد نهر شيخا

وتنص على انسحابه وتدل على حضور ملك الاخخياوا هذا نفسه في الاناضول . واعطانا تود حيلياش الرابع قائمة طويلة باسماء المدن التي اجتاحها في كل من ارزاوا واششو . ويظهر انه وصل مناطق لم يبلغها الملوك الحيثيون من قبله . وقد غزى تود حيلياش الرابع ايضا الأيشا (جزيرة قبرص) وضمها اليه حيث ادرك الحيثيون الان اهمية هذه الجزيرة كمصدر غني بالبرونز وبالنسبة للتجارة نظرا لمرور خطوط المواصلات التي تربط مصر وسورية والبحر الايجي بها .

وعن حركات الاخخياوا فنقرأ في نص اتهام اتهم به ماددوواتتاش امير زيبالشا ـ خارياتا (في شمال غرب اسيا الصغرى) في الاشتراك في مؤامرة مع اتتارشياش ملك الاخخياوا للقيام باعمال معادية للملك الحيثي . ويبدأ النص من زمن تود حيلياش وخليفته ارنوواندااش ويوضح حلف في غرب الاناضول معاد الى الحيثيين . فقد طرد ماددوواتتاش بادىء بدء من قبل اتتارشياش ملك الاخخياوا فلجأ عند تود حيلياش ثانية في عرشه بعدها حاول ماددوواتتاش ضم بلاد ارزاوا اليه لولا وقوف الحاكم المحلي كويا ايناراش ضده . وقدم الملك الحيثي مساعدات انقذته وجهزته باعانات ضد اعتداءات اتتارشياش المتكررة عليه ولكن ماددووتتاش استمر في اعماله . وكان هدفه توحيد كل دول غرب بلاد الاناضول وتكوين حلف قوي للوقوف ضد الملك الحيثي .

والملك التالي كان ارنوواندااش الثالث (١٢٢٠ ـ ١١٩٠ ق . م .). واعلم ايبيرانو خليفة اميشتا مرو ملك اوغاريت بان عليه حسب المعاهدة ان يواجه الملك الحيثي او يرسل له على الاقل وفدا ولكنه حسب ما يظهر لم يكن مستعدا لاحترام التزاماته كتابع . ويظهر ان حلف ماددوواتتاش مع الاخخياواوارزاوا احتل خابللا ثم بيتاششا وان يهدموا الاشيا حيث اتفق ماددوواتتاش مع عدوه السابق اتتاراشياش وصار الغرب جميعه متحدا ضد الحكومة المركزية الحيثية . وانتهز الاشوريون الفرصة وعبر توكولتي ننورتا الاول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق . م .). نهر الفرات واخبرنا بانه اسر ونقل الالاف من الحيثيين من عبر الفرات الى بلاد اشور وظلت العلاقة مع مصر

زمن مارنبتاح (١٢٣٦ - ١٢٢٣ ق . م). جيدة . وتوفي ارنوواانداش دونما خلف تلاه اخاه شوبيليوليوما الثاني سنة ١١٩٠ق. م .الذي ايده ملك كركميش في سورية وبقيت اوغاريت مخلصة لالتزاماتها تجاه الحيثيين حيث لدينا وثائقا من عهد عمورابي اخر ملوك اوغاريت الذين وصلتنا من ازمانهم كتابات . وربما كانت اوغاريت المرفأ الذي انطلقت منه تحركات شوبيليوليوما الثاني البحرية ضد قبرص والتي تمكن بها من اغراق اسطولها والنزول في اراضيها . كما يظهر انه قاد حملة في شمال العراق ربما الغاية منها ايقاف التحرك الاشوري . ومن اواخر حكم هذا الملك توقفت الوثائق والنصوص الحيثية واظهر الدليل الاثاري اصابة سورية وبلاد الاناضول بنكبة حيث تدل الحفريات على ان بلاد الحيثيين قد خربت واحرقت مدنها حوالي ١٢٠٠ ق . م . ولا نعرف تفاصيل الاحداث المسببة . هل ان ماددوواتتاش واتتارشياش قد اسهما في وضع نهاية للدولة الحيثية . ولكن سبب التغيير كان بدون شك تدفق جموع اهل البحر التي طغت على العالم الايجي وشرق البحر المتوسط وتوقفت عنه مشارف مصر ولم تسلم منهم منطقة ابتداء من بلاد الحيثيين(١٦) .

لقد كانت العلاقات بين الحيثيين وبلاد الأخخياوا طيبة في البداية بحيث ان بعض اقارب الملك الحيثي قد ارسلوا الى بلاد الاخخياوا لتعلم سياقة العربات واحضرت الالهة من بلاد الاخخياوا لشفاء الملك الحيثي . ويظهر ان العلاقات بين الاثنين أخذت بالتأزم ولو انها كانت طيبة في الظاهر حتى نهاية حكم حاتتوشيليش . وبعد ذلك صار ملك الاخخياوا يتدخل شخصيا في معاداة الملك الحيثي . وكان شعب الاخخياوا حسب ما يظهر شعبا بحريا قويا تصل سفنه الى سورية وتركزت حركاتهم في اربع مناطق تحيط بالدولة الحيثية وهي (ليشيا وبلاد نهر شيخا وارض زيبالشا وقبرص) ولكن من الصعب معرفة هوية هؤلاء الاخخياويين بالضبط . والمعروف بان منذ سقوط كنوسوس في جزيرة كريت وحتى الغزوات الدورية في القرن الثاني عشر ق . م . كانت المياه الغربية في ايدي المايسينيين اليونانيين (الاخخيين عند هوميروس). وقد وجدت منتجات هؤلاء في جزر قبرص وكريت

ورودس التي وجدت في كل منها جالية مايسينية يونانية . كما تواجدوا ايضا في سورية وكليكيا وعلى طول السواحل الجنوبية والغربية لآسيا الصغرى خاصة ملاطية (مليتوس).وان اللهجة الاولية التي استعملت في بامفيليا خلال العصور المتأخرة تدل على وجود جالية اخخية في تلك المنطقة مما حدى بفورير ان يطابق الاخخياوا مع الاخخيين ولان يعين موقع ميلاوندا عند ميلياس في بامفيليا علما بأن اراء فوريـر لم تحظ برضى الكثيرين . واستمرت علاقة الاخخيين مع الحيثيين لما يقارب القرنين من الزمان(١٧) .

٤ ـ **الفترة المظلمة** (١١٨٠ ـ ٨٠٠ ق . م .) وقد توقفت المصادر المدونة من حاتتوشاش حوالي سنة ١١٨٠ ق . م . والذي يتفق مع افتراض سقوط هذه المدينة ضحية هجمات اهل البحر وربما كانوا من التراقيين . ولنا ان نعرف بان وجود التراقيين قد صار ملحوظا في الطبقة السابعة ب ٢ من موقع طروادة بكثرة الفخار المميز لهم منذ هذا الوقت . ويخبرنا تجلات بلاصر الاشوري (١١١٢ ـ ١٠٧٤ ق . م .) عن حربه ضد الموشكي الذين ظهروا على حدود اشور الشمالية في منطقة دجلة العليا بحوالي خمسين سنة قبل بدء حكمه . وبذلك فان هؤلاء الموشكي (ربما المويسيين من سكنة جنوب شرق اوربا) والكثير من القبائل البلقانية قد تقدمت صوب الحدود الاشورية منذ حوالي سنة ١١٧٠ ق . م . بعد احتلالهم لطروادة وحاتتوشاش . وتتفق المصادر المصرية مع هذه التواريخ ايضا فقد استعمل رعمسيس الثالث (١٢٠٠ ـ ١١٦٨ ق . م) الاسم اهل البحر او سكان الجزر . واخبرنا بانهم قد خربوا ارزاوا وكركميش مما يتفق والحوليات الاشورية لان كركميش تقع في اعالي الفرات ليست بعيدا عن الحدود الاشورية . وبذلك يظهر من كلمة اهل الجزر وسكان البحر بالمصادر المصرية ان قبائلا من تراقيا وجنوب شرق اوربا وجموعا من الجزر والبحر قد اشتركت في هذه الهجرة الجماعية وكانت من هذه الهجرة الموجة الدورية الى بلاد اليونان . وكانت نتيجة هذا الهجوم تخريب المراكز الحضرية في اسيا الصغرى بكل قوة وعنف بحيث ان عصرا مظلما قد حل وامتد لقرنين من

الزمان في غرب الاناضول وما يقارب الاربعة قرون في بقية اسيا الصغرى . ومن ١١٨٠ حتى حوالي ٨٠٠ ق . م . سكنت اسيا الصغرى بصورة جزئية وصارت القبائل الرحالة تجوب المنطقة وكانت الهجمات من العنف والقسوة بحيث اختفت التقاليد الحيثية تماما حتى من مراكزها الحضارية الاولى . ولم تظهر اية مستقرات مدنية في وسط بلاد الاناضول وموطن الحيثيين حتى ظهور الدولة الفريجية .[١٨] .

٥ ـ **عصر الممالك الحيثية الجديدة** : (العصر الحيثي الجديد ، عصر الدويلات السورية الحيثية ، العصر الحيثي المتأخر) : وقد استمرت الحضارة الحيثية في المناطق الجنوبية الشرقية من المقاطعات التي كانت تابعة للامبراطورية الحيثية المنقرضة لمدة تقرب من خمسة قرون.وفي الوقت الذي يطلق هؤلاء في كتاباتهم التسمية حيثيون على انفسهم ظلت الوثائق الاشورية تطلق على سورية ومنطقة طوروس التسمية ارض حاتي الى جانب اطلاق العهد القديم على ملوك الدويلات السورية التسمية ملوك الحيثيين[١٩] .

ونحت الكثير من هؤلاء الملوك في الصخور منحوتات حملت كتاباتهم مدونة باللغة الهيروغليفية الحيثية . وربما نزحت الى هذه المناطق من احدى المقاطعات الحيثية السابقة (ربما كزواتنا) جماعة ذات حضارة حيثية . فقد ظهرت في جبال طوروس والحافة الجنوبية من اواسط هضبة الاناضول دويلات عدة مثل توwانا TAWANA (تيانا الكلاسيكية) وتوننا (تيننا الكلاسيكية) وخوبيسنا (كيبيسترا الكلاسيكية) وشينوختووايستوندا . والى الشمال الشرقي منها كانت دويلات حلف تابال (توبال بالعهد القديم) التي يكون جبل الله داغ حدها الغربي الذي يسد مدخل المضيق الكبير الى الابواب الكليكية ويسيطر على المضيق الذاهب الى سورية بطريق مرعش وحوت على منحوتات حيثية قليلة . كما ظهرت هناك دويلات صغيرة امثال ميليد (ميليتين ـ ملاطية) في منطقة كوماني التي حملت تقاليد خانيكلبات وغزتها الجيوش الاشورية عدة مرات منذ زمن اشور او بالليط الثاني وكان لها ملوكا

ذوي اسماء شبيهة بالحيثية منذ حوالي ١٠٠٠ ق . م . مثل لاللا ، سالامال وتارخونازي . وكانت هذه الدويلة تمتد من الفرات حتى سلسلة انتي طوروس الرئيسية وتسيطر على مضيقين في جبال طوروس يتشعبان عند موعش مرقسي (مرعش) في مناطق كوركوم . والى جنوب ملاطية هناك منطقة كوموخي (كوماغين الكلاسيكية) تمتد من الفرات والى الجنوب منها مملكة كركميش . وبين الاخيرة وكوركوم هناك مملكة ارباد التي تقع الى الغرب منها حتى خليج الاسكندرونة مملكة ياعديا (صمعل بعدئذ) عند موقع زنجرلي . وفي نهاية الفترة ظهرت عندنا التسمية او نقي (سهل عمق) الذي سمي في البداية خاتتينا بعاصمة عند كينالوا (كالنة في العهد القديم) والى الشرق من الفرات هناك ملكة عند بيت بارسيب (تل احمر) الى الجنوب من كركميش على الفرات . ومعظم هذه الدويلات جديدة (عدا كركميش وحلب والثلاث مدن لمنطقة تيانيتيس (تووانا‌وا الحثيثة وتوننا وخوبيسنا) . وغالبية معلوماتنا عن هؤلاء اتتنا من الحوليات الاشورية لان اللغة الهيروغليفية الحيثية لم تحل بعد رموزها .

فالى الشمال من مدينة حمات (حما على نهر العاصي) تقع خاتتينا التي يدل اسمها واسم ملكها من القرن التاسع ق . م . تارخولارا على علاقات حيثية ولكن ادلتنا القليلة جدا عن كون أي جزء من شمال سورية كان حيثيا . ومنذ بداية القرن الرابع عشر ق . م . لا نجد في الوثائق الحيثية والنصوص المصرية ما يقترح كون المنطقة جنوب جبال طوروس قد سكنتها جماعات حيثية او ذوي قرابة بالحيثيين الى جانب كون غالبية دويلات المدن في الشمال والوسط لم يحكمها امراء حيثيون . ويظهر ان موجة جزرية (سامية) قد هاجرت الى هذه المنطقة ربما منذ القرن الحادي عشر ق . م . او بعد ذلك نتيجة ضغط العموريين . ويظهر الدليل الاثاري في شمال العراق حضارة لفترة من الزمن وربما من وقت مبكر مقارب لعصر ياعديا حيث وجدت في موقع تل حلف منحوتات تظهر نماذج بشرية واساليب عمل مماثلة الى نحوت زنجرلي الأولى وفي نفس المواضع تقريبا اضافة الى منحوتات حيثية متوزعة

على طول ضفة الفرات اليسرى من بيرة جك الى نهر البالبخ والى الداخل حتى سروج . وهذه الحضارة مشابهة لتلك التي ازدهرت في كركميش بعد سنة ١٢٠٠ ق . م . وهذا دون شك من انتاج عناصر قدمت من جنوب كبادوكية او كبادوكية الحيثية . وبعد ذلك اختلطت بهم موجة جزرية (سامية) والاخيرين هم الاراميون الذين طغوا على شمال غرب العراق قبل القرن الثاني عشر ق . م . وعبروا الفرات وسكنوا جزء من سورية من شمال كركميش حتى جبال الامانوس . وفي حوالي نهاية القرن الحادي عشر ق . م . طغوا على مدينة بيترو جنوب كركميش . وترجع لهؤلاء قسم من المنحوتات الحيثية المتأخرة سواء في شمال غرب العراق او في بعض مقاطعات سورية الشمالية . والى الشمال تحت سلسلة طوروس تقع دولة كوركوم (كامكوم) المستقلة التي اخبرنا سرجون الثاني الاشوري بعد قرن من الزمان عن امراء لهم ذوي اسماء مماثلة لاسماء الحيثيين امثال تارخولاراوموتتاللو . ثم دويلة تونيب حالمان (حلب) اللواتي ربما كانتا تابعتين الى ارفاد (الى الشمال من حلب بمنطقة كيلليس) . وهناك ايضا الدويلات في جنوب كبادوكية التي تظهر شخصيتها الحيثية في المنحوتات المتعددة التي ترجع الى العصر الذي تلى العصر الحيثي والتي تمتد من جنوب ليكاونيا عبرانتي طوروس الى ميليتين . وليس هناك اي الى الشمال من منطقة مازاكا ـ قيصري عند نهر الهاليس (ارانداس الحيثية) الاوسط .

وأول الملوك الآشوريين الذين وصلوا الفرات كان تجلات بلاصر الاول الذي وجد في ميليد حوالي سنة ١١١٠ ق . م . مملكة سماها خاتي الكبرى ثم سار حتى البحر المتوسط وعند عودته استلم الجزية من ملك اخر من ملوك حاتي لا بد وان كان ملك كركميش . ونعرف بأنه خلال ضعف الاشوريين قدمت الكثير من القبائل الارامية من الشرق اواسست ممالكا وسلالات في سورية . وطغى الآراميون على السلالات الحيثية في تل بارسيب (سميت بيت أديني) وارفاد (سميت بيت اغوسي) وياعديا (سميت صمعل او بيت جبار) ويصعب معرفة تاريخ كليكيا حتى اكتشاف كتابات قرة الثنائية اللغة (الحيثية والفينيقية) التي دونها الملك اسيتا واندا

تابع ملك اطنة . وفي النسخة الفينيقية لم يكتب ملك اطنة عنوانه كذلك (كما دونه بالنسخة الفينيقية) بل ملك الدانونيين الذي نعرفهم من بين جماعات اهل البحر ومعنى ذلك انه كانت هناك خلال القرن الثامن ق . م . مملكة في كليكيا عاصمتها اطنة (اتانيا بالحيثية) تضم اكثر سهل كليكيا . واطلقت الكتابات الاشورية منذ زمن شلمانصر الثالث على كليكيا الاسم كوي .

وقد غزت الجيوش الاشورية منطقة كومـاني مرتين في عهد ادادراري الثاني (٩١٢ ـ ٨٩١ ق . م .) واستمرت على عهد خليفته توكولتي ننورتا الثاني (٨٩١ ـ ٨٨٤ ق . م) ونعرف بان اشور ناصر بال (٨٨٤ ـ ٨٥٩ ق . م .) قد حارب الرؤساء الاراميين لسبع سنوات في منطقة تمتد من الخابور حتى جبال طوروس . وهاجم بيت اديني وقدمت كركميش له الجزية وسمحت لجيوشه بعبور الفرات الى سورية وفي عهد خليفته شلمانصر الثالث عبرت الجيوش الاشورية الفرات الى الشمال من كركميش فواجهت جيوش كركميش وخاتتينا وبيت أديني وصمعل التي هزمتها وعاد شمال سورية ثانية الى الحظيرة الاشورية . وفي السنة الثالثة من حكمه هاجمت الجيوش الاشورية كركميش ودخلتها. ويظهر ان انكسار هذا الملك في موقعه قرقر على العاصي قد اثر سلبيا على الموقف الاشوري . وفي سنة ٨٠٤ ق . م . قام ادادا نراري الثالث بحملات على العاصي بمعاونة زاكير (الذي استحوذ قبل سنوات على حمات) ادعى نتيجتها سيطرته على كل خاتتي وعمورو وفلسطين . ووقعت الدويلات السورية الارامية تحت تأثير دولة ارارات وملوكها امثال ارغيستيس الاول وساردور الثاني . ولم ترق الحالة هذه ملوك اشور في عصرها الذي اخضع ملكها تجلات بلاصر الثالث (٧٤٧ ـ ٧٢٤ ق . م .) ارفاد سنة ٧٤٠ ق . م . وهزم حلفا من ١٩ دويلة واحتل قلعة كولاني قرب صمعل التابعة لعزارية ملك شمال غرب سورية ولم تنقطع المساعدات التي قدمها ساردور الثاني ملك ارارات الذي هرب على فرسة وسط المعركة . واول دويلة حيثية صارت مقاطعة اشورية كانت اونقي (سهل انطاكية) حيث كان يحكم توتامو . كما اخضع صمعل التي

كانت ذات اهمية كبيرة آنذاك لانها محل التقاء طريقين الاول قادم من مرعش جنوبا ووادي العاصي والاخر من الفرات عبر كليكيا وممرات الامانوس . واستسلم له ملكها برركب ابن بنمو . واتبع خلفاء تجلات بلاصر الثالث سياسته فالحقت صمعل وكوى زمن شلمانصر الخامس سنة ٧٢٤ ثم حمات زمن سرجون الثاني الاشوري سنة ٧٢٠ ق . م . وكركميش سنة ٧١٧ ق . م . وتابال سنة ٧١٣ ق . م . وكوركوم ربما سنة ٧١١ ق . م . وكوموخي (التي اتحدت مع ميليد) سنة ٧٠٩ ق . م .[٢٠] .

1. Leonard Cottrell, ed., The Concise Encyclopaedia of Archiaeology, (New York, 1964), p. 219.

2. Will Durant, Our Oriental Heritage, (Philadelphia, 1935), p. 236.

3. Jacquetta Hawkes and Sir Leonard Woolley, History of Mankind, (New York, 1963), p. 376.

4. Ibid, 409.

5. Ibid, p. 376.

6. Ibid, p. 386.

7. Ekrem Akurgal, Op. Cit., p. 7.

8. Maurice Vieyra, Hittite Art, (London, 1955), p. 22.

9. O. R. Gurney, Anatolia C. 1750-1600 B.C., CAH, (Cambridge, 1965), p. 6.

10. Alp Sedat, Jahrbuch fuer Kleinasiatische Forschung, Vol. 1, (1950), pp. 125.

11. E. H. Sturtevant and G. Bechtel, A Hittite Chrastomathy, (Philadelphia, 1935), p. 183 ff.

12. R. S. Hardy, The Old Hittile Kingdom, American Journal of Semitic Language and Literature, AJSL, Vol. 58 (1941), pp. 177 ff.

13. O. R. Gurney, Anatolia, C. 1600-1380 B.C., CAH, (Cambridge, 1966), pp. 3-26.

14. A Goetze, The Struggle, Anatolia from Shuppiliuliuma to the Egyptian War of Muwatallish, CAH, (Cambridge, 1965), pp. 25-37.

15 A. Goetze, Analotia from Shuppiliuliuma to the Egyptian war of Muwatallish, CAH, (Cambridge, 1965;. pp. 25-37.

16. A. Goetze, The Hittites and Syria, CAH, (Cambridge, 1965), pp. 40-54.

17. O. R. Gurney, the Hittites, (Baltimore, 1954), pp. 46 ff.; E. O. Forrer, Vorhomerische Griechen in den Keilschrifttexten von Boghazkoi, Metteilungen der Deutschen Orient Gesellschaft, Vol. 63 (1924).

18. Akurgal, Op. Cit., pp. 12-13.

19. 2 Kings 7:6; 2 Chron. 1:17.

20. Gurney, The Hittites, Op. Cit., pp. 39-46; D. G. Hogarth, The Hittites of Syria, CAH, ed. J. B. Bury and others, Vol. III, (Cambirdge, 1960), pp. 132-142.

12. R. S. Hardy, The Old Hittite Kingdom, American Journal of Semitic Language and Literature, AJSL, Vol. 58 (1941), pp. 177 ff.

13. O. R. Gurney, Anatolia, C. 1600-1380 B.C., CAH, (Cambridge, 1965), pp. 3-26.

14. A. Goetze, The Struggle, Anatolia from Shuppiluliuma to the Egyptian War of Muwatallish, CAH, (Cambridge, 1965), pp. 38-[illegible].

15. A. Goetze, Anatolia from Shuppiluliuma to the Egyptian War of Muwatallish, CAH, (Cambridge, 1965), pp. 25-[illegible].

16. A. Goetze, The Hittites and Syria, CAH, (Cambridge, 1965), pp. [illegible]-54

17. O. R. Gurney, the Hittites, (Baltimore, 1954), pp. 46 ff.; E. O. Forrer, Vorhomerische Griechen in den Keilschrifttexten von Boghazkoi, Mitteilungen der Deutschen Orient Gesellschaft, Vol. 63 (1924).

18. Akurgal, Op. Cit., pp. 12-13.

19. 2 Kings 7:6; 2 Chron. 1:17.

20. Gurney, The Hittites, Op. Cit., pp. [illegible]-46; D. G. Hogarth, The Hittites of Syria, CAH, ed. J. B. Bury and others, Vol. III, (Cambridge, 1960), pp. 132-142.

الفصل الثالث

المبحث الثاني

طروادة

لقد تعرضنا في اعلاه الى تاريخ طروادة التي اسمتها الالياذة ايليوس او ايليون واحيانا (تروية) حتى نهاية المدينة التي تتمثل في طبقة المدينة الاثارية الخامسة . وكانت حضارة المدينة عند الطبقة السادسة قائمة بذاتها ببدع عدة في كل ميادين النشاط البشري مما يدل على دخول موجة بشرية جديدة ذات مدنية متميزة مختلفة عن حضارات الطبقات السابقة للمدينة . ومن الصعب معرفة المكان الذي قدمت منه هذه الموجة وربما يكونوا هم انفسهم الذين قضوا على حضارة العصر الهيلادي الاولي في بلاد اليونان واسسوا حضارة العصر الهيلادي الاوسط.وبرز سكان طروادة عند مدينة الطبقة السادسة في حقل العمارة حيث شيدوا ثلاثة اسوار متتابعة كل واحد يفوق الذي سبقه في الحجم والفخامة . وكان السور الثالث بحيط قدره ستمائة ياردة تحيط به قلعة طولها ٢٢٥ ياردة ذات اربع بوابات على الاقل . وشيد الداخل على شكل طبقات متتابعة تصل حتى قمة التل حيث كان القصر الملكي . اما الطبقات السفلية فقد شيدت فيها البيوت المنفردة حيث كانت تسكن حاشية الملك . . وامتازت البنايات بالاعمدة الخشبية المستندة على قواعد صخرية . اما الميزة الاخرى فكانت في المقبرة التي اكتشفت فيها حوالي المائتين جرة دفن حوت على عظام الكبار المحروقة والاطفال غير المحروقة . وتعود المحرقة التي احرقت بها الموتى والتي تقع خارج القلعة الى نهاية مدينة طروادة السادسة مما يدل على ممارسة السكان لحرق الموتى منذ بداية القرن الثالث عشر ق . م . على الاقل وهذا ما نجد صداه في الالياذة

كعادة مارسها الطرواديون . وقد عثر على القليل من المعادن ولكن الحلي والادوات المصنوعة من الذهب والالكتروم والفضة والبرونز موجودة على درجة رفيعة من اتقان الصنع الى جانب بعض الادوات الحجرية وتلك المصنوعة من العاج والعظام المستوردة من المراكز المايسنية (المايكينية) وبعضها معمولا دون شك في طروادة نفسها . كما ظهرت اوعية المينا الرمادية (Gray Minyan Ware) (كتقليد الى لون الفضة) وكان هذا النوع من الفخار احادي اللون ازرق ـ رمادي والذي شاع في الطبقة السادسة والذي نعرف بانه كان من ميزات الجماعات التي غزت بلاد اليونان في وقت ليس ببعيد عن تأسيس المدينة السادسة هذه في طروادة وهناك دلائل مادية كثيرة تشير الى علاقة مع المنطقة الايجية ومن هذه على سبيل المثال الاوعية المطرزة باشكال الحصران .

كما عثر على الاوعية المايسينية من العصر الهيلادي المتأخر الاول والثاني والثالث وكذلك الاوعية القرصية الملونة جزئيا بالابيض . وقد ارجعت مدينة الطبقة السادسة لطروادة هذه الى الفترة بين ١٨٠٠ ـ ١٢٧٥ ق . م . ولنا ان نعرف بأن الطبقة السادسة بدورها قد قسمت الى ثمانية طبقات فرعية . وقد انتهت الطبقة الاخيرة بعنف خربت على اثره الاسوار وغالبية البيوت الضخمة الواسعة داخل القلعة . وربما كانت المدينة قد انتهت نتيجة زلزال عنيف حيث لا يوجد اثر لحرق او تخريب[1] . واذا تفحصنا سور هذه الطبقة نراه يتألف من ستة اقسام مرتبطة بخمس بوابات . فالقسم الاول منها يتألف من برج فخم ١٨×٨ مترا في وسطه حوض يحيط ببئر عمقها ثمانية امتار كانت تستخدم اثناء الحصار . . وطول القسم الثاني من السور ٤١/٥ مترا وسمكه ٤/٥ مترا مقسما الى خمسة اقسام بواسطة اربعة نتوئات عمودية تبرز ١٠ ـ ١٥ سم عن السور وطول القسم الثالث ٩٠ مترا والرابع ١٢١ مترا . . الخ . وسور المدينة السادسة بصورة عامة صغيرا . وقد شيدت القصور والبنايات المهمة لهذه الطبقة على قمة التل وهدمت خلال العصر الهيليني من اجل فسح المجال لبناء معبد الربة اثينا الذي وسع كثيرا خلال العصر الروماني . وقد نقب

شليمان في الاقسام التي لم تمسها التعميرات هذه . ومن البيوت الهامة لهذه الطبقة البناية التي يطلق عليها الاثاريون الاسم ببيت العمود وكانت على شكل شبه منحرف ابعاده ١٢٦×١٢ مترا وحوى على قاعة عند المدخل الى الشرق مع غرفة كبيرة في الوسط وثلاثة غرف رئيسية الى الخلف . ولا يزال احد الاعمدة التي تسند السقف في مكانه وهناك بيت فيه جدران اقل سمكا مشيد من الحجارة الصغيرة ومن بنايات هذه الطبقة المسمى ببيت انتا نسبة الى نوع الحجر المشيد منه وقد عثر في هذا البيت على الكثير من عظام الحيوانات والقطع المحروقة . وربما كانت هذه البناية مزارا تحرق بها النذور المقدمة الى الرب او الارباب التي كرست لها . وربما كان المتعبدون يقدمون نذورهم في البناية المجاورة للبوابة الرئيسية عند بدئهم بسفر أو ذهابهم لحرب او نزال لأن الصخور القائمة المثبتة في اسس قوية (المشابهة الى صخور المنهير) امام الجدار الجنوبي للبرج عند مدخل البوابة لا بد وان تكون صخورا مرتبطة بطقس ديني . وغالبية البيوت ذات شكل شبه منحرف الى جانب كون واجهات البيوت التي تطل على المدينة اضيق من تلك التي تواجه سور البلدة . وقد عثر منذ بداية سكن الطبقة السادسة هذه على عظام خيول كثيرة . وهذا يشكل صلة بين اليونانيين والطرواديين لأن الحصان قد ادخل الى بلاد اليونان في الغالب من قبل الغزاة اليونانيين فغزاة طروادة كانت لديهم الخيول(٢) .

ومدينة الطبقة السابعة في طروادة قد قسمها الاثاريون الى طبقتين فرعيتين متميزتين (أ) و (ب) على التوالي . فالطبقة السابعة أ (١٢٧٥ - ١٢٤٠ ق . م .) لا تظهر اي تبدل في الحضارة عن مدنية الطبقة السادسة حيث استمر وجود اوعية المينا الرمادية والاوعية السمراء الضاربة الى الصفرة Tan. ويعتقد المنقبون الأمريكان لطروادة بأن هذه الطبقة هي نفسها مدينة الملك بريام (فريام ، برياموس) والايليون التي تعكسها الالياذة . ولو ان هناك من يعتقد انها مدينة الطبقة السادسة . فبنايات الطبقة السادسة ذات نوعية أردأ من السابقة كما تغيرت بها معالم البلدة العمارية وربما ادى الزلزال الذي هدم المدينة السابقة الى هجرة العائلة المالكة

والنبلاء والاثرياء عن القلعة وتحرك الطبقات الدنيا لتحل محلها . وربما تكون مدينة الطبقة السادسة هي التي هدمها الاخخيون حيث انهم استغلوا الزلزال الذي هدم الطبقة السابعة فدخلوا بعد مدة وهدموا مدينة الطبقة السابعة حيث المدينة السابعة الاولى المعروفة بالسابعة أ قد خربت حرقا ، ورغم هذه النكبة فان سكان طروادة قد عادوا لها وعمروها مجددا (الطبقة السابعة ب) (١٢٤٠ - ١١٩٠ق.م.) وشيدوا بيوتها وعمروا اسوارها.واستمرت المدينة بحياتها المزدهرة دون توقف ولكن في الوجه التالي من نفس الطبقة السابعة ب (المعروف باسم الطبقة السابعة ب الثانية) حدث تغير في الحضارة حيث ظهرت الان ما تسمى بالاوعية ذات العقد والذي اخذ يعم من الان فصاعدا في جميع اقطار شبه جزيرة البلقان . وكانت هذه الاوعية ذات مظهر رمادي بنتوئات شبيهة بالقرون تغطي سطحها واياديها باشكال الزوايا . كما طرأت تغيرات في فن بناء الجدران حيث قويت الصفوف السفلى من الجدران باستعمال كتل صخرية بصورة عمودية . وربما دخلت جماعات بلقانية الاصل في الوجه الثاني من الطبقة السابعة ب بصورة سلمية وربما لعبت دورا في اسقاط حاتوشاش حوالي سنة ١١٨٠ ق . م. والذين حاربوا الملك الاشوري تجلات بلاصر الاول حوالي سنة ١١٦٥ ق . م . تحت اسم جماعات موشكي ثم خربوا ارزاوا وكركميش واصطدموا بعد ذلك برعمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٧٦ ق . م .).

وبيوت الطبقة السابعة أ كثيرة وصغيرة متلاصقة مع بعضها ذات جدران مشتركة ملئت حسب ما يظهر المنطقة داخل التحصينات وحوت كل دار على جرار خزن يتراوح عددها من ١ - ١٠ ويصل احيانا العشرين دفنت عميقا داخل الارض وغطيت افواهها بقطعة حجرية بارزة الى ١ - ٢ انج فوق سطح الارض . وقلت المستوردات المايسينية بصورة ملحوظة منذ الطبقة السادسة كما قلت العلاقة مع العالم الايجي ولم يعثر ايضا على اي اثار مستوردة من اواسط بلاد الاناضول.ومن الصعب معرفة الوقت الذي خرب به الاخخيون طروادة وقدمت تواريخ متباينة ففي القديم اوضح ايراتوسثينيس انه حصل في سنة ١١٨٤ ق . م . ووضعته مصادر يونانية قديمة

في ٥ حزيران سنة ١٢٠٩[٤] ق . م . في الوقت الذي تشير به الادلة الاثارية الى احتمال كون ذلك حوالي سنة ١٢٥٠ ق . م . وقد ازدادت الاوعية المايسنية المستوردة في الطبقة السابعة ب الاولى كما ان الادوات الصغيرة من الطبقة السابعة ب الثانية في طروادة تدل على انفصام مع الطبقة السابقة وعثر بها على اوعية مايسينية مستوردة[٥] .

اما مدينة طروادة عند الطبقة الثامنة فترجع الى حوالي القرن السابع ق . م . وان البقايا الهيلينية الاولى المسماة بالمنطقة المقدسة العليا تقع تحت المزار ويقع المذبح في وسط هذه المنطقة . ويقع الجدار الشمالي الشرقي لهذه المنطقة المقدسة امام وبموازاة سور مدينة الطبقة السادسة . وهناك مذبح اخر يقع الى الغرب من المزار المتوسط الموقع مربع الخطة يعود لعصر الامبراطور اوغوسطوس من الفترة الرومانية . وفي المجال المقدس جنوب الصحن المقدس الاعلى المعروف باسم المنطقة السفلى هناك مذبحان شيدا في العصر الهليني ولا نعرف الارباب التي كرست لها هذه المناطق المقدسة . وان اهم البنايات التي شيدت في العصر الهليني بطروادة كان معبد الربة اثينا المعروف باسم باللاد يوم وهو المزار الذي اخبرنا هيرودتس بأن الملك الفارسي قد ضحى به الف ثور الى الربة وكذلك الاسكندر الكبير بعد انتصاره في موقعة كرانيكوس باسيا الصغرى.ويخبرنا سترابون (١٣ : ٥٩٣) بان ليسيما خوس بعد وفاة الاسكندر المقدوني قد ابتنى معبا ضخما لاثينا تنفيذا لوعد قطعة الاسكندر على نفسه ولم يتمكن على ادائه نظرا لوفاته المبكرة الغير متوقعة.وتعود مدينة الطبقة التاسعة الى العصر الروماني.وقد اهتم الرومان اهتماما كبيرا بمدينة طروادة حيث هناك اسطورة تذكر بان ايلوس (لولوس) ابن البطل الطروادي اينياس ابن افروديت والذي هرب بعد سقوط طروادة هو الذي اسس البالونكا المدينة الام لروما . فقد وسع الامبراطور اوغوسطوس صحن معبد الربة اثينا وامر ببناء بنايات اخرى لتغطية المنطقة واحيط المعبد من جهاته الاربع بصفوف من الاعمدة طول كل منها ثمانون مترا . ومن العصر الروماني ايضا هناك المسرح الذي شيد نصفه فوق سور المدينة الى

الشرق من مدخل مدينة الطبقة السادسة الرئيسي وكذلك المسرح الثاني ثم مبنى الاجتماعات العامة الذي يقع فوق سور المدينة(٦) . واذا اتينا الى النصوص المدونة الخاصة بتاريخ طروادة فنرى غالبيتها العظمى تقع ضمن حدود الاساطير . فتذكر لنا الاساطير اليونانية ان اول ملك لطروادة كان تيوكروس (تيوكر) ولهذا السبب اطلق على سكان طروادة اسم التيوكريين . وارتقى بعد على العرش زوج ابنته واسمه دردانوس ونسبة اليه صار الطرواديون يسمون ايضا ابناء دردانوس . وخلفه ابنه اريختونيوس الذي جاء بعده ابنه تروس (الذي سميت منطقة طروادة باسمه) وقد انجب هذا ثلاثة ابناء اكبرهم سنا ايلوس الذي ازدهرت طروادة في عهده . وخلفه لائوميدون الذي امر بتشييد اسوار طروادة الدفاعية وهو والد بريام الذي قامت في اواخر عهده الحرب الطروادية الشهيرة التي خلدتها الالياذة (قصة ايليوس) .

وتذكر لنا الالياذة والاساطير والاخبار الخاصة بحرب طروادة (التي دارت بين اليونانيين الذين نسميهم تارة الاخيين وتارة اخرى الارجيين ومرة الدناويين) ربما حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م. او قبل ذلك او بعد ذلك بقليل انها قد اندلعت بسبب هيلين زوجة مينيليوس ملك اسبارطة التي اختطفها باريس بن بريام ملك طروادة ، وحملها الى عاصمة ابيه . وتقدم لنا الالياذة قصة الاسابيع السبعة الاخيرة من هذه الحرب التي استمرت عشر سنوات والتي اشتركت بها (حسب قول الاساطير) الارباب كل الى جانب من جوانب المحاربين.وان نهاية الحرب غير مذكورة في الالياذة التي تقف عند مصرع هكتور ابن بريام ملك طروادة على يد اخيل (اكيلليس) بل نجدها في القصص والاساطير اليونانية ـ الرومانية الاخرى امثال اينيادة فرجيل الشاعر الروماني وقصائد الحلقة الملحمية وغيرها (انظر ادناه والتي روت لنا اخبار الحصان الخشبي وسقوط طروادة واحراقها ومقتل عائلتها المالكة او اسرهم ونجاح اينياس واولاده في الهرب غربا). فاسوار طروادة المنيعة كما تذكر الاساطير هي من بناء الالهين ابولو وبوسايدون استجابة لنداء الملك لائوميدون والد بريام ، ولكن ما ان

انجزاها حتى رفض ملك طروادة هذا اعطائهم الاجر فارسلا على مدينته وباء الطاعون ولاجل رفع هذا الداء استشار لائوميدون وحي الارباب الذي ارشده الى وجوب تقديم فتاة بكر كل عام كفدية الى وحش يخرج من البحر استرضاء للارباب . وفعلا (كما تذكر الاسطورة) استمر الملك على تقديم هذه الضحية كل عام حتى جاءت القرعة على ابنته هيسيوني . وفي وسط حزن العائلة المالكة على تقديم ابنتهم لوحش البحر مر هركليس الذي كان راجعا من حربه للامازونات (اللواتي تذكر الاساطير سكناهن آسيا الصغرى) على موقع طروادة فشهد المنظر ورق لحال الملك فساومه على انقاذ ابنته بقتل الوحش البحري مقابل تسليمه الجياد الخالدة التي سبق للرب زووس ان اهداها الى لائوميدون هذا تعويضا له عن ولده جانيميديس الذي وقع زووس في حبه فاختطفه.وفعلا تم الاتفاق وقتل هركليس الوحش ولكن لائوميدون حنث بوعده الامر الذي دفع هركليس ومن معه الى قتل ملك طروادة وسبى عائلته فصارت هيسيوني من نصيب تيلامون احد زملاء هركليس التي انجبت منه تيوكروس التي تصف الالياذة حربه الى جانب اليونانيين خلال حرب طروادة واجلس هركليس ابنا اخر الى لائوميدون وهوبريام على عرش والده وكان لبريام تسعة عشر ولدا من زوجته هيكابي فقط أحبهم إليه منهم هكتور . وتذهب الاسطورة الى ان هيكابي رأت اثناء حملها بولدها باريس حلما مزعجا فسره العرافون لها بانها حامل بولد سوف يجلب الويل والثبور على طروادة . وما ان ولد باريس حتى عمل والداه على التخلص منه بأن أعطياه الى عبد لهم أمروه بأن يحمله بعيدا ونقله أو يتركه في الخلاء لتأكله الوحوش والنسور . ولكن العبد لم يقتله بل تركه عاريا في البرية . وقد قيضت الظروف أن ترسل اليه راع أنقذه واخذه لبيته ورباه وعلمه الرعي واتقن معرفة الاعشاب الطبية التي تشفى العلل والجروح وفي شبابه احبته حورية البحر اوينوني وحصل على اللقب الاسكندر ومعناه حامي الرجال.وتذكر اسطورة كيف ان البطل اليوناني بيليوس ملك الميرميدونيين في منطقة ثيساليا قد تزوج من الربة تيثيس وكانت ثمرة زواجها هذا آخيل . وخلال حفلة زواج بيليوس رمت

الربة ايريس (التي لم تكن مدعوة الى الحفلة) بتفاحة ذهبية مدونة عليها العبارة (الى اجملهن) فحدثت الخصومة حولها بين ربات ثلاث هن هيرا واثينا وافروديت ، واخيرا اخبرهن زووس بانه وكل حل المعضلة الى اجمل رجل في الارض . ولما استفسرن عمن يكن هذا فقال لهن انه باريس ابن بريام ملك طروادة . فارسل زووس رسوله هيرميس مع الربات الثلاثة المختصمات الى سفوح جبل ايدا حيث يرعى باريس الغنم . واستعدت الالهات للاختبار وغسلن اجسامهن بنهر سكامندوروس الذي تقع عليه طروادة والمعروف باسم نهر خانثوس (الاصفر) وتعطرن واعطت كل ربة الى باريس اثناء المقابلة وعدا ان هو اختارها.فوعدته هيرا بملك اسيا ووعدته اثينا بالنصر والمجد وافروديت بالزواج من اجمل امرأة في الارض . واعطى باريس التفاحة اخيرا الى افروديت . وقيل ان الاخيرة اسبغت على باريس جاذبية تدفع اليه كل فتاة.وقد دخل باريس طروادة وحضر مباراة رياضية بقصر الملك تعرف خلالها على ابويه واخته كاساندرا وعرفوه . ولم ينس بريام اخته هيسيوني التي اختطفها رفاق هركليس وتزوجها تيلامون فجهز حملة بحرية بقيادة ابنه باريس ارسلها الى بلاد اليونان لجلبها . وذات مرة ابحر باريس مع زملائه الى البولوبونيز في جنوب بلاد اليونان ونزل ضيفا على مينيليوس ملك اسبارطة زوج هيلين . وتجعل الاساطير هيلين ابنة للرب زووس من الالهة نيميس ربة النقمة العادلة التي واصلها زووس (وكان متخذا شكل بجعة) لما كانت هي متقمصة شكل اوزة برية . فوضعت نيميسيس بيضة القتها في حجر الملكة ليدا زوجة ملك اسبارطة افقست فيها بعد وخرجت منها هيلين . وهناك اسطورة ثانية تجعل هيلين ابنة زووس حملت بها منه ليدا التي جامعها وهو متقمص شكل بجعة . وتصف الالياذة هيلين بانها اجمل نساء الدنيا وفي وقت تذكر الاوذيسة نسبها الالهي وتذكر انها ضمنت لزوجها مينيليوس الخلود في جنات الاليسيس . وهناك ما يدل على ان هيلين كانت ربة قديمة عبدت في منطقة البولوبونيز قبل هجرة اليونانيين اليها . وفي اثناء الحفلة التي احياها مينيليوس لباريس في قصره باسبارطة اعجب باريس بجمال هيلين ووقع في حبها . وحدث ان

سافر مينيليوس اثناء فترة زيارة باريس لاسبارطة بالذات الى كريت لحضور تشييع جدته وظلت زوجته هيلين تدير شؤون الدولة في غيابه . فانتهز باريس الفرصة واتصل بهيلين التي احبته هي الاخرى واتفقا على الهرب سوية الى طروادة وفعلا هربت معه حاملة ما تمكنت على حمله من كنوز القصر وتركت ابنتها هرميوني . ولما وصلا الى طروادة رحب بها بريام دون ان يوبخ ابنه على فعلته في وقت عقد باريس قرانه على هيلين . ولما رجع مينيليوس تألم واستشاط غضبا وطلب العون من اخيه اغاممنون ملك مايسيني وفعلا جهز الاخير قواته وسار هو ومينيليوس لحرب طروادة .

ومن الشخصيات اليونانية التي اشتركت في حرب طروادة وتذكرها الاساطير وتطنب في بسالتها كان اوديسيوس ابن لائرتيس ملك اثيكاواخيل واجاكس ابن تلامون ملك سلاميس وتيوكروس بن تيلمون من هيسيوني . وكذلك فيلوكتيتيس بن ملك ثيساليا ونستور ملك بيلوس في اقليم ميسينيا . وقد وصل الاسطول اليوناني الى طروادة فتصدى له الطرواديون وأوقعوا به خسائر فادحة . ولما نزل بروتسيلاوس القائد الثيسالي الى الساحل الطروادي رماه هكتور بسهم ارداه قتيلا . ومن الشخصيات الطروادية التي شاركت في الحرب بريام الذي كان آنذاك رجلا مسنا ابا لخمسين ابنا من زوجاته العدة . ويظهر من اسمه وكثرة زوجاته انه ليس يوناني بل شرقي وتصفه الالياذة كشخص عطوف احسن معاملة هيلين استنكر الحرب وعرف بالامانة والحكمة وهو الذي كان يحكم ، حسب ما تذكر الاساطير ، ضفتي الدردنيل والساحل الاسيوي ابتداء من جبل ايدا حتى الركن الجنوبي الشرقي لبحر مرمرة وله حلفاء على الجانب الاوروبي والاسيوي . وبريام هو الذي ذهب الى آخيل ليفتدي جثة ابنه هكتور . وتذكر قصة نهب ايليون ان بريام قد التجأ بعد سقوط المدينة الى هيكل زووس في قصره حيث قتله نيوبتوليمس ابن آخيل. وكانت زوجة بريام هكابي ابنة احد ملوك فريجيا او تراقيا وتصفها الالياذة بالامرأة الجليلة الوقورة وتروي لنا المسرحيات اليونانية من العصور اللاحقة انها صارت من نصيب اوديسيوس عند توزيع السبايا التي حملها الى بلاده . ثم هكتور بن بريام ومعنى اسمه الثابت واخوه

باريس الذي اختطف هيلين وسبب الحرب واثناء القتال احجم عن منازلة مينيليوس وقد انهزم في مبارزته الفردية معه . ثم اينياس وانتينور الشيخ الطروادي المتزن ويقال انه كان زوج ثيانو اخت هكابي . ويقال ان طروادة كان لها حلفاء عدة لنجدتها من اقاليم اسيا الصغرى الاخرى مثل بافلاكونيا وميسيا وفريجيا وليشيا وكليكية والذين يطلق عليهم اسم الدردانيين . ومن ابرز حلفاء طروادة سار بيدون ملك ليشيا وتقدم اليونانيون ووضعوا سفنهم على دعامات في ثلاثة صفوف تعتمد على الساحل المنخفض بين لسانين بارزين من الارض في البحر قاطعين عن الطرواديين الاتصال بالبحر . ووضعت سفن آخيل الخمسين وفوقها جنوده في النهاية الغربية بينما وضعت سفن اجاكس الاثنى عشر في النهاية الشرقية ووضعت بقية السفن في ثلاثة صفوف افقية نظرا لضيق المنطقة الساحلية المستوية ووضع على كل صف قائد وكانت سفن اغاممنون اقرب السفن الى البحر وبجوارها ستين لاخيه مينيليوس ومعها سفن نستور ديوميديس ابن ملك ارغوس . وفي وسط هذا الصف كانت الاثنى عشر سفينة التي يقودها اوديسيوس . وبين السفن الموضوعة على الشاطىء المرفوعة على دعامات حجرية كانت هناك ممرات تتصل بطريقين عريضين.واقام كل قائد يوناني وراء سفنه اكواخا له ولرجاله مشيدة من الخشب والطين واصطبلات لاغنامهم وخيولهم وبغالهم . وحموا مواقعهم بسياج من الاوتاد وابقوا في وسط المعسكر مكانا مكشوفا للاجتماعات وتقديم الاضاحي . وكان القتال ينشب احيانا في السهل امام طروادة وكانت القوات الطروادية تنتصر احيانا وتارة يكون النصر من نصيب اليونانيين . وعمل اليونانيون على ارسال سفنهم احيانا للاغارة على المدن الساحلية لنهب المحصولات والاغنام لسد حاجتهم المعاشية وتموين السكان في هذه المناطق كيما تكف عن ارسال المعونات لطروادة . ونسمع في الالياذة عن عقد هدنة بين الطرواديين واليونانيين حتى يتمكن كل فريق من سحب قتلاه الى مواقعه . وبعد استئناف القتال تلاقى الطرفان في معركة بسهل طروادة وتقهقر الطرواديون وهربوا بعرباتهم وطاردهم اليونانيون عبر نهر اسكامندروس حتى بوابات طروادة . وتشجع الطرواديون لما رأوا اغاممنون يخرج

من المعركة جريحا فاستأنفوا القتال وارغموا اليونانيين على التراجع الى ربوة ايلوس وفي مرة عبر الطرواديون الخندق وتسلقوا السور ووصلوا قرب السفن اليونانية . وتذكر الالياذة مقتل هكتور وافتداء جثته ومأتمه الذي دام تسعة ايام احرقوه في اليوم العاشر وبدفن هكتور تنتهي الالياذة .

اما اخبار سقوط طروادة فلم ترد في الالياذة بل في الكثير من الاساطير والقصص والمسرحيات اليونانية امثال الاوذيسة وقصائد الحلقة الملحمية التي ترجع للقرن السابع ق.م. وقصائد الشعر الغنائي من القرنين السابع والسادس ق.م. والمسرحيات اليونانية من القرن الخامس ق.م. وقصيدة الكساندرا للشاعر ليكوفرون من اوائل القرن الثالث ق.م. ثم اينياد فرجيل وقصيدة ما بعد هوميروس للشاعر كوينتوس الأزميري من القرن الرابع الميلادي ويوميات الحرب الطروادية المنسوبة الى ديكتيس الكريتي وقصة تدمير قرطاجة المنسوبة الى داريس الفريجي التي وصلتنا ترجمتها اللاتينية من القرن الرابع او الخامس ق.م. وتخبرنا الاساطير ان بعد مقتل هكتور وصلت الى طروادة نجدات من ممنون ملك الحبشة وجيش من الامازونات بقيادة ملكتهم بانثيسيليا . وقد قتل ممنون الكثير من اليونانيين كان منهم انتيلوخوس بن نستور ونازل ممنون اخيرا آخيل وقتله . وحدثت معجزة اثناء حرق جثة ممنون حيث تحول الدخان المتصاعد منها الى طيور انقسمت الى فريقين اقتتلا فوق القبر . وبقيت هذه الطيور تزور قبر ممنون كل سنة للاقتتال فيما بينها وعرفت بطيور ممنون . واحرز الأمزونات انتصارا على اليونانيين وارغموهم على التراجع لولا مطاردة اخيل لهم وقتله ملكتهم بسيفه . ثم منازلة باريس لاخيل وقتله اياه حيث استمرت التعازي على الاخير سبعة عشر يوما احرقوه بعدها. ثم ارسل اغاممنون اوديسيوس ليحضر له بيتروس بن آخيل من جزيرة سيكروس لان عرافا قد تنبأ بان طروادة لن تسقط اذا لم يشترك في الحرب بيتروس هذا وفعلا حضر واستبسل . وقال العراف كالخاس بأن سقوط طروادة يعتمد على اخراج تمثال اثينا (بالاديوم) من طروادة الذي كانت سلامة المدينة مرهونة على وجوده فيها . وقام

اوديسيوس بسرقته بالاشتراك مع ديوميديس . وهناك اسطورة تذكر بانهما قد سرقا بالواقع نسخة مقلدة وبقي التمثال الاصلي قائما في طروادة الى ان حمله اينياس معه عند خروجه من طروادة الى ايطاليا.وتذكر اسطورة أخرى أن هلينوس ابن بريام كان عرافا وقد سقط اسيرا في قبضة اوديسيوس وتنبأ بان طروادة تسقط باحضار قوس هير كليس وسهامه التي هي في عهد فيلوكتيتيس الذي تركه اليونانيون قبل تسع سنوات في جزيرة ليمنوس يقاسي من لدغة ثعبان سام في قدمه . فارسل اليونانيون اوديسيوس لاحضاره وفعلا قدم فيلوكتيتيس الى طروادة وعالجوا جرحه وخاض الحرب مسلحا بقوس هركليس وسهامه وقتل الكثير من الطرواديين كان منهم باريس الذي جرح جرحا بليغا نقل بعدها بناء على طلبه الى جبل آيدا كيما تعالجه الحورية اوينوني التي احبته اول مرة والخبيرة بمداواة كل الجروح والادوية ولكنها رفضت معالجته الان لغدره بها فارجع الخدم باريس الى طروادة حيث مات هناك . وتألمت هيلين لهجرها مينيليوس وانتقلت الى منزل ديئيفوبوس اخ باريس للعيش معه .

وتذكر اسطورة اخرى قصة الحصان الخشبي حيث لما صعب اخذ اليونانيين لطروادة والتجأوا الى الخدعة وابتدعوا حيلة الحصان الخشبي الذي يقال انها كانت من تدبير اوديسيوس والتي ادت اخيرا الى دخولهم طروادة . فقد أمر اليونانيون بصنع حصان خشبي كبير يتسع من الداخل لخمسين جنديا بكامل اسلحتهم . وفعلا وضعوا في داخل هذا الحصان خمسين من جنودهم الشجعان منهم اوديسيوس ومينيليوس وديوميديس ونيوبتو ليموس وتظاهر اليونانيون بالانسحاب وتركوا وراءهم على الساحل الحصان الخشبي وتوارت سفنهم عن الانظار . فاندهش الطرواديون لذلك وفرحوا ووجدوا بين المخلفات التي تركها اليونانيون الحصان الخشبي واختلف رجالات طروادة حول الحصان فرفضه منهم الكاهن لاوكوون كاهن أبولو وكاسندرا ابنة بريام.وقال اخرون انها هدية للارباب ومنهم بريام الذي امر اخيرا بادخال الحصان الى طروادة . واعترض لاوكوون ولكن اثينا (حسب ما

ورد في اسطورة ارسلت له ثعبانين كبيرين التفا حوله وحول ولديه وقتلوهم كلهم . فايقن الطرواديون من ذلك ان الحصان الخشبي هدية للارباب فادخلوه الى طروادة ووضعوه في قاعة مجلس المدينة ورفعوا الحراسة عن الاسوار والشواطىء.ولكن ما ان اقدم الليل حتى خرج المقاتلون اليونانيون من جوف الحصان ورجع بذات الوقت اغاممنون باسطوله من جزيرة تنيدوس القريبة وفتح اليونانيون طروادة واحرقوها وفتكوا بالكثير من اهلها . وقتل بريام وولده ديثيفوبوس ونجا ايناس من القتل حيث رحل مع ابنه ووالده من طروادة الى ايطاليا حيث اسس احد احفاده روما . وهدم اليونانيون اسوار طروادة ووزعوا ثرواتها عليهم وصارت كاسندرا ابنة بريام من حصة اغاممنون الذي هام بحبها[٧] .

وكما ذكرنا يميل غالبية الباحثين الى اعتبار مدينة الطبقة السابعة في طروادة هي التي حلت بها نكبة الحرب التي خلدتها الالياذة والاساطير والقصص والمسرحيات والقصائد الاخرى وذهب البعض الى مطابقة الكأس ذو الحمامة عند الحافة الذي عثر عليه في القبر العمودي الرابع بطروادة مع الكأس الوحيد الذي تتكلم عنه الالياذة . الى جانب كون فن تطعيم المعادن الذي انتج درع آخيل كان فنا مارسه اليونانيون خلال العصر البرونزي المتأخر . وان الخوذة ذات انياب الوحش التي نقرأها في الالياذة قد وجدت في آثار طروادة . علما بأن الحديد لا ذكر له في الالياذة وهذا يطابق آثار الطبقة السابعة من طروادة التي تعود الى العصر البرونزي . اما اسباب الحرب الطروادية (التي تثبت الآثار نشوبها ومعلوماتنا الحالية عنها تكاد تكون معدومة حيث لا يمكن الركون الى ما تذكره الاساطير والقصص عن هذه الحرب والتي لخصناها في اعلاه) فلا بد وان تنحصر في الاسباب التالية : موقع طروادة الاستراتيجي حيث تشرف على منطقة الدردنيل وبحر مرمرة . ومداخل البحر الاسود ومنافذ البحر الايجي ثم اهمية المنطقة من الناحية الزراعية حيث نعرف ان منطقة البحر الاسود ظلت لقرون عدة تلت احد المصادر الهامة للقمح . الى جانب ثراء مختلف جهات اسيا الصغرى بالمعادن الذي شكل في العصور القديمة احد

موازين الدفع مما ادى الى نشاط التجارة في آسيا الصغرى وتدفق الثروات . ثم وقوع طروادة على خط التقاء الكثير من الطرق التجارية القادمة من البر (اضافة الى كونها ميناء بحريا تلتقي به السفن القادمة من كريت ورودس وجزر بحر ايجة وسواحل البحر الاسود وبلاد اليونان وحتى ايطاليا (حيث ان قصة هرب اينياس الى ايطاليا تدل على علاقة لطروادة مع هذه البلاد) . ومن الاسباب الاخرى كثرة الخيول في منطقة طروادة والطلب الشديد عليها آنذاك . وثراء طروادة المتأتي من تجارتها وموقعها في طريق تجارة الترانسيت . واخيرا الاضطرابات الشديدة التي عمت الشرق الادنى آنذاك والذي ادى الى ازدهار وثراء طروادة .

1. **Blegen, Troy, Op. Cit., pp. 10-12.**
2. **Denys Page, History of the Homeric Iliad, (Berkeley, 1959), pp. 57-58**
3. **Akurgal, Op. Cit., pp. 54-61**
4. **John Forsdyke, Greece before Homer, (New York, 1957), p. 61**
5. **Blegen, Op. Cit., pp. 12-15.**
6. **Akurgal, Op. Cit., pp. 61-62**

٧ ـ الدكتور عبداللطيف احمد علي ، التاريخ الميلادي (٢) القاهرة ، ١٩٧٤ ص ٤٢٣ ص ٦٢٢ ، ص ٨٠٥

الفصل الرابع

مظاهر الحضارة الحيثية

١ ـ النظام السياسي والاداري

لم يشعر الملك الحيثي في بداية التاريخ الحيثي بضمان مركزه . ومن الاحداث الاولى التي سجلتها لنا الوثائق الحيثية هو ترشيح النبلاء لملك منافس الى لابارنا الاول الذي عينه والده كخلف له . والتاريخ الحيثي بالواقع مليء بالمنافسة والصراع بين افراد العائلة المالكة في وقت كان يعمل به الملك على استقرار . ويظهر ان وفاة الملك الحيثي كانت تسبب ازمة دستورية حاول بعض الملوك التغلب عليها بترشيح خليفة لهم وهذه الحقائق قد تدل على ان الملكية الحيثية كانت في البداية انتخابية خاصة وان على الملك عرض مسألة ترشيحه لولي عهده على مجلس النبلاء للموافقة عليه . علما بان خطاب الملك حاتتوشيليش الاول لا يوحي بهذا الاستنتاج بل يدل على حرية الملك التامة بتعيين من يريد كخلف له على العرش ان لم يكن الاول يشير الى فترات اقدم حيث كان الصراع محتدما بين النبلاء والملك . واخيرا نظم الملك تيليبينوس الاول (١٥٢٥ ـ ١٥٠٠ ق . م .) قانون خلافة العرش الذي حصر به الخلافة في ابن الملك من زوجته الملكة وفي حالة عدم وجوده يعين ابنا من الخط الثاني (ابن اخ او حفيد الخ) والا فيعين زوج الابنة من الخط الاول للملك . وقد نظم هذا الاجراء خلافة العرش لمدة طويلة من الزمن بحيث لما توفي مورانالليش دونما وريث تربع على العرش بعده اورخي تيشوب ابنه من احدى محظياته ولم يقاومه عمه حاتتوشيليش الا بعد ان اختلف الملك معه .

واطلق الملوك الحيثيون على انفسهم لقب الملك العظيم لابارنا الذي حل محله لقب الشمس في عصر الامبراطورية . ويدل اتخاذ اللقب الاخير دون شك على تبدل العلاقة مع الارباب وتجعل نصوص هذا العصر الملك وكيلا عن رب العاصفة يحكم بدله البلاد والملك هو الوسيط بين الالهة والبشر وعليه الحفاظ على حسن علاقة الارباب مع الشعب ورضاهم عن سلوكهم وتصرفاتهم . والملك نفسه خاضع في هذا العصر الى قواعد صارمة لضمان الطهر الطقوسي الضروري لرضى الارباب . ومن القاب الملك الاخرى (البطل محبوب الرب او الارباب) . ولم يؤله الحيثيون ملوكهم في حياتهم بل اعتبروهم اربابا وعبدوهم بعد مماتهم وكان هناك طقسا خاصا بارواح الملوك الاسبقين.وكانوا يعبرون عن وفاة كل ملك بالقول (صار ربا) والملك ايضا هو الكاهن الاعلى لكل مزارات البلاد وطقوسها . وكانت هناك طقوس يقوم بها الملك شخصيا.ونقرأ عن جولات كان يقوم بها بصحبة زوجته الملكة وولي عهده . ففي منحوتة من الاجاهويوك نجد الملك رافعا يده تحية الى تمثال ثور (رمز رب الجو) وفي منحوتة بملاطية يصب الملك السكيبة امام رب الجو . ونراه في جميع المنحوتات لابسا حلته الخاصة ذات الثوب الطويل[1] . ففي كل يوم يدعو الملك رب الخضرة تيليبينوش ويقدم السكائب والخبز ليضمن البركة والصحة له ولعائلته وشعبه . واعلن حاتتوشيليش الثاني نفسه كاهن رب العاصفة عند نريك وابنا لربة الشمس ارينا وتبني عشتار الحورية كربته الحامية الخاصة . ويظهر ان واجباته الكهنوتية كانت كثيرة حيث انه الشخصية الرئيسية في جميع الاعياد الفصلية والاضاحي التي تقدم الى كل رب وكانت بعض الاعياد تستغرق بضعة ايام وتتضمن طقوسا كثيرة والالتزام بتحريمات قاسية احيانا تشمل اعضاء اخرين من العائلة المالكة الى جانب شخص الملك . وعلى الملك احيانا ان يتجول من مزار الى اخر ويلزم عليه حضور عيد الربيع الكبير (البورولي) حين تدب الحياة ثانية في الرب تيليبينو (تموز الحيثي) وتتم في مزار نريك محاربة التنين الخطر ايللويانكاس . وفي الخريف يزور الملك وبصحبته الملكة وولي العهد المزارات المختلفة في البلاد لمدة ستة عشر يوما في

طريقهم الى نريك . ويقدم الملك الاضاحي والسكائب الى الربة الشمس في ايريننا . وتقع على الملك ايضا مسؤولية النكبات التي تحل بالبلاد . وعندما توفي شوبيليوليوما وولده ، ارنووانداش الثاني بالطاعون الذي ظل يفتك بالبلاد لمدة طويلة فتشت الوثائق لاحتمال العثور على اساءة ملكية سابقة سببت هذه النكبة وان عدم حرص الملك على القيام بواجباته الدينية يؤدي الى تعريض البلاد الى النكبات . وان تمثال الملك يوضع في المعابد حيث تقدم له القرابين وطقوس العبادة . والملك الحيثي كان قائد الجيش الاعلى حيث نعرف عن قيادة الملوك الحيثيين للفتوحات وهو رأس السلطة القضائية العليا والمسؤول عن العلائق الدبلوماسية مع الدول الاجنبية . وفي المملكة القديمة كان هناك مجلس الكبار في السن الذي تمتع بصلاحيات واسعة للاشراف على تصرفات الملك واركان بلاطه.وقد عدل هذا عندما غدت الدولة بعد ذلك مشيدة على اساس اقطاعي مرتبطة بالطاعة والولاء للملك ويقسم الحكام التابعون يمين الطاعة له بالارباب . وصار النظام الاقطاعي في عصر الامبراطورية ثابت الاساس ومما ساعد على قوة هذا النظام الان التطورات الجديدة في فنون القتال حيث دخل سلاح العربات التي تجرها الخيول واكد على الفروسية وبرزت هناك طبقة من الفرسان . وصار حكام الولايات يقسمون الولاء الى الرؤساء المحليين المرتبطين بدورهم بحكام اعلى لهم الاتصال بالملك عن طريق المعاهدات التي حددت واجباتهم وان هذه التطورات قد فرضت على الحيثيين بمرور الزمن وبالتدريج لان عنصر المحافظة كان جزء من الحضارة الحيثية .

وكان للملكة زوجة الملك مقاما مفضلا في الدولة الحيثية وتحكم بدله اثناء غيابه وتتمتع بلقب تاوا نانناس والتي كانت تحتفظ به الملكة مادامت حية وان مات زوجها الملك ولا يمكن لاكثر من واحدة أن تحمله بنفس الوقت .

ونعرف عن ملكات لعبن دورا كبيرا في الدولة الحيثية منها زوجة شوبيليوليوما كما كانت بودو خيبا زوجة حاتتوشيليش الثالث التي اشتركت معه في الحكم ووثائق الدولة جميعها وكانت تراسل ملكة مصر . ونراها في منحوتة تضحي الى الربة الحيثية

في فيراحيتين (فراقتين) ويدل نص المعاهدة التي عقدها زوجها مع مصر انها كانت تمتلك ختمها الخاص وقوة مركز الملكة ربما يدل على اعتقادهم بكون ارتباطها بشخص الملك يرمز الى ارتباط الاخير بالربة والزواج بذلك يكون مقدسا . وفي ارينتا تقدم الملكة بعد ذلك سبعة خرفان كاضاح الى ربة الشمس والربات الاخرى والملكات المتوفيات اللواتي حسب ما يظهر تم قرانهن بربة الشمس[٢] .

وكان لكل مدينة وقرية مجلسا للكبار في السن وكانت للمراكز الدينية نظما مختلفة في اداراتها . وفي البداية كان الملوك الحيثيون يعينون اولادهم لادارة المناطق الجديدة التي حصلوها بالغزو . وبعد ذلك صاروا يعينون قوادهم الذين كانوا عادة من اقارب الملك . وكان على حكام المقاطعات واجبات كثيرة منها اصلاح الطرق والقيام بالاعمال العامة وترميم البنايات العامة والمعابد والإشتراك في المراسيم الدينية والحكم بين افراد الشعب . ولم يعد هذا النظام عمليا عندما توسعت الدولة الى ما وراء حدود هضبة كابادوكية وبدأ العمل بنظام جديد تعطى به الاقطاعيات الى امراء البيت المالك امثال مدن زالبا ، خوبسينا وسوغزيبا ونيناسسا . وان صعوبة المواصلات ووعورة الطرق ادت الى تعيين حكام دائمين ومستقلين مرتبطين بالحكام بواسطة مواثيق وعهود . واخذت الدويلات الصغيرة تنظر الى الدولة الحيثية كقوة حاكمة وقد عرفنا كيف ان المقاطعات الهامة امثال حلب وكركميش وداتتاششا قد الحقت بالدولة واعطيت الى اعضاء من العائلة المالكة الحيثية اعطوا لقب ملك . وهناك المحميات التي تألفت من الممالك التي تمتعت بسمعة في السابق وقد اعطيت الان استقلالا رمزيا مثل كزواتنا وحكمت اكثر الممالك الخاضعة من قبل حكام تابعين الذين هم في العادة مواطنين من ذلك البلد ذوي ميول حيثية.ولا يحق لأي من هؤلاء الدخول في اتفاقيات مع دول اجنبية وعليه تقديم امدادات للجيش الحيثي في وقت الحرب . كما عليه ان يرسل الجزية ويعرض طاعته كل سنة . وقد عرفنا كيف ان الكثير من الملوك الحيثيين قد زوجوا اميراتهم من بيتهم المالك الى الكثير من الملوك التابعين لهم لكسبهم وضمان اخلاصهم . وكانت المعاهدة التي تربطهم مع الملك

الحيثي تدون عادة على قطعة معدنية مع نسخ طينية اخرى .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية فقد اظهر عصر العمارنة علاقات قوية بين ملوك مصر والعراق واشور ودول الميتاني والحيثيين . فقد تبادل هؤلاء الملوك الهدايا والسفراء والرسائل التي خاطب كل منهم الاخر بالاخ . كما وصلتنا رسائل عدة تبودلت بين الملوك الحيثيين ومعاصريهم من ملوك الدول المجاورة . ووصلتنا معاهدات عدة عقدت بين الملك الحيثي ودول خارجية منها تلك مع مصر (بين حاتتوشيليش الثالث ورعمسيس الثاني) . وكانت المعاهدة كما بينت نصوصها دفاعية ـ هجومية وتعهد كل طرف بمساعدة ولي عهد الاخر بصعود العرش بعد وفاة اي منهما واتفقوا على تسليم المجرمين الهاربين من ارض اي منهما الى ارض الثاني . ودونت المعاهدة في نسختين الاولى بالهيورغليفية المصرية والثانية بالاكدية . وعززت الاتفاق هذا بعد فترة من الزمن بزواج اميرة حيثية للعاهل المصري(٣) .

٢ ـ الطبقات الاجتماعية :

لقد تمتعت العائلة المالكة الحيثية (المسماة بالعائلة الكبرى) بامتيازات خاصة حيث حصرت بهم مناصب الدولة العليا امثال رئيس الحرس ورئيس البلاد ورئيس السقاة ورئيس المحاسبين . . الخ . وتدل الكثير من هذه المناصب على ان القصر كانت له اقسامه الخاصة الكثيرة . ويظهر ان العائلة الحاكمة كانت تشكل طبقة مميزة . وفي بداية المملكة القديمة كان هناك مجلسا مهما يسمى مجلس جميع المواطنين (البانكوش) ووظيفته الحكم بين الناس وفرض العدالة . ولم نعد نسمع عنه شيئاً زمن الملك تيليبينوش وصارت الدولة الحيثية في عصر الامبراطورية اقرب الى الدولة المطلقة يحكمها موظفون يعينهم الملك.اما معلوماتنا عن الشعب فقليلة والغالبية كانت دون شك من الزراع وبعدها تأتي طبقة اصحاب الحرف المختلفة (البناؤ ون والسراجون والحاكة والفخارون والحدادون والنجارون الى جانب التجار

المتجولون) . ويظهر ان غالبية الفلاحين العظمى كانوا مرتبطين بالارض . والمواطن الحيثي بالعادة حرا ولو انه خاضع في وقت الحاجة الى اعمال السخرة . وهناك الخدم الملحقون في بيوت الاثرياء ومنهم العبيد الممتلكون وكان العبد يعتبر كبضاعة لدى ملكه يبيعه ويرهنه متى شاء وله حقوق مطلقة في قتله او ضربه . وكانت دية العبد بموجب القانون نصف دية الرجل الحر والعقوبات المفروضة عليه تكون عادة نصف تلك للرجل الحر . ولكن العبد الحيثي خلافا للعبد في السلالات المختلفة في العراق القديم لم يتمتع بحق التملك . وحتى يحق للأول حتى اقامة الدعوى على المعتدين عليه وتسلم الغرامات والاحتفاظ بها لنفسه . وحوى القانون الحيثي مواد تنظم زواج العبد من افراد طبقته او الطبقات الحرة التي يقدم لهم تكاليف الزواج من ماله الخاص(٤) .

٣ ـ الدين الحيثي :

لا تزال معلوماتنا عن الدين الحيثي ناقصة حيث ان الكثير من النصوص الدينية تنتظر الترجمة الى جانب كون غالبية معلوماتنا العظمى عن الدين الحيثي تعود لعصر الامبراطورية مع كون النصوص الحيثية الدينية المكتشفة تتعلق بالعائلة المالكة . ولهذا من الصعب اعتبارها تمثل معتقدات الحيثيين الدينية . وقد اتانا الدين الحيثي ناضجا متكاملا بارباب عدة يمكن تعقب المؤثرات عليه.ولا نعرف شيئا عن تطور هذا الدين والادوار التي مر فيها ولكن هناك حقائق تدلنا على كونه قد مر بادوار الحيوية والطوطمية . لقد كان لكل منطقة من اسيا الصغرى اربابها الخاصة ومزاراتها المحلية وطقوسها المميزة التي كان على الملك الحيثي بصفته الكاهن الاعلى للبلاد رعايتها والحضور في مناسباتها الهامة وزيارتها . وعلى الحكام المحليين رعاية الارباب واصلاح المعابد المحلية . وقد لعب الدين دورا كبيرا في حياة الحيثيين فمهام الدولة العظمى كانت توضع تحت حماية الارباب ورعايتها . وكان لدى الدولة قائمة طويلة حوت ارباب جميع المناطق باسمائها للاستنجاد بها في المعاهدات المعقودة والاوامر

الملكية . ولاجل التوحيد بين مختلف الأرباب جرت هناك عملية جمع الارباب المتماثلة الوظيفة ضمن جماعة واحدة او اعتبارها متطابقة . وكان للدولة والعائلة المالكة جمع خاص من الارباب الوطنية العظمى . وحوت مناطق البلاد المختلفة الكثير من المنحوتات الصخرية التي تقدم الدليل على الطقوس المحلية . ومن هذه منحوت يازيليكايا (ومعناها في التركية الصخرة المنقوشة) على حوالي ميلين من بوغاز كوى حيث نحتت صور ارباب وربات المملكة الحيثية على الصخور في موكبين ينشقان من نقطة مركزية على الجدار المواجه للمدخل . وتدلنا هذه الصور على كثرة الارباب الحيثية وزيادتها عما ورد في النصوص الحيثية المدونة وعرفتنا بتصور الحيثيين لاربابهم المختلفة وصفات كل اله.ويمسك الرب الحيثي عادة بسلاح او اداة في يده اليمنى ثم رمزا في يده اليسرى مع تملكه لاجنحة او اجزاء متصلة اخرى الى جانب وجود حيوان مقدس خاص بذلك الرب كثيرا ما يصطحبه . وقد يكون الحيوان الواحد رمزا لأكثر من اله واحد .

واهم الارباب الحيثية هو رب الجو الذي نرى صوره في الكثير من المنحوتات بشتى المواقف والذي عبد في عدد كبير جدا من مدن البلاد وباسماء مختلفة في الغالب . ونظرا لاهمية المطر في الزراعة وكثرة الصواعق فقد صار لهذا الرب قيمته الكبرى في آسيا الصغرى وشمال سورية . فهو الرب الذي نشاهده في القطع الفنية السورية واقفا لوحده حاملا الفأس وسلاح الصاعقة وفي بلاد الاناضول صور وهو يسوق عربة بدائية تجرها الثيران وتسير على رؤ وس الجبال المجسمة . وحيوان هذا الرب المقدس الثور وقد نشاهده واقفا على مذبح كرمز الى طقسه . وهو الذي ذبح التنين ايللويانكاس في الاساطير الحيثية . وكانت اهم معابده في منطقة طوروس وسهل شمال سورية . ويقف على رأس مجمع الارباب الحورى رب الجو تيشوب وزوجته هيبات اللذين عبدا في منطقة حلب وساموها (ملاطية) وكبادوكية واوود (هيدا الكلاسيكية) وهورما الخ . والتي صورت واقفة على حيوانها المقدس (الاسد) . وولدهما شارروما (شارما) وتذكر الاساطير الحورية ثوران يجران عربته

هماشيري (النهار) وخورري (الليل) ومن الارباب الحورية الاخرى الالهة شوشكا (عشتار الحيثية) اخت رب الجو تيشوب التي عبدت في ساموها وعدد من المدن في منطقة طوروس واتخذها الملك حاتتوشيليش الثالث نصيرته وصورت باجنحة واقفة على اسد بصحبة مرافقين هن نيناتا وكوليتتا . وهي الربة الجدة هاننا هاننا التي تقابل ربة فريجيا الكبرى من العصور اللاحقة . وفي المنطقة بين جنوب بحيرة الملح وسفوح طوروس عبدت المدن هناك واهمها توانووا رب الجو وزوجته ولكن تحت اسماء اخرى حيث اطلقوا على الاخيرة الاسماء ساها سساراس وهوواسسا نـاس وتاسييس . والى الشرق هناك المركز الديني عند نريك الخاص برب الجو . ولا نعرف من عبد رب الجو تارخوند خلال العصر الحيثي الجديد الذي نجده في اسماء الافراد . ويشير نص الى عيد كبير في بداية السنة حيث تجتمع الأرباب وتأتي الى بيت رب الجو يأكلون ويشربون الذي يعلن امامهم سلامة الملك والملكة والسماء والارض وربما يكون هذا المكان في يازيليكايا حيث وجدت الارباب الحيثية الرسمية مصورة[٥] . وهناك اربابا حورية عدة لم يعبدها الحيثيون . وقد عبد الحيثيون ايضا ارباب عراقية ولو ان مركزها لم تصل الى تلك الخاصة بالبانثيون الحيثي . وهذه الارباب هي انووانتو وانليل ونينليل وايا ودامكينا معترفين باصلها الاجنبي . كما يظهر ان الرب الحاتي ورونكانتي (معناه ملك البلاد) والذي طوبق حسب ما يظهر مع الرب العراقي زابابا . والى الشمال قليلا هناك ارينا المركز الديني الحيثي المشهور حيث عبدت ربة الشمس وروسيمو وزوجها رب الجو وابنتيهما خوللا ومازوللا وحفيدتهما زينتوخي . ويرتبط الرب تيليبينو (تموز الحيثي) ابن رب الجو مع اربع مدن . وهو الرب الذي تدور حوله اسطورة الرب الميت الذي يموت شتاء ويعود الى الحياة في بدء الربيع . وهو رب الزراعة وزوجته خاتبينزو في مدن ساريسسا وكاراخنا وربما غيرها هناك طقس الرب المعروف بلقب (الروح الحامية)، العناية وفي الغالب هو رب الارياف والمناطق المكشوفة وحيوانه المقدس الغزال الذي يصور راكبا عليه حاملا في يده ارنبا او نسرا . ونظرا لكثرة الجبال في اسيا الصغرى فقد صار لارباب

الجبل اهمية ايضا وتدل هذه دون شك على اساس في الحيوية بالدين الحيثي قدست خلاله الجبال والاشجار والانهار والابار . وان بعض اسماء الملوك الحيثيين امثال ارنوواندااش وتود حيلياش وامموناش هي في الاصل اسماء لجبال قدسها الحيثيون . وقد عبد الحوريون الجبال ايضا امثال جبل حازي (كاسيوس عند اليونانيين) الممتد على سواحل البحر المتوسط عند مصب نهر العاصي[٦] . اما الارباب اللوفية فلا نعرف عنها الا القليل وقد يكون منها الرب سانتاس (ساندون اليوناني الذي عبد في طوروس والذي طوبق مع الرب مردوخ) . اما رب الجو اللوفي فكان داتتاس وان الارباب التي تنتهي اسماؤ ها اسساس او اسسيس او ايميس فذات علاقة باللوفيين . ويصعب معرفة اصل الربة كوبابا . كما حوى مجمع الارباب الحيثي على ارباب ثانوية كثيرة .

فالدولة الحيثية كان لها دين رسمي اساسه ربة الشمس عند ارينا التي اطلق عليها (ملكة بلاد حاتتي ، ملكة السماء والارض ، سيدة ملوك وملكات بلاد الحيثيين) . وكانت نصيرة للدولة والعائلة المالكة التي يسألها الملك العون في الحروب وايام الخطر وهي ربة الحق وراعية البشر . واحيانا تخاطب ربة الشمس كالة . ويجعله نص بسمك على رأسه . ويظهر هناك اله متميز يعرف برب الشمس في الماء ثم رب شمس (ربة شمس) العالم السفلي التي تسير فيه الشمس بعد مغيبها . وربما ادخل رب الشمس (ايستانو) من الخارج وان وظائفه ومزاياه التي عبر عنها بتراتيل اكدية قد حولت الى ربة ارينا . ولكن بالنسبة للاهوت الدولة الرسمي فان زوج ربة الشمس عند ارينا فهو رب الجو الذي سمي برب السماء وسيد أرض حاتتي وكان رب حرب والمسؤ ول عن العلاقات مع الدول الاجنبية ونصت معاهدة حاتتوشيليش الثالث مع مصر على ان غرضها (ترسيخ العلاقة بين رب الشمس المصري ورب الجو الحيثي) . وكان التأثير الحوري قويا على الدين الحيثي في اواخر عصر الامبراطورية وربما لعبت الملكة بودوخيبا دورا في ذلك لكونها في الاصل من اميرات منطقة كوممانی في كزواتنا احد مراكز الربة هيبات الرئيسية . وفي دعاء لزوجها

حاتوشيليش الثالث تمت مطابقة هيبات مع ربة شمس ارينا . وتمت بنفس الوقت مطابقة رب الجو الحوري تيشوب مع رب الجو الحيثي . وعبد الحيثيون ارما رب القمر الذي اسماه الحوريون كاسكو او كوشح وكذلك سولنكانا (نركال العراقي) والربة زبابا (اشتابي الحورية) التي رمزوا لها مثل ارما بالاسد . ثم الربات كاتاحا (كامروسيبا) التي تساعد الارباب في السحر ومجموعة الهة الحرب المعروفين باسم لاماسو الذي نميز منهم لاماسو الدروع ولا ماسو الميدان . وقدس الحيثيون الحيوانات وعلى رأسها الثور . وقد عثر في مقابر الاجا هويك من العصر السابق على تماثيل لثيران واسود ووعول من البرونز لا بد وانها كانت مرتبطة بعقائد دينية .

واماكن العبادة الحيثية على اشكال عدة من المزارات الصخرية المكشوفة كما في يازيليكايا الى المعابد الضخمة التي عثر عليها في العاصمة بوغاز كوى . وفي بعض المدن يشكل المعبد المركز الاداري والاقتصادي . وان معلوماتنا عن خطط المعابد الحيثية مستمدة من خطط المعابد الخمسة المتماثلة الى حد كبير من موقع بوغاز كوى . فقد شيدت الكثير من الغرف الصغرى حوالي ساحة مرصوفة تتراوح مساحتها من ٢٠٠ ـ ٥٠٠ مترا مربعا . وان المدخل الى قدس الاقداس يقع في احد الجوانب المجاورة ويصل اليه المتعبدون بواسطة غرفتين صغيرتين الى اليسار لذا صار لزاما على المتعبدين ان يتوجهوا نحو اليسار لدى دخولهم المزار حتى يروا تمثال الرب في النهاية القصوى . وفي معابد المدينة العليا هناك ما يدل على ان تمثال الرب يمكن رؤ يته من الساحة بواسطة الشبابيك الموجودة . ووضع المزار في المعبد السفلي في احدى نهايات البناية بحيث يصعب رؤ ية تمثال الرب من الساحة حتى ولو كانت هناك شبابيك . وربما كان عدد المتعبدين الذين يدخلون قدس الاقداس قليلا للغاية . ومن صفات المعابد الحيثية ايضا وجود الشبابيك العميقة في الجدار الخارجي والتي تصل مستوى الارض تقريبا . ففي المعبد الكبير بالمدينة السفلى يقع قدس الاقداس في بناية ملحقة مشيدة بصخور الغرانيت بينما شيد القسم الرئيسي من البناية حول الساحة المركزية بالحجر الجيري . وربما حوى الاخير الكثير من المراكز الادارية الرسمية وخاصة وان

المعبد جميعه محاط بحلقة من الغرف الضيقة الغير منتظمة التي حوت على اوعية خزن كبيرة يجعل احتمال كونها مخازنا . وكان تمثال الرب يوضع على قاعدة . وصنعت التماثيل في الغالب من المعادن الثمينة وهذا يفسر اختفاؤ ها واعتمادنا في وصفها على صور المنحوتات . وفي المزارات الثانوية مثلت الارباب برموزها . فقد رمز الى رب الجو مثلا بالثور . ومن ادوات الطقوس الهامة عند الحيثيين كانت حجرة خوواسي وهي عبارة عن نصب نحتت عليه بعض الصور منها صورة الاله . ومن الادوات الطقوسية الاخرى ما تسمى بالاستاناناس وهي عبارة عن مذبح او نصب . علما بان جميع ما في المعبد من ادوات تعتبر مقدسة .

والمعبد هو بيت الاله وخدمه الكهنة الذين تنحصر واجباتهم في تلبية حاجات الرب الذي يسكن المعبد . فتمثال الرب في المعبد يغسل ويلبس ويقدم له الطعام والشراب كل يوم وتتم تسليته بالموسيقى والرقص . ويجب ان يكون الكهنة الذين يسهرون على رعاية الاله كل في اختصاصه طاهرين طقوسيا . ويلزم على الكاهن المبيت في المعبد وكانت عقوبة من يقضي الليل خارجه وحتى مع زوجته واطفاله في داره الخاصة الموت . وقد وصلتنا الكثير من النصوص التي تشرح كيفية تنظيف واطعام والباس الاله وتعليمات حول الحراسة الليلية ومراقبة النار المشتعلة فيه .

وتقدم الاضاحي الى الاله من قبل المتعبدين والتي تكون جزء من طقس الشفاء . وتكرس الى الرب اول خضروات البلاد وفواكهها واول نسل ماشيتها في السنة والضحية الحيوانية يجب ان تكون خالية من كل عيب وغالية الثمن وبصحة تامة كي يتم ذبحها بقطع الحنجرة . ونقرأ في النصوص الحيثية عن اضاحي بشرية وعلى الاخص بعد اندحار عسكري . ونجد في نص تضحية اسير مع خنزير وكلب وهو يعود الى الدين الشعبي منه الى الرسمي . وقد وصلتنا الكثير من الادعية لمختلف الارباب التي نعرف منها اعتقاد الحيثيين بفكرة شفاعة الارباب لعبادها .

ونعرف عن وجود اعياد دينية فصلية كثيرة عند الحيثيين حصر عددها احد النصوص في ثمانية عشر سمي بعضها على فصول السنة واخرى باسماء لا نعرف

معانيها . ويشرف الكهنة على هذه الاعياد التي يجب ان تقام في اوقاتها المعينة ولا يمكن تأجيلها . وان قائمة الاعياد الموجودة لدينا خاصة بتلك التي كانت تقام في العاصمة حاتتوشيليش ويظهر ان كل مركز ديني له اعياده الخاصة التي لا نعرف تفاصيلها . ومن اهم الاعياد الحيثية كان البوروللياس (ربما العيد الخاص بالارض) الذي كان يمجد في الربيع وتتلى خلاله اسطورة ذبح التنين ايللويانكاس . ويظهر ان هذا العيد كان خاصا برب الجو ولاحياء رجوع الحياة الى الارض بعد برد الشتاء وانتصار الخير على الشر . ثم عيد رأس السنة الذي كان يمجد في الخريف وهناك اعيادا اخرى منها اعياد الطقس البارد ، بيت البوابة ، حجر الخواصي الخاص ببضع ارباب وعيد نبتة انداخشوم (الربيعية الصالحة للاكل) لتكريم عدد من الالهة . وكان العيد الاخير يقع في الربيع ويتألف من تقديم الاضاحي والسكائب للارباب . وان طقوس جميع هذه الاعياد فيها شيء من التشابه . فيخرج الملك والملكة من بيت الاحتفال يتقدمها اثنان من موظفي القصر وحارسا منه ويسير خلفهما جميع موظفي القصر ويعزف بعض المتعبدين على الات موسيقية ثلاثة امام وخلف الملك . ثم يذهب الملك والملكة الى معبد زابابا حيث يسجد امام الرمح ثم يجلسا على العرش حيث يجلب احد موظفي القصر الرمح الذهبي اليه ملفوفا في قطعة قماش مع الصولجان . ويسلم الرمح الى الملك بينما يضع الصولجان على العرش عند يمين الملك . ويحضر اثنان من موظفي القصر جرة ذهبية بها ماء يغسل منه الملك ثم الملكة ايديهم . ويدخل الكاهن الاعلى والكاهنة العليا ويجلسا في محلاتهما الخاصة . ثم يأمر الملك باحضار الالات الموسيقية المسماة بالات عشتار وتوزيعها على المغنيين الذين يدخلون آنذاك الى مكان الحفل . ويبدأ الطباخون بتهيئة الموائد وياخذ النبلاء محلاتهم وبعد ذلك يعلن الملك بدء تناول الطعام وفي النهاية يعطي الملك اشارة بعينيه الى الكناسين للبدء بتنظيف المكان . وهناك احتفال خريفي في مدينة غورسا ماسسا (غير معروفة الموقع بالوقت الحاضر) على شرف الاله ياررييس حيث يجلب تمثال هذا الرب ويحتفى به بالغناء والمرح ويلعب

الحاضرون خلال ذلك لعبة ينقسم بها الشبان الى فرقتين تسمى الاولى جماعة حاتتي والثانية جماعة ماسا ويحمل الاولون اسلحة برونزية والاخرون اسلحة من القصب . وتبدأ الفرقتان بالمناوشة والعراك واخيرا تنتصر حاتتي وتمسك بعدها بواحد من جماعة ماسا يقدمونه كقربان للرب . وقد وصف نص اخر مرسوما دينيا يبدأ في الصباح بتهيئة عربة امام المعبد مزينة بثلاث شرائط (احمر ، ازرق وابيض) يوضع داخلها تمثال الاله ثم تسير العربة وامامها جموع من كاهنات ورجال المعبد وتضيء طريقها فاحشات المعبد المقدسات بشعل يحملنها وتمر العربة خلال بوابة تدعى بوابة تاوانيا الى بيت خاص بالغابة .

وكان الكهنة يستمعون الى اعتراف الافراد بذنوبهم ويغفرونها لهم باسم الرب . كما يقوم جمع اخر منهم باخذ الفال بواسطة طرح اسئلة يجاب عنها بنعم او لا عن طريق فحص كبد واحشاء الحيوان المضحى ومراقبة الطيور او بالقرعة التي تقوم بها كاهنة يطلق عليها اسم المرأة العجوز . ولنا ان نعلم بان الحيثيين قد تأثروا كثيرا بالبابليين في هذا الحقل ومارس الحيثيون السحر ووصلتنا الكثير من النصوص الخاصة به . وقد حرمت القوانين الحيثية السحر الاسود الذي كانت عقوبته الموت . واستخدموا السحر لطرد الشرور والتخلص من العفاريت التي تجلب الامراض وسوء الطالع الى الافراد والمنازل وتمنع الخير والرزق . وان الكثير من النصوص السحرية قد عزيت الى سحرة اخترعوا طرقامعينة في هذا الفن اتت غالبيتهم من بلاد كزواتنا حيث التأثير الحوري قويا للغاية . ونعرف عن طقس سحري لاعادة القوة الجنسية الى رجل فقدها نقرأ في مضمونه (يضع الزبون الصوف الاسود في اذنيه ويلبس ملابسا سوداء وتمزق المرأة العجوز التي تقوم باجراء العملية ثوبه الاسود وتخرج الصوفة من اذنيه وهي تردد القول بانها اخرجت منه ما يمنعه من ممارسة العملية الجنسية . . الخ ثم ترمي كل ما لبسه الزبون في النهر لتلوثها او تدفنها في الارض . بعدها تعطيه العجوز مرآة ومغزلا وتأمره بالدخول من بوابة وما ان يخرج من البوابة حتى تسترجع منه المرآة والمغزل وتعطيه قوسا وتقول له (اعلم لقد اخذت

منك الانوثة واعطيتك الرجولة ، لقد نزعت عنك صفات الانوثة وحليتك بميزات الرجولة) . وبعد ذلك تمسك العجوز بقرن بقرة مخصبة وهي تقول (سيدي اله الشمس كما ان هذه البقرة مخصبة ولود ملأت الزريبة بالابقار والثيران اجعل زبوني مخصبا واملأ بيته بالبنين والبنات والاحفاد . . الخ .) ثم تنزع عنه شحم غنم وشمع كانت قد وضعتها على رأسه وتقول (كل من جعل هذا الشخص غير طاهر فاني الان ممسكة بمادتين سحريتين) ثم تعصر الشحم والشمع وتردد (كل من جعل زبوني نجسا فليعصر بهذه الطريقة) . وهناك طقس كانوا يمارسونه وقت حدوث وباء او بلاء في البلاد يأخذون به حمارا ويطلقونه في ارض العدو مرددين العبارة (ياياررِيس لقد اصبت هذه البلاد بالشر اجعل هذا الحمار يرفعه عنا ويحمله لنا الى ارض العدو) . وهناك طقس سحري لجلب السعادة والخير مثل دفن تماثيل حيوانات مفترسة في اسس البيوت لاخافة الشر وطرده . ونعرف عن طقس مارسوه لطرد الارواح الشريرة في القصر الملكي وذلك بان يضعوا كلبا صغيرا من الشحم الحيواني ويضعونه على عتبة البيت ويرددون القول (يا كلب مائدة العائلة المالكة الصغير كما تمنع دخول الغرباء الى الساحة اثناء النهار لا تسمح للشر ان يدخل اثناء الليل) .

وتردد النصوص السحرية قصص اسطورية منها تلك الخاصة بالرب الذي يختفي ويعود الى الارض ثانية . وان اسم هذا الاله المختفي تختلف من مكان لاخر فمرة اله الجو ومرة رب الشمس وتارة توليبينو . فيغضب الرب ويختفي خلال وقت الجفاف فتجف بموته المياه ويموت النبات وتعقم الحيوانات ويعم القحط في الارض . فيأمر رب الشمس النسر ان يبحث عن الرب المختفي فيذهب النسر مفتشا عنه فوق الجبال وبالوديان واعماق المياه ثم يرجع دون ان يجده . ثم تأمر الربة الام العظمى اله الجو بالخروج هو للبحث عن ابنه توليبينو فيخرج فعلا ويفتش ثم يعود بخفي حنين . وبعدها تأمر الربة العظمى النحل للتفتيش عنه فيجده النحل نائما في مدينة لهزينا فتلدغه في يديه وقدميه حتى يستيقظ غاضبا . ثم تعاقب كامروشيباش ربة

الشفاء الارواح الشريرة التي اغضبت الاله المختفي اول مرة وسببت اختفائه . وهكذا يعود الاله المختفي على جناح النسر وترجع الحياة معه الى الارض . فيحتفل برجوعه في فصل الربيع (عيد بوروللي) حيث تذبح الاضاحي وتوقد النيران وتزين المعابد باغصان الاشجار . وفي عيد الربيع تتلى اسطورة التنين ايللويانكاس . وتردد الاسطورة هذه في روايتين تبدأ الاولى بمعركة بين ايللويانكاس واله الجو ينتصر التنين في الاولى فسيتنجد رب الجو بالهة اخرى فتساعده الربة انار مستخدمة رجلا اسمه خوباسياس دعته الى وليمة وقدمت له الخمر حتى فقد رشده وتوثقه .

انار بالحبال ويقتله اله الجو وهكذا تنتهي القصة . وفي الرواية الثانية ينتصر التنين ايللويانكاس على اله الجو اولا وينتزع قلبه وعينيه وقد تزوج اله الجو بالسابق من امرأة من البشر رزق منها بولد تزوج بكبره ابنة التنين ايللويانكاس ثم يطلب رب الجو من ولده ان يفتش له عن قلبه وعينيه وفعلا وجدهما الابن وارجعهما الى ابيه الذي استرجع قوته في الحال فنازل التنين وقتله ثم عاد وقتل ابنه .

اما طرق الدفن عند الحيثيين فان ما وردنا من الواح تخص دفن الملك او الملكة وكان احتفال الدفن يستغرق ما يزيد عن ١٣ يوم ولو ان الجثة تحرق في اليوم الثاني .

وبعد الحرق تجمع نسوة عظام الملك ويطفئوا النيران بالبيرة والخمر وشراب يسمى والهي . ثم يدهنوا العظام بزيت فاخر ويلفوها بقماش . وبعدها تبدأ عملية ذبح الاضاحي لروح الملك او الملكة وفعلا تم العثور على رماد حرق موتى وضع في جرتين متقابلتيي الفوهة . كما عثر على هياكل مدفونة في جرتين كبيرتين متقابلتي الافواه . وبذلك فان الحيثيين قد مارسوا الحرق والدفن . ودفنوا موتاهم في بيوتهم . ويظهر من خطبة الملك حاتتوشيليش الاول التي جاء فيها (اغسلوا جسمي بعد موتي خذوني الى قلبكم ومن قلبكم ضعوني في الارض) ان الدفن كان العادة الجارية في عصر المملكة القديمة بالنسبة للملوك المتوفين[٧] .

٤ ـ الاقتصاد :

اشتغلت غالبية السكان بالزراعة ويوضح القانون الحيثي البيئة الزراعية والقروية للمجتمع الحيثي . واحتفظ الزراع بالماشية والاغنام والخنازير وزرعوا انواع المحصولات منها الحنطة والشعير والكتان والعنب والتفاح والرمان . . الخ وشكلت الحنطة والشعير الطعام الرئيسي واستعملوا الشعير ايضا لعمل البيرة وربما حصلوا على الزيت من اللوز ايضا كما صنعوا الخمر من العنب . وكانت جبال آسيا الصغرى غنية بالمعادن مثل النحاس والفضة . ومن الصعب معرفة اماكن تعدين النحاس ولكن بولغار معدن في طوروس الكليكية كانت مركز تعدين للفضة والرصاص . واعطتنا النصوص الحيثية اماكن حصولهم على المعادن ولكن يصعب مطابقة الاسماء على المواقع الحالية . وكان النحاس والبرونز هي المعادن الشائعة في البلاد وعملوا منها الاسلحة والاوعية المختلفة . وقد عثر على بعض الادوات الحيثية المصنوعة من الحديد الذي هو الآخر موجودا في بلاد الاناضول . وقد برع سكان آسيا الصغرى بتعدين الحديد الذي كان يقوم به الفلاحون في بيوتهم خلال الموسم البارد . ونعرف بأن كزواتنا كانت مشهورة بتعدين الحديد .

وكانت وسيلة التبادل الفضة التي عملوا منها اوزانا مختلفة مثل العراق القديم مثل المنا (يعادل ٦٠ شقلا) والشقل (والشقل الحيثي يعادل ٤ /٨ غراما اي اقل من الشقل العراقي) . وكان الحيثيون يشترطون على تابعيهم تقديم الجزية بوزن العملة الحيثية . ونعرف من عصور لاحقة بان المنا في كركميش كان يعادل ٣٠٠ غراما بينما يساوي المنا العراقي ٥٠٥ غراما . وقد حدد القانون الحيثي اسعار الحيوانات والماشية والاغنام والمنتجات الحيوانية والنباتية والبساتين والاراضي والملابس والمعادن . وان اتخاذهم الفضة كوسيلة للتبادل واستعمالهم الاوزان البابلية يدل على تأثرهم بالنظام الاقتصادي العراقي . وربما يكون التجار الحيثيون هم المسؤولين عن هذه التأثيرات خاصة وانهم كانوا يصلون الى مسافات بعيدة في تجارتهم . واخبرنا

نص ديني حيثي عن استيرادهم النحاس من الاشيا (قبرص) التي ربما كانت مصدرا ثانيا لهذا المعدن بالنسبة اليهم[٨] .

٥ ـ القانون :

وقد عثر على لوحين تضمنا قوانين حيثية تبلغ حوالي المائتين مادة ويظهر ان الحيثيين مالوا الى التبديل والتطوير في قوانينهم على مرور الزمن حيث نقرأ العبارة (لقد كان القانون كذا وكذا وصار الان كذا وكذا) والمواد الجديدة عادة اخف من السابقة . ويطلق الباحثون على اللوح الاول اسم اذا رجل لأن كل مادة تبدأ بالعبارة (اذا رجل) وعلى الثاني (اذا كرمة) لان كل مادة به تبدأ بعبارة (اذا كرمة) . ومن مواد اللوح الاول تلك الخاصة بالقتل والتعدي والعبيد والزواج والسحر والسرقة والتأجير والالتزامات الاقطاعية . ومن مواد اللوح الثاني تلك الخاصة بالاعتداء على البساتين والسرقة وتلف الممتلكات والاسعار والجرائم المتعلقة بالقنوات والسحر والحرمان من ارث الام ثم التعويض اوقات القحط وعدم اطاعة القانون والزواج الشاذ والجرائم الجنسية وقوائم الاسعار ومعدلات اسعار تعليم تلميذ لحرفة . ولا تضم هذه المواد من القانون الحيثي جميع مواد القوانين الحيثية بل جزء منها . فمواد الزواج مثلا خاصة بالحالات الشاذة فقط مما يدل على وجود قوانين اخرى تخص الزواج ككل . ولا نعرف هل ان قائمة الاسعار عامة على كافة ارجاء البلاد او انها دورية لاننا لا نعرف ان الاسعار تختلف من مكان لاخر ومن وقت لوقت ثان تبعا للعرض والطلب . ومن ميزات القانون الحيثي احتوائه على مواد خاصة تفرض عقابا مماثلا للجريمة (العين بالعين والسن بالسن) .

وحوى القانون الحيثي على التعويض واقتصر عقوبة الاعدام على بعض الجرائم وهي الزنا والاتصال الجنسي بالحيوانات ومعارضة سلطة الدولة (او المالك في حالة العبد) والسحر الاسود . ويعني الذنب بحق الاله لدى الحيثيين تعد على كل سكان المدينة او الدولة والعقوبة دون شك صارمة جدا . واقتصر التعذيب

في قطع اعضاء من الجسم على العبيد فقط . وفرق القانون الحيثي لاول مرة في القوانين القديمة بين القتل المتعمد والقتل بالصدفة . ومن مواد القانون الحيثي (اذا كسر احدهم ساق او ذراع رجل حر فعليه ان يدفع عشرون شقلا من الفضة ويطلق الحاكم سراحه) و(اذا سرق احدهم ثور حراثة ففي السابق كان عليه ان يدفع بدله خمسة عشر ثورا اما اليوم فيغرم عشرة ثيران . .) و(اذا قتل رجل حر حية وكان يردد اسم شخص اخر (نوع من السحر) فعليه ان يدفع باوند من الفضة واذا كان عبدا فيقتل) و(اذا احرق رجل حربيتا فعليه ان يعوضه لصاحبه ولكنه لا يدفع اي تعويض عما في داخل البيت . .) ويدفع العبد نصف الغرامات التي يفرضها القانون على الرجل الحر . ويظهر ان التاجر قد عومل معاملة خاصة في القانون الحيثي (اذا قتل تاجرا حيثيا فعلى القاتل ان يدفع ٢/١١ باوند فضة دون ان يلاحقه الورثة واذا كان القتل في بلاد لوفيا او بالا فعليه ان يدفع ٢/١١ باوند من الفضة مع تعويض كل البضائع . واذا كان القتل في بلاد الحيثيين فعليه ايضا ان يدفن التاجر) و(اذا قتل رجل او امرأة في مدينة اخرى فعلى الرجل الذي حدث القتل في ارضه ان يقتطع مائة ذراع من حقله ويقدمها الى الورثة) و(اذا قتل رجل تاجرا حيثيا من اجل بضاعته فعليه ان يدفع غرامة (؟) من الفضة باوند من الفضة ويعوضه ثلاثة اضعاف قيمة بضاعته . واذا لم يكن معه بضاعة وقتله نتيجة مشادة فعليه ان يدفع ستة باوندات فضة . ولكن اذا كانت يده هي الخاطئة (عن طريق الصدفة) فيغرم باوندين من الفضة) و(اذا قتل رجل على ارض غريبة فان كان حرا فعلى صاحب الارض ان يقدم (لورثته) حقلا ودارا وباوند وعشرين شقلا من الفضة . واذا كانت امرأة فعليه ان يعطي ثلاث باوندات من الفضة . واذا لم تكن الارض التي تم القتل عليها مزروعة فيجب ان تدفع التعويض اي قرية تقع على مسافة ثلاثة اميال من موقع الحدث واذا لم تكن هناك قرية فلا يحصل الورثة على اي تعويض) . والدية موجودة وعادة اعطاء اشخاص (خاصة عبيد) كجزء من الدية موجودة عند الحيثيين . هذا وان التأثير العراقي على القوانين والاجراءات الشرعية والعادات العرفية الحيثية

واضح .

ولم تصلنا لحد الان اية وثائق حيثية خاصة ولذلك فان معلوماتنا عن المحاكم الحيثية قليلة للغاية . وكان المتنازعون يحتكمون لدى مجالس الشيبة التي كانت تشكل مجالس الحكومة في المدن الرئيسية . وقد ذكر مجلس الشيبة هذا مرة في القانون الحيثي فيما يتعلق بتقرير مصير القطيع الضال . وفي العادة يكون ممثل الملك في الامور القضائية احد موظفي الملك مثل قائد الحامية حيث نقرأ في نص عن بعض واجباته التي منها النظر في شكاوى الناس حتى تلك للعبيد والاماء ضد مالكيهم دون شك بالتعاون مع السلطات المحلية . ويؤكد نفس النص على سلطة الملك النهائية خاصة المتعلقة بالسحر والاعدام والتعويضات على المال المسروق ان زادت عن الطالينيين . واي فرد يعترض على سلطة الملك يخرب داره مما يدل على وجود العقوبة الاجماعية لدى الحيثيين واذا اعترض سلطة ممثل الملك فيقطع رأسه . ولدينا معلومات عن محاكم شكلت لاستقصاء حقائق في حالات اهمال القيام بالواجب حيث تستمع المحكمة للشهود ودفاع المتهم .

وسلطة الاب في العائلة الحيثية قوية للغاية يحل محله الابن الاكبر في حالة وفاته . والزواج لا يكون شرعيا الا بعقد بين الزوج والزوجة (بموافقة والدها) . وعلى الخطيب ان يقدم لعروسه صداقا (كوساتا بالحيثية) الى خطيبته . ويقدم اهل البنت هدية لها (ايوارو) سواء كانت عينية او نقدية . واذا ماتت الزوجة في دار زوجها فيكون صداقها ملكا له . وحرم القانون الحيثي الزواج بالاقارب الاقربين واي اتصال جنسي مع الام او البنت او الاخت وابنة الزوجة من زواج سابق او مع زوجة الاب او الاخ في حياتها . واذا توفي الاخ المتزوج فعلى ارملته الاقتران باحد اخوته وفي حالة انعدامهم فتتزوج والد زوجها المتوفي او ابن اخت او اخ له . ويتمكن الحيثي ان يتزوج باي عدد يوده من امائة .

اما ملكية الارض فهناك مالكي الاراضي ثم الاراضي الخاصة برجل الالة او رجل السلاح ويعتقد البعض ان الاخيرة قد وزعت على المحاربين . وربما تكون

خاصة باصحاب الحرف وكانت الاملاك الملكية واسعة وتشكل احسن الاراضي خصبا وموقعا وكذلك الممتلكات الخاصة بالمعابد(٩) .

٦ ـ **الفن** : يقصد بالفن الحيثي الفن الذي ظهر في المجال الحضاري المتشعب الممتد من شمال سورية حتى اواسط الاناضول والدور الذي لعبه الحيثيون والجماعات الرئيسية الاخرى في اسيا الصغرى والذي لا يزال موضع جدل . فهناك مراكز ضمن هذا المجال الواسع يظهر انها قد قدمت لنا الاصول لبعض الطرز فشمال سورية حسب ما يظهر كان مهدا للطراز المعماري المعروف ببيت هيلاني . الى جانب وجود تأثير شمالي من القفقاس والمناطق التي ورائه تظهر واضحة في مقابر الاجاهويوك من العصر الحاتي . وبعض البرونزيات الحيثية لها علاقة مع البرونزيات العيلامية وحتى مع برونزيات لورستان من عصر لاحق . وتعتبر المنحوتات الصخرية امثال تلك للاستعراض الديني في يازيليكايا من ميزات الفن الحيثي . وقد تكون الاختام التي تختلف عن الاختام الاسطوانية العراقية من ميزات الفن الحيثي ايضا . وقد ادخل التجار الاشوريون الاختام الاسطوانية الى بلاد الاناضول والتي لم تبق مدة طويلة حيث حلت محلها الاختام الطابعة والتي تعتبر من انجازات الحيثيين الفنية . علما بان ملوك كركميش (جرابلس) الحيثيين ظلوا يستخدمون الاختام الاسطوانية . وقد تطور الفن الحيثي تحت تأثيرات اجنبية قوية . فهناك عناصر من حضارة الشماليين والحضارة العراقية بحيث ان اي قطعة حيثية لا تخلو من تأثير عراقي . ثم التأثير المصري الذي يأتي بالدرجة الثانية اما التأثير الحوري في الحضارة الحيثية فهو قوي ولكن عدم توفر امثلة حورية فنية معروفة يجعل هذا الاستنتاج صعبا . ومما ساعد على هذه التأثيرات موقع البلاد الجغرافي دون شك .

١ ـ **النحت** : المتوفر لدينا من فن المملكة الحيثية القديمة قليل للغاية . ومن هذه المنحوتة التي عثر عليها سنة ١٩٥٢ في بوغاز كوى من القرن السابع عشر ق.م . والتي تمثل معركة بين الارباب وهو موضوع يظهر ثانية في منحوتات العصر الحيثي الجديد . وان نحت العصور التالية لا بد وان له جذورا في المملكة الحيثية القديمة .

والنحوت التي وصلتنا من المملكة الحيثية الوسيطة قليلة ايضا ولكن هذه زادت في عصر الامبراطورية . ولنا ان نعرف بان النحت عند الحيثيين مرتبط كل الارتباط بالعمارة . فمن بوغاز كوى وصلتنا النحوت التي تزين بوابات المدينة والتي يصعب اعطائها تاريخا ثابتا . ومن صفات النحوت الحيثية كبر حجمها . وقد نحتت بالنحت الغائر ولعمق كبير الى الحد الذي ظهر به رأس الملك باكثريته وهي صفة تشابه صور الملك في سلسلة منحوتات سكجة كوزى من العصر الحيثي الجديد . وظهرت الاجزاء الامامية من اجسام النحوت التي نحتت بصورة غير متقنة وكأنها تخرج من القطع الحجرية والتي تشكل خطوة باتجاه النحت المدور . ويظهر ان استعمال الاسود المنحوتة كاحجار زوايا في بناية البوابات قد بدأ من شمال سورية ولو بصورة مختلفة قليلا وقد استعملت هذه الطريقة ايضا في العصر الحيثي الجديد وهي دون الاصل الذي ترجع اليه الاسود المجنحة والتماثيل الضخمة الاشورية الاخرى وقد وجد ما يماثل هذه الاسود في الالاخ . هذا وان قواعد الاعمدة في المعبد الثالث عند بوغاز كوى على شكل اسود ، ومن يازيليكايا وصلتنا منحوتات صخرية هامة تعود لعصر ـ الامبراطورية . فقد كونت الصخور فيها غرفتين طبيعيتين واحدة كبيرة سميت الغرفة (أ) واخرى اصغر سميت الغرفة (ب) . وزينت الغرفة الاولى بصف من منحوتات صور الارباب والربات عددها ٧٠ حاملين رموزهم الخاصة منحوتة بالنحت العميق ولكنها اقل عمقا من نحوت بوغاز كوى . وتبدأ المنحوتات هذه من الممرات وتسير لتتصل ببعضها في وسط نهاية جدار الغرفة . اما صور الغرفة الثانية فذات طبيعية اخرى ربما لها علاقة مع المدافن نظرا لكثرة المحاريب الصغيرة المقطوعة في الصخر . ولا نعرف اي من المجموعتين اقدم من الاخرى . وتحت كل صورة كتابة بالهيروغليفية الحيثية . ويقود استعراض الارباب على الجانب الايسر اله الجو الحوري تيشوب وتقود الاستعراض الثاني الربة الحورية هيبات . وتقدم لنا هذه المنحوتات فكرة طيبة عن تقدم فن النحت في عصر الامبراطورية . فسعة الموضوع الذي يلائم بالواقع فن الصور الجصية الجدرانية منه الى النحت هو موضوع لم تحاوله

شعوب المنطقة من قبل . ونوعية العمل ليست متساوية في جميع الاشكال وربما هناك نمطية في نحت الاشكال الصغيرة . ولكن بعض الاشكال المتفرقة تبرز كقطع فنية حقا وتدل على ثقة الفنان الحيثي بنفسه ومعرفته بتناسق وتناسب الاشكال ودقة في العمل والنوعية مثلما نراها في العصور القديمة . فصورة الملك تود حيليا والاله شارروما على غاية من الابداع وقدمت لنا صور يازيليكايا الطريقة التي اتبعت في رسم اشكال الارباب التي صارت تقدم من الان فصاعدا بنفس الملابس وعين الرموز والقبعة .

كما وصلتنا مجموعة نحوت من عصر الامبراطورية ايضا من الاجاهويوك . فهناك اربع من السفينكس ارتفاع كل منها سبعة اقدام عند بوابات المدينة قطعت كل منها من صخرة واحدة ظل منها اثنان في حالة جيدة . وان صف المنحوتات مرتبط مع الابراج واسوار المدينة . ويظهر الملك في حلته مطرزا قاعدة البرج الذي يحمي بوابة السفينكس . وفي البوابة نرى النسر ذو الرأسين على احد عضادات الباب يسند ربة والمرتبط في يازيليكايا مع الهتين . والنحوت من الاجاهويوك اقل عمقا من تلك عند يازيليكايا . فعلى يسار البوابة نرى الملك امام مذبح وضع امام ثور يرمز للرب . ويعقب الملك ثلاثة مرافقين يحمل احدهم معزى وثلاث اكباش كقرابين دون شك ، ونرى صور ثلاث لاعبين يقدمون بتمارين اكروباتيكية يقف احدهم على سلم غير مستند ويدخل الآخر سيفا الى فمه . وعلى الصخرة الثانية صور شخصين يحمل احدهما قردا والثاني قيثارة . وهناك ايضا استعراض لاشخاص متجهين صوب ربة جالسة على عرشها حاملة لمرآة[١٠] . والظاهرة الجديدة في الاجا هويوك هي ان الجدران الخارجية مزينة بصف من القطع الصخرية الكبيرة التي هي جزء منها . وتمثل منحوتات الأجاهويوك مرحلة انتقالية بين نحوت بوغاز كوى وتلك من العصر الحيثي الجديد . فنحوت السفينكس في الاجاهويوك لا تختلف كثيرا عن بوابة الاسد من بوغاز كوى . وتمثل النحوت التي تزين البوابة في الاجاهويوك نوعين من الصور المستقلة وهي صور تعبد وتقديم اضاحي فعلى اليسار نرى الملك تتبعه الملكة

والمرافقين يقدم القرابين الى رب الجو الذي مثل على شكل ثور وعلى اليمين هناك نحت متآكل لربة جالسة . والى الامام وعلى مستوى آخر ومن زمن آخر صور مناظر صيد . وتختلف هذه الصور من ناحية الاسلوب عن منحوتات البوابة وربما كانت جزء من بوابة اخرى مشابهة وليس هناك ما يشابه قلائد سفينكس الاجاهويوك سواء من اسيا الصغرى او خارجها حيث ان السفينكس الحيثي يتبع الطراز السوري .
وقد عثر على الكثير من المنحوتات من اجزاء مختلفة من اسيا الصغرى وربما تعود الى عصر الامبراطورية الحيثية . فهناك المنحوتة في موقع كارابيل (كمال باشا شرق ازمير) والتي تمثل ربا ، او ملكا . وقد نحتت على واجهة صخرة ارتفاعها تسعة اقدام تصور الملك في بدلته بحذاء جبلي معقوف المقدمة وقبعة ذات قرون ويحمل بيده اليمنى قوسا وفي اليسرى رمحا بينها يضع في حزامه سيفا . وفي فراكتيين هناك منحوتة تصور الملك حاتتوشيليش الثالث وزوجته بودوخيبا يقدمان الاضاحي الى تيشوب رب الجو وزوجته هيبات ونعرف ان هذا الملك قد بعث برسالة الى الملك البابلي يطلب منه ان يرسل اليه نحاتا واوعده الملك البابلي بارساله فور انتهائه من العمل .

ونعرف ايضا عن طلب نفس الملك نحاتا من والد نفس الملك البابلي . كلَ هذا يدل على اهتمام الملوك الحيثيين بالنحت وترينا جذور التأثير العراقي على فن النحت الحيثي . وفي سركلي هناك منحوتة تمثل الملك موواتللي ومن تاشجي هناك منحوتة ترجع لزمن الملك حاتتوشيليش الثالث تصور منظر تضحية . وتمثل منحوتة موقع امام كرلواها راكبا في عربة على ارباب الجبال الذين تدعمهم العفاريت الذين صوروا بايدي مفتوحة ، ويمتلك سفينكس موقع ياركابو جسم اسد باجنحة ويلبس قبعة بقرون متوجة بستة اشكال حلزونية تحيط كل منها وردة . اما مزار موقع افلاتون بينار جنوب غرب قونية فقد زينت واجهة المذبح بقرص الشمس المجنح تسنده العفاريت ثم مواقع المزارين في قرة داغ وقزل داغ الحاويان على بعض المنحوتات .
وهناك منحوته عند جبل سيبلوس واخرى عند كافور قلعة سي قرب انقرة وعيهرها عند هانيري . وفي امير غازي وكويلو تولويايلا هناك مذبح ثم النصب عند قرة

هيويوك وفي موقع فاسيللر هناك نصب طوله ٢٢ قدما لإله على اكتاف رب اصغر محاطا بالاسود .

وقد زادت المنحوتات في العصر الحيثي الجديد وتنوعت مواضيعها وان لم نعرف تواريخها بالضبط . فسلسلة المنحوتات الرئيسية في كركميش ذات علاقة بجدار المنحوتات الطويلة في منطقة القصر السفلى وجدار المبعوث وبوابة الملك فنحوت الجدار الطويل تمثل استعراض ارباب وعربات ومحاربين تمتد الى مسافة ٣٧ مترا من السلم حتى منطقة المعبد والقصر . والمنحوتة الاولى من البازلت للرب تيشوب تتبعه كوبابا ربة كركميش الحارسة . والمنحوتة الثانية هي الاخرى من البازلت لإله تتبعه ربة . والقطعة الكبيرة التالية من اللايمستون تمثل الربة العارية وامرأة جالسة (ربما كاهنة من عائلة الملك لوهاس التي نعرف عن احتكارها الكهنوتية) . وصورت الربة العارية بجناحين ووجه كامل واضعة يديها على صدرها مع حجاب خلفها . وربما عمر هذا الجدار الطويل الملك كاتوواس حوالي سنة ٩٠٠ ق . م . وهناك منحوتة اخرى تمثل الربة العارية ربما تعود الى زمن الملك لوهاس الثاني والد كاتوواس . والى الجنوب الغربي من الجدار الطويل هناك جدار المبعوث HERALD WALL الذي حوى سلسلة اخرى من المنحوتات وهو الواجهة الشمالية لبوابة الملك . وتتبع القطع في جدار المبعوث الطريقة الحيثية (تناوب لايمستون ومنحوتات من البازلت) مع تتابع من الصور الاسطورية وتلك الخاصة بالحياة اليومية . واكثر الاشكال لا بد وان لها غاية سحرية لطرد الشرور وتوضح التأثير العراقي وربما يرجع هذا الجدار الى زمن الملك كاتوواس ابن لوهاس الثاني . وعثر وولي على اسدين قرب بوابة الماء بطرز مختلفة يعود احدها الى زمن الملك اساتوواتيميس والثانية لولده لوهاس الثاني . اما منحوتات بوابة الملك التي تكمل تلك لجدار المبعوث فذات اسلوب مختلف . وقد عمرت بوابة الملك ثلاث مرات يعود منها الى الفترة الاولى (زمن لوهاس قبل ٩٦٠ قبل الميلاد) السفينكس وقطعة الموسيقيين ومنحوتة الاسدين على طرفي الباب الداخلية لغرفة البوابة . وفي الفترة

الثانية غطى الملك كاتوواس (حوالي ٩٠٠ ق.م .) كل المدخل ووضع فيه التماثيل منها تمثال الرب اتارلوهاس . واضاف قطع الجنود في سلسلة منحوتات المدخل الاستعراضية بما فيها تمثالا رب العاصفة والاله الجالس . وترجع الفترة الثالثة لعهد الملك اراراس الذي تعود اليه قطع القواد السبعة المسلحين . وتلك الخاصة بالملك نفسه وعائلته (منها صورته مع ولده كاماناس) وان التأثير العراقي كبير في منحوتات كركميش منها منحوتة الاسد المجنح وبين مخالبه طير وله ذيل قريب من بوابة الماء . وفي منحوتة اخرى نجد كلكامش جالسا على ركبته محاطا بالحيوانات الوحشية واخرى لانكيد وحاملا الرمح وغيرها لعنزين حوالي شجرة الحياة ولثورين على طرفي شجرة الحياة . وهناك منحوتة لاله بلحية وقبعة بقرون وحذاء ذو طرف معقوف يمسك باسد بينما يغرز شخص بقبعة طويلة وثوب يصل الى ركبتيه وحذاء معقوف في مؤخرة الاسدوتدا(١١) .

ومن صفات الفن الحيثي المتأخرة اقتصاره على مواضيع محدودة (ذات طبيعة عسكرية ودينية منها صور تقديم الاضاحي وتتضمن احيانا صورا من الحياة اليومية) ولنا خير مثال لهذه من منحوتات ملاطية . ثم كون هذا الفن يحمل تأثيرات شتى من اوغاريت واشور وميتاني . فمنحوتة تصور صراعا بين اسد وغزال من كوزانا (تل حلف) تمثل موضوعا عراقيا فخزفة من أوروشروباك . وان موضوع العنزتين الواقفتين على جانبي نخلة نراها في قرة تبة وصمعل وكركميش وهو موضوع شائع كما نعرف في العراق وسورية ـ فلسطين وظهر ثانية بالفن الفريجي . وان منحوتة السفينكس من جدار المبعوث بكركميش تظهره لنا مجنحا برأسين ذو جسم اسد وذيل ينتهي برأس حية ورأس بشرى وهو موضوع معروف في الشرق الادنى القديم وبلاد اليونان . ويظهر ما يشابه هذا السيفنكس تقريبا في صمعل . وهناك مواضيع في الجدار الطويل بكركميش توضح التأثير العراقي مثل الرب ومعه الرجل العقرب يقتل ثورا او الرجل الثور يحمل رمحا او لارباب وهي تحارب الحيوانات الوحشية .

ومن كوزانا (تل حلف) الواقعة على بعد ١٠٠ ميل شرق كركميش) هناك

المنحوتة التي تصور جنديين يقتلان اسيرا بادخال الرماح في رأسه . وان ما تسمى بالاشكال البدائية لكوزانا تظهر ذات علاقة بمنحوتات قرة تبة في كليكيا وربما نأخذها كامثلة لمدرسة الفن الحيثي المتأخر الجنوبية التي تمتاز بترك أساليب الأشكال التي تميزت بها المدرسة الشمالية وزيادة المواضيع التي تصور الحياة اليومية الى جانب استعمالها القطع الحجرية الصغيرة التي قسمت الى منطقتين (كما في الفن الاشوري المتأخر) . وان التأثير المصري واضحا في قرة وتبة بصورة الرب المصري بيس ثم زهرة اللوتس المصرية . ونعرف بان كوزانا قد خضعت الى اداد نراري الثاني الاشوري ودفعت له الجزية سنة ٨٩٤ ق.م . وعندما حاولت الثورة زمن اداد نراري الثالث تعرضت الى عقاب شديد احرقت نتيجته واصبحت مركزا للحاكم الاشوري سنة ٨٠٨ ق.م. وان منحوتات كوزانا مختلفة ومعتمدة اكثر على الفن العراقي خاصة بالمنحوتات والى درجة اقل في نحوت حراس البوابات والقليل من المنحوتات المدورة التي نرى بها المهارة والعناية . ومن الاشكال الجديرة بالملاحظة الاشكال الثلاثة التي تحمل العارضة المرتكزة على عمود طارمة قصر الملك كابارا والتي تبلغ ارتفاعها تسعة اقدام كل منها يقف على حيوان ارتفاعه خمسة اقدام . وتسند هذه ثور في الوسط واسدين . وهناك منحوتة امرأة تلبس قبعة مستوية مطرزة . ورؤ وس الرجلين مهشمة ويحمل كل منهما سيفا احدبا (وحيد الحد) . وربما كانت المنحوتات الاسطوانية الشكل من كوزانا توضع في المقابر . والى شمال وجنوب القصر على مقربة من القصر في موقع زنجرلي شيدت مدافن للعائلة المالكة ، وفي سورية وشرق الاناضول نحتوا صورة للميت على المائدة على النصب ووضعوها فوق قبورهم وفي نصب الملك صمعل من نهاية القرن الثامن ق.م. نرى الملك حاملا كأسا وهذا هو نفس الموضوع الذي اتبعه الفنان الكوزاني لتماثيله . وعثر على طير كبير فوق الصرح مقابل القصر ربما كان بالاصل يتوج عمودا خماسي الاضلاع من البازلت وجدت بقاياه . ثم نحوت التنين في الدهليز الداخلي التي تعود الى مجموعة الاشكال الحارسة التي تظهر اجسامها على العضادات . والى جانب التماثيل الاثني عشر في النحت

المدور فان زينة القصر تحوي على اثني عشر منحوتة كبيرة في الواجهة واكثر من مائتي منحوتة صغيرة (في الداد على طول الجانب الجنوبي من القصر) .

والمنحوتات الكبيرة على غاية في الابداع والمجموعتان متأثرتان بالتقاليد الميتانية - الاشورية . نرى في واحدة قرص الشمس المجنح تسندها الرجال الثيران وهو موضوع نراه في العراق منذ بداية الالف الثاني ق.م. ونرى في ا لمنحوتات الصغيرة الرجل السمكة تخرج من يديه جداول الماء ثم ازواجا من البشر تتنازع او مواضيع اخرى مثل الثور الذي ينطح الاسد والاسد يفترس ثورا وهي مواضيع نراها في شمال سورية . وهناك الكائنات المجنحة المختلفة كالثيران والاسود والانسان العقرب - الثور والانسان ثم العفريت ذو رأسي الاسد بجناحين . وضمن هذه المنحوتات نرى حيوانات تتصرف تصرف البشر كالاسد الذي يلعب على القيثارة وشبل يضرب الصنج وغزال ودب يجلبان اوعية في وقت يرقص به حمار وثعلب وعدد من الحيوانات الواقفة على ارجلها الخلفية .

وان الاسود التي تحرس البوابة في ملاطية (ارسلان تبة) ذات فروات بهيئة الحلزون ، ونرى الملك واحيانا الملكة يصبون السكيبة امام مختلف الارباب مع خادم يمسك بالقربان وتظهر الارباب احيانا بجماعات يمكن التعرف عليها من رموزها . ونرى الرب راكبا عربة يسوقها ثور ونرى نفس الموضوع في منحوتة امام كولو . وفي منحوتة نرى جنديين يحاولان قتل الحية الكبيرة . وفي منحوتة نرى شخصا بثوب طويل يصب السكيبة امام الرب تيشوب الذي صور راكبا على الثور وبيده سلاح الصاعقة وحاملا القوس وخلف مقدم السكيبة شخص ممسك بثور ربما تكون الضحية(١٢) .

واقدم اثار زنجرلي اما معاصرة لاثار كوزانا او تلتها بقليل . ففي جنوب القلعة منحوتة لثور واسد مع منحوتة اخرى تغطي بضع صخور تصور رامي سهم مسددا على غزال وصغيرة . ومن المنحوتات واحدة لسفينكس برأس بشري ورأس اسد في صدره.ولدينا صور الكثير من الارباب وهي لابسة القبعات الحيثية الطويلة

والحذاء المعقوف المقدمة ويمسك رب الجو بسلاح الصاعقة . ثم التمثال الكبير (ارتفاعه ١٢ قدم) الذي عثر عليه امام الجدار الشرقي للبناية التي شيدها الملك كيلاموفا . وربما يكون تمثال هذا الملك وليس تمثالا لاله . وهناك نصب جنازي لملكة نراها على المائدة تمسك بكأس وخادما يطرد الذباب عن صحون الطعام . ومن المنحوتات الاخرى من زنجرلي تلك لمحارب يضرب سهما من عربة يقودها سائق . ورأس سائق العربة ويداه كبيرتان بالنسبة لحجم جسمه والحصان صغير ورجلاه الاماميتان قريبتان لبعضهما وكذلك رجلاه ورأسه صغير . وتحت الحصان هناك عدد من جنود العدو على وشك ان تطأه العربة (متحف استانبول) .

وفي منحوتة اخرى نرى الهامحاريا بثوب قصير يصل فوق ركبته حاملا رمحا بيده وحلقة مزدوجة بيد اخرى ، لابسا قبعة مخروطية في نهايتها ما يشبه الكرة بقرنين . وحذاؤه من النوع الجبلي المعقوف . ونرى في اخرى ثورا بذيل يصل الارض تقريبا وقرنين يبرزان الى امام بصورة غير اعتيادية يتبعه محارب على حصان صغير للغاية وهو لابسا درعه وقبعته المخروطية (١٣) .

ومن موقع مرعش وصلنا الاسد الفاغر فاه والنصب البازلتي الخاص بالناسخ ترخونبياس من القرن الثامن ق.م. نرى فيه امرأة بثوب طويل يبدأ من رأسها حتى قدميها جالسة على كرسي منخفض وتقف في حجرها امرأة اخرى بثوب طويل بغطاء رأس ذو ثلاث طيات تحمل بيدها شيئا تقف عليه حمامة وتضع اليد الاخرى على صدرها .

واذا اخذنا منحوتات سكجة كوزي فنجد التأثير العراقي اكثر وضوحا . ففي اللوحتين على يمين الرواق عفريت تنين يوضح التأثير الاشوري حاملا دلو الماء المقدس ومرشة . ثم منحوتة الالهين على جانبي شجرة الحياة تحت قرص الشمس المجنح وهي الاخرى اشورية المظهر ثم صورة حامل النسر . ومن ارسلان تبة وصلتنا بعض المنحوتات منها للملك الكاهن في نفس طراز الاشكال عند موقع ايووك مع منحوتات تقديم السكيبة . . الخ .

وعلى مقربة من افريز هناك منحوتة نحتت في الصخور تمثل اوياللا ملك تيانا (الذي خضع لتجلات بلاصر الثالث سنة ٧٣٨ ق.م.) امام الرب سانداس . وقد مثل الملك والاله ببنية ضخمة وانوف مقوسة واعين كبيرة وشعر كثيف مما جعل البعض يستنتج كونها جماعة من الرس المدور الرأس . ولباس الملك هو الاخر غريب ايضا في الوقت الذي كان فيه لباس الاله حيثي وحذائه معقوف المقدمة . ويرفع الملك امام الرب يديه سوية الى الاعلى في طريقة تعبد غير معبد في الشرق القديم . والثوب مطرز بالصليب المعقوف . هذا ورغم تأثر منحوتة افريز بالنحت الاشوري وشمال سورية فانها لا تمت بصلة لاي منهما(١٤) .

وقد وصلتنا بعض القطع بالنحت المدور . فمن كركميش وصلنا تمثالان للرب اتارلوخاس جالسا على كرسي يحمل بيده رمحا وفأسا مزدوجا لابسا القبعة ذات قرني الثور . والتمثال خال من التفاصيل سواء في الملابس او الجسم وهو يشابه تماثيل شمال سورية الموضحة في تمثال ادريمي من القرن الرابع عشر ق.م. ثم رأس لاله من صمعل . كما وجد في ملاطية تمثالا ضخما ربما للملك يمكن مقارنته بمنحوته تصور الملك على بوابة سكجة كوزي وربما الاثنين من صنع النحات المتأثر بالفن الاشوري . وتختلف منحوتات ملاطية عن تلك من مواقع العصر الحيثي الجديد . فالمنحوتات الان لا تكون الجزء الاسفل من الجدار بل وضعت على قاعدة مرتفعة مكونة من صفوف مختلفة من الحجر وهي منحوتات اصغر من تلك من المواقع الاخرى وجميعها ذات مواضيع دينية امثال التضحية لمختلف الارباب من قبل الملك سولوميلي وزوجته تwillaتا ثم حرب الارباب للحية الكبرى . اما ملابس الارباب ورموزها فمشابهة لتلك من يازيليكا يا وربما تعود لحوالي ١٠٠٠ ق.م. .

ب ـ العمارة : ان بوغازكوى اشبه بقلعة جبلية تسيطر على القسم الشمالي من الهضبة داخل ثنية نهر الهاليس . واول سكن للمدينة كان على المرتفع الصخري الضخم المسمى الآن بويوك قلعة (طولها ٣٥٠ مترا) بابراج اعلى من القرية التركية بوغازكوى.ويحمي بويوك قلعة من الشرق الممر الضيق الشديد الانحدار لسيل بوداك

اوزو ولكن الانحدارات التدريجية على الجانب المقابل للتل كان بحاجة الى شيء من التحصينات . ولما ضاقت بويوك قلعة نظرا لتوسع المدينة امتد السكن غربا وشمالا الى سفح الجبل حتى الممر الضيق العميق لسيل اخر يصب من بوداك اوزو عند قدم التل . ثم سكنت المنطقة الى الجنوب وشيد لها سور لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن . وان سمك اسوار بوغاز كوى تبلغ حوالي اربعة عشر قدما تتألف من سورين داخلي وخارجي مشيدين بالحجارة الضخمة ذات الاشكال غير المنتظمة والاحجار تكون في الغالب مستطيلة او ذات اضلاع خمسة يبلغ طولها من قدم الى خمسة . ويواجه السوران بعضهما وان خط محيط الجدران هذه قد قوى بالطلعات او الابراج على بعد كل مائة قدم وتحمي المداخل الاسود المنحوتة . ومدينة بوغاز كوى واسعة حيث تزيد مساحتها على ثلاثين ايكر . وهناك خمس مداخل في السور الجنوبي عرفت باسماء منها مثلا بوابة الاسد وبوابة السفينكس نسبة الى المنحوتات التي تزينها ، ويقف السوران على استحكام عالي كما هناك استحكام شديد الانحدار عند مدخل للمدينة على طول السور الخارجي وفوقه طريق يتحول فجأة الى طريق عرضه عشرون قدما بين ابراج ضخمة على الجانبين حيث وضعت البوابة الاولى . وهناك نفق تحت الاستحكام يمكن المدافعين من الهجوم المباغت منه . ومن يلاحظ حصانة الاسوار ومنعتها يستغرب لتمكن الاقوام الجبلية من احتلالها مرات عدة .

ولموقع علي شار سور دفاعي يشابه سور بوغاز كوى في البناء . وبدلا عن الابراج وضعت في سور علي شار طراز اسنان المنشار . كما ان سور القلعة الصغير على قمة يوموك تبة قرب مرسين في كليكيا يشابه سور بوغاز كوى الكبير كثيرا ولو ان بنائه اقل ضخامة.وفي كركميش حيث نقب المتحف البريطاني من سنة ١٩١١ - ١٩٢٠ وجد الاثاريون بقايا سور وقلعة وبعض الدور من العصر الحيثي الاول . ومن العصر الحيثي الثاني عثر على جدران المدينة التي شملت استحكاما ارضيا واسعا من جهة المدينة مع سور آخر على جهة النهر . وتحرس مدخل المدينة تماثيل لاسود فاغرة افواهها . ويمر طريق مبلط خاص للعربات خلال بوابات واسعة موضوعة

الواحدة بعد الاخرى حتى القلعة . وتتألف البنايات الضخمة الواسعة في الفترة التي تلت سنة ١٢٠٠ ق.م. ولبوابة الماء القديمة زوجان من الغرف الجانبية وربما بنيت هذه الباب حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. وزينت بالمنحوتات وان مجموعة البنايات الرئيسية التي عثر عليها في كركميش قد شيدت حوالي منطقة غير منتظمة الشكل على سفح تل القلعة . ويدخل اليه من داخل المدينة بشارع عريض يؤدي من بوابة الماء . والى الشمال هناك السلم الضخم الذي بني خلال طريق مسقف حتى القلعة والى جانبه معبد كبير(١٦) .

لقد كشفت البنايات الهامة على قمة القلعة الحصينة في زنجرلي . ويتم الدخول الى القلعة من بوابتين ضخمتين داخلية وخارجية لان الاسوار ذات جدار دفاعي مزدوج .وان جدران زنجرلي قد قويت بالقطع الخشبية عند صف البناء الاول . وبنيتِ مدينة زنجرلي على خطة مدورة محاطة بسور مزدوج الجنوبي منها محصن بصورة جيدة ويؤدي الى القلعة . وتقع بوابة المدينة الرئيسية بين برجين . وهناك اسدان يحميان الباب الخارجي وثوران يحميان البوابة الداخلية . اما كوزانا (تل حلف) فذات خطة مستطيلة يحمي نهر الخابور احدى جوانبها بينما حميت الجوانب الاخرى بسور ذي ابراج . وشيدت القلعة على تل قرب النهر وفيها اكتشفت البناية ذات الخطة المعروفة بالبيت هيلاني .

وقد عثر على خمسة معابد داخل موقع بوغاز كوى اكبرها محاط بسلسلة من المخازن (حوت بعضها على جرار خزن كبيرة) والاخرى محاطة باسوار تاركة فراغات حول كل واحد منها ولا نعرف اسماء الارباب التي كرست لها هذه المعابد . وقد شيدت حوالي ساحة مكشوفة بممرات واروقة تذكرنا بقصور كريت من العصر المني . فالمزار الرئيسي (قدس الاقداس حيث تمثال الرب) يمكن الوصول اليه من مدخل غير مباشر خلال سلسلة من الممرات وقد وضع التمثال عادة في نهاية الغرفة . والمعبد ذو ساحة مستطيلة يدخل اليها من ممرات ولها صف اعمدة على الجانب المواجه للمدخل . وخلف صف الاعمدة هذا يشكل المزار والغرفة الثانوية المرتبطة به وحدة

منفصلة . وقد عثر في بويوك قلعة على سلسلتين من غرف الخزن الطويلة المستطيلة الشكل حيث وجدت الوثائق الحيثية.ومن صفات مواقع دويلات المدن في سورية الشمالية من العصر الحيثي الجديد (امثال زنجرلي وسكجة كوزي وربما كركميش) تلك الخاصة بالقصور الملكية . فبعد الصعود على سلم بعتبات منخفضة يصل الداخل الى طارمة ذات ١ ـ ٣ اعمدة تؤدي الى غرفة العرش . وان السلالم المؤدية الى الطابق العلوي موجودة على احد جوانب الطارمة . ونجد في قصر الملك نقميبا من الالاخ شقة خلف الغرفة الرئيسية تتألف في الغالب من غرفة نوم وحمام وتواليت . وان البنايتين من هذا الطراز تشكل الجوانب الشمالية الغربية والشمالية الشرقية لساحة القصر العلوي في زنجرلي حيث نجد حمامات في الطابق الارضي مما يقترح كون الغرف الصغيرة المتصلة هي غرف نوم . وخلف هاتين البنايتين هناك غرفة خزن كبيرة . وهذه الخطة هي التي اسماها الاشوريون باسم بيت هيلاني . وقد عرفنا هذا النوع من الخطة منذ القرن الرابع عشر ق. م . في الالاخ في شمال سورية واعيد استعمالها في القرن الثامن ق. م . بموقع زنجرلي.ولنا ان نعرف بان الاشوريين لم يبتنوا هذه الخطة كاملة بل استعملوا الطارمة ذات الاعمدة التي استخدموها كممر في قصر خور صباد وقصروF في نينوى . ففي القصر العلوي بزنجرلي فان الطارمة (على خطة البيت هيلاني) قد زودت باحجار رصف تؤدي الى مدخل الغرفة الثانية . وفي البيت هيلاني تظهر أهمية الغرفة الثانية في احجار محور الابواب الضخمة والجوانب الحجرية المؤدية الى تبليط الارضية.وقد استعمل الخشب في البناء (تل حلف تل تايانات ، زنجرلي) اما الصخور فصارت منحوتة بالنحت النافر او المدور . ثم وجود الاشكال الحارسة على البوابات (في الغالب الاسود واحيانا الوحوش) التي تعود الى اصول حيثية قديمة وفي داخل السور الداخلي للقلعة في زنجرلي شيد بيت هيلاني كبير ربما كان مقرا للمبعوث الاشوري . ولحق قصر المبعوث ايضا الثكنات العسكرية التي شيدت مقابل الثنية الجنوبية الشرقية لسور القلعة اما الساحة المكشوفة امامها فكانت في الغالب موقفا للعربات الحربية[١٧] .

جـ ـ **الاختام** : وقد عثر على اختام اسطوانية ومسطحة في موقع كول تبة خاصة بالمستعمرة الاشورية يمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف . اولى اناضولية الطراز عملت بصورة بدائية وكثرت بها مواضيع الحيوانات . ففي الاختام المسطحة من هذا النوع يمثل في الغالب حيوان واحد او عدة حيوانات واحيانا ممتزجة في نموذج واحد مثل اربعة رؤوس او اكثر تدور حول محور واحد . اما على الاختام الاسطوانية من هذا الصنف فقد صورت مجموعة من الحيوانات وصور الصيد والحرب واحيانا استعراضات الارباب او مناظر عبادة . ورسمت الاشكال في مثل هذه الاختام مزدحمة . واستخدم الفنان مواضيعا محلية وعاملها في طريقة هي الاخرى محلية والصنف الثاني من الاختام هي التي سارت على نهج المدرسة العراقية . اما الثالثة وهي المسماة بذات الطراز السوري ـ الكبادوكي من النوع الشائع في شمال سورية . وقد قطعت هذه الاختام بصورة جيدة مع مناظر مشتقة من فن الاختام الحيثية بملابس في الطراز الحيثي ووضعت بين الاشكال الرئيسية اشكال ثانوية صغيرة لحيوانات عدة . وربما هناك مناظر ثانوية على نطاق اصغر مرتبة في طابقين وصورت الحيوانات واقفة على ظهر حيوان في الطراز الحيثي .

وقد وردتنا من كركميش اختام اسطوانية قطعت بصورة متقنة (مثل ختم ايني تيشوب ملك كركميش) مناظر حيثية مع اشكال ارباب وملوك تشابه منحوتات يازيليكايا.ومن هذه الثور ذو ارجل الوحش او صورة البطل الواقف على ثور يضرب اسدا.وبعض الاختام (مثل ختم الالات كور الناسخ الحيثي في كركميش) تحوي اشكالا حيثية ممتزجة مع نموذج الضفيرة التي تظهر نموذجا للفن الحوري.وهناك الاختام المسطحة منها ختم الملك شوبوليوليوما وزوجته تاوانا الجميل ودونت اسماؤهم عليها بالكتابة الهيروغليفية الحيثية دونما اشكال . ويصدق نفس الامر على اختام الملوك مورسيليس الثاني وحاتوشيليش الثالث وزوجته بودوخيبا . ولم تظهر الاشكال على الاختام منذ حكم الملك تود حيلياش الرابع والتي شابهتِ منحوتات يازيليكايا .

اما الاختام الاسطوانية من العصر الحيثي الجديد فكثيرة وقطعها على غاية من المهارة ونرى فيها احيانا التأثير المصري الكبير حيث رسمت اربابا مصرية ورموزا مصرية واشكالا بملابس مصرية . ورسمت الارباب الحيثية في نفس الطرز القديمة (واقفة على حيوانات حاملة الاسلحة الخاصة بها) مع اشكال ثانوية رتبت في طبقتين مفصولة بشريط من طراز الضفيرة وأزواج من الحيوانات (اسود ، غزلان تقابل بعضها او ظهر كل واحد منها على ظهر الآخر) تحت نخلة والارضية مزدحمة باشكال ثانوية او رموز او نجوم او قرص الشمس المجنح[١٩] . ومن الاختام الحيثية الاولى اثنان تصوران تقديم اضاحي لا نزال المطر . ففي واحدة ملكا ـ كاهنا جالسا وفي الوسط شخص ذو وجهين يواجه الايمن منه صفا من رجال والايسر يمسك باسدين واقفين على منصة منخفضة ويداهما على بعضهما[٢٠] . ونرى بالثاني رجلا مستلقيا على مصطبة وامامه رجلا حاملا عصا وخلفه رجل بملابس طويلة وآخر عار وغيره عار ايضا بقبعة مخروطية يضرب اسيرا برمح وثلاث رجال واقفين على قطعة خشبية يجرها حيوانان صغيران جدا وشخص برأسين وامامه حيوانان يحملان ما يشبه السلة وامامهم رجلا جالسا على كرسي وربما تمثل تضحية بشرية[٢١] .

د ـ **الفخار** : كان الفخار في النصف الاول من الالف الثاني ملونا وانحصرت الزينة الملونة في نوعين من الاوعية . الكاسة الصغيرة والابريق النحيف الرقبة الذي حوى صورة عين مرسومة على الصنبور وشريطا حول الرقبة باشكال طيور او حيوانات موزعة بين حقلين هندسيين.ومنذ حوالي منتصف الالف الثاني ق.م . فقد الفخار نوعيته حيث حلت بعد هذا الوقت الكاسات البدائية الصنع المعمولة باليد الى جانب الاباريق المشابهة الى فخار قبرص من العصر البرونزي الاخير والذي هو في الواقع اناضوليا تم تصديره الى شمال سورية اولا ثم الى قبرص . وغطيت الكاسات بطبقة بيضاء عليها طبقات سوداء وحمراء.اما الاباريق فقد صنعت من الطين الرمادي اللون بسطح اسود مزين اما بخطوط بسيطة ملونة بالاحمر او الابيض او باشكال منحنية الاضلاع كالقرون . ولدينا ابريقا صنع على شكل بقرة . والوجه الثاني من فخار

شمال سورية (العصر الحيثي الجديد) قد قلد الفخار المايسيني المستورد واظهرت مقبرة يونس في كركميش والتي تغطي فترة تمتد من حوالي ١٢٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م.) كميات من الزير الدفني والباطية (اناء خلط الخمر بالماء) ذات اليدين (احيانا بقاعدة على شكل عقدة) والزينة الهندسية التي تذكرنا بالطرز القبرصية وهناك الاباريق الصغيرة المزينة بالدوائر المتحدة المركز الملونة بالاسود على الاحمر والمستوردة احيانا او معمولة محليا مقلدة اشكالا مستوردة[٢٢] .

ولنا ان نذكر هنا براعة الصائغ السوري ـ الحيثي في صنع الادوات المعدنية . من الكاسات البرونزية الذهبية اللون (البرونز الممزوج مع الذهب) الخالية من الصور البارزة المطروقة من الداخل او المزخرفة بها التي وصلتنا من مقبرة يونس بكركميش كما شاعت ايضا في مقبرة ديفة هويوك في وادي ساجور . ولما كانت هذه مقبرة فقيرة من القرن السادس ق.م. فقد نستنتج كون الكاسات البرونزية ذات الصور البارزة المطروقة من الداخل وذات الحزوز والاوراد كانت عامة في القرون السابقة . وهناك مزهرية مصنوعة من الذهب عثر عليها في منطقة مرعش موجودة الآن في المتحف البريطاني ترينا مدى مهارة الصائغ السوري ـ الحيثي وهي من النوع المعروف بالريتون RHYTON وهو كأس جزء منه فضي بقمع ملتوي من الاسفل في زاوية قائمة بقاعدة ذهبية على شكل ثور منحن وهذا النوع من الكؤوس موجود في بلاد الاناضول منذ العصور الاولى . يظهر ان الصائغ السوري ـ الحيثي قد وقع تحت تأثيرات خارجية كثيرة تظهر واضحة في منتجاته .

٧ ـ الادب : يمكن قسمة الكتابات الحيثية الى قسمين : الرسمي الخاص بالدولة ثم الاساطير والقصص .

١ ـ الادب الرسمي : حيث تبدأ كل كتابة ملكية عادة بالعبارة (هكذا يقول الملك . . . الملك العظيم ، ملك حاتي ، البطل ، ابن الملك . . الملك العظيم ، ملك حاتي البطل) واختلفت القاب الملوك من كتابة لاخرى وكذلك اسماء ابائه واجداده التي يذكرها . ويتبعها الامر الملكي او حوليات الملك الخاصة بحملاته

العسكرية او المعاهدات . واقدم الكتابات الملكية تلك الخاصة بأنيتا التي لا يزال هناك شك حول اصالتها . وتغطي الأخبار غالبية اللوح وقد استنسخت من مسلة وضعت على بوابة العاصمة الخاصة به . وقد ختم اللوح بلعن كل امير يعمل في المستقبل على كسر اللوح او تغيير الكتابة . ويشابه هذا النوع من الكتابة كتابات ملوك العراق القديم مما قد يدل على كون النص الاصلي باللغة الاكدية ، وهذا النوع من الكتابات غير معروف في بلاد الاناضول حتى بعد سقوط مملكة حاتتوشاش وبذلك تشكل هذه الوثيقة لوحدها نمط من التقاليد الحيثية الرئيسية .

وهناك من الادلة ما يبرهن ان الكتابة المسمارية الحيثية قد ادخلت لاول مرة زمن الملك حاتتوشيليش الاول لاستنساخ الخطب التي القاها هذا الملك امام نبلائه بمناسبة تبنيه مورسيليس كوريث للعرش . ولم تصلنا كتابات هامة بين حكم الملك مورسيليس الاول وتيليبينوش حيث يشكل تصريح الاخير وثيقة سياسية حيثية هامة . وقد نظم الملك في هذه الوثيقة احوال العائلة المالكة وقانون وراثة العرش . وقد تلى على شكل خطاب على النبلاء المجتمعين بدأ الملك فيه بتوضيح النتائج الخطيرة لعدم الاتفاق في الجبهة السياسية ثم تعرض الى القضية الاساسية وصارت المقدمة التاريخية للوثائق الحيثية على غاية من الاهمية.فقد صارت الاوامر الملكية الحيثية والمعاهدات تذكر ما اسبغه الملك الحيثي على تابعه من نعم من اجل ان يثير فيه الشعور بالواجب ورد الجميل وفي حالة الاتفاق مع دولة خارجية معادلة بالقوة يذكر الجانبان علاقاتهم الطيبة السابقة . ومن زمن مورسيليس الثاني وصلتنا لاول مرة حوليات حيث يضع الملك الحيثي كتاباته كوثيقة دينية امام ربه الحامي كعطية شكر سجل فيها انتصاراته . وان الحوليات الخاصة بالعشر سنوات الاولى قد سجلت في لوح واحد وصلنا كاملا . ولم يسجل مورسيليس الثاني انتصاراته فقط بل تلك لجده (الذي اسماه والده بالنص) شوبوليوليوما التي وصفها بكل دقة وعدم تعظيم او تكرار فالمبالغة في هذه الحوليات قليلة جدا والموقع الجغرافي يعطي بالضبط ومساعدة الارباب لهم بحدود المعقولية . وهناك نص من زمن الملك حاتتوشيليش الثالث يبرر

فيه هذا الملك خرقه لقانون تيليبينوس السابق بشأن ولاية العهد نتيجة خلعه ابن اخيه اورخي ـ تيشوب . فقد اخبرنا فيها عن طفولته الاولى التي كان خلالها عليل الجسم وكيف انه قد كرس الى الربة عشتار التي ساعدته ضد اعدائه الكثيرين وخاصة لما كان حاكما على المقاطعات الشمالية . . ثم تعرض الى عزل ابن اخيه له وكيف انه ثأر منه بالثورة عليه وحصل على مبتغاه اخيرا بفضل عشتار . واختتم كلامه بالقول (كل من يحكم في المستقبل سواء اكان ابنا او حفيدا او من نسل حاتتوشيليش وبودوخيبا ليكن عبدا لعشتار ساموها من بين الارباب) . فهذه القطعة تبريرية وهو من نوع ادب لا نجده في غير هذا المكان من العالم القديم وفي هذه القطعة بالذات .

وقد وصلتنا ايضا وثائق رسمية خاصة باعفاء الملك بعض الافراد والجماعات من الضرائب والرسوم والواجبات الاخرى او وثائق عطايا واقطاعات من الملك الى افراد او وثائق فض منازعات حدود او ثورة تابع على السلطان او محاضر محاكم تحقيق او اوامر صادرة من موظفين او نبلاء .كما وصلتنا اثباتات ملوك حيثية والتي هي بالواقع قوائم اضاحي لملوك اسبقين واعضاء من العائلة الملكية نلاحظ فيها الملوك مرتبين في ترتيبهم التاريخي الصحيح . وان الاضاحي ليست للملوك فقط بل لأشخاص رفيعي المقام أيضا من العصور السالفة وترجع هذه لعصور حاتتوشيليش الاول ومورسيليس الاول وشوبيليولوما وتعود اسماء النساء من هذه القوائم والخاصة بالملكة القديمة الى الملكات الحيثيات اما تلك من زمن شوبيليوليوما فليس من الضروري ان تكون كذلك .

والصنف الثاني من الكتابات هي الاساطير والقصص . وهذا بالواقع بسيطة بدائية لم يحاول مؤلفها عرضها في صورة شعرية او اسلوب ادبي رفيع بعضها خاص بالارباب الحيثية بينما يعود القسم الاخر منها الى ادب الدين الحوري . وهناك اساطير مستندة على تاريخ المملكة الحيثية الاولى واخرى عبارة عن نسخ حيثية لاساطير وملاحم عراقية . اما القصص الاخيرة القصيرة فيظهر انها ذات اصل حوري . ومن

الاساطير الحيثية التي وصلتنا قصة حصار اورشو باللغة الاكدية التي تستند دون شك على اخبار حيثية . ويقع الحدث خارج مدينة اورشو (في شمال سورية) التي حاصرها جيش حيثي قاده الملك قدم من مدينة لوخوزانتيا . ونقرأ منها اختراق العدو لسلاح الكبش الحيثي غضب الملك الذي صرخ على ضباطه (ليحملكم طوفان يرسله رب الجو)واخبرهم بصنع سلاح كبش بدله على الطريقة الحورية وان ينحتوا سلاح كبش من صخور جبال هاسسو ويرسلوها الى ساحة المعركة وان يهيئوا مرتفعات من الاتربة ويأخذوا مواقعهم بعد استكمالها ثم قابل القائد سانتاس ملكه الحيثي الذي انبه على عدم الهجوم على العدو وشبه تصرفه بتصرف امرأة . ووعده القائد بالهجوم على العدو ثمان مرات وتخريب المدينة . ولكن لم يهاجم اي احد المدينة ومات الكثير من خدم الملك فغضب الملك ثالثة وها يخبرهم الملك بمراقبة كل من يدخل المدينة (التي يحاصروها) او يخرج منها . فيبشر القواد بأن ثمانين عربة وثلاث فرق تحاصر المدينة . ولكن لاجئا أتى من داخل المدينة واخبر الملك ان رسول ملك حلب وصل المدينة خمس مرات ورسول زوببا يعيش في البلدة نفسها ورجال زاروار يدخلون ويخرجون كما يشاؤ ون فغضب الملك الحيثي مرة اخرى . والقصة كما يظهر طريقة تبين عدم اطاعة القواد لاوامر الملك الحيثي وغضب الملك في كل مرة يكتشف فيها عدم تنفيذهم لاوامره . وهناك قصة اخرى وصلنا نصها مهشما تتعلق بتاريخ مدينة زاليا وعلاقتها مع ثلاث اجيال من الملوك الحيثيين .

اما الاساطير ذات الاصل البابلي فمنها شذرات من ملحمة كلكامش وقصة خوواوا (خومبابا) وقصة ملك المعركة (شارتامخاري) عن حملة سرجون الاكدي على مدينة بوروش خاندا لنجدة تجار اكديين فيها واخضاعه لملكها نور داككال . ثم قصة حرب نرام سن لحلف يتألف من سبع عشرة ملكا ولو ان اسماء بعض الملوك فيه تختلف عنها في النص الاكدي . كما عثر على الكثير من الالواح ذات المادة العلمية من اصل بابلي كالنصوص الطبية والسحرية ونماذج الكبد وقطع بنصوص الفأل . اما الاساطير ذات العلاقة بالارباب الحيثية او الحاتية فيمكن قسمتها الى مجموعتين

الاولى اسطورة ذبح التنين والثانية اسطورة الاله المفقود . ومن المعقول الافتراض ان اساطير مماثلة موجودة عن الارباب الأخرى لم تصلنا بعد . وان قصة ذبح التنين اسطورة سنة جديدة نموذجية تشابه قصة الخليقة البابلية تتركز على صراع بين اله وتنين يمثل قوى الشر . وهناك نسختان منها يبدئان بعبارة في البداية غلب التنين ايللو يانكاس لرب الجو . ثم تذكر النسخة الاولى استنجاد رب الجو بالارباب الاخرى فعملت الربة اينار وليمة احضرت بها كل انواع الشراب ودعت رجلا اسمه خوباسياس لمعاونتها . وقد اخبرها خوباسياس (اذا وافقت بالجماع معي سآتي معك واعمل بما تأمرين) . فجامعته الربة ودعت التنين الى الوليمة التي اقامتها . واتى التنين مع اطفاله واكلوا وشربوا حتى انهوا جميع براميل الشراب . وملأوا بطونهم الى الحد الذي صار من الصعب عليهم الذهاب الى البيت فاتى خوباسياس وربط التنين بالحبل فذبحه اله الجو . واخيرا تذكر الاسطورة بناء ايناربيتا الى خوباسياس لسكناه واخبرته بأن لا ينظر من الشباك حتى لا يرى اطفاله وزوجته ولكنه فتح الشباك بعد عشرين يوما ونظر منه فرأى زوجته واطفاله . وهنا ترجع الربة اينار وتخبره بان يفتح لها باب المنزل ويسمح لها بالدخول . ومع الاسف يتهشك الرقيم عند هذا الحد بحيث صار من الصعب معرفة نهاية القصة . اما النسخة الثانية من القصة هذه اضافة الى الاسطورة الثانية الخاصة بالرب المفقود فقد تعرضنا اليها لدى بحثنا الدين الحيثي(٢٤) .

الهوامش

1. Gurney, The Hittites, Op. Cit., pp. 63-66.
2. E.O. James, The Ancient Gods, (New York, 1960), pp. 127-130.
3. Gurney, The Hittites, op. Cit., pp. 72.79.
4 Woolley, History of Mankind, Vol. 1, Op. Cit. pp. 473-474

5. James, Op. Cit., p. 94.
6. Hans Gusav Gueterbock, Hitttite Religion in Vergilius Ferm, ed., Ancient Religious, (New York, 1965), pp. 86-87.
7. Gurney, The Hittites, Op. Cit., pp. 132-166
8. Ibid, pp. 80-87.
9. Ibid, pp. 88-103; Woolley, History of Mankind, Op. Cit., pp. 490-500
10. Henry Frankfurt, The Art and Architecture of the Ancient Orient, (Baltimore, 1958), pp. 127-128.
11. G. Contenau, Manuel d' Archeologie Orientale, 11, (Paris, 1931), pp. 995-1001.
12. Ibid, pp. 1001-1005.
13 Ibid, pp. 983-994.
14. Frankfurt, Op. Cit., pp. 175-188
15. Vieyra, Op. Cit., pp. 22-54.
16. Seton Lloyd, Early, Op. Cit.., pp. 160-161
17. Frankfurt, Op. Cit., pp.. 167-172.
18. Leonard Woolley, The Art of othe Middle East, (New York, 1961)), pp. 127-128; 145-146; 153-154.
19. Contenau, 11, Op. Cit., pp. 949-952.
20. Ibid, p. 946.
21. Ibid, P. 947
22. Woolley, The Art ... Op. Cit, pp. 154-157
23. Ibid, pp. 157-158
24. Gurney, The Hittites ... Op. Cit., pp. 170-194.

الباب الثالث

الفصل الاول : عصر الدويلات الاناضولية واليونانية ١١٥٠ - ٥٥٠ ق. م .

اطلقنا على هذه الفترة الاسم المذكور لظهور المستوطنات اليونانية فيه والتي انحصرت في المنطقة الغربية من بلاد الاناضول ساحل بحر اوكسين (الاسود) ومرمرة اضافة الى الدويلات الاناضولية المحلية امثال ارارات ، ليديا ، ادانيا ، فريجيا ، ليشيا ، كاريا ، كليكية وبيسيديا .

لقد هاجرت جماعات يونانية كثيرة الى الساحل الغربي من اسيا الصغرى والساحل الجنوبي للبحر الاسود ربما ابتداء من نهاية الالف الثاني ق . م . (الفترة المعروفة بالعصور المظلمة[1]) بعد سقوط الدولة الحيثية وطراودة . ومن الصعب معرفة الزمن الذي هاجر به هؤلاء بالضبط ولكن وجود جماعات دورية في منطقة دوريس بغرب اسيا الصغرى (على ساحل كاريا والجزر المجاورة) ربما يرجع الى بداية الغزو الدوري على بلاد اليونان . وان ستة من مدن منطقة دوريس قد شكلت ما عرف فيما بعد باسم المدن الست الدورية والتي تتألف من ليندوس ، اياليسوس ، كاميروس في جزيرة رودس ثم جزيرة كوس اضافة الى كيندوس وهاليكارنا سوس على ساحل اسيا الصغرى.كما شهد الساحل الغربي ايضا هجرات ايولية من بلاد اليونان منذ وقت مبكر يصعب تحديده زمنيا . فقد اخبرنا هيرودتس بان المدن الايولية (على الساحل الغربي لاسيا الصغرى) الاثنى عشر التي منها فرونيكوس (كايم) ، لاريسا ، تامنوس ، ميرينا وسمرنا قد وقعت في ايدي الايونيين . وتقع هذه المدن بين خليج سمرنا جنوبا وسهل كايكوس شمالا . وهذه المدن الاثنى عشر هي الجزء الجنوبي للمنطقة التي عرفت اخيرا باسم ايوليس . واظهرت الحفريات في

سمرنا (ازمير) بان المدينة صارت ايونية خالصة قبل القرن الثامن ق . م . واذا كانت سمرنا بالاصل ايولية (حسب ما يظهر من الاوعية الرمادية التي عثر عليها في الطبقة اليونانية الاولية بالموقع) فان مستقرا ايوليا لا بد وان يكون هناك الى حوالي ١٠٠٠ ق . م . فمدينة كايم التي قيل ان مستقرين من لوكريس في اواسط بلاد اليونان قد شيدوها وتقدموا بعدها لاخذ القلعة البيلاسيكية عند لاريسا قرب نهر هرموس ووقف تقدمهم عند مغنيسيا في سهل ليديا الغربي . وحوت المدن الايولية الجنوبية اراضي زراعية جيدة ذات جبال حصينة في الخلف . وعلى العكس من الايونيين لم يمارس الايوليون التجارة مع اهل البلاد الاصليين وبقوا منعزلين وبذلك لم يقدموا اي اسهام يذكر الى تاريخ غرب بلاد الاناضول بحيث لم يجد الكاتب ايفوروس EPHORUS من ايوليا ما يسجله لبني جلدته واكتفى بالقول انهم حفظوا السلام . وتركز السكان الاصليون في منطقة تمتد من الجبل الاسود لمنطقة كاناي حتى ادار ميتيوم في ساحل اسيا الصغرى الغربي . وبقي سكان هذه المنطقة (المعروفة باسم ميسيا) متمسكين بعاداتهم الاصلية وكانوا ينفرون من الحضارة اليونانية وحتى حياة المدن الى القرن الثاني الميلادي عندما اسكنهم الامبراطور هادريان في مدن على طول جبال منطقتهم المليئة بالغابات . وقبل سنة ٥٥٠ ق . م حصلت كيوس على منطقة عند اتارنيوس في زاوية سهل كايكوس قرب الساحل الغربي لاسيا الصغرى .

واندفع بعد ذلك الايونيون الذين استوطنوا في المنطقة التي عرفت بايونيا فيما بعد ومن هاجر من اليونانيين الى غرب اسيا الصغرى (ايونيا) سكنوا في اثني عشر مدينة هامة شكلت الجامعة الايونية . وان اثنين من هذه الدويلات (ساموس وكبوس) كانت جزرا قريبة من الساحل الايجي . ثم مدينة ملطية (ميليتوس) التي تقع جنوب المدن الايونية هذه على الخليج الشرقي (ساينوس لا تميكوس) . ونظرا لتغيير نهر مندرس (المياندر) مجراه لكثرة ما يرسب على شطآنه من الغرين الذي يحمله فان اطلال المدينة تقع الان في وسط السهل . اما جزيرة ليد الواقعة مقابل ملطية فانها الان تلا عاليا يقع على مسافة اربع اميال غرب مسرح المدينة . وقد

تأسست مستوطنة ما يسينية في ملطية منذ اواسط الالف الثاني ق . م . التي تشكل في الواقع طلائع الهجرات اليونانية الى سواحل اسيا الصغرى الغربية . وربما تكون هي نفسها ميللاواندا (ميلاواتا) في الوثائق الحيثية . فسور المدينة وبعض البيوت والكثير من الفخار على تل القلعة (كلاباك) تعود الى العصر المايسيني . ويذهب البعض الى القول بان غالبية هؤلاء قد قدموا من كاريا (جنوب غرب اسيا الصغرى) وقسم من كريت[٢] وتذكر الالياذة ان مواطنين من ملطية قد حاربوا الى جانب الطروادیین . علما بان التقاليد اليونانية تذكر ان ملطية قد ابتناها الايونيون الذي قادهم نيليوس بن كودروس ملك اثينا الاسطوري ومن انهم قد ذبحوا الرجال من السكان الاصليين وتزوجوا اراملهم واستوطنوا هناك وربما كانت هجرة الايونيين الى ملطية في خلال القرن العاشر او الحادي عشر ق . م . ولو انها ازدهرت في القرنين السابع والسادس ق . م .

والمدينة الايونية الثانية كانت ميوس MYUS على ضفة نهر مندرس الذي يذكر سترابون الاعتقاد بتأسيس كيدريلوس احد اولاد كودروس لها ولو ان هذه المدينة لم تلعب دورا يذكر في تاريخ البلد ووقعت تحت حكم ملطية من وقت مبكر . ثم مدن برايبني في الزاوية الشمالية الغربية لكاريا وحيث ولد بياس احد الحكماء اليونانيين السبعة ويعقد كل سنة الاحتفال الديني لمدن الاتحاد الايوني على جبل ميكالة القريب من المدينة ومعبدها الكبير المكرس الى الاله بوسايدون . ومدينة افيسوس التي تذكر التقاليد ان مؤسسها كان اندروكلوس ابن كودروس ومن انها كانت قبل ذلك مسكونة من قبل الكاريين والليجيبيين (الذين تذكر التقاليد اليونانية معاصرتهم للبلاسيكيين الاوائل وسيطرتهم على سواحل وجزر بلاد اليونان وممارستهم القرصنة وولعهم في القتال والتنقل) .

واستيطان الايونيين فيها قد يرجع الى القرن العاشر ق . م . ان لم يكن قبل ذلك . ثم مدينة كولوفون التي تذكر الاخبار تشييد اندريمون احد اولاد كودروس لها وكانت على بعد ميلين من ساحل بحر ايجة وميناؤها نوتيوم . والمدن الاخرى

ليبيدوس على ساحل ليديا واريتراي (ايلديري الحالية) واطلق على الجزر الاربعة في الخليج مقابل المدينة الاسم هيبيوي (معناها الخيول) التي اخبرنا بوسنياس تأسيس مستوطنين لها بقيادة اريثروس (الاحمر) ابن رادا مانثوس اخ ماينوس وابن يوروبا من زووس كما سكن المدينة ليشيون وكاريون وبامغيليون . ويستمر بوسنياس بالقول ان الايونيين قد استوطنوا بعد ذلك بقيادة كليوبوس (كنوبوس) من اولاد كودروس . ومدينة تيوس (سيغاجيك الحالية) التي تذكر الاخبار سكناها اولا بمستوطنين من منياس في ثيسالي بقيادة اثاموس ثم باثينيين بزعامة احد اولاد كودروس . اما مدينة فوكيا في شمال المستقرات الايونية فيذكر الاخباريون وصول مستوطنيها الاوائل من اثينا . وان كثرة الفخار الرمادي اللون الذي عثر عليه خلال الحفريات التي اجراها اكور كال في موقع فوجا (فوكيا) تشير الى ان المدينة قد سكنها الايوليون اولا . وتبين الاخبار عن تقديم الكيميين CYMAEANS من الايوليين لارض الى الايونيين واخيرا مدينة كلازوميناي المشهورة بمعابدها المكرسة للارباب ابولو وارتميس وسبيل .

وعلى رأس خليج ازمير (عرف قديما باسم ساينوس سمير نيوس) تقع سمرنا (ازمير القديمة عند موقع بيرق لي) التي طغى عليها الايونيون اخيرا . وان اقدم مستوطنة في بيرق لي تعود الى النصف الاول من الالف الثالث ق . م . وان السهل المعروف حاليا باسم بورنوفا كان مغطى بالبحر قديما . وان المستوطنين الاوائل (كما تدل الحفريات) كانوا معاصرين الى طبقة طروادة الاولى والثانية . وان طبقة طروادة السادسة كانت معاصرة لطبقة الالف الثاني ق . م . عند بيرق لي . وان الفخار الشبه الهندسي عند موقع بيرق لي يشير الى ان اول مستقر يوناني فيها كان في القرن العاشر ق . م . ووصل التقدم الايوني مدينة مغنيسيا على سفح جبل سيبيلوس (MAGNESIA AD SIPYLUM) شمال غرب ليديا على ضفة نهر هرموس وسوف نتعرض ادناه الى تاريخ كل مدينة ومعالمها الاثرية الهامة . فاذا تفحصنا الاخبار الخاصة بالمدن الايونية نرى ربطها مع اثينا ولو ان الكثير من المؤرخين

يعتقدون ان الاثينيين من القرن السادس ق . م . قد ابتدعوا اخبار هذا الارتباط . وهناك ما يشير الى حقيقة وجود ارتباطات جذرية بين المدن الايونية واثينا مثل التماثل بين الاثنين في اسس تقويمهم وعدد من الاعياد القديمة والطقوس امثال طقوس اباتوريا وعبادة (ديميتر الايلوسية) والقبائل الاربعة الايونية (الايكيكوريس ، اركاديس ، كليونتيس وهوبلاتيس)) هي نفسها المعروفة في اثينا . كما يشير دليل الفخار الاولي الملون ان تأثير اثينا كان قويا للغاية .

وكما ذكرنا فقد هاجرت جماعات دورية الى مدينة كنيدوس (في منطقة تريوبيوم عند نهاية مرتفع دوريس الممتد داخل البحر في كاريا) في وقت مقارب الى الهجرات الايونية . وكذلك مدينة هاليكارناسوس (موقع بودروم الحالي) الذي كان مسكونا قبل هجرة الدوريين اليها من قبل الكاريين والليليجيين . وربما كان موقع هاليكارنا سوس في الاصل على الجزيرة الصخرية المقابلة للموقع . وكذلك ميناء كيراموس (على ساحل كاريا) واياسوس (على جزيرة صغيرة قرب ساحل كاريا) اللتين ادعى سكانها كونهم من نسل ترويزين ابن بيلوبز ملك بيزا PISA (الذي يجعله تقليدا متأخرا فريجيا وبافليكونيا) التي سميت باسمه شبه جزيرة البيلوبونيز في اليونان . وربما كانت مدينة كيدريا CEDREAE التي يذكر زينفون ان سكانها خليطا كارية .

وكان سبب هجرة هذه الجماعات اليونانية في الغالب للحصول على اراضي جديدة حيث ان ساحل اسيا الصغرى حسب ما ما يظهر لم يكن كثيف السكان ويعوزه التنظيم السياسي بعد الفراغ الذي تركه سقوط الحيثيين وزوال طروادة . ولم يصادف هؤلاء المهاجرون اليونانيون مقاومة من السكان الاصليين الا في القرن السابع ق . م . (بعد مدة طويلة من هجرتهم) لما اخذوا يتغلغلون في داخل البلاد . وقد اكد البعض كون السبب تجاريا[٣] . وهو سبب يرفضه البعض على اساس ان التجارة في هذه العصور الاولى صعبة لعدم وجود الخرائط البحرية وكثرة القراصنة في البحار الى جانب احتكار الاراضي في بلاد اليونان بعوائل قليلة وتحول

الفلاحين عليها الى اقنان وعملهم تحت ظروف صعبة للغاية نتيجة كون الاراضي قد انهكها الاستعمال على مر السنين مما قلل انتاجيتها اضافة الى ان الظروف السياسية للكثير من الدويلات اليونانية قد سيطرت عليها العوائل الارستقراطية التي احتكرت السلطة في افرادها وغمرتها بالامتيازات على حساب الطبقة العامة ـ ونعرف بان اليونانيين الذين استقروا في اسيا الصغرى قد احتفظوا بعاداتهم ولغتهم وكل له دولة مدينته (البوليس).وبعد استقرارهم توسع بعضهم على حساب المناطق المجاورة لهم . ولم يوقف توسع بعضهم الا قوة جيرانهم . فملطية والمدن الايونية الجنوبية لم تتمكن من التوسع في كاريا كما توسعت المدن الايونية على حساب ليديا نظرا لقوة الكاريين . ولم تقدر رودس ان تثبت لها قدما في ليشيا لنفس السبب.وتعتبر التقاليد اليونانية الكاريين السكان الاصليين للساحل الغربي ويعتبرون هم انفسهم من اسيا الصغرى ويميل الكثير من الباحثين الى اعتبارهم من الجماعات التي تتكلم اللغة اللوفية وسكنت جنوب غرب آسيا الصغرى في نهاية العصر البرونزي.ولكن الاسماء اللوفية خالية من الميزات الهندية ـ الاوربية التي تنتمي لها هذه اللغة.والكاريون من الامم البحرية وقد عثر على مدافن عالية تذكرنا بالمقابر المايسينية على طول المستقرات التي تعتبر في العصور التاريخية مدنا كارية وليليجية . ولم يتبنى الكاريون الحياة اليونانية الا منذ القرن الرابع ق . م . عدا القسم الغربي من كاريا الذي كان اتصاله باليونانيين مبكرا خاصة مع ملطية[٤] .

وبدأت المدن اليونانية ترسل المستوطنين الى المناطق القريبة من الاراضي التي استحوذت عليها باسيا الصغرى . فاسست ملطية سنة ٧٥٧ ق . م . كيزيكوس على بحر مرمرة (بروبونتيس) التي ربطها تقليد مع ترابيزوز (طرابزون) على ساحل بحر اوكسين (الاسود).واسست مدينة ميكارا مدن استاكوس في منطقة بيثينيا على خليج صغير ببحر مرمرة سمي باسمها (ساينوس استاكينوس) التي استوطنها بعد ذلك مهاجرون من اثينا غيروا اسمها الى اولبيا . ثم مدينة كالكيدون على ساحل بحر مرمرة عند مدخل البوسفور في سنة ٦٨٥ ق . م . وميسيمبريا على

ساحل البحر الاسود وهرقلية البنطس ببحر مرمرة وتمت في جزيرة بروكوننيسوس مستوطنة ملطية ومدينة بريابيس على ساحل بحر مرمرة .

وسكنت المجموعة اليونانية ساحل بحر اوكسين في وقت يصعب تحديده . فقصة ارغونوت (عن جماعة ابحرت في سفينة ارغو تحت قيادة جاسون لاكتشاف النثر الذهبي اي التفتيش عن الذهب بجبل بعد حرب طروادة الى النهاية الشرقية لبحر اوكسين) تذكر وصول يونانيين من وقت مبكر الى منطقة البحر الاسود للتفتيش عن مصادر الذهب . كما تشير قصة نساء الامازون ومدينتهم ثيميسكيرا الواقعة في سهل بهذا الاسم على ساحل البحر الاسود الى دلائل بهذا الاتجاه . وان مصدر الفضة في الكتابات المنسوبة الى هوميروس عند اليبي الواقعة الى الشرق من بافلاغونيا على ساحل البحر الاسود (بين بيثينيا غربا وبونطس شرقا وفريجيا ومن ثم غلاطية جنوبا) حيث اشتهر الخاليبيين والتيباريين بتعدين الحديد في العصور التالية واول مستوطنة يونانية معروفة على ساحل البحر الاسود كانت عند سينوب سنة ٨١٢ ق . م . ثم مستوطنات ترابيوز (طرابزون) وسينوب وكرومنا .

١ ـ مملكة ادانيا : ونشأت في منطقة كليكيا مملكة ادانيا (اطنة) التي لا تزال معلوماتنا عنها قليلة جدا فالتقاليد اليونانية عن هجرة بعض اليونانيين بزعامة موبسوس الى كليكيا خلال حرب طروادة . وقد اكد هذا التقليد اكتشاف الكتابة الثنائية اللغة (الحيثية والفينيقية) في موقع قره تبة على نهر جيجان نقرأ فيها بأن الملك ازيتا واددا من القرن الثامن ق . م . يرجع نسبه الى بيت موبسوس (بالحيثية موكشوش وبالفينيقية موبش) ويظهر ان اليونانيين الذين سكنوا في ادانيا قد تأثروا بالمدينة الحيثية بدليل اسم الملك ازيتا واددا نفسه . وان القلعة التي عثر عليها في قره تبه والمشرفة على وادي جيجان كانت القصر الصيفي للملك ازيتا واددا عاهل ادانيا . وفي احدى المنحوتات التي عثر عليها في قره تبه نشاهد الملك يتناول الطعام وقربه خادمان يطرد احدهما الذباب ويحرك الثاني مروحة يدوية . ونرى في منحوتة ثانية طباخين وخدم ينقلون الصحون المليئة بالطعام (ارنب مطبوخ) لحم ، فاكهة

وشراب) الى الملك . وفي القسم الاسفل من المنظر الرئيسي نرى خدما يقودون ثورا وكبشا الى حفل مع موسيقيين يضربان على القيثارة . ويشابه شكل القيثارة هذه القيثارة الاولى المعروفة في الرسوم اليونانية . وفي المنحوتات صور مرحة منها لقرد تحت مائدة الملك وطيور جارحة تنقض على ارنب والدببة الراقصة[١] .

وقد اخبرنا الملك ازيتا وادا عن تشييده قلعة في قرة تبة اطلق عليها اسمه ثم عن كونه ملك الدانونا ويقدم طاعته الى اواريكوس ملك كليكية (الذي خضع للملك تجلات بلاصر الثالث ٧٣٨ ق. م.) واوضح لنا ايزيتا وادا بان مملكته تشمل سهل اطنة وبعض الدويلات الصغيرة التي لم يخضعها الملوك من عائلة موبسوس . وذكر لنا اسم مدينة اخرى في مملكته ربما يمثلها موقع دوموز تبة . واستنجد اخيرا بالارباب المختلفة التي منها بعل . ولا بد وان يكون الدانونيين هم الدانانيون (الداناوي في الالياذة التي اطلقت على اليونانيين) من اهل البحر الذين غزوا مصر في القرن الثاني عشر ق . م . وبذلك ربما يكونون من اهالي بلاد الاناضول[٦] .

ولا نعرف متى تمت هجرة الدانونيين الى منطقة ادانيا وربما في وقت مقارب الى هجرة المستوطنين اليونانيين الى الساحل الغربي .

٢ ـ ارارات : لا تزال معلوماتنا عن تاريخ ارارات الاولى ناقصة لا تلقي ضوءا على نشؤها ولكن المعروف انها قد تمت من اتحاد القبائل الحورية التي عاشت في المرتفعات حوالي بحيرة وان حيث الظروف ملائمة للرعي والزراعة . واظهرت التحريات الاثرية بان الالف الثالث ق . م . قد شهد حضارة متماثلة شملت جنوب القفقاس والمنطقة حول بحيرة وان واورمية وشرق الاناضول ونشأت هذه الحضارة اولا في وديان الانهار وعلى طول الجداول المنسابة من الجبال واخذت تنتشر منذ اواسط الالف الثالث ق . م . الى سفوح الجبال مكونة حضارة موحدة تشمل منطقة واسعة لها صلة وثيقة بالحضارة الحورية.واظهرت اثار مدافن التلال (كورغان) من القرون ١٧ ـ ١٦ ق . م . علاقات مع اسيا الصغرى وسوريا . ولما سقطت الدولة الحيثية كانت منطقة ارارات قد وصلت مستوى عال من التقدم الحضاري وحتى العسكري

بعد ذلك بتحديهم للزحف الاشوري باتجاه تلك الجهات .

فاول اشارة الى منطقة ارارات (اوروا تري) الى الجنوب من بحيرة وان نجدها في كتابات الملك الاشوري شلما نصر الاول (١٢٨٠ - ١٢٦١ ق . م .). ومن الصعب ان نعرف تحديدا لمملكة ارارات في هذا الوقت وهل ان القبائل الساكنة في شمال العراق الشرقي كانت ضمن اتحاد أرارات . وفي عهد خليفته توكولتي ننورتا الاول يظهر ان الاسم نائيري قد حل محل ارارات حيث يذكر هذا الملك دحره ٤٣ ملكا من ملوك نائيري . ولكن ظهور ارارات كدولة لها كيان نراه لاول مرة حسب معلوماتنا الحالية بكتابات شلما نصر الثالث الاشوري (٨٥٩ - ٨٢٥ ق . م .) سواء في حولياته او في صور وكتابات بوابات بلاوات (ايمكور - بيل) جنوب شرقي نينوي. ففي صورة نرى الجيش الاشوري يستولى على القلعة الارارارية عند سوكونيا . وفي اخرى نرى الاستيلاء على ارزأشكو ذات الاسوار المزدوجة التي احتلها الملك الاشوري في سنة حكمه الثالثة . واذا لاحظنا ملابس الاوراتيين واسلحتهم في ابواب بلاوات نشاهد مشابهتها لملابس واسلحة الحيثيين والحوريين . واضطر هذا الملك الاشوري الى ارسال حملة ثانية ضد ارارات في نهاية حكمه (السنة ٢٧) برئاسة قائده دايان اشور ويظهر ان ملكا جديدا لارارات (سردور) قد اعتلى العرش الان لم توافقه التسوية السياسية الاشورية التي تمت مع سابقة الملك ارامو . وان اقدم مواقع ارارات في منطقة بحيرة وان تعود (كما ظهرت الحفريات) الى الربع الثالث من القرن التاسع ق . م . ولا نعرف هل ان الملك سردور ابن لاتبري هو من نفس سلالة ارامو او انه يعود الى سلالة اخرى ربما استحوذت بطريقة لا نعرفها الان على عرش ارارات . وهناك فجوة زمنية بين سرودور وارامو قد تدل على وجود ملك او اثنين بينهما . ولا نعرف هل ان توشبا كانت عاصمة ارامو وسردور . وتقع توشبا على ساحل بحيرة وان الغربي حوت على سور ضخم من الحجر الكبير (٢٠×٢/٥ قدم وبارتفاع قدره ٢٠ قدم). وحوى سور المدينة هذا ثلاث كتابات بالاشورية لسردور نلاحظ بها اتخاذه لالقاب ملك العالم الملك القوي ، ملك بلاد

نائيري ، الملك الذي لا مساو له . . الخ واستخدام سردور الاول للغة الاكدية يدل على تأثر ارارات منذ نشوئها بالحضارة العراقية . ووصلنا من كيله شين نصبا باللغتين الاكدية (اللهجة الاشورية) والاراراتية يخلد ذكرى انتصارات الملك اشبوئيني (ابن سردور) وابنه مينوا. وذكرت النسخة الاشورية لقبه كملك على بلاد النائيري التي اسمتها النسخة الاراراتية بيايني والاخير هو الاسم الذي اطلقه الاراراتيون منذ نهاية القرن التاسع ق . م . على المنطقة حوالي بحيرة وان وعلى مملكة ارارات ككل . واقدم كتابات ملوك ارارات كانت لاشبوئيني الذي يظهر من كتاباته بانه شيد الكثير من المعابد والقلاع والابنية الاخرى في العاصمة توشبا والمناطق المحيطة بها. ويذكر لنا نفس الانجازات ولده مينوا الذي اضاف لها حفره القنوات وزرعه البساتين وحقول العنب . ويظهر ان مينوا قام بفعاليات عمارية كثيرة في توشبا منها الاسوار المنيعة حول القلعة وجلبه الماء العذب اليها من مسافة تزيد عن ٥٠ ميلا . وان توسيع رقعة دولة ارارات قد صحبه تقوية الحكومة المركزية وظهور طبقة حاكمة كفؤة ونظام اداري في مختلف المناطق مع مجمع الهي حول الكثير من الارباب الثانوية التي كانت تعبدها القبائل المنفصلة الكثيرة في السابق . واستمر توسع مملكة ارارات في عهد اركيشتي ابن مينوا الذي اعتلى على العرش في الربع الاول من القرن الثامن ق . م . وعلى القرب من الغرفة الكبيرة المنحوتة من الصخر في قلعة وان والتي قد تكون قبرا لهذا الملك هناك كتابة طويلة بالاكدية يطلق عليها اسم وثيقة اخبار خورخور تذكر حملات اركيشتي لتوسيع رقعة دولة ارارات والمناطق التي اضافها واعماله العمرانية . ففي بدء حكمه قام اركيشتي بحملة الى الغرب للحصول على منفذ الى البحر المتوسط وللسيطرة على الخطوط التجارية الرئيسية . كما قام بحملة اخرى ضم بها منطقة القفقاس اليه . وتذكر وثيقة اخبار خورخور ضمن احداث السنة الرابعة من حكمه غزو شمال سورية (ارض حاتي وميليد). وفي احداث السنة التالية تقرأ تقدما اكثر صوب الشمال وبناء مدينة اريبوني شمال توشبا اسكن بها الاسرى الذين حملهم من المناطق التي غزاها . وحوت قلعة اريبوني (التي نقبت

منذ سنة ١٩٥٩) على قصر ملكي وغرف خزن . وكانت جدران المعبد الرئيسي مزينة بصور الرب خالدي راكبا على اسد وحوى المدخل على صفين من الاعمدة مع برج الى الشرق . وشمل القصر عددا من البنايات ذات الاغراض المتعددة . وهناك بضع عتبات تؤدي الى ساحة محاطة باعمدة الى الغرب منها معبد صغير والى الشرق بنايات الدوائر المختلفة بها غرفة مزينة بصور كثيرة بالطراز الاشوري منها نماذج هندسية والشجرة المقدسة وعلى جانبيها الالهة الحارسة والاشكال الكبيرة من الاسود والثيران ملونة كلها بالابيض والاسود والاحمر والازرق . والى شمال الساحة هناك بنايات اخرى تشمل غرفا ذات اعمدة في الوسط ومخازن حوت على جرار كبيرة للخمور . والى شمال القصر هناك ساحة اخرى محاطة بعدد من الغرف الصغيرة . وشغلت شرق القلعة بناية كبيرة بغرفة مركزية كثيرة الاعمدة لخزن الخمر محاطة بغرف خزن صغيرة جاءت المركزية بها بصور كثيرة تمثل اوجها من الحياة اليومية امثال الصيد ورعي الماشية وتقديم القرابين . وفي وقت ما بتاريخ اريبوني اعيد تعمير بنايات القلعة فزادت اعمدة الصف الامامي للمعبد الرئيسي واحيط بسور مكونا قاعة مربعة ذات ٣٠ عمود تماثل قاعة الاعمدة (الابادانا) الاخمينية تخفي مدخل القصر . وتمثل هذه ربما اول مثال نعرفه لقاعدة الاعمدة . وعثر على بنايات اخرى حوت غرفها على صور عدة تعد خير مصدر لفن ارارات . وتدل الحفريات على اهمية قلعة اريبوني في القرن الثامن ق . م . في المنطقة الجديدة التي سيطر عليها الاراراتيون . وبعد ست سنوات من تشييد اريبوني بنى اريكشتي هينيلي (التي شيدها اركيشتي) احاطها بسور قواه بابراج وشيد فيها المعابد والمخازن مع قصر داخل القلعة . وما عثر في هذه المدينة من كتابات واثار يدل على اهميتها . ووصلت دولة ارارات في عهد اركيشتي الاول (اواسط القرن الثامن ق . م) قمة تعاظمها حيث سيطر على الشمال (القفقاس) والمنطقة حول بحيرة اورمية وتقدم بنجاح في مناطق سورية الشمالية وجنوب بلاد الاناضول مسيطرا بذلك على الطرق التجارية الهامة . كما تدل الاثار على تأثر الاراراتيين بالحضارة الاشورية .

واتى على العرش بعده ابنه سردور الثاني الذي سار على نهج والده . وقد ترك لنا حولياته على لوحين في محرابين كبيرين على منحدر قلعة توشبا الرئيسية غطت حركاته الحربية خلال ٢٢ سنة ذكر بها معلومات عن بلاد ارمي بوادي دجلة الاعلى وجعل الفرات حدوده الغربية بعد ان حصنه . كما له كتابات عثر عليها في اريبوني تذكر اخضاعه للقبائل القاطنة على شواطىء بحيرة سيفان وتشييده الحصون فيها . وشهد عصر هذا الملك تعاظم اشور تحت حكم تجلات بلاصر الثالث . فلم يرق لاشور سيطرة ارارات على شمال سورية . فاصطدم تجلات بلاصر مع ارارات والاربع مدن السورية (اكوسي ، ميليد ، كوركوم ، وكومموخو) في معركة عند ارفاد وكسر جيوشها وهرب سردور الذي كان حسب ما يظهر يقود الجيوش المشتركة وفي سنة ٧٣٥ ق . م . تحرك تجلات بلاصر الثالث لغزو ارارات وحاصر توشبا مهدما المدينة المحيطة بالقلعة . ومع الاسف ان معلوماتنا عن نهاية حكم هذا الملك وصعود خليفته معدومة الان .

واتى بعد سردور الثاني الملك روسا الاول (الذي يعتقد البعض بانه مغتصب استنادا الى كتابة على تمثال له يذكر كونه قد اعاد غزو ارارات) . وقد وجد روسا الاول نفسه في وضع متأزم وسط الخطر الاشوري وثورة الكثير من حكام اقاليمه ضده ونقرأ في مسلة طوبزاوة مساعدته لارزانا ملك مصاصير (اسماها ارديني في اعالي الزاب الكبير شمال العراق الشرقي) وهذه المسلة مثل مسلة كيلة ثسين مدونة بالاكدية والاراراتية ووضعت المسلتان في الزاوية الشمالية الشرقية من المنطقة الجبلية العراقية على طريق القوافل المؤدي الى منطقة بحيرتي وان واورميا وكانت تتصل بهذا الطريق طرقا اخرى عبر سهل شهرزور وعبر الداؤ دية والعمادية ودهوك فنينوى . واصلح روسا القلاع والمدن التي هدمها الاشوريون وتنصيبه حكاما جددا مرتبطين به مباشرة وان ما وصلنا من كتاباته لقليل جدا . ويظهر ان قلعة العاصمة قد نقلت الان الى موقع توبراق قلعة الحالي . ووجه همه الى مراكز ارارات في الشمال لصد هجمات السميريين الذين بداؤ ا حركاتهم منذ عهد والده مشيدا القلاع في المنطقة حول بحيرة

سيفان . وفي كتابة عثر عليها في قلعة عند مدينة تسوفينار الحالية التي تسيطر على الطريق حول جنوب بحيرة وان ذكر دحره لجيوش ٢٣ عدوا في سنة واحدة وتشييده لمدينة الاله تيشيبا . وعمل روسا على تجنب الاصطدام بالاشوريين وربط بلاده بمعاهدات مع الاقطار المحيطة به . ونعرف من الحوليات الاشورية عن اصطدام روسا مرتين بالسميريين لم يكتب له فيهما التوفيق وتمزق خلالهما جيشه . كما ذكرت ثورة حاكم منطقة اواسي عليه التي عرف خلال اخماده لها بثورة ضده داخل عاصمته رأسها قائده ناراغو . فرجع روسا الى توشبا وقتل ناراغو وعشرين من الضباط ومائة جندي الذين ايدوه في حركته . وما ان قضى على الحركات هذه حتى تحول صوب اشور فقوي مركزه في مصاصير بتنصيب ارزانا على عرشها ووضع الاخير بعض قواته تحت امرة ملك ارارات . وعقد روسا معاهدة مع امباريس ملك تابال واشعل ثورة في بلاد المانناي ضد ازا الذي نصبه سرجون الثاني الاشوري هناك كانت نتيجتها اخراجه وتنصيب اوللوسونو المؤ يد لروساهناك . ولم يبق اوللوسونو طويلا على عرشه حيث هاجمه سرجون واسره ووضع بدله دايوككو الذي اقنعه روسا بالثورة على اسياده الاشوريين ، تلك الثورة التي اخمدها الاخيرون بقسوة ونفوا دايوككو نتيجتها الى حمات.كل هذه حملت سرجون الثاني على التحول صوب ارارات سنة ٧١٤ ق . م عن طريق شمال العراق الشرقي مارا بمصاصير وبلاد المانناي ثم اتجه شرقا والتقى بقوات روسا في منطقة اويشديش (في بلاد المانناي) ودحرها . وتقدم الجيش الاشوري على طول الساحل الشرقي لبحيرة اورميا مغطيا مقاطعة سوبي مصدر خيول جيش ارارات وهدم مدينة اولخو فيها . واتجه سرجون منها صوب الزاوية الشرقية لبحيرة وان مارا بتوشبا وسواحل البحيرة الشمالية والغربية ودخل بلاد النائيري (جنوب بحيرة وان).وهاجم سرجون خلال عودته مصاصير واعطانا في حولياته قائمة طويلة مفصلة بالغنائم التي حصلها نتيجة حملته هذه خاصة من تهديمه مصاصير حوت الكثير من القطع الفنية لارارات واوصافا لبعضها . وذكر سرجون بأن روسا (اورسا في النص الاشوري) قد انتحر لدى سماعه بتهديم مصاصير .

وأتى بعد روسا ابنه اركيشتي الثاني الذي يظهر بانه اخذ يتحرش بالاشوريين حيث نقرأ في رسائل اشورية منع الاراراتيون الاشوريين من اخذ اخشاب بعض غابات قريبة وعن تقدم قوات لارارات الى مدينة خاردا (قرب ديار بكر) وقوى علاقته مع كوموخو في شمال سوريا صار على اثرها يتسلم الجزية السنوية من حاكمها الذي انتقم سرجون منه اخيرا (سنة ٧٠٨ ق . م).وشيد ارغيشتي مدينة تتومنيا قرب مدينة ارجيس على شاطىء بحيرة وان الشمالية عند بحيرة اصطناعية ذات قناة وهناك الكثير من القلاع (كالقلعة الكبيرة على الفرات قرب ارزنجان التي كانت مقرا لممثل لـ ملك ارارات) والقطع الفنية الرائعة في هذه المنطقة . وتحت اسوار القلعة عثر على مقبرة لاشخاص مهمين مشابهة الى القبور الملكية المنحوتة في صخور وان اثنان منها مشيدان من القطع الصخرية الكبيرة حوت على ثلاث غرف بجدران ذات محاريب وعثر في احد الغرف على تابوتين باغطية شبه دائرية منحوتة من قطعة صخرية واحدة . كما عثر في القبور على الكثير من الاثار المصنوعة من البرونز والخشب المطعم باقراص القرون والكثير من الاسلحة البرونزية والحديدية وعدد من سروج الخيل والدروع والاحزمة البرونزية المزينة بأشكال الفرسان والثيران المجنحة . وهناك حلي كثيرة منها ازرار ذهبية تعود جميعها الى عصر ارغيشتي الثاني .

وجاء بعده ابنه روسا الثاني المعاصر للملك الاشوري سنحاريب . وقد تقدمت الآن جموع السميريين الى المنطقة حول بحيرة وان التي استقروا بها لفترة من الزمن.ونقرأ في وثيقة آشورية عن اصطدام الاشوريين بهم في منطقة ملكي . وكانت علاقة روسا الثاني بالسميريين (كيميررا بـالمصادر الاشـورية) والسكيثيـين (اشكوزايا بالمصادر الآشورية) جيدة . ودلت الحفريات في قلعة تيشيبيني مركز ارارات العسكري والسياسي في القفقاس على قوة الصلة بين ارارات والسكيثيين الذين صاروا يضمنون لهم امن الحدود الشمالية حيث اظهرت الحفريات في تيشيبيني الكثير من الاثار السكانية ، اسلحة (قطع من عدة سروج الخيل وزينة) ليس فقط مستوردة من شمال القفقاس بل حتى من منطقة الدنيبير البعيدة . وتدل الكتابات

على كثرة البنايات التي شيدت في عهد روسا الثاني . وقد وجه هذا الملك همه للسيطرة على الخطوط المؤدية الى البحر المتوسط . وتذكر احد كتاباته الى قبضة على اسرى من بلاد موشكي ، خاتي وخاليتي الواقعة على ما وراء الفرات . وقام بتشييد مدينة على تل توبراق قلعة اسماها روسا هينيلي مد اليها القنوات الاروائية لسقي بساتينها وحفر لها بحيرة اصطناعية . وقد ابانت الحفريات في توبراق قلعة بقايا قصر مزين بالموزائيك الكثير الالوان ومبلط بقطع البازلت . كما عثر على معبد يتألف من غرفة واحدة يتقدمها منطقة مرصوفة . وقد بقيت روسا هيليني عاصمة لملوك ارارات طوال قرن من الزمان وخربها الميديون بقيادة ملكهم كي اخسار سنة ٥٨٥ ق . م . عندما اسقطوا دولة ارارات . وعثر على قلعة بناها روسا الثاني اسماها (مدينة الملك روسا الصغيرة) قرب مانو في ايران . كما ترجع الى روسا الثاني قلعة (مدينة تيشيبيني (كارمير بلور).وبنى على شواطىء بحيرة سيفان الجنوبية مدينة اخرى اسماها تيشيبا . وعثر في تيشيبيني على رسائل بعث بها ملوك ارارات ومسؤوليها الكبار في العاصمة الى حاكم تيشيبيني مدونة بالكتابة المسمارية ومختومة بختم اسطواني يحمل صورة شجرة الحياة وحيوانات هائلة الحجم تخص جمع جزية وتحركات افراد وحيوانات ومشاكل ارث وارجاع جارية هاربة تعطينا صور للحياة اليومية حوالي القلعة . كما عثر فيها ايضا على وثائق مدونة على البردي ربما في الآرامية . وترينا الآثار التي عثر عليها في تيشبيني التأثيرات العدة على حضارة ارارات امثال حضارة القفقاس وتلك للشرق الادنى . فهناك الاختام الاسطوانية الاشورية . وتظهر اثار المدينة علاقاتها مع بلدان آسيا الصغرى والبحر المتوسط تتوضح في الابريق الفضي ذو النخلة تحت القبضة . كما حوت مخازن تيشيبيني ادوات سكيثية . وتغطي منطقة قلعة تيشيبيني مساحة قدرها ٧٥ ـ ١٠٠ ايكر وترينا عمارتها وجود عدة طبقات اجتماعية متميزة فيها [٧] . ولما برزت منطقة بحيرة وان ثانية صارت تدعى ارمينية وحلت لغة هندية اوروبية محل اللغة الوانية واخذت المدن اسماء جديدة . ولما ثار احد الميديين على داريوس كانت احد معارك الاخير ضده في

ارمينيا .

وكان على رأس مجمع ارباب ارارات الالهة الثلاثة خالدي ، تيشيبا ، وشيفيني ، وفي محراب بالجبال القريبة من بحيرة وان المعروفة الان باسم مهيري دور (بوابة مهيري) هاك نص بلغتين من نهاية القرن التاسع ق . م . يذكر اسماء ٧٩ الها مع الاضاحي المفروضة لهم . وكان خالدي هو رب الحرب الرئيسي لارارات الذي صوره على هيئة رجل ملتح او امرد يقف على اسد وزوجته الربة اروباني . اما تيشيبا فهو اله العواصف والرعد وزوجته خوبا . ثم الرب شيفيني اله الشمس وزوجته توشبويا . وقد عبدوا الربة عشتار تحت اسم ساريس ويتجسمها في شخصية سميراميس لعبت دورا بارزا في الاساطير الارمينية من العصور المتأخرة كما عبدوا القمر (سيلارديس) وارباب المناطق التي غزوها وارتبطوا بها امثال ارباب مدينة اردا (مصاصير) وكومانو . وهناك ارباب الارض والبحر والماء والجبال والكهوف التي تدل على اساس بالحيوية في دين ارارات . وشملت أضاحيهم الى الارباب الخمر الذي استحصلوه من العنب المحصول الهام في بلاد وان الذي قدسوا شجرته.وكان الملك يستنبت شجرة عنب في احتفال رسمي مهيب.واخبرنا فوستوس البيزنطي بان اهل ارمينية في زمانه (القرن الرابع الميلادي) يعتقدون بان المحارب الشجاع الذي يسقط قتيلا في ارض المعركة يرجع الى الحياة . واذا ما ربط هذا الخبر مع ما ذكره لنا افلاطون عن ايراين ارمينوس الذي ذبح في معركة قد عاد الى الحياة بعد ان تجول في العالم السفلي[٨] . وهاتان القصتان قد تدلان على الاعتقاد بتغلب الرب الذي يموت في فصل الجفاف على الموت في منطقة وان من عصور اولى وتحولها الى مثل هذه الاخبار بمرور الزمن . وقد وصلتنا منحوتة من قصر سرجون الثاني الاشوري بها صورة للمعبد الذي نعرف عن تشييد الاراراتيين له في مصاصير . وبني المعبد على مصطبة مرتفعة بسقف منحدر ذا قوصرة في الاعلى فوقها ما يشبه الرمح . ويتقدم الواجهة ستة اعمدة مع بوابة منخفضة في الوسط . والجدران مع الاعمدة مزينة بالرقائق المعدنية . وعلى جانبي المدخل تمثالان برونزيان في وضع تعبد مع رمحين

كبيرين . وهذا الشكل مشابه الى معابد آسيا الصغرى منذ فترة المستوطنات اليونانية .

اما فن ارارات فجاء متأثرا بالفن الاشوري بالدرجة الاولى مع تأثيرات اخرى حيثية وسكيثية . . الخ. فغالبية البنايات من الصخور الذي قطع بكل اتقان وباحجام غالبا ما كانت كبيرة . كما استعملوا الطابوق احيانا . ونشاهد احيانا ولع المعمار في جعل صفوف الجدران متناوبة (أحجار سوداء في صف وبيضاء في صف آخر). وبرع اهل وان في صنع الادوات المعدنية على اختلافها مما يدل على قربهم من مناجم المعادن التي استعملوها امثال الذهب والفضة والبرونز والنحاس والحديد . وكانت صناعاتهم البرونزية على غاية في الابداع امثال الغرفين ذو العيون المطعمة الذي اكتشف في توبراق قلعة الشبيهة بالاشكال الاشورية . وهناك الاحزمة المزينة بالرسوم والدوائر منها حزام برونزي نرى به صورة رب محارب على اسد وحصان (بيكاسوس) بأجنحة على ما يشبه الشجرة بين طرز مختلفة.وحزام برونزي آخر به صورة كبيرة لغرفين باجنحة رسم بين طراز الظفيرة وورود اللوتس . وهناك درع الملك ارغيشتي الاول (٧٨١ ـ ٧٦٠ ق . م .) من البرونز ودرع الملك سردور الثاني (٧٦٠ ـ ٧٤٣ ق . م .) البرونزي ذو الدوائر السبعة ثلاثة منها مزينةبصور اسود). ثم خوذة الملك ارغيشتي الاول المزينة بالالهة الحارسة على جانبي شجرة الحياة المقدسة . وعثر على الكثير من الصحون البرونزية بعضها مكتوب بالمسمارية . ووصلتنا اشكال برونزية اخرى امثال الثور المجنح من توبراق قلعة وتمثال اله على ثور جاثم والاسد المجنح ذو رأس واكتاف الانسان ، وتمثال امرأة بجناحين مبسوطين وذيل طير ثم رأس الحصان باذنين بارزتين الى الامام واعين محدقة وتمثال الاله تيشيبا واقفا وبيده اليسرى فأسا وبالاخرى صولجانا الى جانب الكثير من الصناديق الصغيرة المصنوعة من الصخر منها واحد مزين بصور صيد . كما وصلتنا نوع القلائد المصنوعة من شتى انواع الخرز والامشاط العاجية والحلي الذهبية (اقراط وخلاخل برأسي حية) .. الخ ووصلتنا اختام اسطوانية واخرى مسطحة منها ختم اسطواني يصور

افعى وراس ثور على جانبي شجرة الحياة واخرى لصياد يسدد سهمه صوب غزال قريب منه وثالثة نشاهد فيها الملك يصطاد الثيران الوحشية من عربة في الطراز الاشوري كما لدينا الكثير من الامهار (جمع مهر وهو الختم المسطح الصغير).وان القبضات المخروطية او على شكل الجرس نرى فيها الكثير من الاشكال وعلى الاخص الخرافية والحيوانية وشجرة الحياة . وفخار آرارات يشابه بصورة عامة فخار الكثير من مواقع آسيا الصغرى الاولية جيد الصنع والاوعية ذات العرى لكثيرة، وحفظوا الخمور والزيت في جرار كبيرة نحتوا عليها نماذج الحبل على طول الجوانب . ووصلتنا اشكال كثيرة ومنوعة من الفخار امثال المبخرة ذات القاعدة المرتفعة والكأس المطرز على شكل حذاء جميل بنهاية مدببة وعنق قصير وآخر على شكل حذاء ايضا طويل العنق ضيق الفوهة ثم الجرتين المنتفختي البطن المتصلتين مع بعضهما من الجانب والابريق ذو الفوهة الخالي من الايدي والذي تبرز منه اقداح صغيرة اشبه بالمحابر على طول البطن . . الخ

٣ ـ فريجيا : سكن الفريجيون بمنطقة من آسيا الصغرى اختلف اتساعها من فترة لاخرى.ففي عصر الاحتلال الروماني كانت فريجية بمنطقة يحدها من الشمال بثينيا ومن الغرب ميسيا وليديا وكاريا ومن الجنوب ليشيا وبيسيديا ومن الشرق ليكاونيا . وفي عصر اسبق كانت غلاطية المجاورة الى لاكونيا جزء من فريجيا . وجعلت الكتابات المنسوبة الى هيرودتس الفريجيون يسكنون حوالي ضفتي نهر سقارية (سنغاريوس) حيث تشكلت بعد ذلك على حد قول الكتاب المتأخرين مملكة فريجية قوية بزعامة غورديوس وميداس . واخبرنا هيرودتس[٩] بان الفريجيين (وكانوا يسمون برايجيس) من الاقوام التي هاجرت من مقدونية وتراقيا . ويذكر اليونانيون ان هجرتهم تمت قبل الحرب الطروادية ولو ان خانثوس الكاتب الليدي يجعل دخولهم البلاد بعد حرب طروادة بالاشتراك مع الميسيين . ونقرأ في الالياذة كيف ان بريام ملك طروادة حالف الزعيمين الفريجيين اوتريوس وميغدون (الذي عاشت جماعته حول بحيرة اسكانية قرب نيقية حوالي المنعطف الاخير لنهر سقاريا) لما حاربوا

نساء الامزون على ضفاف نهر سقاريا ، تلك التي يقرنها بعض الباحثين مه حرب الملك الحيثي/حيلياش الرابع ضد حلف يتألف من ٢٢ دولة في بلاد اشوا . واظهرت الحفريات في طبقة طروادة السابعة بعد سقوط طروادة دخول موجة بشرية جديدة استعملت فخارا بدائيا نعرف عن شيوعه في اواسط اوروبا وربما يكون هؤلاء هم طلائع الفريجيين والميسيين . وقد ظهر في موقع العاصمة الفريجية غورديون بنفس الوقت فخار اسود مصنوع باليد سرعان ما اختفى.وربما تكون المنطقة التي عاشت بها جماعة ميغدون هي اقدم مواطن الفريجيين ثم اندفعوا غربا بعد سقوط حاتتوشاش وطروادة.ونعرف بان المدينة عند موقع بيجة سلطان قد هدمت حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م . وكانت المنطقة التي حوت منحوتات الفريجيين الدينية الرئيسية هي الهضبة بين اسكي شهر وافيون قره حصار التي حوت الكثير من الانهار والمدن التي قدستها الاساطير والدين منها نهر سقارية والمدينة المعروفة الان باسم بمدينة ميداس (مدينة الام (سيبيل) ميتروبوليس.والى الشرق قرب سقارية والعاصمة غورديون هناك حوالي الثمانين من قبور التلال (التومولي) التي كانت مدافن ملوك فريجيا العظام امثال غورديوس وميداس . والمنطقة الفريجية الاخرى كانت الى الشرق (في غلاطية) حول انكيرا (انقرة) حيث عثر على قبور تلال ومعابدواثار اخرى ترجع الى القرن ٩ ـ ٨ ق . م . رابطة المستوطنات الغربية مع المراكز الفريجية الى الشرق فيما وراء نهر الهاليس عند بتيريا (بوغاز كوي العاصمة الحيثية السابقة) وبازارلي وعلى شار والاجاهويوك وكول تبة . علما بان الفخار المرتبط بالفريجيين قد عثر عليه في الكثير من الاماكن في الهضبة . واطلقت المصادر الاشورية على سكان هذه المنطقة (خاصة شرق الهاليس) منذ القرن الثاني عشر ق . م . اسم موشكي ويتكلمون احيانا عن موشكي وتابال مرتبطين مع كاشكو (اقوام الكاسكا الجبلية) وهي حقيقة قد تدل على تحالف الموشكي مع تابال وقبائل الكاسكا في الهجوم الاخير على حاتتوشاشش واسقاط الدولة الحيثية . وان ذكر المصادر الحيثية المتأخرة اسم ميتا أمير باخووا (ربما غرب الفرات الاعلى قرب مدينة ديفريقي الحالية) قد يشير الى

التغلغل الفريجي - الموشكي على الحدود الشرقية بقيادة امير يحمل اسم امير فريجي مشهور . وهناك من ربط أقوام الموشكي مع جماعات الموسكي والتيبارني الذين سكنوا على مقربة من الخالييبس المشهورين بالتعدين قرب البحر الاسود.فربما اندفع الموشكي والتيباراني نحو الجنوب من شرق البونطس على طول الهضبة الوسطى الى منحنياالهاليس متصلين بالفريجيين متقدمين من الشمال الغربي . وتخبرنا الحوليات الاشورية انه حوالي سنة ١١٦٠ ق . م . تقدمت جموع الموشكي جنوبا خلال جبال طوروس وسكنت في مقاطعات الزي وبوروكززي معترفين بالسيادة الاشورية . وبعد نصف قرن اتهم تجلات بلاصر الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق . م .) الموشكي بغزو مقاطعات كوتموخي وكوموخي فهاجمهم ودحرهم في كيشتان وخالبي (ربما هالفيتي على الفرات الاعلى) والحق مقاطعة الزي - بوروكوززي باشور وحمل ستة آلاف من الموشكي اسرى الى منطقة عرفوا فيها زمن سترابون باسم الميغدونيس حول نصيبين.واذا اخذنا اشارة سترابون بنظر الاعتبار فانها تدل بان التغلغل الجنوبي - الشرقي شمل عناصر فريجية (الميغدونيس). فالفريجيون في الغالب كانوا يتألفون من عنصرين غربي (عاصمتهم غورديون) وشرقي يتألف من الموشكي والتابال (عاصمتهم عند مازاكا قيصري الحالية).

وحوى الفرع الشرقي قيادة حورية كما في اسم الملك الكتموخي كيلي اوكالي تيشوب (الذي اطلق عليه ايضا الاسم ايزروبي ومعناه سيدي في الحورية). وبين القرون ١٢ - ٩ ق . م . توسعت امبراطورية الفريجيين الشرقية (موشكي وتابال) جنوبا وسيطرت على منطقة واسعة من هضبة الاناضول . ويظهر ان تابال تمثل العناصر اللوفية القديمة التي ظلت بعد زوال الدولة الحيثية شمال طوروس.وان الاسم الجديد هذا قد اطلق على المنطقة التي اسماها الحيثيون سابقا البلاد السفلى وهي المنطقة ليكاونيا وكاباذوكيا والمنطقة جنوب الهاليس حتى حدود طوروس واوقفت مملكة قوي QUE (خيليا ككو اي كيليكيا) توسع تابال في القرن الثامن ق . م . بينما تألف شرقا حلف من الدويلات الحيثية الصغيرة سمي حاتتي الكبرى تركز

حول كركميش . وشكلت تيل غاريمو (غورون الحالية وغورينا الكلاسيكية) الحد الشرقي لتابال التي وصلت نهايتها الجنوبية الشرقية فيما وراء طوروس ، حيث اخبرنا شيشرون ان خلال فترة حكمه سنة ٥١ ق . م . كانت ممرات طوروس الثانوية بيد قبائل الكيليكيين الاحرار.وقد ظل الموشكي تابعين لآشور حيث غزاهم توكولتي نينورتا الثاني واعترفوا بسلطة اشور ناصر بال الثاني الذي ارسلوا اليه الاوعية البرونزية وقطعان الماشية والخمر حوالي سنة ٨٨٢ ق . م . وارسل خليفته شلمانصر الثالث سنة ٨٣٦ ق . م . جيشا وصل حتى جبال توننى (جبل نحاس ، ربما موقع توننا قرب بلغار معدن) . وجبل مولي جبل المرمر . واخبرنا بأن تابال تتكون من ٢٥ مملكة دفعت جميعها له الجزية وقد فضل امراء تابال حماية ملوك ارارات وبذلك كانوا ضمن منطقة نفوذ الأخيرين . واعلن مينوا ملك ارارات (٨١٠ ـ ٧٨٥ ق . م .) بأن دويلة ملاطية وحاكمها سوليها والى (سولومي) تابعة له . وادعى خليفته ارغيشتي الاول في سنته الثالثة (٧٧٥ ق . م) غزوه لتواته ملك ملاطية.واوضح سردور الثالث بأن حكام كوموخي وتابال تابعين له وانه هاجم خيلاروادا ابن ساخو ملك ملاطية وسيطر على عاصمته ساسي والحق تسعا من قلاعه على طول الفرات الاعلى . والى الشمال قليلا اظهرت الحفريات الاخيرة ان دويلة داياييني التابعة لارارات بسطت سيطرتها غربا في هضبة الاناضول في القرون ٨ ـ ٧ ق . م . حتى التين تبة بين أزرنجان وأرضروم . وحوالي سنة ٧٧٠ ق.م. أسس آراراس بتأثير آرارات سلالة جديدة في كركميش وادعى السلطة على موشكي وليديا واخبرنا خليفته كاماناس بانه تابع الى سردور . ولما دحر تجلات بلاصر الثالث ارارات واستسلم له بيسيريس حاكم كركميش سنة ٧٣٨ ق . م . تقدم باتجاه اسيا الصغرى حيث اعترضه حلف اربع من ملوك تابال كانوا يسيطرون على الوديان المتفرعة الى الشمال من ممرات طوروس الرئيسية واعترفوا بسلطان ملك تابال الكبير واشوشارما الذي حكم من عاصمته بيت بوروتاش (بوروتيش) ووصلتنا الكثير من كتاباته من توبادا وسوفاسا جنوب الهاليس وقيصري وسلطان خان وكولولو.واستبدل تجلات

بلاصر الثالث هذا الملك باخر اسمه خوللي الذي دفع جزية سخية للاشوريين تألفت من ١٠ طالين ذهب والف طالين فضة . ولم يبق خوللي مخلصا للاشوريين مدة طويلة وبعد وفاة تجلات بلاصر الثالث كان على رأس المحرضين ضد اشوركياككي حاكم شينوختي الذي اقنع خوللي بترك اشور وانضم اليه بيسيريس ملك كركميش وميتا (ميداس الفريجي) حاكم موشكي . وتقدم ميتا الى كليكيا واحتل ثلاث من مدنها ولكنه اندحر امام سرجون الثاني الاشوري الذي حمله اسيرا وجعل كركميش مقاطعة اشورية . وفي سنة ٧١٦ ق . م . سيطر سرجون على شينوختي واعطاها الى ماتتي حاكم توننا كما نصب امباريس محل والده خوللي وزوجه من اميرة اشورية اسمها اخات ابيشا واعطاها مدينة خالياكو كصداق (شرقيتو) لها . وفي سنة ٧١٤ ق . م . اندفع السيميريون من منطقة القفقاس وهاجموا ارارات وربما دفعهم (برأي المصادر اليونانية) السكيثيون . وقد اعترضهم روسا ملك ارارات فدحروه بموقعة اوسي (ربما باش قلعة). وفي سنة ٧١٢ ق . م . اتهم الملك الاشوري حليفه امباريس بخيانته فحمله وعائلته الى اشور كاسرى وجعل تابال مقاطعة اشورية وبنى الحصون على حدود موشكي وقسم تابال الى مقاطعتين اشوريتين هما خاليا ككو وقوي (كليكيا) اي شمال وجنوب طوروس . ثم اتجه السيميريون غربا وهاجموا الفريجيون ودحروا ميداس الذي انتحر واحرق المهاجمون مدينته.وفي الغالب ان المدفن التلي الذي اكتشف سنة ١٩٥٧ في غورديون مع الكثير من العطايا الجنازية يعود الى ميداس وقد يكون هيكل الرجل العجوز الذي يزيد عمره عن ستين سنة يرجع اليه . وتذكر المصادر اليونانية هجوم السيميريين على ايونيا وتخريبهم سمرنا وملطية وسينوب وانتاندروس . . الخ .

وقد هاجم اسرحدون السيميريين سنة ٦٧٩ ق . م . ودحرهم في خوبشينا ودفعهم اثرها الى ما وراء طوروس تحت قيادة ملكهم تيوشبا .

ان تاريخ فريجيا الاولى لا يزال غامضا ولكن الفريجيين قد جمعوا وحفظوا الكثير من معالم حضارة العالم الحيثي القديم التي بنيت على اطلال مملكة ارزاوا

وجاراتها الصغيرة.وبالوقت الذي كون فيه الفريجيون مجتمعا جديدا على شكل طبقة اجتماعية من الارستقراطيين الذين اعتمدوا على تربية الخيول وحكموا على السكان الاصليين فقد صاروا مرتبطين بطبقة كهنوتية محافظة ذات اصول سابقة للفريجيين تملكت الاراضي . وكانت العاصمة غورديون موقعا حيثيا اكتشفت مقبرته . اما الفخار الفريجي فهو وان لم يكن مشتقا من الفخار الحيثي لكنه اناضولي الاساس وهو على نوعين الاول شرق الخط الواصل بين سقارية واواسط سهل قونية فطوروس وفخاره كثير الالوان حوى حيوانات رسمت باشكال هندسية.والثاني غرب هذا الخط وهو فخار رمادي او احمر احادي اللون وهو فخار يمكن تتبعه الى العصر البرونزي . وترينا المنحوتات الاشورية سواء من نمرود او قصر الحاكم الاشوري بتل احمر (تيل بارسيب) اولى صور الفريجيين الشرقيين (الموشكو ـ تاباليس) . وتقاطيعهم يونانية بشعر اسود واحيانا احمر ملتف ولحى قصيرة بثياب طويلة ذات خطوط مستوية ملونة . واخبرنا هيرودتس بان الاسلحة الفريجية كانت تتألف من الخوذ ذات الطيات والرماح القصيرة والدروع الشبيهة بتلك القبائل الاناضولية والتي نراها مرسومة على الطابوق الملون المزجج من موقع بازارلي من بداية القرن السادس ق . م . ونشاهد النساء الفريجيات في منحوتات تل احمر دونما حجاب يلبسن الثياب الطويلة والسترة القصيرة .

وكان تعاظم مملكة ميداس في فريجيا الغربية اهم حدث في بلاد الاناضول باواخر القرن الثامن ق . م . وكانت فريجيا آنذاك في اوج قوتها اذا ما قورنت مع ليديا تمر بها خطوط المواصلات المتجهة الى السواحل الغربية . ونقرأ بالمصادر اليونانية عن ثراء ميداس بن غورديوس هذا وتزوجه من ابنة اغاممنون ملك كايم وكونه اول من قدم العطايا السخية الى معبد ابولو في دلفاي . واوضحت الحفريات في غورديون ادلة عن علاقات مع ارارات وشمال سورية . فكؤوس ذات اجزاء ذهبية ومباخر قد صدرت من تابال الى اماكن كثيرة منها مصاصير . وصدرت فريجيا كاساتها ذات ايدي الحلقات الى المدن الايونية . وقد صدرت فريجيا الى اليونان

الكاسات ذات مقبض الاصبع في الوسط التي شاعت في بلاد الاناضول في تقديم السكائب . وعثر على الكثير من كاسات مزج الخمر الفريجية المزينة بالمرأة الطائرة ذات المرافع الثلاثة ارجل في عدة معابد يونانية التي ربما حصلتها فريجيا من ارارات . ووجدت الادوات الفريجية من القرن الثامن ق . م . في المواقع اليونانية امثال دلفاي ، اولمبياد ، اسبارطة وايجينا . . الخ .

وتقدمت العمارة الفريجية . وقد اخبرنا فتروفيوس بأن الفريجيين قد شيدوا بيوتهم من القطع الخشبية بالقصب . وشيدت بيوت غورديون من القرن الثامن بالحجر والطابوق غير المنتظم واستعملوا الخشب فيها . وقد عثرت البعثة الامريكية على البوابة وعدد كبير من الدور الملكية والتحصينات والمستقرات ترجع كلها الى فترة ازدهار مملكة فريجيا (٧٢٥ ـ ٦٦٧ ق . م).وشيدت بوابة المدينة من الحجر الجيري الناعم الملمس وارتفاعها الحالي تسعة امتار بنيت في نهاية القرن الثامن ق . م . ولا بد وان كانت هذه البوابة ضخمة للغاية وجميلة . ويدخل الى المدينة من ممر مسقف عرضه تسعة امتار وطوله ٢٣ متراً . وعلى كل جانب من البوابة برج لكل واحد منها ساحة مفتوحة باتجاه المدينة.وقد استعملت الساحة الشمالية للخزن وربما كانت الساحتان لتدريب الجيش وربما كانت البنايات الخشبية في كل ساحة للحرس. وشيدت البناية من الصخر بمختلف الالوان ولهذا اطلق المنقبون عليه اسم البيت الكثير الالوان . وشغل القسم المركزي من تل المدينة منطقة القصر . وهناك جدار من اللبن يفصل الساحة الملكية الاولى التي حوت اربع بنايات عن بوابة المدينة.وربما شيد الجدار لاخفاء القصر عن المستودعات في بداية المدينة . ويحيط بالساحة الداخلية من الشمال والغرب والجنوب جدار اكثر قوة شيد كنوع من التحصين الداخلي . وان بنايتين في الساحة الاولى من نوع الميغارون.وبلط الميغارون الثاني بالموزائيك المكون من الحصى الاحمر والابيض والازرق وضعت في ترتيب‌هندسي. وتمثل هذه اقدم بناية معروفة حتى الان بالعالم القديم استعمل فيها موزائيك الحصى ، وشيدت الجدران من اللبن والسقف من القصب المغطى بالطين . اما

الميغارون الثالث فهو الاكثر اهمية طوله ٣٠/١٨×٤٠/٣٠ مترا وهو اكبر بناية في القلعة تقع في ساحة المدينة الداخلية المحصنة.وقسمت البناية الى قاعة مركزية وممرين بواسطة صفين من الاعمدة الخشبية . ويعتقد المنقبون ان القاعة المركزية تتكون من طبقة واحدة بينما الممرات من طابقين من الاروقة الخشبية . وقد عثر فيها على قطع من اثاث فاخر مما يدل على كونه بيتا ملكيا . والميغارون الثالث احد بنايات المدينة القديمة التي شيدت في النصف الثاني من القرن الثامن ق . م . والى الشمال من هذا الميغارون الكبير هناك ميغارون رابع على مستوى اعلى اعتقد المنقبون انه معبد . والى الغرب من هذه الميغارونات هناك بنايات اخرى حوت على ثمانين ميغارونا اعتبرها المنقبون بيوتا ذات علاقة بالقصر . وهناك سلم على طول الميغارون الثالث يؤدي الى المرتفع الذي شيدت عليه هذه البنايات . وان تشييد عدد من الميغارونات الواحد جنب الاخر قد استخدمت ايضا في طبقة طروادة الثانية وموقع تيرين . وعثر على بيت في بيرق لي (ازمير القديمة) شيد بنفس الخطة نشاهد فيها ميغارونين وضعا جنبا الى جنب . ان اهم ظاهرة في اواسط اسيا الصغرى هو الطريق الملكي الذي شيده داريوس في عهد الاحتلال الفارسي . ويبدأ الطريق من افيسوس الى الابواب الكليكية ومنها الى شوشة وله في ليديا وفريجيا عشرين محطة . وهناك خط آخر موازي له يبدأ من الشمال مارا بسمرنا . ويعبر هذا الطريق نهر الهاليس على جسر شيد من الصخر . وهذه الطرق مهمة ترجع في تاريخها الى العصر الحيثي . وفي بتيريا (بوغاز كوي) تلتقي الطرق مع آخر يذهب الى سينوب في الشمال وآخر الى الجنوب باتجاه الفرات وسوريا مارا بمزاكا وعابرا جبال طوروس . وقد اكتشفت الجزء المرصوف بالحجر من هذا الطريق بين غورديون وانكيرا.واعطت هذه الطرق الى فريجيا مركزا متميزا نظرا لثرائها وكثرة مواردها . فمراعيها الغنية جعلتها مشهورة باصوافها الممتازة التي صنعت منها المنسوجات والفرش . وان لباس اورباللا من تايانا التي نراها في صورة له من موقع افريز تبين تقدم زخرفة المنسوجات . وفريجيا غنية ايضا بالخشب الكثير الانواع الذي انتجته غابات فريجيا . ودخل في صناعتها

الخشبية وابنيتها الى جانب الثروة المعدنية امثال الفضة والرصاص عند بلغار معدن وحجر الدم والمرمر والعقيق اليماني ومادة الميكة الشبه زجاجية ثم الصبغ الاحمر الذي كان يستورد من كبادوكية (سمي تراب سينوب لوصوله عن طريق سينوب).
واوضحت الاثار المكتشفة في غورديون ان الفنان الفريجي قد اتقن عدة حرف سواء في عمل البرونز والخشب والنسج والعاج والفرش.وان تأثير طرز هذه الصناعات وعملها قد ترك اثرا كبيرا على الفن اليوناني المبكر وحتى قيل ان التطريز بالذهب بدعة فريجية (لأن الكلمة اللاتينية لهذه الصناعة هي فريجيو)، ونلحظ في الفن الفريجي ايضا انواع الزينة امثال النماذج الهندسية المنعزلة او المتشابكة كاشكال الصليب المعقوف والمعين والمتاهات والالتوائات . اما الاشكال البشرية فضعيفة والحيوانات مؤسلبة والحافات منقطة جاءت كلها متأثرة بالفن العراقي والاراراتي والفينيقي .
وكان للفريجيين تقليد في النحت المدور وصلنا اول مثل له من بالانجا (حوالي القرن السابع ق . م .) عليه كتابة بالهيروغليفية الحيثية . وعثر في بوغاز كوي على تمثال للربة سيبيل لابسة قبعة عالية وتنورة ماسكة بثدييها العاريين وعلى جانبيها شابان يضربان على الة موسيقية خاصة بطقسها . وفي دمير قلعة(مدينة ميداس)وجدجذع جسم الربة اغديستيس (من القرن السادس ق .م .) ونرى في بعض هذه القطع كون الجسم اسطوانيا . وبرز الفريجيون في الصخور المنحوتة وولعوا في نحت صور الارباب والبشر والبيوت وواجهات المعابد . ومن هذه صور لرجال في دمير قلعة واخرى عرفت باسم اثر ميداس (لوجود كلمة ميداي في الكتابة المرفقة) تعود الى القرن السادس ق . م . تصور واجهة معبد وتمثالا للربة سيبيل وضع في محراب . ثم منحوتة تصور عرشا في دمير قلعة كان يوضع اثناء الاحتفالات عليه تمثال للربة سيبيل واخرى اطلق عليها يازيليكايا الصغيرة (كوجوك يازيليكايا) ربما تصور واجهة معبد او بناية مهمة.وثالثة تصور اثرا لطقس فريجي نحت هو الاخر بالصخر اطلق عليها اسم مالتاش وفي منحوتات بقبر سميت كيريك ارسلان طاش نرى محاربا مرتديا الخوذة البرونزية يقتل غورغونا برمحة ومنحوتة اخرى على الجانب الايسر

لمحارب يقتل غورغونا ايضا[١٠] .

وتخبرنا المصادر اليونانية عن تفوق الفريجيين في حقل الموسيقى التي نجد صداها في العهد القديم وابتداعهم للناي والطاس والمصفار التي ربما ورثوها من الحيثين . وعثر في القبر التلي الكبير بغورديون على كتابة بنوع من الالفباء الفريجية على الشمع تدل على استعمال الفريجيين للشمع كالواح للكتابة .ويظهر ان الكتابات الفريجية اتبعت الطريقة الافعوانية (البوسترفيدونية) في الكتابة . ووجدت كتابة فريجية تذكر ميتا (ميداس) في تيانا والثانية على وجه صخرة في مدينة ميداس يظهر منها امتزاج الاجناس والحضارات في بلاط ميداس والتي ادت الى ظهور كتابة اكثر مرونة من الهيروغليفية الحيثية . وربما كان للالفباء الفريجية اثرا على الالفباء اليونانية مثل الالفباء الفينيقية .وحفظ لنا الادب اليوناني الكثير من التراث الفريجي امثال ايسوب الذي يجعله اليونانيون فريجيا .

وعلينا ان نذكر هنا قبور التلال الضخمة التي اشتهرت بها فريجية والمنطقة حوالي غورديون والمنطقة التي عرفت فيها بعد باسم ناكوليا على مسافة ١٠٠ كم غرب غورديون مغطاة بمثل هذه المدافن من مختلف الاحجام تعود للربع الاخير من القرن الثامن ق . م . حتى اواسط القرن السادس ق . م . وقطر اكبرها حوالي ٣٠٠ مترا . ودفن الفريجيون موتاهم في غرفة خشبية ووضعوا ميتهم في حفرة مستطيلة شقوها في الارض وغطوها بالصخر والتراب . وبعد وضع الميت مع حاجاته الجنازية في صناديق خشبية وضعت اكوام من الحجر اقاموا فوقها تلا ترابيا . واحيطت الغرفة بجدار سمكه ٨٠ سم من كتل الحجر الجيري وملىء الفراغ بين الغرفة والجدار بالاحجار الصغيرة ومقاييس الغرفة من الداخل ٥/ ١٥ × ٢٠/ ٦ متر وارتفاع الجدار ٢٥/ ٣ مترا من الارضية حتى السقف ، وغطيت الغرفة بالاخشاب التي طليت بالقار واستندت من الوسط والنهايتين على جملون مثلث الشكل . ووضعت الاحجار على البناية المستطيلة الى ارتفاع حوالي اربعة امتار وفوقها كتل الطين التي شكلت التل الدفني . وان الهيكل العظمي الذي وضع في السرير الكبير بغرفة الدفن

يعود الى رجل قصير القامة بعمر حوالي الستين وملئت الغرفة بالعطايا الجنازية منها ثلاثة قدور كبيرة و ١٦٦ وعاء برونزي صغير و ١٥٤ مشبك . ويعتقد بعض الباحثين كما ذكرنا كون هذا القبر للملك ميداس . كما عثر على مقابر تلال فريجية في أنكيرا (انقرة).

ومن المواقع الفريجية بيسينوس (باللي حصار الحالية) التي حوت معبد الربة سيبيل ام الارباب (ميتر دنديمين او اغديستيس). وتمثال الطقس للربة عبارة عن حجر غير منتظم الشكل (بيتيلوس) يقال انها وقعت من السماء . ولما صارت المدينة تحت حكم برغاموم تمتع الكهنة فيها بشيء من الاستقرار . وكان يساعد الكاهن الاعلى عشرة كهنة خمسة منهم فريجيون وخمسة غلاطيون . ونعرف ان في سنة ٢٠٤ ق . م . (خلال العصر الهيليني) ارسلت روما وفدا جلب لها تمثالا للربة سيبيل وضعوه في معبد شيد لها على تل البالاتاين بروما . وصارت بيسيلوس سنة ٢٥ ق . م . (زمن الاحتلال الروماني) جزء من مقاطعة غلاطية . ومن المواقع الفريجية الهامة بازارلي التي عثر فيها على منصة مرتفعة وشرفة ذات اعمدة ونهاية جملونية وسقف منحدر . ونرى في هذا الموقع ايضا ارضية مزينة وموزائيك من المخاريط الطينية ذات النهايات الملونة وهو تقليد نلاحظه في الوركاء من العصر الشبه الكتابي في العراق . ونرى في بازارلي كما في ساردیس وغورديون واكالان (قرب صمسون) اكساء جدران البنايات بالطابوق المزين ومن هذه الافريز العريض من قطع اللبن الصغيرة الملصقة على وجه الجدار والمزينة بالمنحوتات الملونة . وبعض هذه المنحوتات ذات مواضيع هندسية واخرى لجنود يسيرون ولجموع من الحيوانات الوحشية وماعز في وضع متقابل تواجه كل واحدة الاخرى او مضجعة امام الشجرة المقدسة . فعلى خلفية صفراء شاحبة رسمت الاشكال في اللون الاسود مع قليل من الالوان الاحمر او البني وفوقها صف من الزينات العارية النصف دائرية ونرى اشكال المحاربين في افريز آخر وكأنها يونانية وحتى صور السفينكس والغرفين توازي ما نشاهد على الفخار الكورنثي من عصر التأشرق.وهذا ما جعل بعض الباحثين يأخذون الطابوق الفريجي

الصغير المزين كدليل للتأثير اليوناني على آسيا الصغرى.فالمحاربون في الافاريز السالفة يحملون الدروع اليونانية (علما بان اليونانيين ذكروا بان دروع بعض قواتهم من دروع كاريا) ولكن غالبية المواضيع والاستنباطات الاخرى في هذه الافاريز شرقية[١١] .

ومن المواقع الفريجية الاخرى موقع علي شار حيث شيدت قلعة جديدة لبعض الاقطاعيين الفريجيين (الطبقة ٤ جـ) كما سكنت جماعة فريجية موقع كافر قلعة سي (على بعد ٦٠ كم غرب انقرة). وشيد من قوس من التحصينات حول المنحدرات المنخفضة للتل لحماية البيوت المشيدة هناك .

وفي الفترة الفريجية عم في شرق الاناضول الفخار الاحادي اللون والملون على السواء كما عمت الاوعية المزينة بصور غريبة من التقليد الاناضولي وربما كانت من اصل ايجي . والزينة عادة في البني المائل الى الحمرة على خلفية ناعمة عديمة اللون امثال الغزلان مع الاشجار والحلقات مرتبة في صفوف ونادرا ما تغطي ما يزيد عن الاجزاء العليا من الوعاء . ومن الاشكال النموذجية الكاسات المستوية مع حافات مفرطحة او ثخينة وكؤوس بايدي عالية وجرار كبيرة مع حافات جانبية وثقوب كبيرة وايدي ٢ ـ ٤[١٢] . ولا تزال اللغة الفريجية لغزا مثل اصلهم . ففي النصف الشرقي من هضبة الاناضول استعملت الهيروغليفية الحيثية لتدوين اللسان اللوفي ولكن وصلتنا من نهاية القرن الثامن حتى الخامس ق . م . بضع نصوص فريجية مدونة بألفبائهم ذات الخط اليوناني التي يصعب فهمها وان سهلت قراءتها والمعروفة باسم الفريجية البدائية.وان بضع مئات من الكلمات الفريجية ومعانيها التي تركها لنا اللغويون لا تكفي لكتابة قواعد اللغة الفريجية . وهناك كتابات فريجية مع تراجمها اليونانية على شواهد القبور في ما يسمى بالفريجية المتأخرة . واعتقد بعض الباحثين ان اللغة الفريجية الاولى هندية اوربية لها علاقة باللغة الارمنية في الوقت الذي جعلها آخرون (فريد ريش وبيدرسون) آسيانية ذات علاقة باللغة الحيثية واللوفية .

ونلحظ بالدين الفريجي التأثيرات الاناضولية البدائية والهندية الاوروبية .

واهم واقدم طقس هو عبادة الربة الام العظمى التي اسماها اللوفيون كوبابا والليديون كيبيبة والفريجيون كوبيلا او الام كوبيلا واغد يتيس (الخاصة بالصخرة) واليونانيون سيبيل . ولهذه الربة قرين شاب عبد بآسيا الصغرى منذ عصور قديمة . ونعرف عن عبادة الربة الام بآسيا الصغرى من العصر الحجري الحديث وضعت لها مختلف الاشكال . ويظهر ان عبادتها على شكل انسان ثنائي الجنس قد انتشرت شرقا وجنوبا في بلاد الاناضول وشمال غربي سورية حيث ظهرت من عصر مبكر في ممبج - هيرابوليس باسم كومبابوس وربما يكون الوحش خومبابا في ملحمة كلكامش ذو علاقة بهذه الربة . وفي عصر الاحتلال الروماني كان معبد هذه الربة في بيسينوس مهما . وهناك عدة اساطير خاصة بهذه الربة وحبيبها اتتيس منها طقس الزواج المقدس لهما . فنقرأ في بعض اساطير ان اغديتيس كانت على شكل وحش ثنائي الجنس احب الشاب الجميل اتتيس نسيب الملك بيسينوس واخيرا دحره وهدم مدينته واخصاه وحوله الى امرأة . وتذكر اسطورة ثانية وقوع اغديتيس في حب اتتيس الذي قتل وهو في عنفوان شبابه اثناء صيده للخنازير الوحشية . يمجد الفريجيون موت اتتيس كل سنة في حفل ربيعي بطقوس عزاء وبكاء يقهر بعدها اتتيس الموت وبذلك ترجع الحياة ثانية الى الارض . وخلال الحفل يبلغ الحماس بالكثير من المتعبدين الحد الذي يخصون به انفسهم على شرف الربة الام وحبيبها اتتيس ويصبحوا بعدها من كهنة طقسها . وان ارتباط الربة بالصخور جعلها ذات علاقة بالجبال بحيث ان الكثير من طقوسها كانت تحيا في الجبال امثال الام البيركنثية والدنديمية والسبيلية (اللوبرية). وفي مزارها على جبل سبيلوس قرب سمرنا وضع تمثال منحوت بالصخر للربة لا يزال موجودا. واعتقد ان سيبيل تخرج من المرتفعات الخالية حيث يتدفق الماء العذب . وبين القرون ٨ ـ ٥ ق . م . نحتت واجهات كبيرة لابنية تمثل معابدها على اوجه الصخور خاصة في الهضبة المقدسة بين اسكي شهر وافيون قره حصار . وفي واحدة عند ارسلان كايا مثلت الربة في وضع مواجه في محراب بين اسدين مضطجعين. واعتقد بعض الكتاب الكلاسيكيين ان طقس كابيروي الذي

يشمل طقس دايونيسيوس ابن زووس سابازيوس وسيميل قد دخلت الى ملطية والمدن الاخرى من فريجيا (والذي اعتقد البعض انه طقسا حيثيا) . وفي الغالب ان طقس الاله زووس مازيوس (المسمى باغايوس ومازدا او بابا اي الاب ايضا) الذي اطلق ايضا على اتيس وارباب اخرى يمثل الوجه الهندي الاوربي من الدين الفريجي مع طقس الاله مين (الرب القمر) الذي طوبق مع اسكينوس . وهناك طقوس فريجية اخرى امثال طقس اريستيوس الخاص بالخصب ايضا وطقس رب النهر مارسياس الذي تذكر الاسطورة ابتداعه لاله موسيقية وذبحه بعد فشله في مسابقة مع ابولو . ولكن سرعان ما رجع الى الحياة ثم طقس ليترسيس الذي ذبحه هرقل . ويبكي على موته المتعبدون كل سنة . وان المجمع الالهي الفريجي (كما ادرك بالعصر الروماني على الاقل) قد صور في منحوتة على الصخر عند موقع اسي يوزغات (حوالي ٦٠ كم شرق انقرة) تتألف من سيبيل على اسدها وهرقل والاله الجالس (ربما اتيس) اسكلبيوس تيليسفوروس والتمثال البشري مع النسر في المزار يمثل الاله كرونوس او زووس . اما المعزى ففي الغالب تمثل المعزى اماليثيا التي رضعت رووس او اتيس[١٣] .

٤ ـ ليديا : وتقع في غرب الاناضول بين ميسيا شمالا وكاريا جنوبا وفريجيا شرقا وبحر ايجة غربا . وعرفت ليديا في العصور الاولى باسم مايونيا واطلقت الالياذة على الليديين اسم مايونيديس (ولو ان بلني الاكبر يذكر الميونيين قبل الليديين) الذي صار يطلق بعد ذلك على القسم الجنوبي الغربي من ليديا وربما يكونوا هم شعب الماشا في المصادر الحيثية . وتذكر الاساطير ان اسم ليديا مشتق من ليدوس ابن اتيس الملك الاول . ويظهر ان الليديين اقرب سلالة الى الكاريين والميسيين وجميعهم يتعبدون في معبد زووس كاريوس في ميلاسا وعبدوا الربة سيبيل وكانت لهم بعض صفات الفريجيين الاولى . وتذكر التقاليد ثلاث سلالات حكمت ليديا منذ بداية نشوئها وهي :ـ

١ ـ الاتياديين الذي انتهت سلالتهم الحاكمة حوالي سنة ١٢٢١ ق . م .

٢ ـ سلالة الهيراكليداي (اليتوانيديين) التي حكمت ٥٠٥ سنة حتى سنة ٧١٦ ق.م. وكان اخرهم ميرسيلوس ويظهر انهم من المجموعة الهندية الاوروبية ولا نعرف عنهم سوى اسمائهم الستة التي وصلتنا في نمطها اليوناني . واخبرنا هيرودتس عن هجرة جماعة ليدية زمن هذه السلالة الى اومبريا في اواسط ايطاليا والتي قد تكون صدى الى حدث وقع قبل تحرك اليونانيين الى سواحل اسيا الصغرى الغربية . واوضحت الحفريات في المنطقة الليدية بان اقدم فخار فيها من النوع المعروف بالسيكلادي الساحلي الذي تبعه فخار نراه شائعا في مواقع المنحوتات الفريجية .

٣ ـ المير منادای التي ظلت في الحكم حتى ٥٤٦ ق.م. ولكن هذه السلالة هي الوحيدة التي تعتبر معلوماتنا عنها تاريخية يمكن الركون الى ثقتها وملوكها غايغيس ٧١٦ ـ ٦٧٨ ق.م. وارديس ٦٧٨ ـ ٦٢٩ ق.م. وساد ياتتيس ٦٢٩ ـ ٦١٧ ق.م. والياتتيس ٦١٧ ـ ٥٦٠ ق.م. واخيرا كرويسوس ٥٦٠ ـ ٥٤٦ ق.م. ومن الاثار التي ترجع الى الفترة الميرمنادية من تاريخ ليديا قد تم العثور عليها في مدافن سارديس وتمثل حضارة ذات قابليات فنية كبيرة اثرت عليها حضارة المدن الايونية ولكنها في الاساس محلية.واظهرت آثار القرنين السادس والخامس ق.م. بأن العنصر المحلي لا يزال قويا وعاما . ويبدو ان السلالة الهيراكليدية بدأت في التخلص من فريجيا التي كانت ليديا تابعة لها قبل الغزو السيميري سنة ٧٠٥ ق.م. الذي انهى سلالة ميداس الفريجية.ولا يزال تاريخ ليديا الاولى غير معروف واذا كان سترابون صحيحا في قوله بأن سارديس (سفارت عند الليديين) عاصمة ليديا قد شيدت بعد حرب طروادة فربما أسسها بعض امراء فريجيا . ويظهر ان هايد هي المستقر الوحيد في البلاد سبق سارديس وتشير له الالياذة.وصارت قلعة سارديس تعرف في العصور الاخيرة باسم هايد . كما ذكرت كتابة ليدية عثر عليها في سارديس الارباب تافساس هودانس وزووس هايد . وان ما وصلنا من الكتابات الليدية مع الاسف متأخرة وبعضها ثنائية اللغة وتظهر علاقة مع اللغة الحورية وربما البالية . واسموا ربتهم الرئيسية (ارتميس اليونانية) التي طوبقت مع كوبابا اللوفية . وتذكر الاساطير ان

مزارها في افيسوس قد شيده نساء الامزون مما يدل على رجوعه لعصور سبقت عصر المستوطنات اليونانية باسيا الصغرى،ويظهر ان طقس دايونيسيوس رب الخمرة ليدي الاصل تحت الاسم باخوس.وعبد الليديون ثالوثا من الارباب هم الالهة الام والرب الشاب الذي يقرن مع زووس والاله مين (الرب القمر) .

والواقع فان التاريخ الليدي يبدأ في القرن السابع ق.م. ولم يعثر على اي مستقرات ليدية او قطع فنية ليدية . سبقت القرن السابع ق.م. واعتبر اليونانيون الليديين شرقيون.ونعرف بان الليديين قد برزوا في حقول الفروسية والموسيقى والتجارة والمالية . وان اخر الهيركليديين كان من يسميه اليونانيون مير سيلوس (الذي يسميه هيرودوتس كاندوليس وقيل ان معناه خانق الكلب او الذئب) ومير سيلوس هو اسم سائق عربة بيلويس الفريجي وهو يماثل اسم الملك الحيثي مورسيليس . ومن بين حرس الملك ميرسيلوس هذا كان غايغيس (من اسرة الميرمناداي) ابن داسكيلوس (وهو اسم فريجي وهو به مدينة مهمة في ميسيا ذات اصل فريجي - ليدي) . وتذكر الاخبار انه تخاصم مع الملكة وقتل زوجها الملك مير سيلوس واغتصب من اغتصب حوالي سنة ٦٨٥ ق.م. ومن الصعب معرفة هوية غايغيس وهل يمت بصلة الى السلالة الهيركليدية او انه رئيس قبيلة مضطهدة او ممثلا لسلالة محلية قديمة او انه مايوني عارض الفريجيين او انه اول ليدي يحصل على السلطة . وقد امدتنا المصادر الاشورية ببعض المعلومات عن غايغيس , فبعد سنوات قليلة هددته القبائل السيميرية بقيادة ملكهم تيوشبا مما جعله يطلب المساعدة من الملك الاشوري اشور بانيبال الذي دحر فعلا . ولكن غايغيس سرعان ما تعاون مع بساما تيك الاول فرعون مصر عند اعلانه انفصاله عن اسياده الاشوريين دون معرفة بالاسباب الحقيقية التي دفعته الى هذا الاجراء . ولكن الملك الاشوري فرح لهجوم السيميريين على ليديا وفتكهم بغايغيس سنة ٦٥٢ ق.م. وقد زحفت الجموع السيميرية (التي اندفعت في الغالب من سينوب صوب سارديس ولكنها فشلت في اخذ قلاعها واخبرنا هيرودتس بأن غايغيس بدأ سياسة عدائية ضد جاراته الدويلات

اليونانية في الغرب حيث نقرأ عن هجوم ليديا على ملطية وكولوفون ومغنيسيا عند سفح سبيلوس وربما سمرنا التي يظهر انه فشل في احتلال قلاع اي منها وبعد فشله في احتلال اي جزء من ملطية دخل في اتفاق معها . واخبرنا هيرودتس بانه شاهد هدايا قدمها غايغيس الى معبد دلفاي . وربما كانت غاية غايغيس من حروبه مع ايونيا ايجاد منافذ لبلاده على البحر الايجي وللتوسع شمالا باتجاه طروادة وادراميتيوم على الساحل الغربي والتي يذكر سترابون بانها صارت تحت سيطرته ، ولكن فشله في احتلال اي بقعة ايونية واعراضه عن ضرب كايم وافيسوس اهم الموانىء الغربية لا تؤيد هذه النظرة وقد تكون هذه عبارة عن غزوات اعتيادية . وتدل هجمات غايغيس على مدى القوة التي بلغتها ليديا في عهده وتحولها من مجتمع قبلي الى مدني . وقد اطنبت المصادر اليونانية بذكر ثراء غايغيس وترف بلاطه . فقد سيطر على الموارد الطبيعية في وديان المنطقة بل على اراضي الفريجيين الغربية الغنية في فاكهتها وقطعانها . ويظهر ان المدن اليونانية بآسيا الصغرى كانت في هذه الفترة بايدي البطون النبيلة والحكم بيد رأس (بريتانيس) تنتخبه جماعة متنفذة مسؤول امام منتخبيه وليس الى الشعب . واحتفظت بعض المدن بمنصب الملك ومن هذه كايم .

وهاجم السيميريون (بعد قتلهم غايغيس) مغنيسيا عند سفح مايا ندروم وافيسوس فاحرقوا الاولى واكتفوا باحتلال معبد ارتميس الواقع خلف اسوار المدينة الثانية . ويظهر ان سكان افيسوس استرجعوا مغنيسيا من السيميريين الذين انسحبوا بقيادة زعيمهم ليغداميس (توغدا مي بالمصادر الاشورية) الى شرق اسيا الصغرى حيث قتل ليغداميس في كليكيا (ربما في كبادوكية) وقيل ان اردیس خليفة غايغيس دحر السيميريين واخرجهم من اسيا الصغرى وقيل انه هو الذي قتل ليغداميس في كبادوكية بعد ان خرب السكيثيون مراكز السيميريين في سينوب ومهدت الطريق الى مستوطنين ملطيين للسكن بدلهم ومن ان اخر زعيم سيميري قد قتله السكيثيون في ميسيا سنة ٦٣٠ ق.م. .

وهاجم اردیس ملطية واحتل مدينة برايبني التابعة لها ولم تنجح حركات

اردیس ولا خليفته ضد ملطية . ووجد الياتتيس نفسه متورطا في حرب الميديين الذين وصلوا كبادوكية سنة ٥٩٠ ق.م. في الغالب لاخذ محل الاشوريين الذين ساهموا في اسقاطهم مع الكلدانيين (ولو قيل انها بسبب طلب الميديين منه تسليم بعض السكيثيين إليهم) .

وبعد خمس سنوات من الحرب بين الطرفين اتفق الاثنان على جعل نهر الهاليس الحد الفاصل بين مملكتيهما وعزز الاتفاق بزواج استياغيس ابن كي اخسار الملك الميدي من ارينيس الليدية سنة ٥٨٥ ق.م. وربما كان ملوك بابل وكليكيا قد توسطا بين الليديين والميديين كما عقد الياتتيس اتفاقية مع ملطية التي يذكر هيرودتس انها كانت استجابة لنداء من وحي دلفاي الذي اعلمه بان سبب مرضه كان تدنيسه لمعبد اثينا عند أفيسوس قرب ملطية . واذا كان ما ذكره هيرودتس صحيحا فمعناه ان الياتتيس قد التجأ الى وسائل عدة للاتفاق مع ملطية وانهاء حالة الحرب معها . ونعرف بأن الياتتيس قد هاجم بعض المدن الايونية قبل حربه الميديين . وقد هاجم الياتتيس اسوار مدينة كلازوميناي بعد احتلاله وتخريبه سمرنا . وتتفق الاخبار مع الاثار بان عصر سلام قد حل بين ليديا والمدن اليونانية خلال النصف الثاني من حكم الياتتيس.وصارت ساردیس كعبة للكثير من رجالات اليونان وكثرت الاخبار اليونانية عن علاقات هذا الملك واهل بيته مع اليونانيين في افيسوس وميتيلين وكورنث واثينا وغيرها . وربما كانت زيارة صولون قد تمت في عهد الياتتيس قابل خلالها كريسوس وهو صغير في بلاط والده . وتصاهرت عائلة بيثا غوارس الحاكمة في افيسوس مع العائلة المالكة الليدية ووقعت كولوفون تحت تأثير الحضارة الليدية . وترينا الحفريات في ساردیس زيادة التأثير اليوناني في ليديا من زمن غايغيس حتى الياتتيس .

ان معلوماتنا عن الدويلات الايونية في اسيا الصغرى من هذه الفترة قليلة الى جانب ما وصلنا من انتاجها الفكري وتقاليدها.فنعرف ان هذه الدويلات قد مرت من حكم اوليغاركي الى حكم الرؤ ساء (بريتانيس) ثم سيطر الطغاة وتوقفت حركة الاستيطان التي كانت تعبيرا ديمقراطيا للتخلص من الظلم الاجتماعي والتعنت

السياسي .

وصارت ليديا على علاقات طيبة مع الطغاة في مختلف المدن ربما للتعاون في مجال الدفاع عن البلاد تجاه الخطر الخارجي (من فارس) ومن الطغاة في فترة الياتتيس كان بيتتاكوس (٥٨٥ ـ ٥٧٥ق.م.) في ميتيلين بجزيرة ساموس والذي اعتبر احد الحكماء السبعة في العالم القديم وثراسيبولوس طاغية ملطية الذي لا تزال معلوماتنا عنه مضية ولا نعرف متى حصل على السلطة وهل انه سبق ثواس وداماسينور طغاة ملطية السابقين وكم دام حكمه . وربما جاء الى الحكم خلال حرب الاحد عشر سنة مع ليديا ونعرف بأنه حافظ على علاقات طيبة مع برياندر طاغية كورنت في اليونان . والمعروف ان حكمه قد تلى بفترة طويلة من الصراع العنيف وهي الفترة التي يذكر هيرودتس انها سبقت ازدهار ملطية وتعاظمها . ولكن الصراع الداخلي والضغط الخارجي الذي شهدته المدن الايونية لم تطفيء جذوة التقدم العلمي والفني فيها (والتي عثر على ما يؤيده في الطبقة السفلى من معبد ارتميس بافيسوس) وأتى بعد البياتتيس (ربما سنة ٥٦٠ ق.م.) ابنه كرويسوس وكان انذاك في الخامسة والثلاثين من عمره . وامه كارية وزوجة لابيه كانت ايونية وزوج اخته ميلاس حاكم افيسوس ولا نعرف هل انه فعلا ادار مقاطعة ادراميتيوم خلال فترة حكم والده كما يذكر نقولا الدمشقي . واخبرنا بلوتارخ بأن زوجة ابيه الايونية دست لكرويسوس السم كيما تنصب ولدها (الاخ الثاني لكرويسوس) على العرش بدله . ولا نعرف مدى العنف الذي استخدم لمنع كرويسوس من صعود عرش والده . وقد ورث كرويسوس عن ابيه دولة من طراز شرقي واخبرنا هيرودتس بان جميع اسيا الصغرى (عدا كاريا وكليكيا) كانت تابعة لكرويسوس . ودفعت له شعوب داخل آسيا الصغرى الجزية وخضعت مباشرة له بينما قدمت الدويلات الايونية والدورية والايولية في بلاد الاناضول له الخدمات والالتزامات التي فرضها عليهم.واخبرنا هيردوتس بان كرويسوس اراد اخضاع الدويلات الاخيرة وجعلها تابعة له بصورة مباشرة . وبدأ عملياته الحربية بمدينة افيسوس (ربما لعداء له مع ابن اخته

ليندارس حاكم المدينة التي سلمت من التخريب (كما يذكر هيرودتس) بربط اسوارها في الحبال الى معبد ارتميس . واخيرا دخل كرويسوس الى افيسوس وتقدم بعدها على المدن الايولية التي اخذت تستسلم اليه وتدفع له الجزية وتمد كتائبه بالجنود . وكانت معاملته لمدينة ملطية خاصة وبشروط مخفضة خلال فترة سيطرة ليديا على المدن الايونية وازدهرت تجارة الاخيرة مع داخل البلاد . وكان العصر فترة ائتمان ابتدعت به ليديا العملة ولو ان هناك من يقول ان الياتتيس كان قد سك عملة وله مضارب نقوده الخاصة ، وشجع الليديون التجارة بتشييدهم الكثير من الخانات على طول الطرق . ونعرف ان كرويسوس قد حارب مدينة بروسا في بثينيا وقدم مساعدة لافيسوس من اجل اعادة تعمير معبد ارتميس (الارتيمسيوم) والذهب الى اسبارطة والهدايا السخية الى معبد ابولو في دلفاي .وفي سنة ٥٥٠ ق.م. صار كرويسوس يتخوف من الخطر المحدق نتيجة ظهور كورش ملك انشان الذي قضى على حليفه زوج اخته استياغيس ملك ميديا واسره . ويقول هيرودتس ان كرويسوس طلب من كورش اطلاق سراح استيا غيس وعندما فشل طلبه بعث سنة ٥٤٨ ق.م. الرسل لاستشارة الارباب في معابد اليونان وليديا بشأن حربه لكورش . ثم استشار كرويسوس كاهنة معبد دلفاي ثانية وارسل الوفود الى اسبارطة ومصر للحصول على مساعدتها . وتقدم كورش من عاصمته اكباتانا (همدان) باتجاه الهاليس وبعث رسلا الى المدن الايونية في غرب اسيا الصغرى حثهم بها على الثورة ضد كرويسوس فرفضت ندائه ، وحملت كرويسوس على اخذ الرهائن من بعض المدن الايونية هذه كان منهم طاليس الملطي . وكان بين جيش كرويسوس الكثير من اليونانيين . وعبر كرويسوس حدود دولته ربما قرب سهل بافرة على نهر الهاليس والتقى الطرفان واندحر كرويسوس الذي انسحب الى ساردس واسرع في طلب النجدة من حلفائه امثال اماسيس فرعون مصر ونبونيد ملك بابل وعاهل اسبارطة . وفي ربيع السنة التالية تحرك كورش ثانية وعبر الهاليس حيث التقى بكرويسوس ودحره . وانسحب الملك الليدي الى ساردس التي حاصرها كورش

واحتلها بعد ذلك مؤسرا كرويسوس[١٤] .

٥ ـ كاريا : وتقع في الجنوب الغربي لاسيا الصغرى وامتدت في عصور تالية شمالا حتى نهر مندرس وكثرت في منطقتهم الخلجان والوديان والقطع الخصبة التي اشتهرت بزراعة الحبوب والتين وانتاج الزيت والخمور . واشتهرت كاريا على الاخص في تينها ومع الاسف ليس لدينا عن الكاريين خلال هذه الفترة معلومات كثيرة . ومن فترة الاحتلال الفارسي كانت لهم سلالات حاكمة تميزت ببروز العنصر النسائي وحصولهن على مركز الملك كالرجل ونعرف عن اشتراك كاريا في الثورة الايونية ضد الفرس في العصر نفسه . ويمكننا الافتراض ان سلالة حاكمة لا بد وان كانت لهم خلال هذه الفترة لم تصلنا اخبارها بعد خاصة وانهم يذكرون اصالتهم وقدمهم في سكن اسيا الصغرى.ونعرف ان لهم علاقة مع الليديين والميسيين وربما قدموا على اسيا الصغرى بعد ان عاشوا فترة في كريت وجزر السيكلاديس في بحر ايجة . وكانوا محاربين جيدين استخدمهم المصريون كمرتزقة في القرون السابع والسادس ق.م . حيث تركوا الكثير من مخربشاتهم التذكارية في مصر . وكانت للكاريين كتابة خاصة بهم يمكن قراءتها ولكنها غير مفهومة في الوقت الحاضر . وقد اعتبر اليونانيون الكاريين من الاقوام الفظة المختلفة التي لا تصلح حتى في استخدامهم كعبيد . وكما اسلفنا فقد حكم في فترة الاحتلال الفارسي لآسيا الصغرى ملوك امثال ليغداميس وموسيلوس وملكات مثل ارتميسيا ابنة ليغداميس . وتبؤ نساء لمنصب الملك يدل على مكانة النساء المرموقة في المجتمع الكاري . واخبرنا ثوسيديديس بأن الكاريين كانوا خلال العصر البرونزي المتأخر بحارة ماهرين استوطنوا جزر بحر ايجة واخضعهم ماينوس ملك كريت ولكن ليس لدينا عن هذه اية ادلة الان . ولا يزال اسم ماينوس اسطوريا في الوقت الحاضر . وقد عثر في موقع موسكيني في شبه جزيرة هاليكارنا سوس على مقبرة مايسينية ثرية واخرى عند موقع دير ميل ترجع الى العصر الما قبل الهندسي تظهر لنا التغلغل اليوناني في هذه المنطقة خلال العصر البرونزي والذي ظل حتى العصر الحديدي[١٥] .

وكانت عاصمتهم في الفترة التالية هاليكار ناسوس التي ربما كانت هي نفسها في هذا العصر .

٦ ـ ليشيا (ليكيا) : وهي منطقة صغيرة تقع جنوب اسيا الصغرى بين كاريا وبامفيليا . وتذكر التقاليد اليونانية ان اسمها القديم كان ميلياس وان سكانها الاوائل كانوا يعرفون باسم الميليين ثم سكنها السوليميين فالترميليين الذين قدموا من كريت واخيرا ليكوس الاثيني ابن بانديوس الذي هرب من اخيه ايغيوس وصارت ليشيا تعرف باسمه. واعطت الالياذة مكانة متميزة الى ليشيا وجعلت رؤسائها غلاكوس وسار بيدون من نسل عائلة ارغوس المالكة . وتذكر لنا الاساطير اليونانية كون كاريا موقع الحرب بين المخلوقات الخرافية المعروفة باسم الهربيات (برأس امرأة وجسم طير) وبنات بانداريوس . ونجد في منحوتة بالمتحف البريطاني عثرت عليها البعثة البريطانية التي حفرت بالقرن الماضي في موقع خانثوس اليثي ترجع الى نهاية القرن السادس ق.م. برجا مستطيل الشكل (قطع من حجرة جيرية واحدة) بسقف مستوي تحته افريز من المرمر الابيض تصور الهربيات وهن يحملن بنات بانداريوس .وفي اسطورة ثانية نقرأ كيف ان ايوباتيس ملك ليشيا ارسل قريبه بيللورو فرنتيس لحرب السوليميين الجبليين المحبين للحرب ونساء الامزون وفي طريق عودته قتل الكثير من شجعان ليشيا وتقديرا لشجاعته ولادراك العنصر المقدس فيه زوجه ملك ليشيا من ابنته واعطاه نصف مملكته .

ولا نعرف عن اصل الليشيين الان شيئا غير ان الكثير من الباحثين يعتقدون انهم من الاقوام الأسيانية مثل الحيثيين ويمكن بذلك تتبع سكناهم بلاد آسيا الصغرى الى العصر البرونزي ولم تصلنا اية كتابة لهم تسبق القرن الرابع ق.م. وبعض كتاباتهم ثنائية اللغة ولغتهم في الواقع لهجة من اللغة اللوفية ويمكن تتبع الارباب اللوفية في الاسماء الشخصية الليشية. والمعروف الآن أن الليشيين هم من نسل شعب اللوكك الذين ذكروا في العصر البرونزي المتأخر والذين نجدهم بين شعوب البحر التي غزت مصر . ومن مدنهم خانثوس وميرا (دمري) الشهيرة

بمدافنها من العصر الروماني وبيتارا وفيللوس وانتيفيللوس وليتون . ولم تظهر الحفريات في هذه المدن اي اثار تسبق القرن الثامن ق.م. ولكن الحفريات الاخيرة في ايلمالي ارتنا وجود مستوطن ليشي هناك يعود الى العصر البرونزي الاول .

وكان مركز المرأة في ليشيا مرموقا حيث انحصر التوريث في خط الام . وقد قاوم الليشيون قدر امكانهم الاستيطان اليوناني في منطقتهم مما يدل على شعورهم الوطني القوي والذي مكنهم من الاحتفاظ بكتابتهم الخاصة ولغتهم حتى القرن الرابع ق.م.(١٦) .

واستوطن اليونانيون في ليشيا من عصر مبكر واختلطوا بالسكان الاصليين . وعرف الليشيون بشجاعتهم فلم يتمكن كرويسوس من التعرض لهم ولاقى الفرس صعوبة في اخضاعهم وكانوا آخر شعب اخضعه الفرس . وقد اطنب هيرودتس في الشجاعة التي ابداها أهل خانثوس ضد مهاجميهم الفرس الذين قادهم هاربا غوس سنة ٥٤٥ق.م. وكيف ان الليشيين وضعوا نسائهم واطفالهم وعبيدهم وما يملكون في قلعة المدينة واضرموا بها النار بينما دافع الرجال عن المدينة حتى قتلوا كلهم . وان غالبية الاثار الليشية العظمى التي عثر عليها خلال الحفريات سواء في خانثوس او ليتون او ميناء باتارا وميرا ترجع الى عصور لاحقة .

٧ ـ بيسيديا : وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب اسيا الصغرى عند النهاية الغربية لجبال طوروس الى الشمال من (ليشيا وبامفيليا) . وقد سكنتها هذه الفترة اقوام لا نعرف عن اصلهم او لغتهم او نوع كتابتهم الان اي شيء.ولم يتمكن الليديون والمحتلون الفرس ومن تلاهم من اخضاعهم ، وقد ادانوا بالطاعة الجزئية الى الاسكندر الكبير ولفترة الى السلوقيين الذي حكموا في سورية . ولا بد وان كانت لهم حكومتهم وتنظيمهم السياسي في هذه الفترة التي لا نعرف عنها شيئا الان حيث لم تردنا اي من اسماء ملوكهم او زعمائهم . وقد اشتهرت منطقتهم بوديانها الشهيرة بزراعة الزيتون على الاخص وانتاجها الصمغ الميعة والملح والاعشاب الطبية .

٨ ـ كليكيا : وهي المنطقة في جنوب شرق اسيا الصغرى يحدها البحر المتوسط من

الجنوب وجبال الامانوس من الشرق وجبال طوروس من الشمال . وتقطع القسم الغربي من كليكيا تفرعات جبال طوروس بينما يضم القسم الشرقي سلاسل الجبال ذات الاراضي المستوية . وتتكون من منطقتين ذواتي شخصية متباينة وهي كليكيا الوعرة (كليكيا تراكييه) او كليكيا اسبيرا) وهي الهضبة الجيرية وسط سلسلة جبال الاناضول . ثم كليكيا بيدياس (وسميت ايضا كليكيا بروبـريا او كليكيـا كامبيستريس) التي اطلقت على السهول بين طوروس وامانوس.وكانت كليكيا الوعرة مركزا للقراصنة منذ عصور سحيقة حتى العصر الروماني في وقت اشتهرت به كليكيا بيدياس بمنتوجاتها الزراعية وخاصة العنب والكتان وكونها حلقة الوصل بين اسيا الصغرى وسورية (عن طريق الابواب الكليكية في جبال طوروس والابواب السورية في جبال الامانوس) . وقد استوطنت بها جماعات يونانية منذ العصور الاولى وخلال الالف الاول ق.م. والعصر الهيليني اللاحق واهم المستوطنات من هذه الفترات كانت سولي وماللوس . وفي هذا العصر كما في الفترات السابقة كانت كليكيا مستقلة لها سلالتها الحاكمة الخاصة بها وظلت محتفظة بكيانها المستقل حتى الاحتلال الفارسي لبلاد الاناضول . ان الحرية وفرص الاثراء التي حصل عليها المستوطنون اليونانيون في اسيا الصغرى ادت الى تقدم الفلسفة والعلوم الطبيعية وانتعاش الادب في الكثير من المدن الايونية ـ فايسوب كاتب قصص الحيوانات الشهير في فريجيا عاش حوالي سنة ٦٠٠ ق.م. وقد اضيفت الكثير الى قصة حياته واعماله مما اضاع الكثير من الحقائق عنه . ومن الصعب قبول رواية ارسال كرويسوس (قارون) له الى دلفاي لاستشارة وحيها وقتل كهنتها اليه . وكتب اركتينوس الملطي (الذي تذكر الاخبار كونه تلميذا لهوميروس) ملحمة في خمس فصول تغطي حروب طروادة من مقتل هكتور حتى موت آخيل اطلق عليها اسم اثيوبيس . وعاش في افيسوس الشاعر هيببو ناكس الذي نفاه الطاغيتان اثينا غوراس وكوماس الى مدينة كلاز وميناي سنة ٥٤٠ ق.م. وكان فقيرا اعرجا مشوه الخلقة وينسب اليه ابتداع نوع جديد من الشعر العمبقي IAMBIC الذي اشتهر به. وكان

يكره النساء كثيرا وهو الذي قال في قصيدة (الرجل يسعد مع المرأة ليومين فقط هما يوم زواجه منها ويوم دفنه لها) . ثم الشاعر انا كيرون من تيوس الذي هرب لما احتل الفرس مدينته وذهب الى ابديرا في تراقيا فساموس ثم الى اثينا . وعرف بشعره واغانيه في الغزل والخمر . ومن الذين كتبوا في التاريخ خلال هذه الفترة كادموس الملطي الذي عاش في النصف الاول من القرن السادس ق.م. الذي الف كتابا باربعة فصول عن تأسيس ملطية وتكلم فيها عن نهر النيل تدل على اهتمامه بتعليل الظواهر الطبيعية رغم خطأ تفسيراته .

وفي ايونيا نشأ العلم الطبيعي وولدت الفلسفة اليونانية وبرز الفلاسفة والعلماء الطبيعيون الاوائل وحاولت المدرسة الملطية معرفة العالم المحسوس بالملاحظة والاستدلال واضعة بذلك اسس العلم الطبيعي . ومن هؤلاء طاليس (٦٢٤ - ٥٤٦ ق.م.) الذي قيل انه عمل مهندسا لدى كرويسوس وبرهن على ان الزوايا المرسومة في نصف الدائرة هي قائمة وانه كان يحسب من فوق البرج ابعاد السفن وهي في البحر وأنبأ بكسوف الشمس الكلي الذي حدث في ٢٨ مايس سنة ٥٨٥ ق.م. ووضع دليلا للملاحين حوى نصائح فلكية وجوية منها كون نجم الدب الاصغر دلالة على الشمال . وهو الذي اخرج المسألة الطبيعية من حيز اللاهوت والشعر فشق للفلسفة طريقها-وهو الذي قال ان الماء هو المادة الاولى والجوهر الذي تتكون منه الاشياء داعما رأيه بالدليل . وقوله ان العالم حافل بارباب ربما قصد بها كونه حافلا بالنفوس فكل شيء وفعل وكائن له نفس حتى الحجر المغناطيسي مما يدل على جعله النفس مبدأ الفعل والحركة . ثم تلميذه اناكزيماندر (٦١٠ - ٥٤٧ ق.م.) من ملطية الذي قيل انه اخترع المزولة وصنع الكرة الفلكية وخريطة ارضية ورفض نظرة طاليس عن كون الماء هو المبدأ الاول بل جعله اللانهاية سواء في الكم او الكيف . وقال بكون الحياة قد تولدت في الرطوبة بعد التبخر اي في طين البحر وهو مزيج من التراب والماء والهواء . فكانت في الاصل سمكا مغطى بقشر شائك ، حتى اذا بلغ بعضها اشده نزح الى اليابسة وعاش عليها ونزع عنه القشر والانسان منحدر

من حيوانات مائية مختلفة عنه بالنوع . ونظريته في التطور تتلخص بأن الأشياء تخرج من اللانهاية ثم تنحل وتعود اليها ويتكرر الدور وهكذا دواليك .

ويفسر اناكزيماندر تكون الاشياء تفسيراً آلياً (باجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة دون سبب محرك) ومن تلاميذه انكزيمانيس (٥٨٨ ـ ٥٢٤ ق.م.) الذي اعتبر الهواء اصل الاشياء والجوهر وان علة وحدة الحي النفس ، والنفس هواء فالهواء في رأيه هو نفس العالم وعلة وحدته وكل شيء يحدث منه بالتكاثف (الرياح والمطر) والتخلخل (النار) .

وامدتنا الحفريات بالكثير من المواقع الاثرية ببعض المعلومات عن اسيا الصغرى خلال هذه الفترة فموقع مدينة نياندريا قرب الساحل الغربي (١٤٠٠ طولا × ٤٥٠ متر عرضا) وسمك سورها ثلاثة امتار وطول ما اكتشف منه ٣٢٠٠ مترا شيد جزئيا بشكل متعدد الاضلاع ونقبت قلعة المدينة والمعبد الاولي من نهاية القرن السابع ق.م. ولمعبد المدينة مدخل واحد من الشمال وهو يتألف من غرفة مركزية واحدة (٠٤/٨ × ٨٢/١٩ قدم) شيدت فوق منصة (٨٧ /١٢ × ٧١ / ٢٥ مترا) مع سبع اعمدة في الوسط تسند السقف زينت نهاياتها بالتيجان الايولية الجميلة ، وفي موقع جاندارلي (بيتين) وجد الكثير من الفخار المنقوش بطرز عصر التأشرق . ولم يعثر في موقع لاريسا على اي فخار هيليني يسبق القرن السابع ق.م. في وقت يكثر فيه هذا الفخار في المواقع القريبة امثال ازمير وفوجا الامر الذي اعتقد معه بعض الباحثين ان موقع لاريسا لا بد وان يكون في مكان آخر . وان كثرة الفخار السابق الهندسي في موقع بيرق لي (ازمير القديمة) يدل على ان اول مستقر يوناني هناك يعود الى القرن العاشر ق.م. وان البناية ذات الغرفة الواحدة المشيدة من اللبن في بيرق لي هي اقدم دار من هذا العصر . وهناك بيوت من القرون ٧ ـ ٩ ق.م. منها الميغارون من القرن السابع ق.م. ثم معبد القرن السابع ق.م. المكرس الى الربة اثينا والذي يعد اقدم بناية دينية يونانية باسيا الصغرى.وهناك قواعد الاعمدة والتيجان الجميلة لها.وكان رمز المدينة الاسد الذي صور رأسه على عملة المدينة من

القرن السادس ق. م. كما وجدت بقايا اربع رؤوس اسود من الحجر ربما كانت تزين جدران بناية ذات علاقة بالمعبد ثم تمثال لاسد يرجع الى منتصف القرن السادس ق. م. وكان لازمير القديمة في النصف الثاني من القرن السابع ق. م. سور فخم وبيوت وحمامات وزينوا بيوتهم باصص ، والعاجيات التي استوردوها من مختلف اجزاء منطقة البحر المتوسط . وفي افيسوس عثر المنقبون على ثلاث طبقات بنائية تحت معبد أرتميس القديمة . وتتألف الطبقة الاولى من مذبح ومظلة تحمي تمثال الطقس ، وترجع القطع الذهبية والعاجية التي وجدت في المعبد الى القرن السابع ق. م. وان المذبح لا بد وان شيد حوالي سنة ٧٠٠ ق. م. وتمثل غرفة الطقس الوجه الثالث وتقع في منطقة مقاييسها ٦٣/١٤ × ٢٠ / ٢٨ مترا تحيط بجدار الصحن ربما شيد في عهد الطاغية بيثا غوراس في بداية القرن السادس ق. م. ويرجع معبد ارتميس القديم في افيسوس الى اواسط القرن السادس ق. م. وهو اكبر بناية بالمرمر في العالم اليوناني . وغرفة الطقس ضيقة وطويلة تتألف من قسمين الأولى امامية مكشوفة الى الامام يتقدمها ثلاثة صفوف من الاعمدة لكل منها تسعة اعمدة ويتوسطها ثمانية اعمدة ولها باب تفتح الى الغرفة الثانية الكبيرة حيث وضع تمثال الطقس تحت مظلة في نهايتها الجنوبية وعلى الجانبين صفان من الاعمدة بكل منها ٢٢ عمودا وفي الخلف صفان من الاعمدة بكل واحد تسعة اعمدة .

1. **J. M. Cook, Greek Settlements in the Eastern Aegean and Asia Minor, (Cambridge, 1964), p. 5.**
2. **Akurgal, Op. Cit., p. 206.**
3. **J. B. Bury, History of Greece, (London, 1963), p. 86.**
4. **Cook, Op. Cit., pp. 1 ff.**
5. **Akurgal, Op. Cit., pp. 345-346.**
6. **Lloyed, Early ... Op. Cit., pp. 177-180.**
7. **Boris Piotrovsky, The Ancient Civilization of Urartu, (New York, 1969), translated by James Hogarth, pp. 40-192.**

8. Archibald Sayce, The Kingdom of Van (Urartu), CAH, III, J. Bury and others eds., (Cambridge, 1960), pp. 183-186.
9. Herodotus, III, 73.
10. Akurgal, Op. Cit., pp. 270-276.
11. Woolley, The Art ... Op. Cit., pp. 165-167.
12. Lloyed, Early ... Op. Cit., pp. 192-197.
13. R. D. Barnett, Phrygia and the Peoples of Anatolia in the Iron Age, CAH, (Cambridge, 1967), pp. 3-24.
14. Bury, and others eds., CAH, Op. Cit., pp. 505-524.
15. Barnet, Op. Cit., p. 25.
16. Ibid, pp. 25-26.

١٧ - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، (القاهرة ، ١٩٤٦) ص ١٢ - ص ١٧

الفصل الثاني :

فترة الاحتلال الفارسي (٥٤٦ - ٣٣ق . م .)

احتل كورش سارديس سنة ٥٤٦ ق . م . وقضى على كرويسوس ذى القوة والثراء اللذين خلدتهما لنا التقاليد اليونانية . ربما كان هيام الملك الليدي بالثقافة اليونانية وتعلقه بأربابها وتقديمه الهدايا السخية لها ووقوف مملكته بوجه زحف الدول الشرقية من اسباب تعظيم اليونانيين فاخذت المدن الايونية (التي كانت تابعة لكرويسوس) تفتح ابوابها الى كورش . ولم يفرض الاخير شروطا لاستسلامهم . وعقد مع ملطية التي كانت خارج مملكة كرويسوس معاهدة اعترف فيها باستقلالها ضمن نطاق دولته . وهاجرت بضع جماعات الى خارج البلاد مثل غالبية اهالي فوكية الذين رحلوا الى جزيرة كورسيرا في وقت اعلنت مدنا اخرى رفضها سيطرته . وبمثل هذا الانقسام واجهت ايونيا الغزو الفارسي . وقد ترك كورش ادارة الامور في اسيا الصغرى الى قواده وعلى رأسهم هرباغوس الذي اكمل اخضاع البلاد وفرض على المدن اليونانية الجزية وتقديم الافراد الى الجيش الفارسي تاركا لهم حرية التجارة . وقسمت آسيا الصغرى الى ست مقاطعات ادارية اثنتان منها وهي ايونيا وليديا قد وضعتا في يد حاكم فارسي واحد مركزه مدينة سارديس ثم مقاطعة فريجيا التي شملت المدن اليونانية (الايونية) في منطقة بحر مرمرة ايضا قد صارت في يد حاكم اخر مركزه عند مدينة داسكيليون . ولم يتدخل هؤلاء الحكام الفرس في شؤون المدن التي كانت تدير شؤونها الداخلية بنفسها وعلى رأس كل منها حكاما منهم . ويظهر ان حكام المدن اليونانية قد ايدوا الحكم الفارسي لضمان مناصبهم بدليل عدم ثورتهم على داريوس (الذي اغتصب العرش الفارسي بعد وفاة قمبيز خليفة كورش سنة ٥٢٢ ق . م .) عندما شهرت غالبية مناطق امبراطوريته السلاح في وجهه . وحدد داريوس الجزية المفروضة على المدن اليونانية وجعلها سنوية . وان اصلاحات داريوس المالية واهتمامه بطرق المواصلات التي منها الطريق الملكي قد شجع

التجارة . وتبنى داريوس العمل التي ادخلها كرويسوس وفتح طريقا بين شوشة وساردیس طوله حوالي ۱٥٠٠ ميلا تستغرق الرحلة فيه ثلاث اشهر فمن ساردیس كان الطريق يمر بفريجيا بسينوس ، انكيرا (انقرة)، عبر الهاليس الى بتيريا ، مازاكا ، كومانا ، عبر طوروس الى الفرات عند سميساط ، نصيبين ، نينوى ، اربيل ثم باتجاه نهر الكرخة (خوسبيس) فشوشة . واستخدم داريوس الاول (٥٢٢ - ٤٨٥ ق . م .) اسيا الصغرى مركزا لحملته على تراقيا ومقدونيا التي ساعده فيها بعض حكام المدن اليونانية في بلاد الاناضول مثل ملطية .

ووصل هيبياس طاغية اثينا المخلوع الى ساردیس محاولا اقناع ارتافير نيس الحاكم الفارسي بمساعدته في استرجاع منصبه ولما سأل هيستيايوس حاكم ملطية الملك الفارسي باعطائه مدينة ميركينوس القريبة من مناجم الفضة و الغابات الكثيفة تخوف داريوس من نياته وحمله الى شوشة حيث قضى اثني عشرة سنة فيها . وحكم في ملطية خلال فترة غيابه زوج ابنته اريستا غوراس الطموح . وحدث ان بعض اثرياء جزيرة ناكسوس اتصلوا به وطلبوا منه القضاء على حركة الديمقراطيين بالجزيرة التي افقدتهم مناصبهم وتمكن اريستا غوراس من اقناع المسؤولين الفرس بشن الحملة وفعلا حصل على المساعدة المطلوبة ولكن الحملة هذه باءت بالفشل . وصب حاكم ملطية اللوم على القائد الفارسي الذي كان بمعيته وبعد خيبة امل صمم على اثارة المدن اليونانية باسيا الصغرى على الفرس وقيل انه استلم رسالة تشجيع من والد زوجته المنفي في شوشة . وكانت الخطوة الاولى بارجاع الدمقراطية الى المدن اليونانية باسيا الصغرى وترك اريستا غوراس نفسه منصبه لهذا السبب . اما الخطوة الثانية فكانت طلبه المساعدة من بلاد اليونان فذهب بنفسه الى اسبارطة واثينا وايونيا فرفضته الاولى ووعدته الأخيرتان بالمساعدة . وتذكر الاخبار ان اريستا غوراس لم يستمع لنصيحة مجلس الكبار في ملطية او لتحذيرات هكتيوس بل تقدم بجيوشه واحتل ساردیس عدا قلعتها . وحدث ان نارا شبت في المدينة آنذاك فاحرقتها عن

اخرها فتراجع الملطيون صوب مدينتهم ولكن اسطولا فارسيا قابلهم على مقربة من افيسوس ودحرهم . وعادت السفن الاثينية الى اليونان . ولكن الثورة امتدت جنوبا الى كاريا وشمالا الى مدن منطقة مرمرة . وقد اخمدت الحركات هذه بسهولة في وقت تمكن به الكاريون من الحاق اصابات مباشرة في الاسطول الفارسي . ووصل هيستيايوس حاكم ملطية السابق حيث اطلق داريوس سراحه بعد ان اوعده بارجاع الامور الى نصابها ولكن هيستيايوس انضم الى العصاة وهرب الى كيسوس وحصل على بعض السفن من ليسوس اخذ يهاجم بها السفن الماخرة في البحار واحتل بيزانطيوم (بيزنطة) حتى اسره ارتافيرنيس اخيرا وشنقه . واهم حدث في الثورة الايونية كان حصار السفن الفارسية لملطية . ورابطت السفن اليونانية في جزيرة ليد القريبة وكان اقل عددا وكفاءة من نظيره . واخيرا اندحر الاسطول اليوناني ودخل الفرس ملطية واعملوا بشبابها السيف وارسلوا نسائها واطفالها الى شوشة حيث بيعوا كعبيد فيها . ثم عرج الفرس على كاريا فأخمدوا ثورتها بسرعة . وهاجر الكثير من يونانيي آسيا الصغرى هربا من الانتقام الفارسي وصمم داريوس على الانتقام من ارتيريا واثينا فهاجمها ولكنه اندحر امام الثانية في موقعة ماراثون سنة ٤٩٠ ق . م . ولما اعاد الكرة ابنه احشويرش (٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق . م .) لقي نفس المصير في معارك ثيرموبيلاي وسلاميس وبلاتايا سنة ٤٨٠ ق . م . وتخبرنا المصادر اليونانية ان ارتميسيا ابنة ليغداميس الكاري حاكم هاليكا ناسوس التي كانت تحكم هناك التحقت باسطول احشويرش وابلت بلاء حسنا في القتال جعلت الملك الفارسي يعلق بالقول (كان استبسال النساء في هذه المعركة كالرجال والرجال كالنساء) .
وشجعت هذه الانتصارات اثينا على ضرب المعاقل الفارسية فهاجم اسطول اثيني بقيادة كيمون مدن كاريا الساحلية وطرد الفرس منها ونجح في اقناع الليشيين بدخول حلف ديلوس الذي كونته بعض الدول اليونانية بزعامة أثينا لضرب فارس . وفي معركة عند قمم نهر يوريميدون في بامفيليا باسيا الصغرى اوقع القائد الاثيني كيمون خسارة فادحة بالاسطول الفارسي وغنم منه الكثير من الغنائم .

وتذكر لنا المصادر اليونانية زيارة بركليس الزعيم الاثيني (٤٦١ ـ ٤٢٩ ق . م .) لمنطقة البونطس . وان معلوماتنا عن زيارة بركليس هذه قليلة جدا نعرف منها انه قد زار سينوب وحصلت اثينا نتيجتها على موضع قدم في هذه المنطقة . وربما زار منطقة البوسفور التي كانت بيد السيميريين وبانتيكابايوم مركز تجارة الحبوب الهام في منطقة البحر الاسود الذي كانت تعتمد عليه اثينا في تموينها بالحبوب .

وخلال الحرب البولوبونيزية التي نشبت بين اثينا وحلفائها واسبارطة وحلفائها عقدت فارس معاهدة مع اسبارطة سنة ٤١٢ ق . م . اعترفت بها الاخيرة بحق فارس في استرجاع الاراضي التي تسيطر عليها اثينا في اسيا الصغرى والجزر وتعهدت فارس بتزويد اسطول اسبارطة بما يحتاجه خلال عملياته في البحار ضد اثينا . وفي نهاية الحرب وبفشل اثينا استرجعت فارس ممتلكاتها المفقودة عدا ابيدوس التي احتفظت بها اسبارطة لموقعها الاستراتيجي .

وفي نهاية الحرب البولوبونيزية كان حاكم اسيا الصغرى الفارسي كورش الصغير ابن داريوس الثاني (٤٢٤ ـ ٤٠٥ ق . م .) الذي شهر السلاح ضد أخيه الملك ارتحششتا الثاني (٤٠٤ ـ٤٥٨ ق.م) مدعيا احقيته في الملك واستخدم عشرة الاف مرتزق يوناني سار بهم من ساردیس واتجه كورش نحو الجنوب الشرقي الى اعالي نهر المندرس حيث التحقت به في فريجيا جيوش قائده اليوناني مينون من ثيساليا . وفي كيليناي التحقت به جيوش قائد يوناني آخر (كليرخوس) . وسار الجميع الى بيسيديا ثم شمالا الى بيلتاي وكيرامون اغورا ثم شرقا الى مدينة سهل كيستر . وسلمته خلال رحلته الملكة ايبياكسا زوجة سيننيسيز الرابع ملك كليكيا اموالا طائلة سلم جزء منها الى جنوده ثم عرج على قونية وليكاونيا (التي سمح لجنوده بنهبها) وتيانا . وسارمينون مع قواته بطريق اخر واصطدم بقوات سيننيسيز الذي كان مخلصا لارتحششتا وربما خطط معه لضرب جيش كورش الصغير ومنعه من عبور جبال طوروس وتمكن مينون من دحرها . وعبرت جيوش كورش منطقة طوروس بسهولة والتقت بعدها بوحدات مينون واطبق الجميع على مدينة وقصر ملك كليكية

ونهبوها وعقد سيننيسيز اتفاقية مع كورش الصغير تعهد بموجبها مده بالمال والرجال . ثم سار كورش بجيوشه خلال سورية فالعراق على طول الفرات سنة ٤٠١ ق . م . وقد قتل كورش خلال معركة كونوكسا ووقع الاختيار على زينفون لارجاع الجنود اليونانيين وكان رجوعهم عن طريق دجلة وشمال العراق ووصلوا البحر الاسود سنة ٤٠٠ ق . م . وخلال غياب كورش الصغير قامت المدن اليونانية باسيا الصغرى بثورة ضد الحاكم الفارسي تيسسافيرنيس حتى فارنابازوس في الادارة مع كورش الصغير وبقي تيسافيرنيس في مكانه . وكان هم الاخير القضاء على المدن اليونانية الساحلية الثائرة فهاجم كايم التي طلبت العون من اسبارطة . وفعلا ارسلت اسبارطة جيشا الى الطرواد الذي عين عليه الحاكم الفارسي فارنا بازوس مديرا محليا اسمه زينيس من اهالي داردانوس . وعند وفاته خلفته زوجته مانيا التي اقنعت الحاكم الفارسي بقدرتها على ادارة المقاطعة بكل حزم وكفاءة . وراحت هذه ضحية حيث قتلها وابنها زوج ابنتها ميدياس الذي رفض فارنابازوس الاعتراف به وارجع له ما ارسله اليه من هدايا . وبسط الجيش الاسبارطي المتقدم سيطرته على الطرواد وايده ميدياس ثم على اتارينوس وتقدم الى كاريا وهنا عقدت الهدنة بين اسبارطة وفارس .

وفي سنة ٣٩٨ ق . م . جاء الى اسبارطة الملك اغيسيلوس الذي واصل تقدمه في اسيا الصغرى سنة ٣٩٥ ق . م . ضد تيسافرنيس الحاكم الفارسي ودحر قواته في باكتولوس قرب سارديس . وعين الملك ارتحششتا بدله تيثروستيس كحاكم جديد الذي قدم الى اسبارطة شروطا للصلح تنص على اعتراف فارس بالحكم الذاتي للمدن اليونانية في اسيا الصغرى وان يدفعوا الجزية التي كانوا يقدمونها بالاصل فقط . وطلب اغيسسيلاوس هدنة امدها ستة اشهر لاستشارة حكومته حول الشروط ويظهر ان حكومة اسبارطة لم توافق بالشروط لان القتال استمر وتقدم اغيسسسلاوس في فريجيا الان وايده اوتيس امير بافلاغونيا ونبيل فارسي اسمه سبيثر يداتيس اقنعه الزعماء الاسبارطيون على الثورة ضد فارس وتقدمت اسبارطة مخربة

كل شيء امامها حتى اسوار داسكيليون مقر الحاكم الفارسي فارنا بازوس . وقضت الجيوش الشتاء حوالي هذه المنطقة الغنية بالسمك والطيور وحدث ان قافلة تحمل اثاثا لفارنا بازوس قد امسك بها الجيش الاسبارطي ادت الى انشقاق بين اسبارطة من جهة واوتيس وسبيثريداتيس من جهة اخرى ادت الى انفصال الاخيرين . ولا نعرف بالضبط سر توقف القتال بين اغيسسيلاوس وفارنا بازوس حيث تذكر المصادر اليونانية عن مقابلة بين الاثنين اسفرت عن صلح بينهما . ولكن هجمات اثينا البحرية وثورة رودس والاحداث في داخل اسبارطة استلزمت حضور اغيسسيلاوس . وادى تعاون كونون الاثيني وفارنا بازوس الى طرد الحاميات الاسبارطية من كل المدن اليونانية التي سيطرت عليها اسيا الصغرى واعترفت ثانية بالتبعية الفارسية . ولكن في سنة ٣٩٢ ق . م . هاجمت اسبارطة بقيادة ثيبرون اسيا الصغرى وحصل على تأييد افيسوس ومغنيسيا وبرايبني لها وخسرت اثينا ممتلكاتها على بحر مرمرة التي استرجعتها سنة ٣٨٩ ق . م . بقيادة ثراسيبولوس الذي اعاد سيطرته على البوسفور وبيزنطة وخالقيدون وكلازوميناي (اقلامازين) وطاف الاسطول الاثيني على طول سواحل اسيا الصغرى . وبينما كان ثراسيبولوس واسطوله يزور اسبيدوس في بامفيليا هاجمه السكان المحليون (الذين اثارتهم تصرفات جنوده) وقتلوه . وتمكن القائد الاثيني ايفيكراتيس الذي خلف ثراسيبولوس من حفظ ممتلكات اثينا في الهليسبونت والبوسفور من هجمات اسبارطة . وفي اتفاق السلام سنة ٣٨٧ ق . م . صارت جميع المدن اليونانية في اسيا الصغرى وجزرها تابعة الى فارس وتتمتع بالحكم الذاتي .

وتأثرت كاريا بالحضارة اليونانية الى حد بعيد فكانت مدن تراللیس وميلاسا يونانية المظهر وسادت اللغة اليونانية فيها . وتمتعت خلال فترة الاحتلال الفارسي بقدر معين من الاستقلال وجمعت مدنها وحدة دينية يجتمعوا خلالها في معبد زووس بمدينة لاغينا . وبرز منها حكام امثال ليغداميس ابن بيسينديليس الذي عاصره هيرودتس في هاليكارناسوس وهرب من بطشه خاصة بعد ان فتك بالشاعر

بانياسيس . وتمكن هيكاتومنوس (٣٩٠ ـ ٣٧٧ ق . م .) من ميلاسا ان يحصل على عرش كاريا بعد موت تيسسافيرنيس واعترف به ملك فارس وظل يدفع الجزية للاخير ، ولم يتخذ حكام كاريا لقب ملك واحترموا مؤسسات المدن الدمقراطية وظل مجلس العامة في ميلاسيا يقرر القوانين التي كان يصادق عليها مجلس ارستقراطي يضم قبائل المدينة الثلاثة الهامة . وجاء بعده ابنه ماوسولوس (٣٧٧ ـ ٣٥٣ ق . م .) الذي وصلتنا الكثير من تماثيله وفي سنة ٣٦٢ ق . م . ثار ضد ارتحشتا منيون واضاف بعض الممتلكات امثال ليشيا الى ممتلكاته . كما انضوت تحت لوائه مدن هاليكارنا سوس واياسوس وكنيدوس وربما ملطية . وقد نقل ماسيلوس عاصمته الى هاليكارناسوس الواقعة على البحر وابتنى لنفسه قلعة قوية على جزيرة زفيريون الصغيرة امام المدينة وشيد مينائين الاول للسفن البحرية والاخر للتجارية . وفي سنة ٣٥٨ ق . م . ساعد رودس وحلفائها ضد اثينا وتوفي دون ان يترك اطفالا وخلفته زوجته ـ اخته ارتيميسيا التي شيدت قبرا ضخما له سمي على اسمه (ماسوليوم) واخذت تغدق الاموال على كل من يفوز في المباراة الادبية السنوية في مدح زوجها المتوفى وقد حضر المباراة كبار الشخصيات الادبية اليونانية امثال ثيومبوس وثيوديكتيس وايسو كراتيس . وتمتعت بونطس باستقلال ذاتي خلال فترة الاحتلال الفارسي ومن الصعب معرفة الوقت الذي تكونت فيه الوحدة السياسية لبونطس الذي وصلنا اسمها لاول مرة حسب معلوماتنا الحالية في كتاب الصعود (الاناباسيس) لزينفون ويظهر ان مملكة اراد تشكيلها هناك اريوبارزانيس الاول في نهاية القرن الرابع ق . م . غير ان ولده مثراداتيس قد وشى به الى الفرس . وادعى ملوك بونطس بانهم من نسل واحد من السبعة الفرس الذين تآمروا ضد الماجاي واسكنهم بعد ذلك داريوس الكبير في منطقة الاقطار المحاذية للبحر الاسود . وقد شكل هذه الدولة مثراداتيس الاول قبل نهاية الاحتلال الفارسي بقليل (سنة ٣٣٧ ق . م .[1] . وقد وضع الاسكندر المقدوني بهجومه على اسيا الصغرى نهاية للاحتلال الفارسي فيها بعد ان هزم القوات الفارسية في معركة غرانيكوس سنة

٣٣٤ ق . م .

وقد برز في فترة الاحتلال الفارسي الكثير من الادباء والفلاسفة والكتاب والرحالة من هؤلاء انتيفانيس شاعر الفكاهة المعروف من سمرنا (المولود سنة ٤٠٨ ق . م .) من اسرة مستعبدة . وكان شاعرا مكثرا الف اكثر من ٣٠٠ تمثيلية وحصل على شعبية واسعة في اثينا . وهناك ميمنيرموس من كولوفون الشهير بشعره الرثائي . ولا نعرف سنة ميلاده ولكنه برز في الفترة بين ٦٣٠ ـ ٦٠٠ ق . م . ومن قصائده شكوى الكهولة التي تركها الحب ، قصر حياة الانسان ، عمر الحب وكانت قصائده واغانيه بسيطة ومشوقة لذا أطلق عليه القدماء اسم المغني الطيب المذاق . ثم الاديب بيغيريس شاعر كاريا الذي قيل انه اخ الملكة ارتيميسيا ويقال انه اول شاعر ايمبوسي معروف وله عدة قصائد منها معركة الضفادع والجرذان . ثم الشاعر انتيماخوس من كولوفون (حوالي ٤٠٠ ق . م .) مؤلف الملحمة الاسطورية الطويلة (ثيبيس) وسلسلة من الرثائيات التي اسماها على اسم حبيبته التي فقدها ليده وكان ايضا من منتقدي الالياذة الاوائل.وفي ملطية برز الشاعر فوكليديس (المولود حوالي سنة ٥٦٠ ق . م .) وكانت قصائده قصيرة اختصت بالحكمة والاخلاق واوضاع المجتمع . ثم انكيرون من تيوس (المولود حوالي سنة ٥٥٠ ق . م .) الذي هاجر بعد الاحتلال الفارسي الى اثينا ثم الى ثيساليا . وكان شاعر قصور ولع في الشعر الغرامي والخمريات ووصف مآدب القصور وحفلاتها . ومع الاسف لم يبق من شعره الا شذرات غالبيتها في الحب ووصف الجمال والوان الطعام .

ومن الكتاب هيكتيوس الملطي المولود حوالي سنة ٥٤٠ ق . م . الذي قام باسفار طويلة الى جهات مختلفة فذاعت شهرته ونعرف انه كتب مؤلفين الاول في الانساب لم يبق منه الا شذرات قليلة . والثاني عنوانه حول العالم يتألف من مقالتين الاولى اوروبا والاخرى آسيا وصف بها الارض ، اعتمد بها على المعلومات التي جمعها خلال اسفاره وحوى الكثير من المعلومات الجغرافية المفيدة . ثم اكسنتوش

الليدي (المولود في اوائل القرن الخامس ق . م .) الذي كتب قصصا ليدية لم تبق منها الا شذرات قليلة نراها خليطا من الاساطير الشائعة والنادرة . وقد اهتم بالحوادث وعرضها باسلوب روائي خلاب حوى الكثير من الاستنتاجات والنكات .
وبرز في هاليكارناسوس الكاتب المشهور هيرودتس (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق . م .) الذي اسماه شيشرون ابو التاريخ ونعرف عن اسفاره في الشرق والغرب التي يصعب معرفة الاماكن التي زارها بالفعل في الشرق ولكنه لم يزر العراق وفارس خلافا لما ادعى . ومؤلفه عن الحرب الفارسية ـ اليونانية التي عرض فيها احوال البلدان التي ادعى زيارتها وما جمع من تاريخ عن المناطق التي تخضع للدولة الفارسية كخلفه لموضوعه . ويؤخذ على هيرودتس عدم الدقة في كتاباته وولعه في الاساطير[٢] .. الخ .

وقدمت اسيا الصغرى بهذه الفترة فلاسفة شهيرين منهم هرقليطس (٥٤٠ ـ ٤٧٥ ق . م .) من افيسوس . وقد اهمل العامة الذي اعتبر عباداتها سخيفة ومعارفها تقليدية ولم يهتم بالعلم الجزئي الذي برأيه لا ينور العقل . وكان يعتبر العلم الجدير به التفكير العميق المعروض بالاسلوب الفخم المبهم المكثر من الرموز والتشابيه.وكان جاهلا بالعلم الطبيعي ونرى ذلك واضحا في اعتقاده بان غروب الشمس نتيجة انطفاؤها في الماء . ومن اقواله ان الاشياء في تغيير متصل لان الاستقرار موت وعدم ، والتغيير صراع بين الاضداد ليحل بعضها محل بعض ويعتقد ان النار هي المبدأ الاول الذي تصدر عنه الاشياء وترجع اليه . وهي ليست النار التي تدركها الحواس بل النار الالهية اللطيفة الاثيرية . واعتقد هرقليطس بوحدة الوجود حيث هناك شيئا واحدا هو الموجود وغيره مظاهر وظواهر . ثم الفيلسوف كسانوفان (٥٧٠ ـ ٤٨٠ ق . م .) المولود في كولوفون غرب افيسوس الذي غادر بلاده بعد الاحتلال الفارسي وكان حر التفكير يؤمن بالنقد البناء ، اعتقد بالتجربة وسخر بالمعتقدات التقليدية التي لا يقبلها العقل فهو القائل (ان الناس هم الذين استحدثوا الالهة واضافوا اليهم عواطفهم وصورتهم وهيئتهم) . فالاحباش يقولون عن آلهتهم انهم سود فطس الانوف ، ويقول اهل تراقية ان الهتهم

زرق العيون حمر الشعور ، ولو استطاعت الثيران والخيل لصورت الالهة على مثالها . . الا انه لا يوجد غير اله واحد ارفع الموجودات السماوية والارضية ، ليس مركبا على هيئتنا ، ولا مفكرا مثل تفكيرنا ولا متحركا ولكنه ثابت ، كله بصر وكله فكر وكله سمع يحرك الكل بقوة عقله وبلا عناد) .

وهناك الفيلسوف انكساغوراس (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق . م .) المولود في كلازوميناي قرب ازمير هاجر في سن الاربعين الى اثينا ثم عاد الى بلاده . ويقال انه هو الذي ادخل الفلسفة الى بلاد اليونان . ويعتقد ان الاشياء متباينة في الحقيقة وان قسمة الاجسام مهما بلغت تنتهي دائما الى اجزاء مجانسة للكل . واعتقد بقدم الطبائع حيث كانت في الاصل مختلفة مع بعضها وكثيرة العدد . وقد فسر الكون تفسيرا آليا وعلل رقي الحيوان على النبات لتحرره من الارض[٣] .

والى فترة الاحتلال الفارسي ترجع تحصينات مدينة نياندريا (القرن الخامس ق . م .) . وبوابة المدينة الرئيسية . وبني معبد اثينا في اسسوس (ذو الاعمدة الدورية) في الغالب حوالي ٥٣٠ ق . م . ويشتمل على بناية مركزية تتقدمها منطقة مفتوحة من الامام لها عمودان في المقدمة ويحيط بالبناية ثلاثة عشر عمودا في الجانبين الطويلين وستة في العرض وتعود مناطق من ميناء ملطية والسوق الكبير والمركز الاداري (بريتانيون) الى القرنين الخامس والرابع ق . م . وان معبد اثينا في المدينة قد شيد حوالي سنة ٤٥٠ ق . م . وان خطة المدينة ذات الشوارع المستقيمة من تخطيط هيبودوموس الملطي ترجع الى نفس الوقت . واظهرت الحفريات في لابراندا الى الشمال من ميلاس معبدا لزووس يرجع الى القرن الخامس ق . م . وقد عمر فيه موسولوس ملك كاريا (٣٧٥ ـ ٣٥٣ ق . م .) حيث شيدت في زمانه الكثير من ابنية المعبد امثال الشرفة ذات الاعمدة وسور المصطبة الكبير جنوب المعبد والسلالم الطويلة والبنايات المسماة بالقصور[٤] .

1 — BURY, OP. cit.PP.219 ff.

٢ ـ الدكتور محمد غلاب . الفكر اليوناني أو الأدب الهليني (القاهرة ١٩٥٢ ج٢ ص ٢٠٨ ـ ص ٢٤٩ .

٣ ـ يوسف كرم ، السالف الذكر ، ص ١٧ ـ ص ٤٣ .

4 — AKURGAL. OP.cit.

الفصل الثالث

فترة الاسكندر المقدوني والعصر الهيليني
(٣٣٣ - ٣٠٠ ق . م .)

وعبر الاسكندر المقدوني الهليسبونت (الدردنيل) سنة ٣٣٤ ق . م . وكان بصحبته احشويرش الفارسي القائد الذي ترك فارس حاقدا على عاهلها وعبر الآن على رأس فرقة قادها جسرا نصبه عند سيستوس الواقعة في اقرب نقطة الى الساحل الاسيوي ، وكذلك القائد بامنيون الذي اوكل بواجب نقل الجنود بسفنه المائة والخمسون من سيستوس الى ابيدوس . وقد اعترضت مدينة لامبساكوس تقدم الاسكندر ولكنه اخطرها بالتخريب وقد أقنع الاسكندر بالعدول عن تخريب لامبساكوس وفد المدينة الذي ترأسه المؤرخ اناكزيمينيس.وتوقف الاسكندر في موقع طراودة حيث كانت آنذاك قرية صغيرة ذات معبد متواضع . وقدم احشويرش الاضاحي الى ابطال طراودة بينما قدم الاسكندر السكائب الى ابطال اليونان الذين خلدوا انفسهم بتلك الحرب . وطاف العاهل المقدوني عاريا حول القبر التقليدي الذي يقال انه لآخيل في الموقع . كما قدم الاسكندر الاضاحي الى اثينا ربة الموقع وكرس الى معبدها هناك درعه الذي قيل انه استبدله بدرع يعود الى احد أبطال اليونان الأقدمين . وضحى الاسكندر الى بريام مع دعاء لجلب رضاه عما يعمله سليل نيوبتوليموس ابن آخيل ويقصد به الاسكندر نفسه .

ويذكر ديودوروس وبلوتارخ واريانوس وجوستين بان حرب الاسكندر كانت لاعادة حرب طراودة ثانية . وقاد الجيوش الفارسية عدة قواد امثال ارزاميس وريومثراس ونيفاتيس وبيتينيس الذين ساعدتهم جيوش محلية . فقد عاد ميتريداتيس مزربان ليديا وايونيا واخ المزربان السابق رويزاكيس (الذي سك

عملة في لامبساكوس وكايم) فرقة من الجنود المحليين . كما كان آخرون بقيادة اريستيس قائد فرسان فريجيا وكذلك فرقة من المرتزقة اليونانيين بقيادة اليوناني ميمنون . وقد تجمعت الجيوش الفارسية عند زيليا جنوب غرب كيزيكوس ، ثم تقدموا غربا وعسكروا على ضفاف نهر غرانيكوس (الذي يصب في بحر مرمرة) . وفي غرانيكوس وقعت المعركة الاولى بين الفرس واليونانيين.ونجى الاسكندر من الموت باعجوبة عندما كان يخوض النهر وكانت المعركة نصرا للاسكندر قتل خلالها الكثير من قواد الفرس وانتحر قائدهم اريستيس . وسرح الاسكندر الجنود الفرس من المدن المحلية وارسلهم الى اهاليهم ولكنه صب جم غضبه على المرتزقة اليونانيين الذين خانوا حسب رأيه القضية الهيلينية فاعدم غالبيتهم العظمى رغم توسلهم به لشمولهم بعفوه .

واعلن الاسكندر قرية طراودة (ايليوم) حرة تحت نظام دمقراطي ورفعت عنها الجزية التي كانت تدفعها لفارس واعاد تعميرها بما يتناسب وماضيها العتيد وكرس فيها الاسكندر الى معبد الربة اثينا بولياس . وهذه اول مدينة تبنى على خطوط يونانية بمؤسسات يونانية وتنشر المدينة اليونانية بين السكان المحليين.وتبنى الاسكندر نظام الادارة الفارسي وعين كالاس مزربانا وامره بان يجمع نفس الضرائب التي كان يتسلمها الفرس . واحتل بارمينيون مدينة داسكيليوم وخرج ميثرينس قائد قلعة سارديس لاستقبال الاسكندر مع اهل البلد بناء على وعد الاسكندر بارجاع قوانينهم القديمة وسلموا له الكنوز التي حفظوها في القلعة . وعين الاسكندر اساندر المقدوني مزربان ثان ولم يسمح له بجمع الضرائب والرسوم او الجزية التي اسندت الى نيكياس اليوناني كما عين بوسيناس المقدوني قائدا لحامية ساردیس . وعمر الاسكندر مدينة سمرنا التي هجرها سكانها منذ مدة ليست بالقصيرة وارجع المنفيين الى افيسوس وصارت الحكومة فيها دمقراطية واعيد بناء معبد ارتميس (دایانا) فيها بتبرعات المواطنين التي دفعوها الى اسيادهم الاسبقين . وارسل بارمينيون الى مغنيسيا على المندرس وتراليس.كما بعث ليسيما خوس الى المدن الايونية والايولية لارجاع

الدمقراطية والقوانين القديمة على ان تدفع المدن ضرائبها السابقة فقط . واستسلم المرتزقة في ملطية الى القائد نيكانور الذي وصلها على رأس ١٦٠ سفينة وسلم هيغسيسترا مدينة ميكال ولكن ما ان وصلها الاسطول الفارسي حتى صمم على مواصلة القتال في وقت اعلن به السكان المحليون الحياد ولكن الاسكندر ضرب المدينة التي دافع عنها المرتزقة اليونانيون حتى الموت . كما استسلمت ملطية بعد مقاومة هدمت خلالها المدينة واعفى الاسكندر برايبني وايريثراي من الجزية . وتوفي بيكسود اروس حاكم هاليكارناسوس موصيا بالخلافة الى اورنتوباتيس زوج ابنته ادا الذي عارضته بشدة امرأة كارية اخرى اسمها ادا ارملة ادريوس التي قابلت الاسكندر وتبنته كابن لها.وقد حصن مينون مدينة هاليكارناسوس وملأها بالجنود الفرس والمرتزقة اليونانيين . ولما فشل الاسكندر في هجومه على ميندوس عاد وحاصر هاليكارناسوس وتحصن اورونتو باتيس وميمنون بالقلعة التي سرعان ما استسلمت للاسكندر . وترك الاسكندر حامية في كاريا التي سلمها الى ادا ارملة ادريوس مع اللقب ملكة . كما استسلمت المناطق الاخرى في الساحل الغربي الى الاسكندر . ثم اتجه الاسكندر صوب فريجيا التي ضمها بسهولة . وقد حاصرت قوة فارسية بقيادة اوتوفراداتيس وفارنابازوس (ابن اخ ميمنون الذي توفي الان) مدينة ميتيلين واجبروها على الاستسلام والغاء معاهدتهم مع الاسكندر.ثم نقل فارنابازوس مرتزقته الى ليشيا واسترجعت فارس الكثير من الجزر الايجية ايضا . ولم يكترث الاسكندر بهذه الانتكاسات بل استمر في تقدمه بفريجيا ودخل عاصمتها وفي انكيرا قابل وفد من بافلاغونيا الاسكندر وسلم له البلاد مشترطا عليه دخولها وحده دونما جيشه والحقهم بكالاس مزربان فريجيا.كما سلمت كبادوكية ووضعها الاسكندر تحت ادارة المزربان سابيكناس . وتقدم بعدها الاسكندر واحتل الابواب الكليكية . وبينما توجه بارمينيون شرقا لاحتلال الابواب السورية ذهب الاسكندر (كما تذكر الاخبار) لزيارة قبر ساردانا بولوس الاشوري عند انكياله (وهذه دون شك منحوته هناك لا علاقة لها بالاشوريين).وتقدم الاسكندر صوب طوروس عن طريق سهل

ايليان وضحى عند ماغارسوس للربة اثينا وعند ماللوس للبطل المحلي انفليخوس . ووضع الاسكندر حدا الى الانشقاق المحلي في هاتين المدينتين وعين شخصا باسم بلاكروس ابن نيكانور كحاكم على كليكيا . وقد وصل داريوس الثالث الملك الفارسي الى ساحل البحر عند الابواب السورية في وقت كان الاسكندر وجيوشه في كليكيا . وعسكرت الجيوش الفارسية عند بيناروس ذا الموقع الاستراتيجي الهام . وحدثت المعركة عند ايسسوس سنة ٣٣٣ ق . م . التي انتصر بها اليونانيون[١] .

وكان حكم الاسكندر بداية عصر ازدهار للمدن اليونانية بآسيا الصغرى . فقد خلصهم من طغيان الحكام الفرس والنظم الاوليكاركية واعطى المواطنين الحرية وحل النظام الدمقراطي في كل مدينة . واعتبر كل المدن حلفاء له ولكنه لم يعقد معاهدات منفصلة مع كل مدينة وفرض على كل مدينة جزية وضريبة وعيّنَ على البلاد حكاما (مزربانات) مقدونيين . ونعرف ان الاسكندر قد شنق بعض الحكام الاسبقين وطرد آخرين ولم يترك الى الحكام حريتهم في الحكم الكيفي كما كانوا يحكمون زمن الاحتلال الفارسي بل عليهم ان يتسلموا اوامره رأسا . وكان تحت المزربان موظف يدير مالية المزربانية وهو حلقة الوصل بين الملك والشعب ثم قائد الحامية العسكرية للاشراف على جنود المزربانية الذين تركهم الاسكندر .

وبعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق . م . اعطيت كليكيا الى فيلوتاس وفريجيا الكبرى الى انتيغونيس الذي سبق له ان حكمها زمن الاسكندر وفريجيا الدردنيل الى ليونناتوس ـ وكبادوكية وبافلاغونية الى يومينيس . ونعرف ان برديكاس ويومينيس هما اللذان احتلا كبادوكية بعد دحرهم حاكمها السابق ارياراثيس . وفي سنة ٣٠٣ ق . م . هاجم ليسياخوس منطقة الدردنيل وابيدوس ثم عرج الى داخل البلاد بالاتجاه الجنوبي الغربي واحتل سيمنادا قلعة انتيلونيس الحصينة بينما سار قائده بريبيلوس على طول الساحل الغربي وسيطر على افيسوس . واسرع انتيلونيس الى آسيا الصغرى من سورية محاولا جر ليسيا خوس الى المعركة التي كان يتجنبها الاخير لحين وصول سلوقس . وفي نفس الوقت احتل ليسيا خوس مدينة هرقلية من بيثينيا

التي تزوج حاكمها من اماستريس بنت اخت داريوس الثالث ارملة الملك ديونيسيوس سنة ٣٢٢ ق . م . وتقدم دمتريوس الى آسيا الصغرى ، وهاجم افيسوس وبعض مدن الدردنيل واخذ مواقعه خلف ليسيماخوس . وهنا وصل سلوقس الى كبادوكية . وفي سنة ٣٠١ ق . م . حدث الاصطدام في ابسوس بفريجيا ضمن منطقة انتيغونيس .

ونجح الحليفان سلوقس وليسيماخوس بغيلتهم من فصل دمتريوس الذي كان يقود سلاح الفرسان عن قوات والده انتيغونيس وقتل الاخير وهرب الاول الى افيسوس وهكذا انتهت دولة انتيغونيس وقسمت املاكها بين سلوقس وليسيماخوس. فأخذ الأول آسيا حتى فريجيا عدا كليكيا التي صارت حصة بلايستار خوس وفي شمال آسيا الصغرى صار زيبويتيس حاكم بيثينيا وارياراثيس حاكم كبادوكية ومثراداتيس حاكم بافلاغونيا وبنطس اكثر استقلالا وكانت الممتلكات التي حصلها سلوقس اكثر من تلك التي وقعت في يد ليسيماخوس مما جعل الثاني يتقرب الى بطليموس ويتزوج من ابنته ارسينوي الامر الذي دفع سلوقس الى مصالحة دمتريوس والزواج من ابنته ستراتونيس . وهنا وصل دمتريوس كليكيا ولكن سرعان ما دب الخلاف بين دمتريوس وسلوقس نتيجة رفض دمتريوس طلب سلوقس باعطائه صيدا وصور بدلا من كليكيا التي سمح له بالسيطرة عليها . وفي ملطية تزوج دمتريوس من بطلوميس ابنة بطليموس الاول . وفي سنة ٢٨٧ ق ـ م . تغلغل دمتريوس الى داخل اسيا الصغرى فاسترجع سلوقس كليكيا وصارت أفيسوس وملطية (بين ٢٩٤ - ٢٨٩ ق . م .) وكل ايونيا واكثرية كاريا الى ليسيماخوس . ويظهر ان موقع سمرنا القديم (الى الشمال الشرقي من خليج هيرميان) قد هجر وشيدت على الجهة الجنوبية الشرقيّة من نفس الخليج من قبل انتيغونيس ووسعها ليسيماخوس وجملها . وتقع المدينة الجديدة جزئيا على البحر وقسم منها على تل ماستوسياور ورصفت شوارعها بالحجارة التي تلتقي مع بعضها في زوايا قائمة . وسرعان ما صارت المدينة احدى مدن العالم العظمى والثرية وقد احبها الرومان لمساعدتها لهم في الحروب

السورية والميثريدتية . ومن ملطية تقدم دمتريوس وغزى ايونيا وسلم ممثل ليسيماخوس له ساردیس . وفي ربيع سنة ٢٨٦ ق . م . تقدم اغاثوكليس ابن ليسيماخوس قاطعا خطوط تموين دمتريوس الذي تمكن اخيرا من الوصول الى سلوقس بكليكيا.وقد رحب سلوقس به بادىء الامر ولكنه سرعان ما تخوف منه وحاربه واندحر امامه وسيطر دمتريوس على الابواب السورية . وبهذا صارت غالبية آسيا الصغرى وشمال غرب طوروس بيد ليسيماخوس واستبدل الحكومة الدمقراطية في افيسوس باخرى يسيطر عليها الاوليكاركيون واجبر سكان كارديا على الانتقال الى مدينة ليسماخيا وخرب استاكوس التي اتخذها دمتريوس عاصمة له. ونقل الكثير من الاهالي من مدن ليبيدوس وكولوفون الى افيسوس (التي اسماها ارسينوى على اسم زوجته ابنة بطليموس الاول) . ولم تستسلم له كولوفون بسهولة مما جعله يستعمل العنف معها . وقد ترك لنا الشاعر فوينكس وصفا مؤلما لما حدث لمدينته كولوفون على يد ليسيماخوس . كما اعاد تعمير مدينة انتيغونية واسماها نيقية واكمل بناء سمرنا واسماها يوريديس على اسم ابنته . ولكن تأييد ليسيماخوس لبعض طغاة المدن الايونية وكثرة ما فرضه نتيجة تصاعد مصروفات حربه ادت الى جفائها عنه الامر الذي انتهزه سلوقس فعبر جبال طوروس . وان فيليتوروس الخصي من تيوس الذي سبق ان خان انتيغونيس الاول لحساب ليسيماخوس قد خان الاخير وسلم برغاموم مع تسعة آلاف فيها الى سلوقس كما سلمت للأخير ساردیس والتحق به زيبويتيس حاكم بيثينيا . والتقى جيشا ليسيماخوس وسلوقس في سهل كوروس بليدية سنة ٢٨١ ق . م . واندحر ليسيماخوس وقتل . واخذ سلوقس يعمل بعد ذلك على تنظيم الامور بآسيا الصغرى . فقد استسلمت له عدة مدن يونانية منها ملطية وارسل لاخرى مندوبين عنه لحمل مشاكلها والغى الرسوم والضرائب التي فرضها عليهم ليسيماخوس . وادخلت براييني عيدا باسم سوتيريا لاحياء خلاصها من الطغيان. وشرعت ايليوم ونيسيروس قوانينا ضد الطغاة في وقت التحقت به ساموس (مدينة المؤرخ دوريس) وربما هاليكارناسوس وكنيدوس وبطليموس . وطردت هرقلية

مبعوث سلوقس وارجعت المنفيين ونجح مواطنها المؤرخ نيمفيس في التوفيق بين الاحزاب المختلفة فيها . وشكلت هرقلية وبيزانطيوم وكالكيدون وتيوس الحلف الشمالي للمحافظة على استقلالها الذي التحق به الامير الفارسي مثريداتيس حاكم البونطس . وفي ضاحية ليسماخيا قتل كيراونوس (من اتباع ليسيماخوس) سلوقس سنة ٢٨٠ ق . م . وافتدى جثة الاخير الخصي فيليتوروس حاكم برغاموم واعلنت دول الحلف الشمالي وبيثينيا وبونطس عصيانها على انطيوخوس الاول (خليفة وابن سلوقس) التي وقفت ضدها الان كيزيكوس وبرغاموم وادت هجمات قبائل الغول الى التقارب بين انطيوخوس الاول وانتيغونيس ملك مقدونيا.وفي سنة ٢٧٨ ق . م . تقدمت القبيلتان الغاليتان توليستواغي (توليستوبوغي) والتروكي بقيادة ملكها لينوريوس الى منطقة الدردنيل فلم يسمح الحاكم الممثل لانطيوخوس للاخير بالعبور في وقت حرضه به نيكوميديس للهجوم على زيبويتيس حاكم بيثينيا.وتمكن لوتاريوس من الاستحواذ على سفن عبر بها الدردنيل وهجم على زيبويتيس والتحقت بالقبيلتين الغاليتين الان قبيلة ثالثة هي اليكتوزاغيس وصاروا جميعهم تحت امرة نيكوميديس وحليفه ميثريداتيس حاكم البونطس وقسمت القبائل الغالية الثلاثة المنطقة التابعة للسلوقيين في اسيا الصغرى فيما بينها من اجل نهبها . وقد تركت لنا الكتابات الكثير من اخبار بطش هؤلاء الغول في المدن الايونية باسيا الصغرى . ووسع ميثرايداتيس مملكته على طول الساحل الى اماستريس وفي الداخل من الهاليس الاسفل وايريس حتى فريجيا الشمالية . ويظهر ان هناك سلالات محلية في بافلاغونيا وجميع بيسيديا في وقت كانت به ملطية وجزء من ليشيا وربما هاليكارناسوس وكنيدوس تابعة الى مصر .

وحاربت كزيكوس لوحدها قبيلة التروكي الغالية . وطرد فيليتوروس الغول عن برغاموم . ودفعت مدينة برايبني وغيرها الفدية الى القبائل الغالية في وقت تركت فيه مدينة برايبني اراضيها للنهب حتى قيض لها المواطن ستواس الذي جند عبيده وبعض المتطوعين لصد الجموع الغالية . ولم يقر للغول قرار حتى اسكنهم

نيكوميديس وميثراداتيس في منطقة بشمال فريجيا (غلاطية) استقطعوها من انطيوخوس واستخدموهم كحاجز مع السلوقيين.ولو ان غلاطية منطقة فقيرة الا انها اعطت الغول ما يحتاجونه فاستقرت قبيلة توليستواغي حوالي بيسينوس وقبيلة تروكي عند تافيوم وقبيلة اليكتو ساغيس بينهما عند منطقة انكيرا (انقرة) . وحكم كل قبيلة اربعة ملوك كانوا عبارة عن قواد حرب . وكان للقبائل الثلاثة مزار واحد مشترك عند دراينيميتوس حيث كان يعقد لهم مجلس يتألف من ٣٠٠ من اعيانهم لفض مشاكلهم الشرعية . وكانت المنطقة التي يسيطر عليها السلوقيين باسيا الصغرى تشمل على الطرواد والحزام العريض الممتد على طول واواسط شبه الجزيرة حتى الساحل الغربي وتمتعت المدن اليونانية ضمن نطاق الدولة السلوقية بدستورها وقوانينها الخاصة وتدفع الجزيرة (الفوروس) الى السلوقيين .

وكانت هناك دويلات عدة باسيا الصغرى اهمها :-

١ . **دويلة بيثينيا** : التي شكلها سنة ٢٩٧ ق . م . زيبويتيس (حتى ٢٧٨ ق . م .) وكان من اصل تراقي . وتبعه ابنه الاكبر نيكوميديس (٢٧٨ - ٢٥٠ ق . م .) وقد حارب ودحر اخيه زيبويتيس الذي حكم لفترة من الزمن مساحة واسعة من بيثينيا وقد ساعدته في دحر اخيه القبائل الغولية التي دعاها الى البلاد .

وقد بني نيكوميديا التي اتخذها عاصمة لبلاده . وتبعه ابنه زيلاس (٢٥٠ - ٢٢٨ ق . م .) ثم بروسياس (٢٢٨ - ١٨٠ ق . م .) الذي امتاز بالقوة والحيوية والتجيء الى بلاطه هانيبال زعيم قرطاجة . وتلاه ولده بروسياس الثاني (١٨٠ - ١٤٩ ق . م .) الذي حارب اتتالوس ملك برغاموم وعقد معه اخيرا معاهدة صلح بتأثير الرومان سنة ١٥٤ ق . م . وكان معروفا بالشراسة وتشوه الخلقة وحب الصيد وقد قتل باشارة من ولده نيكوميديس الثاني . وخلفه ابنه نيكوميديس الثاني (١٤٩ - ٩١ ق . م) الذي لقب نفسه ابيفانيس . وقد تربى في روما ونجح في الحصول على رضا مجلس السنات فيها . وقد غدى والده بروسياس غيورا منه فتآمر على قتله في تلك المؤامرة التي كشفها نيكوميديس ورجع على اثرها لاسيا الصغرى وشن على

والده حربا ادت الى قتله . وساعد نيكوميديس الرومان في حربهم اريستونيكوس سنة ١٣١ ق . م . وتمكن من ضم بافلاغونيا وحاول ضم كبادوكية بزواجه من لاوديس ارملة ارياراثيس السادس التي اخرجه منها ميثريداتيس واخطر نيكوميديس الى ترك بافلاغونيا بناء على طلب الرومان . وتبعه على العرش نيكوميديس الثالث (٩١ - ٧٤ ق . م .) الملقب محب ابيه (فليوباتير) وقد نجحت ثورة اخيه سقراط عليه والتي امدها ميثريداتيس حاكم كبادوكية ولكن الرومان سنة ٩٠ ق . م . ارجعوه لعرش والده . وحرضه الرومان على مهاجمة ميثريداتيس الذي تمكن من طرده ثانية من ممتلكاته سنة ٨٨ ق . م . وكان هذا العمل هو سبب الحرب الميثريداتية الاولى التي رجع بعدها نيكوميديس الثالث سنة ٨٤ ق . م . الى عرشه حيث ظل يحكم لمدة عشرة سنوات . وقد أوصى نيكوميديس الثالث ان تضم مملكته في حالة وفاته الى الرومان نظرا لعدم وجود خليفة لديه [٢]

٢ - دويلة البونطس : وعند غزو الاسكندر المقدوني لاسيا الصغرى كان على رأس دولة البونطس ميثريداتيس الثاني (٣٣٧ - ٣٠٢ ق . م .) الذي اعلن دولته مستقلة وخضع لفترة بعد وفاة الاسكندر الى انتيغونيس . وقد تبعه بعد وفاته ولده ميثريداتيس الثالث (٣٠٢ - ٢٦٦ ق . م .) الذي وسع مملكته بضم جزء كبير من كبادوكية وبافلاغونيا . وجاء بعده ابنه اريوبارزانيس الثالث (٢٦٦ - ٢٤٠ ق . م .) ثم نجله ميثريداتيس الرابع (٢٤٠ - ١٩٠ ق . م .) الذي زوج ابنته لاوديس من انطيوخوس الثالث.وخلفه ابنه فارناكيس الاول (١٩٠ - ١٥٦ ق . م .) الذي حارب بعدة سنوات يومينيس ملك برغاموم وارياراثيس ملك كبادوكية اضطر بعدها على عقد سلام ليس لمصلحته سنة ١٧٩ ق . م . وتلاه ولده ميثريداتيس الخامس (١٥٦ - ١٢٠ ق . م .) الملقب يورغيتيس . وهو اول ملك لبونطس يعقد حلفا مع الرومان الذين ساعدهم في الحرب القرطاجية الثالثة وخلال حربهم لاريستونيكوس (١٣١ . ١٢٩ ق . م .) . وقد قتل في سينوب نتيجة

مؤامرة دبرت ضده وخلفه ميثريداتيس السادس (١٢٠ ـ ٦٣ ق . م .) الذي لقب يوباتور ودايونيسوس وعرف بالكبير واعتبره شيشرون اعظم ملوك الارض بعد الاسكندر وهو ابن الملك السابق وقد تولى العرش وله احد عشر سنة من العمر وكان مغرما بالصيد وقضي معظم طفولته في سينوب حيث حصل على تربية يونانية وقيل انه اتقن تعلم ٢٢ لغة وكان يتكلم مع ممثلي جميع القبائل في مملكته بلهجتهم ولغتهم الخاصة . وبدأ حكمه باخضاع القبائل القاطنة بين البحر الاسود وتخوم ارمينيا . وساعد باريسا ديس ملك البوسفور (حوالي بحر ازوف والقرم) ضد القبائل السارماتية والروكسا وبعد وفاة باريساديس ضم مملكة البوسفور اليه . . ونعرف بان نيكوميديس ملك بيثينيا غزى ميثريداتيس بتحريض من الرومان وفي سنة ٨٨ ق . م . تمكن من طرد اريوبارزانيس من كبادوكية ونيكوميديس من بيثينيا ودحر القواد الرومان الذين كانوا يساعدوهم وضم فريجيا وغلاطية اليه واعطى اوامره بقتل جميع الرومان والايطاليين في مدن اسيا الصغرى وفعلا قتل الكثير منهم . وكان ذلك هو سبب ارسال روما للقائد سوللا ضده وقد دحر سوللا جيوش ميثريداتيس في ثلاثة مواقع عقد بعدها الصلح بين الطرفين وافق ميثريداتيس على ترك جميع الاراضي التي غزاها وان يدفع ٢٠٠٠ طالين مع تسليم سبع سفن الى الاسطول الروماني . وسميت هذه بالحرب الميثريداتية الاولى سنة ٨٤ ق . م .

وفي سنة ٨٣ ق . م . هاجم القائد الروماني مورينا (الذي تركه سوللا في اسيا الصغرى) اراضي ميثريداتيس بحجة ان الاخير لم يتخل عن كبادوكية . وقد اندحر مورينا وعقد السلام بينه وبين ميثريداتيس وسميت هذه بالحرب الميثريداتية الثانية . ولما توفي نيكوميديس الثالث دخلت مملكة بيثينيا ضمن المقاطعات الرومانية حسب وصيته سنة ٧٤ ق . م . اعترض ميثريداتيس وادعى بأحقية ابن نيكوميديس الثالث من زوجته نيسا بالملك . واجتاح بجيشه اراضي بيثينيا ودحر الجيش الروماني وحاصر كيزيكوس برا وبحرا ولكن الرومان دحروه أخيرا بجيش قاده لوكوللوس وهرب ميثريداتيس والتجأ الى بلاط زوج ابنته تيغرانيس ملك ارمينية

ولما رفض ملك ارمينيا طلب لوكوللوس بتسليم ميثريداتيس حاربه الرومان ودحروه سنة ٦٩ ـ ٦٨ ق . م . على التوالي . ولكن انشغال لوكوللوس في حرب جانبية حاصر خلالها نصيبين في شمال العراق ادت الى تقدم ميثريداتيس في بونطس ودحره القواد الرومان الذين أبقاهم لوكوللوس فيها . ولم يتمكن لوكوللوس عند عودته من ارجاع الامور الى نصابها الامر الذي جعل روما ترسل بومبي سنة ٦٦ ق . م . وفعلا دحره بومبي وجعله يتراجع الى بانتيكابايوم عاصمة مملكة البوسفور التي ظل فيها آمنا في الوقت الذي تقدم فيه بومبي لحرب تيغرانيس وباتجاه سورية . واخيرا ثار على ميثريداتيس ابنه فارناكيس الذي تجمع حول الكثيرون وانتحر ميثريداتيس باخذ السم واسرع ولده فارناكيس بارسال جثة ابيه الى بومبي الذي كان مرابطا في افيسوس كاشارة خضوع وطاعة . ولكن بومبي دفن ميثريداتيس في ابهة بمقابر اجداده في سينوب . وثبت بومبي فارناكيس في مملكة البونطس ولقبه بحليف الشعب الروماني وخلال الحرب الاهلية الرومانية انتهز فارناكيس الفرصة ووسع حدوده في كالكيس وارمينيا الصغرى ودحر كالفينوس قائد قيصر في اسيا الصغرى . ولكن قيصر دحره بعد ذلك وذبحه اساندرا احد قواده سنة ٤٧ ق . م . وظل الاخير يحكم المملكة لفترة من الزمن وثبته اوغسطوس في منصبه[٣] .

٣ ـ كبادوكية : وفي كبادوكية تركزت خلال فترة الاحتلال الفارسي لاسيا الصغرى طبقة نبيلة فارسية سيطرت على اراضي خصبة واسعة الى جانب تلك التي كانت بيد المعابد امثال تلك للربة في كومانا وزووس في فيناسا.ومن حكامها اريامنيس الاول الذي رفض ولده ارياراتيس الاول الاستسلام بادىء الامر للاسكندر المقدوني وشنقه برديكاس سنة ٣٢٢ ق . م . وظلت كبادوكية حتى سنة ٣١٥ ق . م . تحت ادارة يومينيس . وبعد وفاة الاخير استرجع ارياراثيس الثاني ابن هولفيرنيس ابن اخ ارياراثيس الاول منطقة كبادوكية واضاف اليها كاتاونيا . وتبعه في حكمها اريامنيس الثاني ثم ارياراتيس الثالث الذي تزوج من ستراتونيس

ابنة انطيوخوس الثاني . وفي زمنه (سنة ٢٥٥ ق . م .) تم الاعتراف بحكام كبادوكية ملوكا . وخلفه ارياراثيس الرابع (٢٢٠ - ١٦٢ ق . م .) الذي تزوج من انطيوخيس ابنة انطيوخوس الثالث وساعد الاخير في حربه ضد الرومان . وبعد اندحار انطيوخوس الثالث عقد ارياراثيس صلحا بشروط مناسبة مع روما سنة ١٨٨ ق . م . واعقبه ابنه ارياراثيس الخامس الملقب فليوباتير (محب ابيه) (١٦٣ - ١٣٠ ق . م .) الذي ساعد الرومان في حربهم برغاموم ومات صريعا اثناء القتال . ثم ارياراثيس السادس (١٣٠ - ٩٦ ق . م .) الذي تزوج لاوديس اخت ميثريداتيس ملك البونطس وقد قتله الاخير . ويظهر ان الفترة التالية كانت مضطربة بدليل صعود ملكين هما ارياراثيس السابع وارياراثيس الثامن ابن ارياراثيس السادس خلال ثلاث سنوات . وجاء بعد ذلك اريارزانيس الملقب محب روما (فيلوروميوس (٩٣ - ٦٣ ق . م .) الذي انتخبه اهالي كبادوكية ملكا عليهم باشراف روما . وقد ازاحه ميثريداتيس ملك البونطس مرات عدة عن عرشه وهدم تيغرانيس ملك ارمينية منطقته الى ان ثبته في عرشه بومبي سنة ٦٣ ق . م . وقدم له الاموال الطائلة لتعمير بلاده(٤) .

٤ . **برغاموم** : في القسم الغربي من اسيا الصغرى . ولا تذكر المصادر شيئا عن اصل برغاموم التي نسمع عنها لاول مرة حسب معلوماتنا الحالية خلال تراجع العشرة الاف مرتزق الذين قادهم زينفون سنة ٤٠٠ ق . م . حيث نسمع بان هيللاس زوجة غونغيلوس (ووالدة غورغيون وغونغيلوس اللذين رأسا دولتين صغيرتين في وادي كايكوس) قد استضافت زينفون . وكانت دويلة غورغيون عند غامبريوم وباليغامبريوم عند السفح الشمالي لجبل جند داغ . اما دويلة غونغيلوس فكانت على الساحل عند ميرنيا وغرينيوم . وقد قدم الفرس هذه المدن الأربع الى غونغيلوس الاب لخيانته اليونان سنة ٤٩٠ ق . م . كما اعطى الفرس الى ديماراتوس بعض المناطق في وادي كايكوس لنفس السبب . وكان ليوريسثينيس وبروكليس

أولاد ديما راتوس مناطق يحكمانها وقت تراجع زينفون . وعندما سيطر الاسكندر المقدوني على ليديا عيّن اساندر ثم ميناندير عليها وكانت ضمن منطقتهم برغاموم والمناطق المحيطة بها . ولما آلت المنطقة اخيرا الى ليسيماخوس عين فيليتيروس على برغاموم والاخير هو مؤسس الاسرة الاتتالية حيث ان سلوقس الاول تمكن من تحريض فيليتيروس للثورة على ليسيماخوس مقابل اعطائه حكم برغاموم.وفعلا استقلت الاخيرة ضمن نطاق النفوذ السلوقي وبني فيليتيروس معبدي ديمتر واثينا والقصر القديم والبناية المربعة في اعلى قمة الموقع والتي ربما كانت برج مراقبة . كما قوى وسائل دفاع القلعة بتشييد بنايات صنع الاسلحة على الهضبة الى الشمال من قمة الموقع . وكانت علاقة فيليتيروس طيبة مع الدول القوية وجاراته . فعندما طلب انطيوخوس من مدينة بيتين PiTANE دفع ثمن الاراضي التي استحوذت عليها على خليج ادراميتين قدم لها فيليتيروس كميات من المال . وقد وصلتنا بعض صوره منها واحدة على حجر كريم معروضة في المتحف البريطاني تصوره بشعر قصير ملتف وجبهة منخفضة وعيون عميقة وفم مغلق.واتى بعده ابن اخيه يومينيس الاول (٢٦٣ ـ ٢٤١ ق . م .) الذي يظهر ان بطليموس الثاني ملك مصر قد شجعه ضد السلوقيين من اجل تثبيت استقلاله . وتقدم يومينيس ودحر انطيوخوس الاول قرب سارديس.ويظهر ان يومينيس الاول قد تمكن من تحرير بلاده من السيطرة السلوقية حيث نعرف عن استبداله العملة السلوقية في دولته باخرى عليها صورة فيليتيروس . وجاء بعده اتتالوس الاول ابن اخ فيليروس (٢٤١ ـ ١٩٧ ق . م .) الذي ساعد الرومان في صراعهم ضد فيليب ملك مقدونيا والاخيين . وقد عرف بالحصافة والعدل وتشجيع الادباء . وصد غزو الغول ودحرهم عند افروديسيوم التي جعل ذكراها يوما مقدسا كما شيد في منطقة الربة اثينا على القلعة صرحا ضخما نحت عليه كل انتصاراته . وصرنا نرى صورة الربة اثينا على العملة التي سكها وعقد سنة ٢١٦ ق . م . معاهدة مع انطيوخوس الثالث غزى سنة ٢١٨ ق . م . وايوليس واستسلمت له تيوس وكولوفون وديديما وكارسيا مسيطرا بذلك على كل شمال غرب

اسيا الصغرى . وحارب سنة ٢١٤ ق . م . اخيوس وجعل عاصمته ساردیس التي اجبرها على الاستسلام له . ونعرف عن حروب اتالوس الاول في بلاد اليونان . فقد انتصر بالتعاون مع رودس على اسطول فيليب ملك مقدونيا ولكن الاخير هاجم برغاموم التي ساعدها موقعها الجغرافي وتحصيناتها على المقاومة . وعثر خلال الحفريات بالمنطقة المعروفة باسم حديثة الملكة الممتدة من شمال القلعة على خمسة مخازن اسلحة شيدت بعضها زمن اتالوس الاول . ويدل بناؤ ها بانها قد شيدت بسرعة في وقت حرج ربما اثناء هذا الهجوم . ولم يستطع فيليب المقدوني احتلال برغاموم واكتفى بتهديم المناطق المحيطة بها وتخريب المعبد والمذابح خارج اسوار المدينة مثل معبدة نيكة (النيكوفوريوم) وافروديت (افروديسيوم) وهذه الحرب عرفت باسم الحرب المقدونية الاولى . ولما عرفت برغاموم وحليفتها رودس بانسحاب فيليب تعقباه ووصلا اثينا التي ساعدتهما مع روما ضد فيليب الذي دحروه . وعرفت هذه بالحرب المقدونية الثانية . وأتى يومينيس الثاني (١٩٧ ـ ١٥٩ ق . م) وفي زمنه تقدم انطيوخوس الثالث (الكبير) الملك السلوقي سنة ١٩٧ ق . م . باسيا الصغرى التي حاول بها السيطرة على جميع المدن اليونانية فيها وطغت جيوش انطيوخوس على اراضي مملكة برغاموم . ولكن اندحار انطيوخوس الثالث بمعركة مغنيسيا سنة ١٩٠ ق . م . امام الرومان مكنت يومينيس الثاني من توسيع مملكته والحاقه بعض ممتلكات السلوقيين باسيا الصغرى والحصول على تعويضات.والحق بمملكته مناطق ليكاونيا وكل فريجيا وميسيا وليديا وغالبية ايونيا (المدن اليونانية التي دفعت الجزية لانطيوخوس وايدته في الحرب) في وقت كان اخوان يومينيس يطاردان الغول وتلاه اتالوس الثاني (الملقب فيلاد لفوس)اخ امينوس الثاني (١٥٩ ـ ١٣٨ ق . .) وكان مثل والده حليفا للرومان محبا للأدب والعلم والفن . وفي زمنه هاجم بروسياس ملك بيثينيا مملكة برغاموم . ولم ينفع نداءه لروما بمساعدته نظرا للشكوى التي رفعها ضده الغول والسليغيون سنة ١٦٥ ق . م . وتبعه اتالوس الثالث (١٣٨ ـ ١٣٣ ق . م .) الملقب حبيب امه . وقد ثار ضده اريستونيكوس ابن

يومينيس الثاني مدعيا باحقيته في الملك الذي سرعان ما اخمدت حركته.وقد اخبرنا اتتالوس الثالث بانه قد وضع تمثال زووس سابازيوس الذي ادخلت امه عبادته، واورث اتتالوس الثالث مملكته الى الرومان الذين ضموها الى امبراطوريتهم بعد وفاته . ونعرف بان الاتتاليين حكام برغاموم قد احترموا الدمقراطية نراه واضحا في رسالة بعث بها اتتالوس الثالث الى مجلس النبلاء والشعب في عاصمته . واهم منصب في دولة برغاموم بعد الملك كان ذاك للحكام . الذين كان يعينهم الملك . واعتمد ملوك برغاموم ماليا على الضرائب التي فرضوها على المدن الخاضعة لهم والرسوم على السكان الاصليين والضرائب التي استحصلوها من البضائع التي كانت تمر ببلادهم الى جانب الموارد الطبيعية من الزراعة والحيوانات والمعامل الملكية حيث نعرف ان الملوك تملكوا الكثير من المعامل والمشاغل[٥] .

ومن مشاهير المفكرين باسيا الصغرى من هذه الفترة يودوكسوس من كنيدوس في كاريا الفلكي صاحب نظرية المجالات المركزية لتعليل الاختلافات في حركات الشمس والقمر والكواكب . فقد اقترح وجود نظام ثلاثة مجالات للشمس والقمر واربعة مجالات تتركز في الارض ولكل كوكب اربعة مجالات وكلها تدور حول محاور مختلفة داخل الآخر . كما برز الفلكي هيراكيلديس في بونطس (٣٨٨ ـ ٣١٥ ق . م .) الذي اوضح بان الارض تدور حول محورها كل ٢٤ ساعة وان الزهرة والمشتري تدور حول الشمس كتوابع لها . ثم هيبار خوس من نيقية في بيثينيا في حوالي سنة ١٥٠ ق . م . الذي ترك لنا كتابا يتناول تعليقه على الظواهر التي توصل اليها يودوكسوس واراتوس . وله بحوث عن الخطوط المستقيمة في الدائرة . وهيبارخوس الذي اكتشف حركات انقلاب الفصول وله بحوث في طول السنة كما يدل من الارقام التي قدمها اريستارخوس على احجام وابعاد الشمس والقمر مقدرا اقطارها . واعد كاتالوكا حوى ٨٥٠ من النجوم الثابتة مميزا درجات بريقها وعمل كرة بين عليها مراكز النجوم الثابتة بالنسبة لحساباته . وكتب في الجغرافية ايضا مؤكدا على ضرورة استعمال الفلك فيها . وفي مغنيسيا على سفح سيبوليس برز

الخطيب اليوناني المعروف هيغيسياس (حوالي سنة ٢٥٠ ق . م .) الذي عزى اليه ابتداع ما عرف بالاسلوب الاسيوي في الخطابة . وحوالي سنة ٣٠٠ ق . م . عاشت في بيزانطيوم الشاعرة مويرو وهي والدة النحوي والشاعر التراجيدي هوميروس وكتبت في الملحمة والرثاء والحب . ثم النحوي زينودوتس من افيسوس الذي هاجر الى الاسكندرية بمصر ليدير مكتبتها حوالي سنة ٣٠٠ ق . م . وقد جمع الاشعار المنسوبة الى هوميروس والشعراء اليونانيين المشهورين وهو اول منقح لهوميروس وقد ركز اهتمامه على لغة هوميروس . وفي مدينة بيتين عاش الفيلسوف اركيسيلاوس (المولود حوالي ٣١٦ ق . م .) مؤسس ما عرفت بالاكاديمية الوسيطة . وكان افلاطون فيلسوفه المفضل . ثم الفيلسوف كرانتور من سولي بكليكيا من حوالي سنة ٣٠٠ ق . م . وهو اول من كتب تعليقات على كتب افلاطون . وعرف كرانتور بطهارة معتقداته في الاخلاق التي مدحها الكتاب الاقدمون .

ولنا ان نذكر كون برغاموم مركزا علميا حوى مكتبة هامة قيل انها حوت ٢٠٠ الف كتاب .

ونلاحظ في هذا العصر تغيرا في عمارة المعابد عن الخطة الايونية الى الدورية وظهر الميل الى تأكيد واجهات المعابد نراه واضحا في واجهة معبد ارتميس في سارديس ومعبد في برايبيني واخر في مغنيسيا وخمسة في برغاموم . ويمكن القول ان الميزات الكاملة للعمارة الهيلينية قد ظهرت في بداية القرن الثاني ق . م . ويقرن الكاتب فيتروفيوس هذه التغييرات مع اسم هيرموجينيس الذي ترك لنا آثارا مدونة عن نظرياته في العمارة وبناياته . ويخبرنا فيتروفيوس بان هيرموجينيس شيد معبد دايونيسيوس في تيوس ومعبد ارتميس في مغنيسيا . وان معبد دايونيسيوس في تيوس يماثل معبد اثينا في برايبيني محاطا باعمدة ٦×١١ عمودا . ومن معابد الفترة الديدميوم في ملطية وهو مزار شيد بالطراز الايوني حمل تمثال طقسه الملك الفارسي احشويرش وارجعه سلوقس الاول . ويتقدم المعبد خمسة اعمدة ضخمة تبرز في حلقات اعمدته

الحلزونية منحوتات نصفية تماثل تلك في مذبح برغاموم . ثم قاعة المجلس في ملطية التي شيدها انطيوخوس ابيغانيس في الربع الثاني من القرن الثاني ق . م . وهي عبارة عن مسرح مسقف تسقيفا جملونيا بخطة مستطيلة مع اربعة اعمدة داخلية . وجرت العادة على تشييد المسارح على المنحدرات الطبيعية ان وجدت منها مسرح براييني . وفي برغاموم شيدت جميع البنايات المقدسة مع المذبح الكبير والسوق على قمة القلعة ويمتد المسرح تحتهم . ويبلغ عرض اكثر شوارع براييني عرضا ٢٤ قدما في وقت حدد قانون برغاموم عرض الشوارع بثلاثين قدما . ولم تكن الشوارع في المدن الهيلينية بالمبلطة وافتخرت سمرنا بانها اول مدينة تبلط شوارعها . وفي افيسوس التي كانت تابعة لمدة من الزمن الى برغاموم (من ٢٤١ - ١٣٣ ق . م .) كانت القلعة قد شيدت على تل واحيطت باسوار يزيد طولها عن ثلاثة كيلو مترات والتي تعتبر من اكمل التحصينات في العالم اليوناني وشيدت بكل مهارة خاصة بواباتها التي تختلف كل واحدة منها عن الثانية في النوع والشكل . وتقع البوابة الرئيسية الكبرى في القلعة الى الغرب . وقد شيد سور المدينة في القرن الرابع ق . م . بينما شيد معبد الربة اثينا على اعلى منصة في القلعة حوالي سنة ٥٣٠ ق . م . وهو في الاصل على الطراز الدوري . وفي المدرجات على منحدرات القلعة الجنوبية حيث المعبد هناك السوق والملعب والمسرح . والى الشمال من ساحة السوق كانت هناك في السابق القاعة الطويلة المسقفة ذات الاعمدة الامامية المشيدة في طابقين على الطراز الدوري . وان القاعة الطويلة المسقفة ذات الاعمدة الامامية في الجنوب تحوي على ثلاثة طوابق . وفي الطبقة الوسطى من القاعة الجنوبية هذه هناك ثلاثة عشر حانوتاتشكل السوق المغطى مع نوافذ . وهناك حوانيت في المنطقة التي تشرف على الشارع الذي يقع الى الجنوب الغربي من ساحة السوق ، كما ان هناك حوانيت خارج السوق . ومدخل السوق من طريق عريض مسقف بالاقواس على الجانب الغربي . والى اليمين هناك معبد السوق (يتقدمه شرفة باعمدة امامية) حول اخيرا الى كنيسة . وشيدت بنايات السوق الرسمية على الجانب الشرقي الضيق امثال بناية

المجلس (البوليتوريون) والمنصة التي يقف عليها الخطباء والكثير من البنايات والتماثيل . وهناك الملعب بين السوق والبوابة الشرقية حيث عثر على ساحة مبلطة ٣٢ × ٤٠ مترا مع اعمدة على جوانبها الاربعة . والى اسفل السوق هناك البناية المسقفة ذات الاعمدة.وعثر في برغاموم على الكثير من البنايات الهامة امثال مذبح زووس الذي هو بالواقع تخليدا لنصر احرزه الملك منه الى بناية مكرسة لعباداته . ثم معبد اثينا بقاعاته الثلاثة على جهات بناياته الثلاثة والذي قد يرينا بان الوظيفة الدينية للبنايات تأتي بالدرجة الثانية . ثم معابد دايونيسيوس واسكليبوس وهيرا واخرى في السوق والملعب في القلعة . وتشرف المكتبة التي شيدها يومينيس الثاني على المسرح وخلفها قصور الملك . والى الاسفل من بوابة القلعة الرئيسية هناك المعبد المكرس لعبادة ملوك برغاموم بخطة هيلينية ١٨ ×٢١ مترا مع غرفة مركزية بسبعة اعمدة الى الشرق وغرفة طقس ٦ ×١٢ مترا ذات محراب مستطيل في الجدار الشمالي ربما شيدت زمن اتتالوس الاول . ومعبد اثينا المشيد بالطراز الدوري باعمدة ٦ ×١٠ وغرفة القراءة في المكتبة ٥٣ /١٣ ×٩٥ /١٥ مترا تقع الى الجانب الشرقي من المكتبة برفوف غير مرتبطة بالجدران (حيث تركت مسافة نصف متر بينهما لحماية الكتب من الرطوبة) وقد اتبع نفس الاجراء في مكتبة افيسوس . وامام غرفة القراءة تمثال لاثينا ارتفاعه ٥/٣ مترا على منصة خطابة . اما القصور الملكية فقد عثر منها على بيتين كبيرين مع ساحات مركزية . وهناك مستودعات للذخيرة على حافة القلعة الشمالية وهي خمس بنايات طويلة مشيدة على موازاة بعضها وطول الغربية منها ٣٩ مترا وقد عثر في البنايات على بعض الذخائر . اما مسرح المدينة فاحتوى على ثمانين صفا من الكراسي ويرتفع اعلى صف منها ٣٦ مترا عن الصف الاول . ثم معبد دايونيسيوس من القرن الثاني ق . م . وبني المعبد على مرتفع ويصلوا اليه بسلم ذو ٢٥ عتبة تتقدمه شرفة ذات اربعة اعمدة ايونية . وهناك مذبح زووس الى الجنوب من معبد اثينا وقد بني في منطقة مساحتها ٦٩ ×٧٧ مترا زمن الملك يومينيس الثاني . ويتألف مذبح زووس من منضدة تقديم مرمرية وضعت على منصة ذات ثلاثة

صفوف محاطة ببناية على شكل حذاء الفرس في الطراز الايوني . وهناك سلما متألفا من عشرين عتبة عريضة في الجانب الغربي تؤدي الى المنطقة المكشوفة المستطيلة التي بني فيها المذبح المرمري . وشيدت البناية كلها على مصطبة واسعة من الاسفل الى القمة يصل اليها باربع مراحل ، والسفلي منها ذات خمس عتبات مربعة الشكل تقريبا ٣٦,٤٤ × ٣٤,٢٠ مترا . وعلى قمة هذه اقسام البناية الثلاثة على شكل حذاء الفرس . والسفلي منها عبارة عن قاعدة والوسطى حوت المنحوتات وشملت العليا الاروقة ذات الاعمدة على شكل جدار يحيط بها . وقد عثر على مذابح بشكل حذاء الفرس في مغنيسيا على المندرس وبراييني ونرى في المنحوتات صور جميع الارباب اليونانية ضمن قصة حياة تيليفيوس الاسطورية ابن هرقل من يوم مولده حتى بناء برغاموم حيث اعتبره حكام برغاموم جدهم الاعلى رابطين بذلك نسبهم مع ملوك طراودة الاوائل . ويبلغ طول المناطق ذات المنحوتات اكثر من مائة متر وبها ما يزيد عن مائة شخص في النحت العميق جدا وتشاهد بها الثراء بالتصوير وتعتبر اهم اثر في العصر الهيليني . ولا يمكن ان تكون المنحوتات من عمل فنان واحد حيث من الممكن تتبع عدة اساليب فنية فيه جمعتها وحدة فنية . والى اسفل معبد زووس هناك السوق الذي يحوي هو الأخر على مذبح الى الغرب من الساحة . ومن البنايات الهامة الاخرى في برغاموم معبد سرابيس وكانت اكبر بناية في المدينة كرست لعبادة الارباب المصرية وقد شيدت بالطابوق الاحمر وكانت الاقسام السفلى من البناية محاطة بالاعمدة ومساحة المعبد ٢٦٠ × ١٠٠ متر .

وتم في ساردیس تنقيب معبد ارتميس الذي شيد على ثلاث مراحل اقدمها حوالي سنة ٣٠٠ ق . م . وهي بناية ٢٣ × ٥٢ /٦٧ مترا بغرفة طقس طويلة ذات ١٢ عامود في الوسط يصعد منها بسلم الى غرفة بستة اعمدة . والى الخلف غرفة اخرى ذات عمودين يهبطها بسلم . وفي المرحلة الثانية (١٧٥ ـ ١٥٠ ق . م .) احيطت البناية من الخارج باعمدة ٨ × ٢٠ تتقدمها شرفة ذات اعمدة ٣×٤ يدخل منها الى غرفة ذات ستة اعمدة في الوسط يصعد منها بعتبات الى غرفة الطقس المركزية

ذات الاثني عشر عمودا والتي يقع في وسطها تمثال الطقس . والى الخلف شرفة ذات اعمدة ٤ × ٢ . اما المرحلة الثالثة فتعود الى العصر الروماني . وعثر في المدينة على مسرح وبقايا بنايات عدة رسمية وخاصة .

وفي مدينة كلاروس عثر على معبد ابولو الذي شيدت بوابته في القرن الثاني ق . م . وكانت مربعة الشكل بنيت بالطراز الدوري . وهناك اربعة اعمدة على الجانب الجنوبي المواجه للبحر . وكان لمدينة تيوس سورا يعود لعصر سابق ومعبدا للرب دايونيسيوس ومسرح شيد في القرن الثاني ق . م . يقع في النهاية الجنوبية للقلعة ثم مسرح المدينة .

ويعتبر معبد دايونيسيوس من البنايات الهامة شيد بالطراز الايوني على مصطبة يرقى لها على سلالم ومحاطا باعمدة ١١× ٦ ويتألف من غرفة مركزية تتقدمه غرفة مكشوفة من الامام بعمودين في المقدمة مع شرفة في المؤخرة ذات عمودين في الوسط . ومن اهم معالم مدينة افيسوس كان معبد ارتميس الذي اعتبر احد عجائب العصر القديم وكان بناية واسعة . وقد عمر المعبد في العصر الهيليني (٣٣٤ ـ ٢٥٠ ق . م .) على نفس الاسس القديمة . وكان يرقى اليه بسلم عريض ذا ١٣ عتبة ارتفاعه ٢/٦٨ مترا ووضع تمثال الاله الجديد في غرفة الطقس . وكان ارتفاع اعمدة المعبد ١٨ مترا . وللمعبد ثمانية اعمدة في المقدمة ومجموع اعمدته ١٢٧ . ومن بنايات المدينة الاخرى المسرح الذي يتسع ٢٢ الف متفرج وقد شيد في العصر الهيليني ووسع زمن الاباطرة الرومان كلوديوس ونيرون وتراجان وهو المعبد الذي وعظ به القديس بولس . ثم السوق ومساحته ١١٠ مترا مربعا ومعبد سرابيس الذي شيده المستوطنون المصريون في المدينة . وقد شيد داخل مربع محاط بالاعمدة من ثلاث جهات يتألف من غرفة مركزية مسقفة بالعقادة وشرفة حوت على تسعة اعمدة كورنثية . ثم معبد ارتميس في مغنيسيا على المندرس بمساحة قدرها ٤١ ×٦٧ مترا شيد بالطراز الايوني مع ٨ ×١٥ عمود بني على مرتفع يرقى اليه بتسع عتبات وقد شيد المعبد باتجاه الغرب مثل المعابد الفريجية الخاصة بالربة الام . وغرفة الطقس

الوسطى ذات ستة اعمدة في الوسط يدخل لها من رواق ذو عمودين في المقدمة وعمودين في الوسط . وفي المؤخرة غرفة يتقدمها عمودان . ثم معبد زووس سوسيبوليس الواقع في ساحة السوق والمشيد بالطراز الايوني ٧/٣٨ × ٨١ /١٥ مترا .

وبنيت برايبيني سنة ٣٥٠ ق . م . على مقربة من البحر واحيطت بسور شيد بالمرمر المحلي . وقد بنيت المدينة بالخطة الهيبودامية حيث تتقاطع الشوارع في زوايا قائمة . ومن بنايات المدينة الهامة معبد اثينا الذي شيد في اعلى منطقة بالمدينة مثل هيكل هاليكارناسوس على الطراز الايوني . وكان محاطا بالاعمدة ١١ ×٦ . اما السوق الذي شيد في القرن الثالث ق . م . فمساحته ٦٣ /٧٥ × ٤٠ /٣٥ مترا وكان يشكل المركز الرئيسي للمدينة . ثم معبد زووس اولمبيوس من القرن الثالث ق . م . بالطراز الايوني . ثم بناية المجلس المربع الشكل على مذبح في وسطه وعتبات كانت تستخدم كمقاعد . ومعبد الارباب المصرية الى الشرق من المدينة . كما كان للمدينة مسرحا الى الشمال الشرقي منها بخمسين صفا يسع لخمسمائة متفرج ثم الملعب الى شمال المجلس .

واهم بنايات مدينة ملطية المسرح (عرضه ١٤٠ مترا وارتفاعه ٣٠ مترا) . وكان الدلفينيون حيث معبد ابولو ديلفينوس اهم مركز ديني في ملطية (الخاص بسمك الدلفين الذي يعتبر خاصا بالرب ابولو) وشيد بالطراز الدوري الذي حول الى الطراز الكورنثي في فترة الاحتلال الروماني . ثم بناية المجلس التي تتألف من البوابة الضخمة والساحة ذات الاعمدة والقاعة والسوق الجنوبي الذي شيد في العصر الهليني بمساحة ١٦٣×١٩٦ مترا باعمدة ثم الملعب ومعبد ديديما الذي شيد سنة ٣٠٠ ق . م . وهو محاط باعمدة مزدوجة من كل الجوانب ٢١ × ١٠ وامام المعبد شرفة ذات ١٢ عمودا تفتح على غرفة ما بين ذات عمودين في الوسط تؤدي من بوابتين الى غرفة اخرى كبيرة تقع في نهايتها الجنوبية غرفة الطقس التي يتقدمها شرفة ذات اربعة اعمدة ومجموع اعمدة المعبد ١٢٥ .

ويعد صرح هاليكارنـاسوس اهم بناية في هذه الفترة . وقد شيدته ارتيميسيا حوالي سنة ٣٠٠ ق . م . الى زوجها ماوسولوس . ويتكون الصرح من قاعدة مرتفعة تحيطها اعمدة من كل الجهات عددها ٣٦ ثم هرما من ٢٤ طبقة فوقه شعار وهو عبارة عن عربة يقودها أربعة خيول . وارتفاع البناية ٤٢ مترا مع منحوتات على طول الجهات الاربعة . وهناك الاعتقاد بان هذا الصرح ظل باقيا حتى سنة ١٤٠٢ ميلادية .

اما منحوتات برغاموم فتمثل قمة الانتاج الفني بالنحت خلال هذه الفترة باسيا الصغرى وقد مثلت الصراع بين الارباب والعفاريت ورمزت الى انتصار برغاموم على الغول . وتبدأ المنحوتات من جدار السلم الجنوبي حيث نرى عملاقا شابا باجنحة وارجل افعى يسند ركبته اليمنى على عتبة ويملأ نسر الفراغ فوق السلم الاعلى وهو يمسك بمخالبه الفك الاسفل لحية . ومع الاسف لم يتبق من صور الحوريتين اللتين تعترضاه الا قطعة صغيرة من لباس احدهما والقدم اليسرى وجذع الاخرى . وفي الزاوية الغربية من الجانب الجنوبي فوق ذيل اسد راكض هناك نسر الاله زووس يطير لمساعدة ريا مع سلاح الصاعقة . وعلى ظهر الحيوان نرى الربة سيبيل الفريجية . ونلاحظ في هذه المنحوتات تأثيرات مختلفة منها لمدرسة جزيرة رودس وتأثير اثيني نراه واضحا في العملاق خلف ديون الذي يشبه رأسه اشكالا من منحوتات البارثينون . وقد وصلتنا بعض الرسوم من موقع برغاموم . فقد قسمت جدران الدار جنوب المذبح الى عدة اقسام بخطوط محزوزة تشابه طراز بومبي الاول . وقد وجدت امثلة اخرى من صور الجدران في بناية بالسوق السفلي . وهناك الرسوم في غرفتين من القصر الرابع منها تلك في الجانب الايسر من الغرفة الجنوبية لغرفتين . فالخلفية حمراء والحيوانات صفراء نحيفة بذيول طويلة واجنحة زرقاء فاتحة تقف بصورة متوازنة على جانبي أمفورا صفراء(٦) .

الهوامش

1 A.T. Olmstead, History of the persian Empire, (Chicago, 1959) pp. 495-504.

2. M.T. Rostovtzeff, Annual of British School at Athens, Vol. 22 (1918) pp. 1 ff

3. Th. Reinach, Trois royaume de L'Asie Mineure, (Paris, 1888).

4. A.H. Jones, The Cities of The Eastern Roman Provinces (New York, 1937) pp. 175 ff

5. E.V. Hansen, Attalids of Pergamom, (New York, 1947)

6. Akurgal, op. cit.

الهوامش

1. A.T. Olmstead, History of the Persian Empire, (Chicago, 1959) pp. [illegible]

2. M.N. [illegible], Annual of the British School at Athens, V. [illegible] pp. [illegible]

3. Th. Reinach, Trois royaumes de l'Asie Mineure, (Paris, 1888).

4. A.H.M. Jones, The Cities of The Eastern Roman Provinces (New York, 1937) pp. 175 ff

5. E.V. Hansen, Attalids of Pergamon (New York, 1947)

6. Magie, op. cit.

الفصل الرابع

فترة الاحتلال الروماني (٣٠ق . م . - ٣٢٤)

حصل الرومان على موضع قدم في بلاد الاناضول كما رأينا بعد منتصف القرن الثاني ق . م . وصار دورها يتزايد منذ ذلك الحين لحماية مصالحها وممتلكاتها استوجب تدخلها العسكري بجيوش عدة بعثتها امثال تلك لسوللا وبومبي كما استعرضنا اعلاه . وقد وصل انطوني الى اسيا الصغرى ودخل افيسوس حيث رحب به السكان واعتبروه دايونيسيوس الجديد المنقذ . وقد اهتم انطوني بمدينة افيسوس والمدن الاخرى التي قاست من كاشيوس وكافأها واعفيت ليشيا من الضرائب وصارت طوروس واللاذقية مدنا حرة ودخل ممثلون من المدن الاخرى للاجتماع به في افيسوس واخبر الجميع عن حاجة الدولة للمال وحرصها على جباية عشر المحصول كضريبة وطلب دفع ضرائب عشر سنوات . وكنتيجة لتوسل الخطيب هيرياس من ميلاسا بانطوني في كلمته التي عبر بها عن يأس الجميع جعلها انطوني تسع سنوات تدفع خلال سنتين . وتجول انطوني في آسيا الصغرى وعقد الاجتماعات في المدن الرئيسية . وفي مدينة طوروس بكليكيا قابلت كليوباترة ملكة مصر انطوني.وفي سنة ٤٠ ق . م . هاجمت الجيوش الفرثية آسيا الصغرى بقيادة لابينوس الروماني اللاجىء واحتلت غالبية مناطقها . وقد سبق ان حصل الفرثيون انتصارا ساحقا على الجيوش الرومانية التي قادها كراسوس حاكم الكرخة في شمال العراق سنة ٥٣ق.م. وايد ارياراثيس حاكم كبادوكية وانطيوخوس الأول حاكم كوماغين التقدم الفرثي ولم يحاول كاستور حاكم غلاطية ايقافه . وايدت قبائل جبال طوروس لابينوس وانضمت اليه . وارسل انطوني قواتا رومانية بقيادة فينتيويوس لطرد الفرثيين نجحت خلال السنتين التاليتين من اخراجها عنها . وفي سنة ٣٦ ق .

م . قاد انطوني حملة رومانية لغزو فارس عن طريق ارمينية . وقد نجحت الحملة بادىء الامر ودخل اتروباتين (اذربيجان الحالية) وحاصر فراسيا (قرب تبريز) ولكنه اضطر ان يرفع الحصار وينسحب بنفس الطريق ولم يتمكن جيشه من مواصلة التقدم والاستمرار بالحرب . وفي سنة ٣٤ ق . م . دخل بجيشه ارمينيا ثانية في طريقه الى اتروباتين ولكنه لم يواصل الحملة.ورغم حرص انطوني على تنصيب احد ابناء كليوباترة ملكة مصر على ارمينيا فان ارتاكسياس ابن ارتافاسديس قد تربع على عرشها سنة ٣٣ ق . م . وانتقم لنكبة أبيه بقتل جميع الرومان في بلاده . وفي سنة ٢٠ ق . م . قتل ارتاكسياس نتيجة حركة قامت ضده ونصب بدله تيغرانيس الذي شب في روما وحرص الان على جعل بلده تابعا لروما . وارسل اوغوسطوس (اوكتافيان) ولي عهده وابن زوجته طايبيروس لتتويج ملك ارمينيا الجديد في عاصمة بلاده . واخافت تهديدات طايبيروس الفرثيين فاطلقوا سراح ما لديهم من المحتجزين الرومان . ولكن بوفاة تيغرانيس سنة ٦ ق . م . صار للفرثيين بارمينيا اليد العليا ولم تهتم روما بارجاع نفوذها الا سنة ١ ق . م . بجيش ارسلته قاده غايوس قيصر نصب على عرشها اريوبار زانيس الموالي لروما الذي لم يبق طويلا بعد انسحاب الجيش الروماني وغدت ارمينيا ضحية اضطرابات داخلية لفترة من الزمن .

وفي غلاطية سبق لمجلس السنات الروماني ان كافأ ديو تاروس لمساعدته روما في حربها ميثريداتيس بالاعتراف به ملكا على غلاطية . ولكن ديو تاروس ساعد بومبي خلال الحرب الاهلية الرومانية وكان الى جانب الاخير في موقعه فارساليا سنة ٤٨ ق . م . ونعرف عن دفاع شيشرون عنه سنة ٤٥ ق . م . امام قيصر لدى اتهامه بمحاولة قتل قيصر . وبعد موت الاخير سنة ٢٥ ق . م . وفي زمن خليفته امينتاس ادمج اوغسطوس غلاطية ضمن الممتلكات الرومانية .

ونعرف بان القبائل الغولية GAULS توليستوبوغي قد استقرت في الجنوب الغربي من غلاطية واتخذت بيسينوس عاصمة لها . ثم قبيلة اليكتوساغيس التي

استقرت في الوسط واتخذت انقرة عاصمة لها وقبيلة التروكي في الشمال الشرقي مع تافيوم كعاصمة لها . ونقرأ في رسالة القديس بولس الى اهالي غلاطية بان غالبية الكنائس المسيحية في غلاطية تتكون من المتنصرين اليهود . وبين سنين ١٢ ـ ٤ ق . م . عهد اغوسطوس الى حاكمه سولبيكوس كويرينيوس في غلاطية ان يقضي على حركات جماعة الهوموناديس القراصنة في منطقة طوروس باتجاه كليكية والتي اتخذت مدينة ليسترا كقاعدة لحركاته الحربية ضدهم . وشيد اوغسطوس خمس مستوطنات في بيسيديا وليكاونيا كحاجز ضد تقدم الفرثيين ولتشجيع التجارة والحماية حيث صار الفرات في عهده هو الحد الشرقي للامبراطورية الرومانية . وجعل اوغسطوس غالبية مناطق اسيا الصغرى سنة ٢٠ ق . م . مقاطعة رومانية باسم اسيا التي ضمت مناطق الدردنيل وميسيا وايونيا وليديا وكاريا وفريجيا والجزر القريبة من الساحل . وقد سبق لاوغسطوس ان جعل مقاطعة اسيا مرتبطة بمجلس السنات الروماني رأسا نظرا لاهميتها البالغة وصار يعين عليها حاكم بدرجة نائب قنصل له صلاحيات قنصلية واسعة . ومنذ القرن الاول الميلادي صارت فرقة عسكرية رومانية بثلاث ارتال ترابط في يومينيا لحماية المدنتين المهمتين وهما اللاذقية على نهر ليكوس واباميا في وقت يسهل عليها وصول الجبال في الشمال والجنوب الشرقي . ولا نعرف هل ان افيسوس اوبرغاموم كانت المركز الاداري الروماني لمقاطعة اسيا وحيث دائرة التسجيل ووثائق الدولة الرسمية . ولكننا نعرف بان الادارة المالية لشؤون الامبراطور الحسابية كانت في افيسوس وأهم منظومة في مقاطعة آسيا كان المجلس الذي اطلق عليه اسم الامة اليونانية في آسيا وضم ممثلين ينتخبون من مختلف المدن . واهم موظف في المقاطعة كان الكاهن الاعلى لطقس روما واوغوسطوس في برغاموم الذي تم التصويت على انشاء مزار فخم له سنة ٢٩ ق . م . والى جانب مجلس الامة اليوناني في اسيا هناك عصبة المواطنين الرومان التي لم يكن لها التأثير الكبير واطلق عليها اسم كونيون امثال كونيون عبادة اثينا في ايليوم وكونيون المدن اليونانية الثلاثة عشر ثم جمعيات كاريا الدينية التي عبدت زووس كرايسوريوس وزووس

باناماروس . وقسمت البلاد الى عدة مناطق لاغراض ادارية تحكم نفسها بنفسها ربما زاد عددها عن اربعة واربعين .

وفيما عدا قانون بومبي الذي قدم به دستورا بلديا لجميع المدن الاناضولية التي احتفظت باستقلالها فان الرومان ابقوا الدساتير المختلفة للمدن على حالها . وضمن قانون كورنيليا تسلط نفوذ طبقة ملاكي الاراضي مما يدل على احتمال كون درجات الثراء مهمة في الحصول على الوظائف العليا ودخول المجلس . وكانت من المدن ما هي حرة مستقلة عن سلطة الحكام الرومان وذكر لنا بلني الكبير اثنى عشر وقل عددها بعد ذلك . وتمتعت بعض المدن بالحقوق الايطالية امثال باريوم واسكندرية الطرواد . وهناك مدن تمتعت بحقوق العواصم وهي ادراميتتيسوم وبرغاموم وسمرنا وسارديس وافيسوس والاباندا وسيتنادا واباميا واللاذقية على نهر الليكوس واضيفت لها مدن كيزيكوس وفلادلفيا ثم ثياتيرا زمن الامبراطور كارا كللا (٢١١ - ٢١٧ ق . م .) ومن كل هذه المدن هناك ثلاثة مدن تمتعت بلقب الاولى وهي افيسوس وبرغاموم وسمرنا ثم سبعة تمتعت بلقب كبيرة (ميتروبوليس) وهي سارديس وكيزيكوس تراليس واللاذقية على الليكوس . وترك لنا اريستايديس في مقطوعته المعنونة الى روما مجد اسيا وثرائها وتقدمها في زمانه في وصف الثلاث مدن الكبيرة وصارت افيسوس اعظم سوق تجاري غرب طوروس .

وكافأ انطوني سنة ٣٩ ق . م . بوليمون الذي قدم ووالده زينون خطيب اللاذقية خدمات جلى للرومان بتعيينه ملكا على منطقة بالصين تمكن بعدها من استبدالها بمملكة البونطس . وقد رافق انطوني في حملته ضد الفرثيين سنة ٣٦ ق . م . وقد عقد معاهدة سلام مع اوكتافيون (اوغسطوس) بعد معركة اكتيوم اعترف به كملك على البونطس وفي سنة ١٦ عهدت اليه مع اغريبيا مهمة اخضاع مملكة البوسفور وفعلا أتم العمل والحق المملكة الاخيرة ببونطس . وقد قتل اثناء حربه لاحد القبائل العاصية في البوسفور وجاءت بعده زوجته بيثودوريس ثم ولده بوليمون الثاني الذي اعترف به الامبراطور كاليغولا كملك على البونطس والبوسفور سنة

٣٩ . وفي كبادوكية أعقب أريوبارزانيس الثاني محب ابيه ـ فليوباتير) ٦٣ ـ ٥١ ق . م . والده اريوبارزانيس الاول . وجاء بعده ولده اريوبارزانيس الثالث الملقب يوزيبيبس وحبيب روما (فيلورومايوس) (٥١ ـ ٤٢ ق ـ م .) الذي قدم مساعدة الى بومبي ضد قيصر ولكن الاخير لم يعاقبه بعد ذلك بل وافق على توسيعه لرقعة مملكته حتى قتله كاشيوس.وتلاه اخوه ارياراثيس التاسع (٤٢ ـ ٣٦ ق . م) الذي خلعه وقتله انطوني لعدم اخلاصه في الحرب الفرثية وعين بدله ارخيلاس الذي بقي حتى سنة ١٧ عندما الغى الأمبراطور طايبيروس ـ استقلال كبادوكية نظرا لاهميتها . وقد استبدل ارخيلاس اسم مدينة مزاكا بمزاكا قيصرية وبين مدينة ارخيليس (غارسورا) .

اما كوماغين التي استقلت سنة ١٦٢ ق . م . عندما ثار حاكمها بطليموس على السلوقيين فقد استسلم حاكمها انطيوخوس الاول (٦٩ ـ ٣٤ ق . م .) الى بومبي سنة ٦٤ ق . م . الذي الحق ببلاده جزء من العراق كمكافأة . وقد قدم الى بومبي جيوشا سنة ٤٩ ولكن انطوني هاجمه سنة ٣٨ ق . م . لعدم مساعدته له في الحرب الفرثية وتلاه ميثريداتيس الاول حوالي سنة ٣٤ ق . م . وخلفه انطيوخوس الثاني الذي قتله اوغسطوس في روما سنة ٢٩ ق . م . وتلاه ميثريداتيس الثاني الذي توفي في سنة ١٧ وبموته الحق الامبراطور طايبيريوس كوماغين في الدولة الرومانية .

وظلت كذلك حتى سنة ٣٨ عندما نصب الامبراطور غايوس على عرشها انطيوخوس الرابع الذي سرعان ما خلعه غايوس نفسه وارجعه الامبراطور كلوديوس سنة ٤١ وبقي في الحكم حتى سنة ٧٢ عندما شك الامبراطور فيسبيشيان بميوله الفرثية وجعل كوماغين مقاطعة رومانية الحقها بسورية وقسمت الى اربع مناطق هي سمسياط (العاصمة التي شيدها الملك ساموس سنة ١٥٠ ق . م .) وقيصرية جرمانيوس (التي اسسها انطيوخوس الرابع سنة ٣٨) ثم بررهي ودوليكي . واعتبر بيت كوماغين المالك انفسهم من نسل داريوس الفارسي وصاهروا السلوقيين وان ادعائهم هذا يسنده دينهم الذي يمكن وصفه بشرقي متأثر

بالهيلينية.ونعرف ان انطيوخوس الاول ملك كوماغين سبق وان شيد لوالده المؤله ميثريداتيس صرحا فخما عند نمرود داغ نجد فيه تماثيل الارباب ابولو ومثرا وتيكة ربة الخصب في كوماغين وزووس اهور امزدا وانطيوخوس الذي اله خلال حياته ايضا وهرقل ـ ارتاغنيس.فهذا الاثر يوضح التقليد الحيثي في النحت ابرز به نسب العائلة المالكة وتقليدها صنعه نحاتون حسب الانماط الكلاسيكية على نمط طريق الكاهنات الجالسات في برانكخيداي ثم نحتها في بناية مشيدة . وهناك الاسد الحارس (عند نهاية المنصة الغربية في نمرود داغ) من مزار المدفن الذي شيده نفس الملك وهو تمثال مليء بالحيوية يصاحبه تمثال نسر بالنحت المدور يشابه منحوتات جنوب الاناضول وشمال سورية من القرن ٨ ـ ٩ ق . م . وكانت مهنة غالبية اهالي المدن الساحلية التجارة كما استغلت المناجم (الفضة ، الرصاص ، الحديد والاحجار الكريمة) والمحاجر وظلت اكثرية السكان تعمل في الزراعة واستمرت اسيا الصغرى على تصدير القليل من الحبوب التي كانت تزيد عن الحاجة المحلية والكثير من الخمور والزيت . وصدرت بعض الخمور الى ايطاليا التي استوردت بدلها الخمور الايطالية . كما صدروا الزبيب والتين المجفف والعسل والكمأ والاعشاب الطبية والجبن خاصة من سهل سالون في بيثينيا والسمك من المدن الساحلية امثال فارناكيا وسينوب وبيزنطيوم والمحار من افيسوس ثم الخشب من كافة انحاء اسيا الصغرى . واشتهرت الكثير من المدن الاناضولية بصناعاتها المحلية ومن هذه صناعة الاصباغ بالمواد التي كانت تنتجها البلاد واشتهرت بذلك مدن اللاذقية وثياتيرا وتم تصدير كميات كبيرة من المنسوجات الى الخارج وكان لمنسوجات ملطية الصوفية شهرة واسعة في المناطق المجاورة وكذلك السجاد الاناضولي والحرير بنوعيه الناعم الخاص بالملابس النسائية والخشن بالرجالية الذي صارت له شعبية واسعة . والملاحظ ان المناطق القريبة من بلاد اليونان عانت في هذه الفترة من ركود اقتصادي ملحوظ بالمقارنة مع المدن الاخرى مع الاناضول[٢] .

وفي سنة ١٨ دعا جمع من نبلاء ارمينيا ارتاكسياس (١٨ ـ ٣٥) من اسيا

الصغرى ليكون ملكا عليهم . وارسل طايبيريوس ابن اخيه جرما نيكوس لتتويج الملك الجديد على ارمينيا في مدينة ارتاكساتا . وعند وفاة ارتاكسياس سنة ٣٥ ساعد الملك الفرثي احد اولاده على اخذ عرش ارمينية ولكن روما حرضت شخصا باسم ميثريداتيس على مهاجمة ارمينية وفعلا دحر الاخير الفرثيين واستحوذ على عرش ارمينية وساعد فارسي باسم تيريداتيس على محاربة الفرثيين وتحرير المناطق الغربية منهم . واحتجز الامبراطور كاليغولا (٣٧ ـ ٤١) ميثريداتيس في روما الامر الذي مكن الملك الفرثي ارتابانوس على احتلال ارمينية دون مقاومة . وارجع الامبراطور كلوديوس (٤١ ـ ٥٤) ميثريداتيس الى عرش ارمينية مع قوة رومانية ولم يبق الاخير على عرشه مدة طويلة حيث غلبه ابن اخيه راداميستوس سنة ٥٢ وقتله . وسرعان ما قضى الفرثيون على الملك الجديد ونصبوا بدله تيريداتيس اخ الملك الفرثي ولغاش الاول . واستبدل الامبراطور نيرون (٥٤ ـ ٦٨) حاكمه يوليوس بيليغنوس في كبادوكية بدوميتيوس كوربولو الذي غزى ارمينية ونصب على عرشها تيغرانيس من العائلة المالكة الكبادوكية سنة ٦٠.وفي السنة التالية عين بيتوس على كبادوكية الذي هاجم ارمينية نتيجة لتدخل الفرثيين في شؤونها ولكنه اندحر واستسلم الى الملك الفرثي . ولم توافق روما على شروط الصلح الذي عقده بيتوس مع الفرثيين بل ارسلت جيشا الى ارمينية سنة ٦٤ بقيادة كوربولو اضطر خلالها تيريداتيس ملك ارمينية على الرضوخ لطلب روما بتسليم عرشه من الامبراطور الروماني وفعلا حضر الملك الارمني الى روما في السنتين ٦٥ و٦٦ حيث استلم التاج شخصيا من الامبراطور نيرون .

وفي سنة ٦٤ ضم الامبراطور نيرون مملكة البونطس الى مقاطعة غلاطية واسطولها الملكي الى الجيش الامبراطوري وصارت حراسة نهاية البحر الاسود من واجباته.وفتح الامبراطور كلوديوس طريقا على الساحل قرب اماستريس في بيثينيا واداليا في بامفيليا وشملت رعاية الامبراطور الكثير من المدن بحيث اطلق سكانها عليها اسم الامبراطور نفسه كرد للجميل امثال مدينة بيثينيوم (على الطريق بين

نيكوميديا واميسوس) التي اطلق عليها الان اسم كلوديوبوليس ثم مدينة نيوكلوديوبوليس في بافلاغونيا كما سميت مدينة سيديرا في شمال بيسيديا سلوقيا باسم كلوديو- سلوقية وعبدت الامبراطور كلوديوس . واضافت مدن قونية ودربي ولاذقية و كاتاكوسومين اسم الامبراطور الى اسماء المدينة كما ظهرت مدينة باسم كلوديوبوليس في منطقة التركومي بغلاطية . والى شرق مقاطعة كبادوكية شيدت مستوطنة عند ارخيليس (سابقا غارسورا) وكلوديوبوليس التي تحرس احد منعطفات نهر الفرات . وربما كانت هذه المدن لتشجيع التجارة والاتصال حيث نرى الكثير منها عند الطرق الهامة او لحماية الممرات الجبلية والمناطق الحدودية . واقتطع كلوديوس قسما من البوسفور اعطاها الى ميثريداتيس وعوض بوليمون الثاني ملك البونطس عنها بجزء من كليكيا سنة ٤١ . وقد اجبر بوليمون الثاني على ترك العرش بناء على طلب الامبراطور نيرون وحولت البونطس بذلك الى مقاطعة رومانية(٣) .

وان منطقة البونطس وبيثينيا ظلت من سنة ٢٧ ق . م . حتى حكم الامبراطور ماركوس اوريليوس (١٦٠ - ١٨٠)خلال فترة حكم الامبراطورين كلوديوس ونيرون تابعة الى مجلس السنات الروماني وتحكم من قبل نائب قنصل . وبين ١١١ - ١١٣ باتفاق بين الامبراطور تراجان ومجلس السنات الروماني ارسل بلني الصغير كحاكم عليها الذي اعقبه يوليوس كرونتوس تورتوللوس ثم يوليوس سيفيروس زمن الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨) سنة ١٣٦ - ١٣٧ . وفي سنة ١٦٥ حولت المقاطعة الى الادارة الامبراطورية المباشرة . وكان لهذه المقاطعة مجلسين للممثلين من المدن يجتمع في عاصمتيهما نيكوميديا واماستريس . وفي هاتين المدينتين كان المعبدان الخاصان بالطقس الامبراطوري المكرسان الى روما واوغوسطوس ومعابد اخرى الى الاباطرة كومودوس ومن بعده في نيكوميديا . وقسمت المنطقة الى مناطق مدن عدة بعضها مستقلة لها الحق في اصدار العملة امثال كالكيدون ونيكوميديا وكيوس (بروسياس على البحر) ونيقية واباميا وبروسا وقيصرية جرمانيكوس وبروسياس على هيبيوم (كيروس) وبيثينيوم (كلوديوبوليس) وكريتيا

فلوفيوبوليس وجوليوبوليس (غورديوكوم). وفي البونطس كانت مدن هرقلية البونطس ، تيوم ، اماستريس ، ابونوتيخوس ايونوبوليس سينوب واميسوس وتضاف الى هذه القائمة مدينة بيزانطيوم التي وان كانت في الجانب الاوروبي ولكنها كانت بالواقع جزءا من بيثينية . وبني قيصر مستوطنات اسكنها بمواطنين رومان في ايامبا وسينوب وربما كان للاباطرة الرومان املاكا كثيرة في منطقة البونطس وبيثينيا ومع الأسف فأن معلوماتنا قليلة عن هذه المنطقة زمن الاحتلال الروماني وتقدم لنا خطب دايوكريسوستوم (دايوبروسا) الكثير من الصور عن الاحوال الداخلية في هذه المناطق الى جانب المراسلات بين بلني الصغير والامبراطور تراجان،ثم ما دونه لوقيانوس من سميساط عن النبي الكاذب الاسكندر ابونو تايخوس الذي يعطينا صورة واضحة عن الدين في المقاطعة آنذاك.وان منطقة البونطس وبيثينيا مهمة اقتصاديا فالى جانب انتاجها الزيتون والعنب فأنها غنية بالغابات المنتجة للخشب والمراعي ومصايد السمك الى جانب تجارتها مع المناطق الداخلية للبلاد ومرور طرق المواصلات الرئيسية فيها (من خلقدونية عند البوسفور الى نيكوميديا وبيثينيوم وبومبي بوليس (غانغرا) والاخر من الدردنيل او مرمرة عن طريق نيقية وجوليوبوليس الى انقرة . واهتم الاباطرة الرومان وعلى الاخص كلوديوس ونيرون في طرق المواصلات . وتمتعت هذه المدن برخاء اقتصادي كبير خلال فترة الاحتلال الروماني رغم المنافسات الحادة بين مدن المنطقة امثال تلك بين نيكوميديا ونيقية وبين بروسا وأباميا وحتى بين السكان انفسهم في كل مدينة حيث انقسموا شيعا واحزابا لكل منها لونه السياسي .

ورافق الانتعاش الاقتصادي تقدم علمي . . فقد شيدت المتاحف في سمرنا وافيسوس وفتحت مدارس للطب في برغاموم وافيسوس وشيدت المعابد الضخمة الى عبادة الاباطرة والارباب امثال الارتميسيوم في افيسوس والأسكلبيوم في برغاموم او وحي كلاروس . والبنايات الفخمة امثال مكتبة افيسوس وبناية الحوريات في ملطية وبوابة السوق فيها . وشكل الامبراطور فيسبيشيان سنة ٧٤ مقاطعة من ليشيا

وبامفيليا . ففي سنة ٤٣ وضع الامبراطور كلوديوس حدا لحرية الاتحاد الليشي (المكون من ٢٣ مدينة) ولحق ليشيا بمنطقة بامفيليا الساحلية التي سيطرت عليها روما منذ سنة ١٠٣ ق . م . وصارت جزء من كليكيا.ولم يكتب لاجراء كلوديوس النجاح حيث سرعان ما حصلوا على حريتهم والحقت بامفيليا مؤقتا بغلاطية . وكانت بامفيليا مفصولة عن ليشيا في كل شيء ولكنهما اداريا كانا بيد حاكم واحد . ولما اعلن الرومان ليشيا مقاطعة رومانية تركوا لسكانها حريتهم . فكان هناك مجلسا فدراليا يجتمع كل خريف في احدى مدنهم الرئيسية لاجل الانتخاب . وكان لاتحاد المدن الليشية مجلسا خاصا به . كما سكنت جماعات يهودية في الكثير من مدن ليشيا . اما في بامفيليا فقد اسس اوغوسطوس سنة ٦ خمس مستوطنات للمسرحين في جبال بيسيديا من اجل اشاعة الهدوء في المقاطعة . وقد الحق الامبراطور فيسبيشيان ثلاث مستوطنات الى مقاطعة ليشيا وبامفيليا وهي اولباسا وكوماما وكريمنا.وصارت اللاتينية هي لغة الادارة الرسمية ودستورها على نمط ايطالي روماني وشاعت الهيلينية التي لم تلق المعارضة من السكان الاصليين . وازدهرت مدن في بامفيليا خلال هذه الفترة امثال سيدة واتتاليا وبيرغي (اسبيندوس) ومدنها الهامة تيرميسوس وساغالاسوس . وارتفع المستوى المعاشي للمواطنين بصورة عامة خلال فترة السلام الروماني . وقد زار القديس بولس برغي وكانت جماعة يهودية تسكن سيدة . وفي سنة ٢٥ ق . م . اعتبرت غلاطية مقاطعة رومانية وشملت غلاطية وليكاونيا وبيسيديا وايسوريا التي اضيف لها سنة ٦ ق . م . مقاطعة بافلاغونيا . واعطي حاكم سلطة على غيلاطية البونطس سنة ٢ ق . م . وبونطس التابعة لبوليمون سنة ٦٤ ثم على كبادوكية وارمينية الصغرى سنة ٧٤ ولكن المقاطعة فقدت بعض اجزائها الجنوبية حيث الحق الامبراطور فيسبيشيان جزءا كبيرا من بيسيديا بمقاطعة ليشيا وبامفيليا كما الحق الامبراطور انطونيوس بيوس جنوب ليكاونيا وايسوريا بكليكيا . وظلت جبال بافلاغونيا وغلاطية والمنطقة المتموجة الوسطى وجبال طوروس حدود هذه المقاطعة حتى تقسيم الامبراطورية زمن دايوكليشيان . وقد جهد الاباطرة

الرومان منذ زمن اوغوسطوس على اشاعة الهدوء والقضاء على القراصنة والعصابات في المنطقة . وفي سنة ٦ ق . م . فتح طريق سيباسطة بين اباميا كيبوتوس المركز التجاري الكبير في الحدود الشرقية لمقاطعة آسيا وقونية . وبعد ان اعلنت غلاطية مقاطعة رومانية شيد معبد في انقرة على شرف الربة روما والامبراطور صار من اشهر البنايات في العالم الروماني وعلى جدرانه كتب النص اللاتيني والترجمة اليونانية لوصية اوغوسطوس (ريس غيستاي). وكان لبافلاغونيا مركزها التقليدي في غنغرة التي كانت مركز حكامها الاخيرين . وفي سنة ٣ ق . م . اقسم اهالي بافلاغونيا والرومان قسم الطاعة الى اوغوسطوس وصارت مدينة بومبي بوليس في شمال المقاطعة اهم مدينة فيها خلال القرن الثاني اما ليكاونيا فكانت عاصمتها عند لاراندا واهم مدنها لاذقية كومبوستا مركز مدير املاك الامبراطور ثم قونية التي احبها الامبراطور كلوديوس ورفعها هادريان الى رتبة مستوطنة واسكن اوغوسطوس بعض المسرحين من الجيش الروماني عند ليسترا . وهناك مدن اخرى ثانوية الاهمية مثل فاسادوامبلادا وميسنيا . واطلق الاسم ايسوريا على منطقة بغلاطية تشمل قسما من منحدرات طوروس المواجهة الى ليكاونيا مع مدينتي ايسورا القديمة وايسورا الجديدة : والجزء الهام من غلاطية كان القطاع الضيق المحصور بين مقاطعة بيسيديا في طوروس وسلسلة جبال سلطان داغ التي تؤدي الى مدينة ايامبا كيبوتوس وهنا تقع مدينة ابوللونيا ثم انطاكيا التي شيدها اوغوسطوس وقدم لها الاراضي الكثيرة التي كانت تابعة من قبل الى مزار الرب مين . وفي نفس المنطقة ربما شيد اوغوسطوس مستوطنة بارليس للمسرحين الرومان .

ونعرف ان بومبي قد كون مقاطعة كليكيا الكبرى بعد انتصاره على القراصنة واختفاء المملكة السلوقية التي حكمت جميع جنوب آسيا الصغرى وضم لها سنة ٥٨ ق . م . جزيرة قبرص . وقد الحق السهل الشرقي من كليكيا بسورية وبعد ان اعطى انطوني غرب كليكيا الى كيلوباترة ثم حكمه الملك امينتاس اعطى سنة ٢٠ ق . م . الى ارخيلاوس ملك كبادوكية الذي شيد له مقرا على جزيرة قرب آلوس

وآلت المملكة بعد موته الى ولده حتى سنة ٣٨ عندما الحقها الامبراطور غايوس او كلوديوس بمملكة انطيوخوس الرابع حاكم كوماغين الذي حكم بالاشتراك مع زوجته واخته ايوتيب وظل الاخير يحكم حتى سنة ٧٢ عندما خلعه الامبراطور فيسبيشيان . وفي نفس الوقت الغيت دويلة اولبا وكان آخر ملوكها بوليمون الثاني حاكم البونطس الذي اعطيت له هذه المنطقة كتعويض عن مملكة البوسفور التي فقدها . ونعرف ان فسبيشيان جعل مزار اولبيا مدينة مستقلة اسماها ديو قيصرية . والدويلة الاخرى في كليكيا كانت مملكة تاركونديموتوس في منطقة امانوس بعاصمتها عند هيروبوليس ـ كاستا بالا . وبعد حكم فيسيبشيان تم توحيد كليكيا الشرقية والغربية كما قطعة رومانية مستقلة باسم كليكيا وقد انخرط الكثير من المواطنين الكليكيين في الجيش الروماني كما كان مجلس المقاطعة يجتمع في طوروس التي كانت تتمتع بالحكم المحلي(٤) .

والغى تراجان حوالي نهاية حكمه كون الفرات حد الامبراطورية الرومانية الشرقي الذي ثبته اوغوسطوس ورفض نيرون اجتيازه . ووافق تراجان على تعيين اكزيداريس الفرثي على عرش ارمينيا على امل ان يتبع بارثاما سيريس الابن الاكبر للملك الفرثي فاقور والده على العرش . ولكن النبلاء الفرس عينوا بعد وفاة فاقور الملك حوشويريش للعرش . وحرض حوشويرش ابن اخيه للاستحواذ على ارمينية ولكن بارثاما سيريس حصل على كل ارمينية ولو انه لم يتمكن من اخراج اكزيداتريس من اجزاء مملكة ارمينيا البعيدة . ولما وصلت الاخبار بتهيؤ تراجان للهجوم على ارمينية قدم بارثاماسيرس له الطاعة وبعد مقابلة بارثاماسيرس للامبراطور تراجان في ارضروم الغى الاخير استقلال ارمينية واعلنها مقاطعة رومانية . ولم تدم هذه الحالة مدة طويلة حيث وافق الامبراطور هادريان على اعطاء بارثاماسياتيس عرش أرمينية ، ولما غزى الملك الفرثي ولغاش الثالث أرمينية سنة ١٥٥ لضمان عرشها لأحد أقاربه انسحب عنها بسرعة لدى استلامه رسالة بخصوص عمله من الامبراطور الروماني . واعاد ولغاش الثالث الكرة سنة ١٦١ ودحر مرتين جيوشا

وصلته من حكام كبادوكية وسورية الرومان . ولكن جيشا رومانيا تحت قيادة كاشيوس وبريسكوس دحره سنة ١٦٣ ـ ١٦٤ ودخل ارمينية والعراق وهدم واحرق ارتاكساتا عاصمة ارمينية سنة ١٦٣ وفي سنة ١٦٥ وافق ولغاش الثالث على ترك ارمينية في يد سوهيموس من نفس العائلة الارشاقية الفرثية الذي عاش في روما لمدة طويلة . وصارت اسروهيني (وعاصمتها عند اوديسا ـ الرها او اورفه) في شرق الاناضول مقاطعة رومانية وشيدت فيها مستوطنة للمسرحين الرومان عند كرخة(٥) .

وخلال الحرب الاهلية الرومانية سنة ١٩٣ وعصيان نايجر حاكم سورية العسكري باعلان نفسه امبراطورا منافسا لسبتميوس سفيروس الذي اعلن نفسه امبراطورا في روما احتل اميليانوس (الذي ايد نايجر) مدينة بيزانطيوم وقام احد ضباطه ماريوس ماكزيموس بحركة معاكسة فعبر بحر مرمرة الى كيزيكوس ودحر جيش اميليانوس وقتله . وتقدم جيش ماكزيموس الموالي لسفيروس شرقا الى بيثينيا وايدت نيكوميديا سفيروس في الوقت الذي اعلنت فيه نيقية وقوفها الى جانب نايجر . وقاد جيوش سفيروس الان كانديدوس في وقت كان فيه سفيروس يقود جيشا آخر اجتاز به بانونيا ومويسيا العليا الى بيثينيا سنة ١٩٤ عرج منها الى سهل ايسوس في الجنوب . ولم يدم عصيان نايجر طويلا حيث قتل بعد استسلام انطاكية . وتقدمت جيوش سفيروس وعاقب سنة ١٩٥ أسروهيني لخيانتها اياه وأنزل درجاتها الادارية ولكنه سرعان ما سلمها الى عائلة ابغار العربية المحلية وأسس مستوطنة في نصيبين(٦) .

وهجم القوط سنة ٢٥٣ سوية مع جماعات اليوراني (السارماتية في جنوب روسيا) والبور غاندي (من شرق المانيا) والكاربي على اسيا الصغرى من البحر وأعملوا السيف والحرق في منطقة واسعة امتدت الى افيسوس وبيسينوس . ونجحت جماعة اليوراني في اقناع ملك البوسفور الموالي لروما على وضع اسطوله تحت امرتهم وغزو بمساعدته بيثينوس وطرابزون سنة ٤٥٥ ووقعت مدن اخرى في ايدي القوط

امثال نيكوميديا ونيقية وبروسا والمناطق المجاورة . وكرر القوط هجماتهم سنة ٢٦٧ وخربوا خلقدونية ونهبوا نيكوميديا وهاجموا المدن الايونية وخربوا طروادة ومعبد دايانا (ارتميس) في افيسوس وقاست الاقسام الغربية لآسيا الصغرى من هجمات القوط امثال ليديا وفريجيا مارين بكبادوكية وغلاطية . ولما هرع اذينة ملك تدمر لملاقاتهم بجيش وصل به هرقلية البونطس كان القوط قد انسحبوا مع ما حصلوا عليه من غنائم واسرى ربما كان من بينهم اجداد وولفيلا رسول القوط المسيحي[٧] .

وعندما قسم دايوكليشيان الامبراطورية احتفظ هو باسيا الصغرى له . وقد امتاز حكم دايوكليشيان بكثرة بناياته وبتجميله عاصمته نيكوميديا على بحر مرمرة التي شيد بها الكثير من القصور لزوجته وابنته وباسيليكا وسركسا وعدد من الحمامات . وبعد ان اعتزل دايوكليشيان الحكم صارت آسيا الصغرى الى غاليريوس . وكان الاخير قد عين سنة ٣١٠ ليكينوس للقيام بمهام الامور معه . وفي سنة ٣١١ مات غاليريوس وانتزع دايا اسيا الصغرى والبونطس من ليكينوس ولكنه لم يبق فيهما طويلا . وفي سنة ٢٠٦ توفي قسطنطينوس واعقبه ولده قسطنطين الذي تزوج ليكينوس اخته . وفي سنة ٣١٢ حارب كلا من قسطنطين وليكينوس عدوهما المشترك ماكسينتيوس ودحروه عند جسر ميلفيان وعزى النصر الى رب المسيحيين ولذلك اعتنق قسطنطين (حسب ما تقول الاخبار) المسيحية . وفي سنة ٣١٣ تقابل ليكينوس وقسطنطين في ميلانو واصدرا بيانا ضد التعصب الديني وصارت المسيحية مساوية للطقوس الوثنية . وفي سنة ٣١٣ غزى ماكزيمينوس البوسفور ومنطقة ليكينوس واحتل بيزانطيوم ولكن ليكينوس دحره واسترجع كل اسيا الصغرى . ثم شبت الحرب بين قسطنطين وليكينوس وحصل الاول منه في اول صدام على مويسيا وبانونيا . وكان سبب الصدام غضب ليكينوس على الامتيازات التي اعطاها قسطنطين الى الكنيسة المسيحية واتبع هو سياسة شديدة ضد المسيحيين وطردهم من قصره ووظائف الدولة . وفي اصطدام قسطنطين الثاني مع ليكينوس نسة ٣٢٤ عند سكوتاري اندحر الاخير وتحولت اسيا الصغرى كلها الى قسطنطين .

وانتشرت المسيحية في ارجاء عدة من اسيا الصغرى في هذا العصر . فقد طاف القديس بولس في رحلته الاولى مع رفيقه بارناباس في مدن كليكيا (حوالي سنة ٣٢).وربما تكون الكنائس الاولى التي ذكرت في سفر الاعمال قد اسسها بولس ونعرف عن وصول لوقا احد كتاب الاناجيل الى انطاكية بيسيديا في نفس الفترة لنشر تعاليم المسيحية . ثم وصل جمع من الرسل المسيحيين لغاية التبشير ويقودهم القديس بولس الى بيرغافي بامفيليا ومنها عبر بولس وبارناباس جبال طوروس الى انطاكية بيسيديا (في غيلاطية) ويقال ان سبب ذهاب بولس الى انطاكيا فيغلاطية هو اصابته بالملاريا في سهل بامفيليا . وكانت هناك بيعة يهودية في المدينة خطب بها القديس بولس مما يدل على وجود يهود بها لا نعرف عددهم وعارض اليهود بتبشير بولس وبارناباس في غلاطية واقنعوا رؤ ساء انطاكية باخراجهما من البلدة بعد ضربهما بالسياط (٨) . فذهب بولس وبارناباس الى قونية في نفس المقاطعة الفريجية لغلاطية والتي تقع حوالي ٨٠ ميلا شرق انطاكية بيسيديا وخطبا في بيعتها اليهودية ثم انتقلا الى ليسترا(١٨ ميلا عن قونية)حيث سكنا في بيت امرأة يهودية اسمها يونيس متزوجة من وثني لها منه ولد اسمه تيموثي وتعيش معها امها . وتمكن بولس وبارناباس من تحويل المرأة وامها وابنها الى المسيحية . ولم تكن في ليسترا بيعة يهودية . ونقرأ في الكتابات المسيحية عن معجزة قام بها القديس بولس وبارناباس شفيا خلالها رجلا معقدا رأى السكان فيها صدى لقصة بوكيس وفيليموت الفريجية وكيف انهم طابقوا بولس بالاله زووس وبارناباس بالرب هرميس وكيف ان كاهن معبد زووس جلب الى مسكنهما اكاليل الورد والاضاحي . ثم انتقلا بعد ذلك الى دربي (على بعد ثلاثين ميلا) وكتب لرسالتهما النجاح فيها . وفي رحلته الثانية التي بدأها سنة ٤٩ كان يصحب القديس بولس الشاب تيموثي ومرا في شمال غلاطية وخطبا في مدن انطاكية بيسيديا وانقرة وبيسينا وعرجوا على ميسيا ووصلوا الطرواد كما زاروا افيسوس . وحل في افيسوس مبشر مسيحي اخر اسكندراني الاصل اسمه ابوللوس . وقد وصل القديس بولس ثانية لافيوس سنة ٥٢ وبقي فيها ثلاث سنوات يبشر بالمسيحية وصار

واتباعه يبشرون في جميع انحاء مدن اسيا . وهناك الاعتقاد بان العذراء ام المسيح قد سكنت افيسوس في نهاية حياتها وتوفيت هناك .

ومن المسيحيين الاوائل بآسيا الصغرى كان ماركيون من بونطس (١٠٠-١٧٠) الذي عارض كون المسيح والله ذاتا واحدة . ثم مونتا نوس من النصف الاخير من القرن الثاني والذي كان بالاصل كاهنا لمعبد الربة سيبيل وتحول بعد ذلك الى المسيحية وصار يبشر مدعيا طغيان الروح الالهية عليه بفيضها . وهناك مليتو من ساردیس الذي اخبر الامبراطور ماركوس اوريليوس بان المسيحية (فلسفة نشأت اولا بين البرابرة وانتشرت ايام اوغوسطوس بين الامم التي تحكمها الامبراطورية ولذلك اصبحت بركة لدولتك) . وايرنييوس الذي صار خوري مدينة ليون في نهاية القرن الثاني . وكان في طفولته صديقا الى بوليكارب خوري سمرنا الذي قتل سنة ١٥٦ وكان حلقة الوصل بين عصر الرسل في المسيحية الذي انتهى باغناطيوس وبين عصر ايرينيوس الذي يشكل بداية الكاثوليكية . وربما كان صديقا الى اريستين اول خوري لمدينة سمرنا . وفي اواسط القرن الثالث برز فيرميليان خوري قيصرية في كبادوكية الذي كان له دور في مؤتمر انطاكية المسيحي . وكذلك بولس من سمياط الذي اعتبر المسيح شخصية منفصلة عن تلك للرب والمسيح برأيه انسان ولد بطريقة اعجازية استحق بواسطتها ان يحصل على قسط وافر من الروح الالهية من اي شخص اخر ولكنه ظل انسانا . ونقرأ في تقليد سرياني بأن ادداي (ربما هو نفسه تاتيان) احد الحواريين الاثنين والسبعين للمسيح (الذي تنسب له ترجمة الانجيل الى الارامية) قد ارسل الى اورفة وحول الملك أبغار الاسود الى المسيحية.ونعرف عن غرق معبد المسيحيين في اورفة نتيجة طوفان حدث سنة ٢٠١ ونعرف عن تحول بارديصان (بارديسانيس) المولود سنة ١٥٤) صديق ابغار التاسع الى المسيحية سنة ١٨٠ بعد ان تدرب على كهنة هيرابوليس (ممبج) ليكون كاهنا وثنيا . وقد اشتهر كفلكي ومنجم واعتقد بأن الله ليس بالخالق بل هو منظم الكون وأن هناك أربعة عناصر الى جانب الله هي النور والريح والنار والماء ثم الظلمة والفراغ . ولم يعتقد

بقيامه الجسم بعد الموت وان الله يحيي الارواح يوم القيامة فقط . وتذكر التقاليد المتعارف عليها في اورفا اضطهادين ذهب ضحية الاول شاربيل ايام الامبراطور ديكيوس وقتل في الثاني معترفي اورفا الثلاثة (شمونا وغوريا وحبيب) زمن الامبراطور دايوكليشيان . وفي سنة ٣١٢ بدأ قوننا خوري اورفا ببناء الكنيسة الكبرى فيها التي اكملها خليفته شعد[٩] .

وازدهرت الحركة الفكرية في بلاد الاناضول خلال فترة الاحتلال الروماني والتي ساعدت على ازدهارها ثراء البلد ونشاطه الاقتصادي حيث كانت تعتبر مقاطعة ا سيا الصغرى اكثر مقاطعات الامبراطورية الرومانية ثراء . وبرز الكثير من العلماء في شتى الموضوعات والفلاسفة والكتاب . ومن هؤلاء كانوا لاكتانتيوس الذي عينه دايوكليشيان لاشغال كرسي البلاغة في عاصمته نيكوميديا وكان وثنيا في البداية تحول بعدها الى المسيحية وقد الف عدة كتب منها المؤسسات المقدسة الذي كرسه الى الامبراطور قسطنطين.وسترابون من اماسيا في بونطس (٦٣ ق.م. - ٢١) الجغرافي المعروف وقد جاب في اقطار عدة والف كتابا في التاريخ يقع بثلاثة واربعين فصلا (كتابا) لم يصلنا واخر في الجغرافية بسبعة عشر فصلا وصلنا كاملا عدا السابع منه شرح به احوال كل بلد . ودايوكاشيوس كوككيانوس (المولود في نيقية سنة ١٥٥) وينتسب من امه الى دايوكريسوستوم وهوروماني كتب باليونانية وتقلد مناصب هامة منها عضو في مجلس السنات زمن الامبراطور كومودوس وحاكما الى سمرنا بعد وفاة الامبراطور سيفيروس سبتمبوس وثم قنصلا مرتين عاش طويلا في روما وعاد الى اسيا الصغرى في كبره حوالي سنة ٢٢٩ ومن كتبه تاريخ الرومان في ثمانين فصلا قضى في كتابته عشرون سنة بدأ به من وصول اينياس حتى زمن يوليوس قيصر ثم اخذ يفصل اكثر في الفترة التي تلت الاخير . ومع الاسف وصلتنا شذرات من كتبه الخمسة والثلاثين الاولى والبقية اكثر اكتمالا . وقد حذى حذوثوسيديديس الذي كان معجبا به وحوت كتاباته (المدونة باسلوب واضح) عن الفترات الاولى الكثير من الاخطاء مثل الكتاب الباقين الذين كتبوا عن نفس الفترة .

ثم دايوكريسوستوم (ذو الفم الذهبي لجمال اسلوبه) وقد ولد في بروسابيثينيا سنة ٥٠ وكان سفسطائيا وروائيا عاش لفترات في مصر وروما وكان مقربا لدى الاباطرة نرفا وتراجان وعاد لبلاده في نهاية حياته . ولدينا ثمانون خطبة له دونت باسلوب يوناني راقي.ثم اكويلا من سينوب الذي برز في الرياضيات والعمارة وجعله هادريان مسؤ ولا عن البنايات العامة وعهد اليه تعمير مدينة القدس بفلسطين ، تلك السفرة التي جعلته يتعرف خلالها على المسيحية ويعتنقها ونعرف عن ترجمته العهد القديم الى اليونانية في سنة ١٣٨ ترجمة حرفية تختلف عن ترجمة فيلون اليهودي الاسكندراني واكثر ضبطا منها.وهناك اريتيوس الطبيب من كبادوكية (المولود في نهاية القرن الثاني) والمعروف بتأليفه في اسباب وأعراض وعلاج الالام الحادة والمزمنة وتتميز مقالاته في اليونانية بالدقة والوضوح . كما كتب في اوجاع الاعصاب والهضم وقدم دراسة طبية عن امراض البلعوم والامعاء . وفي الفلسفة برزديـوجينيس من ليرته في كليكيا الذي كتب حياة الفلاسفة في عشرة فصول . وقد عاش زمن سيبتيوس سفيروس وكاراكللا . وكان ابيقوريا وقسم الفلاسفة اليونانيين في كتابه الى صنفين الايونيين وبدأ هم بانكزيماندر والايطاليين وبدأهم بفيثاغورس . وقسم الاولين الى ثلاث اقسام افلاطونيين والاكاديميين اولا والسنيكيين (الذين يعتقدون بان الفضيلة هي الخير الاوحد وان جوهر الفضيلة هو ضبط النفس) ثانيا ثم ارسطو وثيوفراستوس ويحوي كتابه ترجمة لحياة وملخصا لمعتقدات واقوال الفلاسفة . ولم يكن ديوجينيس اهلا لموضوعه ولم يعط الموضوع الذي كتب فيه حقه . ثم السينيكي الفيلسوف بيريغرينوس بروتيوس من باريوم في غرب اسيا الصغرى . من القرن الثاني . وقد تحول الى المسيحية اثناء زيارته فلسطين وصار سينيكيا وتجول من بلد لاخر طلبا للشهرة واخيرا احرق نفسه حيا امام الناس سنة ١٦٥ .

ومن كتاب البلد المشهورين خلال هذا العصر أريانوس الذي كتب في الفلسفة والتاريخ على وجه الخصوص . وقد ولد في نيكوميديا حوالي نهاية القرن الاول وحصل على مناصب هامة في الدولة منها حاكم كبادوكية زمن الامبراطور

هادريان سنة ١٣٦ قنصلا زمن الامبراطور انطونيوس . وفي نهاية حياته عمل كاهنا لمعبد ديميترفي بلدته . وقد وصلتنا اربعة من كتابه محاورات ابيكتيتوس الذي يعتبر خير مصدر عن هذا الفيلسوف والاخلاق الرواقية ولديه كتاب آخر عن نفس الفيلسوف.ومن كتبه الهامة حملة الاسكندر في سبعة فصول وصلنا كاملا تضمن حياة الاسكندر المقدوني من صعوده على العرش حتى وفاته اعتمد فيه على خير المصادر وحذى به نهج زينفون . ثم كتابه (الهند) الذي تضمن تقريرا عن رحلة نيرخوس في الخليج العربي.وله كتاب الطواف في بونطس البحر الاسود ومقالته عن الصيد مع كتب اخرى وصلتنا منها امثال خلفاء الاسكندر ومعارك تراجان مع الفرثيين وتاريخ بلده حتى الاحتلال الروماني . ثم الكاتب الساخر لوقيانوس في سميساط (المولود حوالي سنة ١٢٠) الذي شب فقيرا وعمل كمحام في انطاكيا سورية وارتزق من كتابة الخطب للاخرين وتجول في اليونان وايطاليا وبلاد الغول محاضراً . وبعد اربعين سنة قضاها في الاسفار رجع الى بلده وانكب على تدوين كتبه التي خلقت له الكثير من الاعداء الى الحد الذي تذكر معه بعض المصادر انه رمى الى الكلاب التي قطعته اربا اربا وتطلق عليه الكافر . أهم كتبه محاوراته هاجم بعضها فلسفة الوثنيين والدين ومن هذه محاورات الارباب وعددها ٢٦ تتألف من اخبار لبعض الحوادث الشائعة في الميثولوجيا الوثنية . وفي كتابه زووس المدان يظهر رب الارباب اليوناني الروماني دونما حول وقوة غلبه القدر . ثم كتابه بيع الفلاسفة بالمزاد العلني الذي تعرض به لمختلف المدارس الفلسفية . ثم كتبه الصياد والمأدبة وحوار الموتى وفي احد محاوراته يصعد الى القمر ومنه يرى عواطف الناس ومنازعاتهم . وتدل كتبه على معرفة منه بالطبيعة البشرية وخصب افكاره وحبه للنكتة والسخرية الى جانب البساطة في العرض والاسلوب.وكان ولعا في الشك ويريد من القراء التسلح به. وفي العمارة فقد استمرت التقاليد اليونانية ـ الاناضولية في فترة الاحتلال الروماني وما شيد من البنايات في هذا العصر فهي رومانية الشخصية وصار المرمر الان المادة الاساسية للبناء . وبدأ لاول مرة استعمال الطابوق والطين في بناء البنايات الرسمية

التي غطيت من الخارج بقطع المرمر . وصارت النصب الضخمة تشيد فوق العقادات البرميلية او ذات الحنايا ولم تعد المسارح تبنى على منحدرات التلال بل (اخذت تدعم بعدد من العقادات ذات الاقواس والعقادات النفقية) ولو ان المدن استمرت في تفضيل بنائها على الطريقة السابقة . وصار للمسارح جدار بطابقين خلف المسرح ووسع محل العرض في المسرح وسقفت مداخل المسارح وصار شكل المسرح شبه دائري بينما كان على شكل حذاء الفرس في العصر الهيليني. وشيدت الحمامات الكبيرة المرفقة بالملاعب بكل مدن اسيا الصغرى منها ملعب فيديوس في افيسوس وحمامات فيستينا في ملطية وحمامات سيدة . وهناك الجسور الجميلة مثل الجسر الحجري في برغاموم . وبنيت القناطر لاول مرة في العصر الروماني باسيا الصغرى منها واحدة في خارج افيسوس . وشهدت اسيا الصغرى لاول مرة الان المدارج Amphitheater حيث كانت تقام مسابقات المصارعة ومنازلة الحيوانات . وكذلك اقواس النصر وشاعت ابواب المدن وواجهات المكتبات الضخمة والنافورات وخلفيات المسارح والاهتمام ببناء القبب والعقادات ثم الشوارع ذات الاعمدة على الجانبين كما ولعوا في الطراز الكورنتي للاعمدة .

والى العصر الروماني يعود معبد تراجان في برغاموم الذي شيد على مصطبة ٦٨ × ٥٨ مترا باعلى منطقة في القلعة لعبادة الاباطرة تراجان وهادريان حيث عثر فيه على رأسين كبيرين لتمثالين لهذين الامبراطورين الان في المتحف البريطاني .

وقد اعاد الرومان تعمير مدينة سمرنا بعد تخريب الزلزال لها ايام ماركوس اوريليوس سنة ١٧٨ نرى بقاياه في تمثال للملكة فوستينا الثانية زوجة الامبراطور ماركوس اوريليوس على قوس في طريق الاعمدة الغربي بالمدينة . كما عمر معبد ارتميس في سارديس حوالي سنة ١٥٠ حيث قسم المعبد الان من الداخل الى قسمين صار القسم الشرقي محل عبادة وكرس الى الملكة فوستينا الاولى زوجة الامبراطور انطونينوس بيوس. والى هذا العصر ربما تعود كنيسة القديس يوحنا في افيسوس (شيدت ربما في القرن الثاني) الذي دفن هو نفسه فيها. ثم ملعب فيديوس في

منتصف القرن الثاني المكرس الى الربة ارتميس والامبراطور انطونينوس بيوس . والبناية عبارة عن حمامات وملعب زين المدخل فيها بالتماثيل . ثم مدرج افيسوس من هذه الفترة شيدت مقاعد المتفرجين فيه على منحدرات جبل بيون . وبينت الكتابات انه شيد زمن الامبراطور نيرون . واهم كنيسة في افيسوس هي كنيسة ماري العذراء التي شيدت داخل بناية رومانية في النصف الاول من القرن الثاني . وهو معبد واسع ٣٠ × ٢٦٠ قسمها صفان من الاعمدة الى قاعة للمتعبدين وممرين ينتهي كل منهما بزاوية قبوية APSE ويمكن القول انها شيدت بالخطة الباسيليكا . ومن البنايات الرومانية الاخرى في افيسوس مسرح الملعب الذي شيد في القرن الثاني والطريق ذو الجوانب ذات الاعمدة الذي نسب بناؤه الى الامبراطور اركاديوس طوله الحالي ٦٠٠ × ١١ (عرضا) ومكتبة كيلسوس ومساحتها ١١ × ١٧ شيدت على قاعدة معقودة يصل الى قمتها بسلم واسع ذو تسع عتبات عرض كل منها ٢١ مترا . والمكتبة ذات واجهة ضخمة ترجع الى سنة ١١٠ . ثم سوق المدينة التجاري الذي وسعه اوغسطوس ونيرون واصلحه كاركللا . ومعبد هادريان الصغير المشيد بالطراز الكورنثي ونافورة تراجان التي تشغل مساحة ٢٠ /٥ × ٩ /١١ مترا ومعبد دوميشيان الذي شيده اهالي افيسوس وسط المدينة مقابل السوق على منحدرات جبل بولبول باربعة اعمدة في المقدمة و٨ ×١٣ على الجوانب . وغرفة الطقس ٩ × ١٣ وضع وسطها تمثال الامبراطور وهناك بيت العذراء ماري .

ومن نيسا (سلطان شهر) هناك مكتبتها الشهيرة والمسرح ومقر المجلس . كما تعود غالبية بنايات موقع الاباندا الحالية الى العصر الروماني مثل الحمامات الشرقية والجنوبية والكنيسة الشرقية . ومن هاليكارناسوس هناك قلعة القديس بطرس . ومن انقرة عثر على معبد انقرة الذي ربما شيد بين سنتين ٢٥ ـ ٢٠ ق . م . والذي نشر عليه اوغسطوس اربع وثائق تتضمن وصيته ويتقدم المعبد اربعة اعمدة ثم مدخلا يرقى منه سلم الى غرفة الطقس المكرسة الى الرب غوسطوس والربة روما . وفي القرن الثاني احيط المعبد باعمدة وقد حول المسيحيون المعبد الى كنيسة . ثم

الحمامات الرومانية التي شيدها كاركلا (١٠) .

الهوامش

1 Woolley, The Art... Op. cit.pp. 200, 203-205

2. F. Oertel, CAH, Vol. X, (Cambridge, 1952), pp. 401-403.

3. M.P. Charlesworth, CAH, op. PP. 679 - 680.

4. J. Keil, CAH, Vol. XI .. op. cit. pp. 570-613.

5. M. Cary, A History of Rome, (London, 1962), pp. 645-648.

6. S. N. Miller, (AH, Vol. 12..op. cit. pp. 6-10.

7. A. Alfoldi, ..op. cit. pp. 146-149.

9. F.C. Burkitt, CAH, Vol. 12,... op.cit.pp.451-504.

10. Akurgal, op. cit.

٨ . سفر الكورنيثين الثاني ١١ : ٢٥